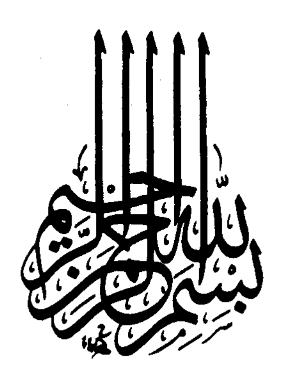
المتنبئون في الإسلام

وخطرهم على الفكر والمجتمع

تأليف
د. غالب بن علي عواجي
أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية
في المدينة النبوية

دار النصيحة
المدينة النبوية




المتنبئون في الإسلام
وخطرهم على الفكر والمجتمع

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٣هـ



المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية -أمام البوابة الجنوبية للجامعة الإسلامية
تلفاكس / ٠٠٩٦٦٤٨٤٧٠٧٠٨ - جوال / ٠٠٩٦٦٥٩٥٩٨٢٠٤٦
البريد الإلكتروني: daralnasihaa@gmail.com

مقدمة الطبعة الأولى ..

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

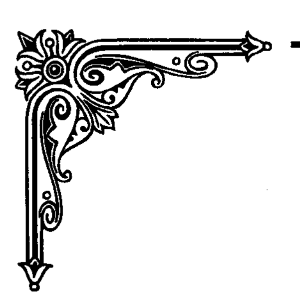
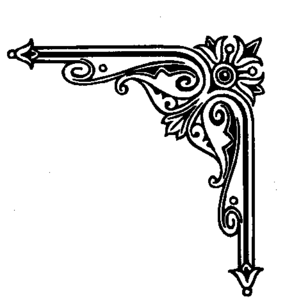
فقد أحببت أن أسهم بدلوي المتواضع في دراسة واحدة من القضايا التي تؤرق العالم الإسلامي، وأسهمت في الفرقة العظمى بين المسلمين، وفي إشغالهم بأنفسهم قديمًا وحديثًا حتى صار المسلمون مضرب المثل في الضياع والتشتت والتنازع الذي كان عاقبته الفشل المحتوم كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1] ومن المعلوم للقارئ الكريم أن ادعاء النبوة، واحتدام الخلاف حولها بين موافق ومعارض هي من المعارك المفتعلة التي ليس وراءها مصلحة لأي مسلم في الأرض، وإنما هي مصلحة وغرض كبير لأعداء الإسلام المتربصين به.

وأدعياء النبوة هؤلاء من العملاء الكبار المأجورين الذين يراد بهم إلهاء المسلمين عن النظر إلى واقعهم التعيس. فقد تكالبت جميع قوى الشَّر كما هو معلوم، وأصبحوا كلهم في خندق واحد ضد الإسلام والمسلمين رغم ما بينهم من الخلافات والعداوات الدفينة ولكن وحَّدهم الحقد ضد المسلمين فأصبح اليهودي والنصراني والمجوسي والشيوعي والبوذي وسائر ملل الكفر على خطٍّ واحد في مهاجمة الإسلام وتشتيت المسلمين. وسيجد القارئ - إن شاء الله - ما يريده من بيان تلك الأمور من خلال دراسة هذه القضية الكبرى.

***

---

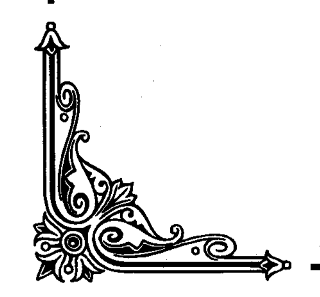
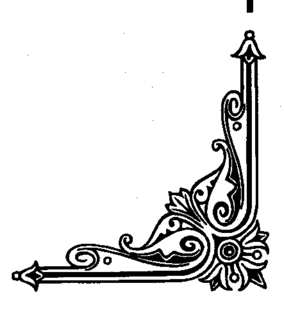
(١) سورة الأنفال الآية: (٤٦).

مقدمة الدراسة ..

وتشمل ما يأتي من الفصول:

- الفصل الأول: بيان أهمية الموضوع والحاجة إليه.
- الفصل الثاني: سبب اختيار هذه الدراسة.
- الفصل الثالث: طريقة دراسة هذا الموضوع.
- الفصل الرابع: خطة البحث.

الفصل الأول..

بيان أهمية الموضوع والحاجة إليه

بيان أهمية الموضوع والحاجة إليه

من الأمور المعلومة بالضرورة أن دين الله تعالى واحد في مضمونه العام، وفي اتجاهه الحقيقي، وأن دعوة الأنبياء واحدة إلى ذلك أيضًا، ولهذا نجد أن الله تعالى في القرآن الكريم يؤكد هذا بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾[1].

فإنه ما من نبي إلا وكانت دعوته كلها متجهة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى وإلى نبذ الشرك وسائر المعاصي الناتجة عنه، ولم تختلف دعوة الأنبياء في هذا ثم جعل الله سعادة البشر متوقفة على تحقيق ذلك سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا أم في الآخرة.

والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ البشر أمور دينهم، وفي تلقي الشرائع وقد جَبَلَهم الله على الصدق، وحب الخير لجميع البشر، والإخلاص في النصح لهم وهم أُمناء الله في الأرض وأمر بطاعتهم ونهى عن معصيتهم ورتَّب الله على هذا ثوابًا وعقابًا في الدنيا والآخرة.

وبدون التلقي عنهم لا يمكن معرفة الدين ولا الوصول إلى مرضاة الله تعالى، لأن هذه الأمور لا يمكن أن يصل العقل إلى إدراكها فهي فوق مستواه وفوق حدود قدرته ومعرفته. ولهذا أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب فلم تَخلُ أمة من نذير لتقوم الحجة البالغة لله على عباده؛ فإن الله سبحانه أخبر في كتابه الكريم بصدق أولئك الأنبياء والإيمان بهم جملة سواء من ذكر اسمه في القرآن الكريم، أو من لم يذكر ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾.

ونؤمن أيضًا بالمفاضلة التي ذكرها الله فيما بينهم وأن أفضلهم هم أولو العزم، وأفضل الجميع نبينا محمد ﷺ على الإطلاق.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٨٥).

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[١] ونؤمن إيمانًا راسخًا أن النبوة موهبة من الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] لا تأتي بالكسب أو الذكاء، وإنما هي منة منه سبحانه على من يشاء من عباده لصفات تتوفر فيهم كانوا بها أهلاً لحمل تلك الأمانة العظيمة، ومن زعم أنها تأتي بالاكتساب فقد كذب وافترى. وجعل تحقيق عبادته أسمى مهماتهم بل ولهذه الحقيقة بالذات خلق الخلق وأوجدهم من عدم، وتكفل برزقهم إلى أن يوافوا آجالهم، ثم يجمعهم في يوم القيامة لترى كل نفس ما كسبت من خير أو شرٍّ محضرًا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٣].

لقد ضلَّ عن هذه الحقيقة الكثير من البشر ظانين أن وجودهم في هذه الدنيا إنما يراد به ليعيشوا كما يحلو لهم ولينتهبوا اللذات كما تتيسر لهم، وهذا بلا شكٍّ هو ما تريده شياطينهم منهم.

ومن رحمة الله تعالى أنه لم يحرم على الإنسان التنعم والتفنن في الوصول إلى الطيبات وقضاء الشهوات إذا كان ذلك في حدود ما شرعه الله تعالى وأباحه، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٤] والمذموم في ذلك كله هو تجاوز هذا النصيب الذي هو الحد الفاصل بين الحياة الحقيقية اللائقة بالإنسان، وبين الحياة البهيمية الهابطة التي يعيشها المنحرفون الذين يأكلون كما تأكل الأنعام ويتمتعون كما تتمتع الأنعام والنار مثوى لهم. وقد رغبت في النصح -الواجب عليَّ- لإخواني فأدليت بدلوي المتواضع في جمع ما تمكنت من الاطلاع عليه من أخبار المتنبئين الذين ظهروا في الإسلام وزعموا أنهم أنبياء الله، وأن الله يوحي إليهم فضلوا وأضلوا.

(١) سورة البقرة الآية: (٢٥٣).
(٢) سورة الأنعام الآية: (١٢٤).
(٣) سورة الذاريات الآيات: (٥٦-٥٨).
(٤) سورة القصص الآية: (٧٧).

وهي فتنة كبيرة ظهرت في مختلف الأزمنة، وكان وقود كثير منها جثًا وهامًا. فهي بغضِّ النظر عن أهداف أصحابها المختلفة - فتنة كبيرة ابتلي بها الناس، ولا يزالون يبتلون بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما أخبر الصادق المصدوق. إذ مصدر تلك الفتن واحد هو إبليس المُنْظَرُ إلى يوم الدين.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن أصحاب المطامع العريضة في الزعامة أو الجاه أو المال لهم أساليبهم المختلفة في الوصول إلى مآربهم، فمنهم من ادعى النبوة علانية جهارًا، وهؤلاء منهم من كتب له البقاء كثيرًا أو قليلاً، ولكن كانت نهايته الفشل الذريع والقتل المرير، ومنهم من لم يَدَّعِ النبوة ولكنه أقام نفسه مقام الأنبياء بل ومقام رب العالمين، وما أشد خطر هؤلاء وما أكثرهم في عصرنا الحاضر وهؤلاء بدل أن يقال لهم: متنبئون سموا أنفسهم «مُشَرِّعِينَ» وهو من الاختلاف اللفظي والنتيجة واحدة، ومن العجيب أن الناس لم يشنوا عليهم الغارة كما فعلوا مع مدعي النبوة مع أن ضرر هؤلاء -في نظري- أشد من فتن مدعي النبوة، والكل كاذبون مفترون على الله تعالى، ولكن مشت الرياح بما تشتهي سفن المشرعين من دون الله تعالى فسالمهم الناس ووثقوا في تشريعاتهم الهزيلة ولكن الله عز وجل بالمرصاد للجميع ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1]، وقد تتبعت أخبار المتنبئين في أوقات متفاوتة ومن مراجع شتى ليعتبر المؤمن ويخاف الفاجر، والهداية بيد الله تعالى.

فإن وجد القارئ بغيته في هذه الدراسة فالحمد لله، وذلك الذي أردت، وإلا فأنا أدعو الله عز وجل أن لا يحرمه أجر قراءته، وأرجو منه أيضًا أن يدعو الله أن لا يحرمني أجر ما بذلته في جمعه وترتيبه، وفضل الله واسع، والله واسع عليم.

ولعل القارئ يدرك أن الكلام في هذه القضية ذو شجون، وأن العلماء قد ألفوا مؤلفات عديدة في دلائل النبوة، وما يتعلق بالوحي ومواقف الأنبياء من أممهم، ومواقف الأمم من الأنبياء وبيان نتائج ذلك في أخبار طويلة، ولكني آثرت الاختصار

(١) سورة الشعراء الآية: (٢٢٧).

قدر الإمكان تسهيلاً لاطلاع القارئ ومراعاة لوقته الشحيح متمثلاً القول المشهور «خير الكلام ما قلَّ ودلَّ» فقد راعني ما قام به أعداء الإسلام من هدم العقيدة الإسلامية وتشكيك المسلم في دينه، وهم متسترون وراء أولئك الدُّمَى من مدَّعي النبوة حتى تصور الكثير من الرويبضات أن النبوة فوضى من عَزَّ فيها بَزَّ، ومن غلب استلب، فأقدموا على دعواها غير مبالين بالعواقب الوخيمة التي تنتظر كل من حَادَّ الله تعالى واجترأ على المعاصي وافترى على الله الكذب دون خوف من خالقه بعد أن زين له الشيطان سوء عمله فرآه حسنًا.

إذا تصور القارئ الكريم الضرر الذي أحدثه المتنبئون في المجتمعات التي ابتليت بهم، والفوضى الفكرية التي أحدثتها دعواتهم الممقوتة والمدى الهزيل الذي أصبحت عليه قداسة النبوة واستهانة أولئك الفجار بها والجرأة على ادعائها، لو تصور القارئ ذلك وغيره لهاله الأمر، ولاشتعلت الغيرة في قلبه على دينه ولأحس بالآلام المبرحة في سويداء قلبه «إن كان في القلب إيمان وإحسان» فمن آمن بنسخ دين الإسلام الحنيف وإبطال أو انتهاء الشريعة المحمدية أو ادعى أنه مكمل لها أو أن النبوة لم تنقطع بمحمد ﷺ أو أنه نبيٌّ مجدد؛ لأن عصره لا يقبل شريعة الإسلام أو غير ذلك من الدعاوى الفارغة التي أحكم حبكها أولئك الفجار بمساعدة شياطين الإنس والجن؛ إن كل من آمن بذلك أو شكَّ في ختم النبوة بمحمد ﷺ فقد ناصب الإسلام العداء وخرج على إجماع المسلمين، وفارق جماعتهم فوجب على كل مسلم مقارعة هؤلاء المتنبئين، ومحاربتهم بكل سلاح يملكه المسلم من الدعوة إلى الله وردع هؤلاء وزجرهم بالقوة وإقامة حق الله عليهم، وتطهير الأرض منهم ومن أتباعهم في كل زمان وفي كل مكان من الأرض وإطفاء فتنتهم امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1] وهم أئمة الكفر الذين لا أيمان لهم.

---

(١) سورة الأنفال الآية: (٣٩).

الفصل الثاني ..

أسباب اختياري لهذه الدراسة

أسباب اختياري لهذه الدراسة ..

لعل من أهم تلك الأسباب ما يلي :

١- انتشار دعوات كثير من المتنبئين، ووجود قطعان من البشر آمنوا بهم وأشهروا السلاح في وجوه أهل الإسلام قديمًا وحديثًا. كما ستجد تفصيل ذلك أثناء هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

٢- ما يتظاهر به بعض أدعياء النبوة من أنه لا فرق بين نبوتهم وبين نبوة محمد ﷺ إلى حد أن القادياني - مثلاً : - زعم أنه لا فرق بين أن يشهد الرجل الشهادتين، ويؤذن باسم محمد ويكون في نفس الوقت مؤمنًا بنبوة القادياني وشريعته الجديدة، لأن القادياني اسمه أحمد، والرسول اسمه أيضًا أحمد ومحمد وقد أصبح القادياني هو نفسه محمد. كما سنذكر تفصيل هذه المغالطة السخيفة في مكانها.

٣- وجوب النصح للمسلمين عمومًا وخصوصًا من لم تكن عنده حصانة كافية ضد دعوات المتنبئين فيغتر بزخرف أقوالهم.

٤- الرغبة في تكثير الأصوات المنادية بإيقاف المتنبئين عند حدهم وإشهار أمرهم علَّ صوتًا يسمع ضدهم ينتفع به من أراد الله هدايته.

٥- الرغبة في بيان عمالة هؤلاء لأعداء الإسلام وبيان مدى عداوتهم للإسلام وأهله.

٦- بيان سخافة دعوى التنبؤ ومدى ضحالة أفكار المتنبئين وسقوطها.

٧- ليزداد المؤمن ثقة بدينه وصدق نبيه ومعجزة القرآن الخالدة حينما يقارن بين ما جاء به الإسلام، وبين ما جاء به هؤلاء الدجاجلة من الأقوال والأفعال.

* * *

الفصل الثالث ..

منهجي في هذه الدراسة

تمثلت دراستي لهذا البحث في سلوك الطرق الآتية

١- جمع المادة والأدلة من المراجع الأساسية.

٢- عزو الآيات إلى أماكنها من السور في المصحف.

٣- أذكر تخريج العلماء للحديث وحكمهم عليه إذا لم يكن في الصحيحين.

٤- التعليق على النصوص الواردة ببيان دلالتها والمقارنة بينها والترجيح بين التعارض فيها على ضوء النصوص الأخرى في الموضوع.

٥- الإحالة في دراسة كل متنبئ إلى المراجع التي اهتمت بذكره.

٦- العناية بالفصول والأبواب وتنسيقها.

الفصل الرابع ..

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وأبواب وفصول ومباحث وخاتمة نوجز بيانها فيما يلي:

المقدمة وتشمل ما يأتي :

١- بيان أهمية الموضوع والحاجة إليه.

٢- سبب اختيار هذه الدراسة.

٣- طريقة دراسة الموضوع.

الباب الأول : ويتضمن ما يلي :

التعريف بالنبوة ويشمل الفصول الآتية:

- الفصل الأول : التعريف بالنبوة في اللغة.
- الفصل الثاني: التعريف بالنبوة في الاصطلاح.
- الفصل الثالث: هل يوجد فرق بين النبي والرسول؟

تعقيب على ما تقدم .

الباب الثاني: ما يتعلق بالوحي وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول : حقيقة الوحي وكيفية نزوله.
- الفصل الثاني: بيان الفرق بين وحي الله عز وجل ووحي الشياطين إلى أوليائهم — النبوة الحقيقية والنبوة المدعاة.
- الفصل الثالث: تحريم القول على الله بغير علم وإثم ذلك.

الباب الثالث : النبوة وعدد الأنبياء والمرسلين وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين.
- الفصل الثاني: أدلة ذلك:

١- من القرآن. ٢- من السنة النبوية.

- الفصل الثالث: تحديد عدد الأنبياء والمرسلين.
- الفصل الرابع: تحديد عدد المتنبئين.
- الفصل الخامس: حاجة البشر إلى الأنبياء والمرسلين.
- الفصل السادس: من بقايا المبشرات بالنبوة الرؤيا الصادقة.
- الفصل السابع: منزلة النبوة والوصول إليها.
- الفصل الثامن: علامات النبوة الموهوبة والمصطنعة.
- الفصل التاسع: صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- الفصل العاشر: المعجزات.
- الفصل الحادي عشر: النبوة اختيار من الله تعالى وليست مكتسبة.

الباب الرابع: نبوة النساء وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: هل النبوة قاصرة على الرجال فقط أم تشمل النساء أيضًا؟

- الفصل الثاني: استدلال من يقول بنبوة النساء.
١- أدلته من القرآن. ٢- أدلته من السنة النبوية.
- الفصل الثالث: بيان القول الراجح في نبوة النساء.

الباب الخامس: ثبوت نبوة الأنبياء بالأدلة القاطعة وفيه:

- الفصل الأول: ثبوت نبوتهم بالنصوص.
١- من كتاب الله تعالى. ٢- من سنه نبيه ﷺ.
- الفصل الثاني: ثبوت نبوتهم بالعقل.

الباب السادس: الأدلة على انقطاع النبوة بنبينا محمد وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: وفيه مبحثان :
- المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.
- الفصل الثاني: الأدلة من إجماع الصحابة رضي الله عنهم.
- الفصل الثالث: الأدلة من إجماع عامة المسلمين وعلمائهم على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ.

الباب السابع: تحذير الرسول ﷺ من مدعي النبوة بعده وبيان ظهور كذب مدعي النبوة من أقوالهم وأفعالهم وأنهم دجالون كذابون.

الباب الثامن: المتنبئون وأصنافهم قديمًا وحديثًا ويشمل:

- الفصل الأول: المتنبئون في حياة النبي ﷺ قبل وفاته وهم:
١- الأسود العنسي.
٢- مسيلمة.
٣- طليحة بن خويلد الأسدي.
- الفصل الثاني: المتنبئون بعد وفاة النبي ﷺ في زمن الصحابة.
١- ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي.
٢- سجاح بنت الحارث.
٣- المختار بن أبي عبيد.

٤- الأسود بن قيس بن ذي الخمار.

- الفصل الثالث: المتنبئون في زمن الدولة الأموية وهم:

١- المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي.

٢- صالح بن طريف.

٣- بيان بن سمعان التميمي التبان.

٤- أبو منصور العجلي الكوفي.

- المتنبئون من فرق الخطابية:

١- بزيغ الحائك.

٢- معمر الكوفي.

٣- عمار الملقب خداش.

٤- عمير التبان.

٥- الحارث الكذاب.

- الفصل الرابع: المتنبئون في زمن الدولة العباسية.

١- الحسين بن أبي منصور العجلي.

٢- أبو الخطاب الأسدي.

٣- المقنع الساحر - حكيم.

٤- ادعاء الباطنية نبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر.

٥- المتنبئ حاميم.

٦- المتنبئ عيسى.

٧- أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب.

٨- مرداويج.

٩- علي بن الفضل الحميري الجدني

١٠- وهب بن مسرة.

١١- حمزة بن عمار.

١٢- متنبئان مجهولان.

١٣- محمد بن نصير النميري.

- الفصل الرابع: الخضر.

الباب العاشر: النبوة في مفاهيم الفرق وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: النبوة في مفهوم الفرقة الناجية.
- الفصل الثاني: النبوة عند الجهمية والأشاعرة.
- الفصل الثالث: النبوة عند المعتزلة.
- الفصل الرابع: النبوة عند الفلاسفة.
- الفصل الخامس: النبوة عند الباطنية.
- الفصل السادس: النبوة عند المتكلمين.
- الفصل السابع: النبوة عند الشيعة.
- الفصل الثامن: النبوة عند غلاة الصوفية.
- الفصل التاسع: في بيان ما يتعلق بخوارق المتنبئين.

الباب الحادي عشر: نماذج من كلام المتنبئين وزعمهم أنه وحي من الله تعالى وإيضاح الفوارق الفكرية بينهم.

الباب الثاني عشر: الأسباب التي أدت إلى ادعاء النبوة.

الباب الثالث عشر: النتائج الفكرية والاجتماعية التي أحدثها المتنبئون:

١ - النتائج الفكرية.

٢ - النتائج الاجتماعية.

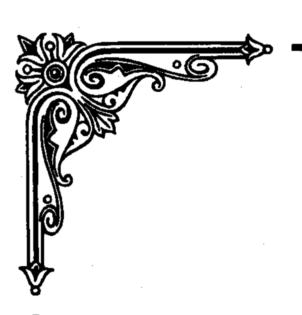
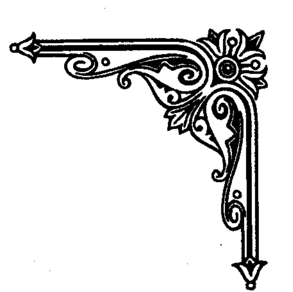
الباب الرابع عشر: كيفية القضاء على هذه الدعوات الفاجرة والمقاومة الناجحة لها.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج التي تبينت لي من وراء دعوى النبوة بعد إتمام هذه الدراسة.

قائمة بأسماء المراجع.

فهرس الموضوعات.

* * *

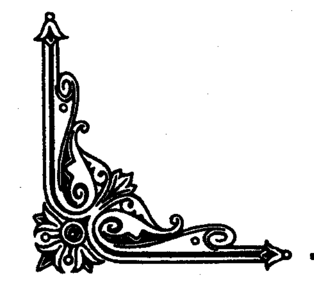
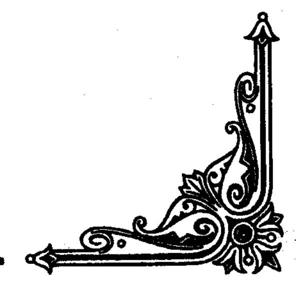



الباب الأول ..

ويتضمن هذا الباب ما يلي:

التعريف بالنبوة ويشمل الفصول الآتية:

- الفصل الأول: التعريف بالنبوة في اللغة.
- الفصل الثاني: التعريف بالنبوة في الاصطلاح.
- الفصل الثالث: هل يوجد فرق بين النبي والرسول؟
- تعقيب على ما تقدم.

الفصل الأول ..

التعريف بالنبوة في اللغة

الفصل الأول: التعريف بالنبوة في اللغة..

١- قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾[1] أي عن الخبر العظيم فقد سمى الله عز وجل الخبر «نبأ» فكل نبأ خبر، وكل خبر نبأ، تختلف التسمية والمعنى واحد، وقد اشتقت لفظة النبي «بمعنى المخبر» وهو مخبر عن الله تعالى، ومخبر لغيره بذلك، وعلى هذا فإن لفظة النبي مشتقة من النبأ الذي هو الخبر.

٢- وقيل: إن النبوة اشتقت من النَّبْوَة بمعنى المكان المرتفع من الأرض الذي يهتدي به الناس لارتفاعه وبروزه.

٣- وقيل: النبي لفظة مأخوذة من معنى الطريق؛ لأن العرب تسمى الطريق نبيًّا.

٤- وتأتي النبوة بمعنى الحجج ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۝٦٦﴾[2] قال أهل التفسير: أي عميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا وذلك هو معنى قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧﴾[3].

ومن أقوال علماء اللغة في ذلك:

١- قال الليث: «ويقال لأشراف الأراضي إذا كانت رقاقًا مرتفعة: أنابيب».

٢- وقال أبو زيد نبأ: ارتفع.

٣- وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: النبوة: الارتفاع.

٤- وقال ابن السكيت في معنى النبي، ولحوق الهمزة بها وعدمها قال: النبي هو من أنبأ عن الله فترك همزه «وإن أخذته من النبوة» والنباوة «وهي الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق» فأصله غير الهمزة.

٥- وقال الكسائي: النبي الطريق والأنبياء طرق الهدى. قال أبو معاذ النحوي:

---

(١) سورة النبأ الآية: (١، ٢).

(٢) سورة القصص الآية: (٦٦).

(٣) سورة الصافات الآية: (٢٧).

سمعت أعرابيًّا يقول: من يدلني على النبي؟ أي الطريق.

٦- وفي إطلاق الحجج على الأنبياء يقول الأزهري: (قلت: الحجج أنباء، وهي جمع «النبأ» لأن الحجج إنباء عن الله تعالى) [(١)].

وهذه المعاني اللغوية كلها تدل على شرف لفظة «النبي» حيث اشتملت على هذه المعاني الشريفة. والأنبياء كذلك أصحاب رفعة وامتياز وهم منارات يهتدي بها الناس وأعلام على طريق الهدي وهم كذلك حجج ظاهرات واضحات لله على عباده اختصهم الله بفضله وشرَّفهم بوحيه، وجعلهم في أرفع الدرجات في الدنيا والآخرة، وما قدمنا ذكره فإنه خاص بالنبوة الموهوبة من الله تعالى، أما النبوة الشيطانية فإنه يقال لصاحبها: متنبي، وهو لفظ يشعر بالكذب واحتقار صاحبه وهذا المعنى الحقيقي للفظة متنبئ لغة وحقيقة. ولهذا يقول الأزهري رحمه الله: «ويقال تنبأ الكذاب إذا ادعى النبوة وليس بنبي كما تنبأ مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين الكذابين المتنبئين» [(٢)].

* * *

(١) انظر كتب اللغة مادة «أنب» و«نبأ» – انظر «تهذيب اللغة جـ ١٥ ص٤٨٤ – ٤٨٨ – القاموس المحيط جـ ٤ صـ ٣٩٥ – صحاح الجوهري – جـ ٦ صـ ٢٥٠٠ – لسان العرب جـ ١٥ صـ٣٠٢ وانظر جـ ٥ صـ٢٥٩ .

(٢) تهذيب اللغة جـ ١٥ صـ٤٨٨ .

الفصل الثاني ..

التعريف بالنبوة في الاصطلاح الشرعى

التعريف بالنبوة في الاصطلاح الشرعي.

النبوة في المفهوم الشرعي يراد بها بيان أنها موهبة من الله تعالى لبشر من الناس ارتضاه الله لتبليغ دينه وشريعته أرسله برسالة خاصة أو عامة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «النبي هو الذي نبأه الله بما يشاء وهو ينبئ عما أنبأه الله به»[(١)].

وبعض العلماء عرَّف النبوة والرسالة بقوله: «النبي هو إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضًا على المشهور، فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبي رسولًا»[(٢)].

وهذا التعريف يشير إلى قول شيخ الإسلام رحمه الله: «فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله يبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس رسولًا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ وقوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فذكر إرسالاً يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح»[(٣)].

وهذا الكلام من شيخ الإسلام ليس هو من إسقاط التبليغ عن الله تعالى كما قد يتصور البعض، فإن الله أوجب التبليغ حتى على العلماء فما هو الحال بالنسبة للأنبياء الكرام.

ومنهم من قال في التعريف: «النبي من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو إليها، أو بعثه لتقرير شريعة سابقة والرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو إليها»[(٤)].

---

(١) النبوات صـ ٢٥٥ .

(٢) لوامع الأنوار جـ١ صـ٤٩ .

(٣) النبوات صـ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (٥) وانظر شرح الطحاوية للألباني صـ٨ .

ومنهم من ذهب في تعريفه إلى عدم الفرق بين النبي والرسول وأن كل واحد منهما يطلق على الآخر، وأن التفرقة بينهما مفهوم باطل.

وقال ابن حزم: «الرسالة هي النبوة وزيادة وهي بعثته إلى خلق ما بأمر ما، وهذا لا خلاف فيه»[1] وهكذا جزم ابن حزم رحمه الله في هذه المسألة.

* * *

(١) المحلى جـ١ صـ٥٠ .

الفصل الثالث ..

هل يوجد فرق بين النبي والرسول؟

هل يوجد فرق بين النبي والرسول؟

رأيت -فيما سبق- اختلاف العلماء حول التعريف بالنبي والرسول ومدى الفرق بينهما، فمنهم من رأى أن بينهما عمومًا وخصوصًا، ومنهم من لم يقل بهذا العموم والخصوص، ولا قال بالفرق بينهما بحال، فالذين ذهبوا إلى الفرق بين النبي والرسول هم مجموعة من العلماء منهم السفاريني[1]، والجرجاني[2]، وعبد الغني الدمشقي[3]، وابن أبي العز الحنفي[4]، والذين توسطوا قالوا بالعموم والخصوص بينهما لكنهم قالوا بأن النبي مأمور أيضًا بالتبليغ ولكن ليس من خصوصياته دائمًا أن يدعو إلى شريعة جديدة مثل الرسول. أما الذين ذهبوا إلى عدم الفرق بين النبي والرسول وأن كلَّ واحد منهما يطلق على الآخر فهم يرون أن التفرقة بين التعريف بالرسول والنبي تفرقة باطلة إذ لا فرق بينهما في التعريف ولا في حقيقة الأمر، وليس بينهما عموم ولا خصوص، فالنبي هو الرسول والرسول هو النبي كما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية في نصوص كثيرة لا يفهم منها أي فارق بينهما، ويستدل هؤلاء بما جاء في القرآن الكريم من عدم التفرقة حيث جعل الله المسمى لكلٍّ منهما واحدًا والهدف واحداً كما في قوله تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[6] فالخطاب كان مرة باسم النبي ومرة باسم الرسول وهو كثير في القرآن الكريم، وقال تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ

---

(١) لوامع الأنوار جـ١ صـ٤٩ .

(٢) التعريفات صـ ٢٣٩ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية صـ ٦٥ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٦٧ .

(٥) سورة الأحزاب الآيتين: (٤٥-٤٦).

(٦) سورة المائدة آية: (٦٧).

﴿فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦﴾[(١)] مما يدل على أنه لا فرق بين مهمة الرسول ومهمة النبي وآيات القرآن الكريم كثيرة في إثبات هذا المفهوم. بل ويذهب الشيخ عبد الله آل محمود إلى القول بأن التفرقة بين مفهوم النبي والرسول هي التي شجعت أهل الأهواء على ادعاء النبوة. فقال: «وقد دخلت طائفة البهائية والقاديانية من فجوة هذا التفريق بين الأنبياء والرسل لزعمهم أن الرسالة مكتسبة، وأن بابها مفتوح وأنها لم تختم بمحمد رسول الله ﷺ، ولما استدل عليهم بعض المسلمين بقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(٢)] فقالوا: نعم: إنه خاتم النبيين وليس بخاتم المرسلين، فكأنهم وجدوا في هذا التعريف الذي لا صحة له فجوة يدخلون من جهتها إلى باطلهم[(٣)] وله كلام جيد في كتيِّبه «الإيمان بالأنبياء بجملتهم»، وكذا كتيبه الآخر واسمه «إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء» وله في هذين الكتيبين كلام جميل جدًّا أوضح فيهما أنه لا فرق بين النبي والرسول وأن التفرقة بينهما غير صحيحة بنصوص القرآن الكريم التي أورد كثيرًا منها وأن هذا هو ما تطمئن إليه النفس وترتاح من مرارة الاختلاف وتكلف القول بالفرق بين النبي والرسول، وما نشأ عن هذا القول من أضرار وفجوات استطاع كثير من مدعي النبوة الدخول منها إلى القول بالفرق بين الأنبياء والرسل من حيث أن بعضهم قد يبدأ في دعوته بأنه نبيٌّ متمم وليس برسول، وبعضهم يدَّعي بأنه رسول وليس بنبيٍّ لأن ختم النبوة قد اكتمل بمحمد ﷺ وبعضهم يؤول ختم النبوة بالتأويلات الباطلة وبالتالي فلا يحجزه شيء عن دعوى أنه نبي رسول.

وقد استدل الشيخ عبد الله على عدم الفرق بين النبي والرسول بما تقدم من الآيات، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

---

(١) سورة الزخرف: آية: (٦).

(٢) سورة الأحزاب: آية: (٤٠).

(٣) انظر ما كتبه الشيخ عبد الله بن محمود في كتابه «الإيمان بالأنبياء بجملتهم»، صـ ٣ – ٨ وصـ ٢٢ وانظر المواقف للإيجي صـ ٣٣٧ .

لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[١]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٢] فالنبي مرسل أيضًا، وبقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٣].

والمفرقون يحتجون بحديث أبي ذر وهو حديث موضوع وليس بحجة في ذكر العدد ولا في التفريق بين الأنبياء والرسل والله أعلم. وأما الذين ذهبوا إلى القول بأن «النبي هو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ولكنه لم يكلف بالتبليغ. وأما الرسول فهو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمر بتبليغه»[٤] فهو تفريق لا شك في بطلانه، وأهل هذا القول حينما يتجاوزون ذكر التعريف المذكور للنبي والرسول نجد أنهم يتكلمون عن الأنبياء والرسل دون أن تلحظ أيَّ فارق بينهما إلا في التعريف، ويكفي في رد هذا التعريف زعمه بأن الله يوحي إلى إنسان بشرع ولكنه لم يكلفه بالتبليغ، فيا ترى ما الفائدة من هذا الوحي وهذا الشرع الذي هو سرٌّ مصون بين الله وأنبيائه لا يطلع عليه أحد ولا أحد يخبر به؟!.

ثم إذا كان الله قد أخذ العهد على العلماء أن لا يكتموا شيئًا من العلم وتوعد من فعل ذلك بالعقاب الشديد فما هو الظن بالأنبياء؟!، ثم ومن الذي يخبر الناس بأن فلانًا نبيٌّ وهو متكتم على سره ولم يكلف بالتبليغ هذا فهم بعيد.

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «والشائع عند العلماء أن الرَّسول أعمُّ من النَّبيِّ فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالإبلاغ وعلى ذلك فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً»، وبعد أن ذكر هذا التعريف رد عليه من ثلاثة أوجه فقال: «وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى: ﴿وَمَآ

---

(١) سورة الأعراف: آية: (٩٤).

(٢) الحج: آية: (٥٢).

(٣) البقرة: آية: (٢١٣).

(٤) انظر النبوة والأنبياء صـ ١٧ .

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[١] فإذا كان الفرق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى.

الثالث: قول الرسول ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد**»[٢].

فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم[٣]. ويظهر لي بعد التأمل -والله أعلم بالحقيقة- أن الخلاف بين النبي والرسول مما لا طائل وراءه ولا ينبغي أن يحتدم الخلاف حوله لعدم الحاجة إليه، هذا من جانب ومن جانب آخر لعدم ترتب معرفة الدين عليه، والله أعلم.

* * *

(١) سورة الحج آية : (٥٢).

(٢) أخرجه البخاري جـ ٥ صـ ٢١٥٧ ومسلم واللفظ له جـ ١ صـ ١٩٩-٢٢٠ .

(٣) انظر الرسل والرسالات صـ ١٤- ١٥.

تعقيب على ما تقدم

وبعد عرض ما تقدم من الإشارة إلى فضائل الأنبياء والمرسلين لغة وواقعًا والتعريف بالنبي وبالرسول وبيان ما قيل في الفرق بينهما فإن الذي أحب التنبيه عليه هنا فيما يتعلق بموضوع هذه الدراسة هو أنه حتى وإن وجد من علماء الإسلام من يذهب إلى التفرقة بين درجة الرسول ودرجة النبي ومهمة كلٍّ منهما فإنما ذلك من أجل الوصول إلى الحق، ومعرفة القدر الذي وهبه الله لكل منهما، والدرجة التي أوصله الله إليها أيضًا فتؤمن بهم مع الاعتراف بشرف وعلو منزلة كل واحد من النبي والرسول، وقد لا يظهر الاختلاف بين مفهوم النبي والرسول إلا عند ذكر التعريف بهما فقط أما بالنسبة لمن نبأته الشياطين والنفس الأمارة بالسوء.

فعلى القارئ الكريم أن يدرك أن المتنبئين الذين نحن بصدد دراستهم لا يفرقون بين مهمة النبي والرسول بل والإله، فتجد الأحمق منهم بمجرد أن يدعى أنه نبيٌّ يقول بعد ذلك: إن الله أرسله أيضًا بشرع جديد، ودين جديد وقد يقف عند هذا الحد وقد يدعى بعد ذلك الألوهية حسب ما يرى من استجابة الناس له وإقبالهم عليه؛ لأنه ليس له منهج واضح يسير عليه إلا الهوى، والرغبة الجامحة في الزعامة، والعلو في الأرض وهو المفهوم الحقيقي للنبوة عندهم. وإذا كان النبي أو الرسول يخبر عن الله تعالى بما تقبله الفطر السليمة والعقول المستنيرة، وبما ينفع الناس في دينهم ودنياهم فإن أدعياء النبوة إنما يخبرونهم عن شياطينهم زخرف القول غرورًا، ويدعونهم إلى الالتفاف حولهم واغتنام الشهوات، وانتهاب الملذات ثم ينكشف أمرهم، ويتضح كذبهم في أقوالهم وأفعالهم، وفي كل تصرفاتهم ليلاقوا بعد ذلك مصيرهم الذي يستحقونه في الدنيا وفي الآخرة سنة الله في الكاذبين عليه حيث جعل المتنبئين يحملون في كلامهم وفي تصرفاتهم ما يشهد بكذبهم وسخافة مرادهم.

ومن المعلوم ضرورة أن النبوة والرسالة فضل من الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ

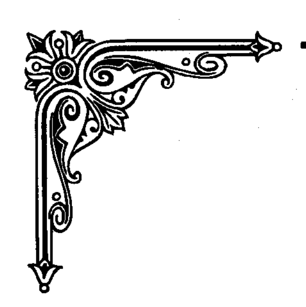
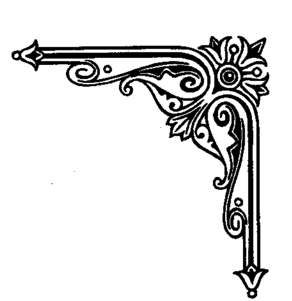
﴿يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] ومن زعم أن النبوة مكتسبة كأقوال الفلاسفة وغلاة علماء الكلام فإنه ملحد كذاب، وقد أعاد وأبدى شيخ الإسلام - رحمه الله- في كل كتبه في بيان هذا الجانب، ورد على كلّ من أخطأ الفهم الصحيح في ذلك.

ولا ينكر السلف الاستعداد الفطري لحمل الرسالة عن الله تعالى، ولكنه لا يعتبر من المكتسبات للوصول إلى النبوة بل هو تفضل آخر من الله عليهم لتهيئتهم لحمل الرسالة؛ لأن الاستعداد الفطري هيأهم لها، والرسالة تكون عن طريق الوحي من الله تعالى لمن اختاره لحمل رسالته، وبيان ما يحتاجه البشر لصلاح دينهم وإرضاء ربهم.

وقد أيّد الله أنبياءه ورسله بمعجزات دالة على صدقهم وهي كثيرة، وأعظمها معجزة نبيِّنا محمد ﷺ وهي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم وفرة أعداء الإسلام وتكالبهم على الحطّ منه منذ نزوله إلى أن تقوم الساعة.

* * *

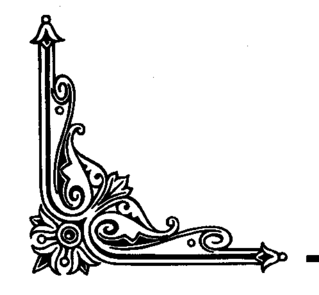
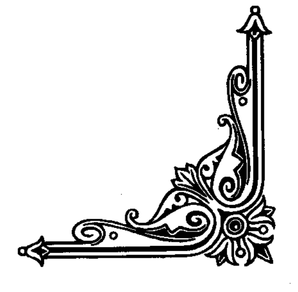
(١) سورة الأنعام آية: (١٢٤).

الباب الثانى

ما يتعلق بالوحي وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: حقيقة الوحي وكيفية نزوله.
- الفصل الثاني: بيان الفرق بين وحي الله عز وجل ووحي الشياطين إلى أوليائهم – النبوة الحقيقية والنبوة المدعاة.
- الفصل الثالث: تحريم القول على الله بغير علم وإثم ذلك.

الفصل الأول ..

حقيقة الوحي وكيفية نزوله.

حقيقة الوحي وكيفية نزوله..

هذا العنوان قد كتب فيه العلماء مؤلفات وليس القصد التفصيل فيه، وإنما نذكره لفائدة مكملة لموضوع هذه الدراسة، وذلك لارتباطه القوي بها؛ لأنه لا نبوة بغير وحي، والوحي في الأغلب إنما يكون بواسطة الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه الصلاة والسلام، وبهذه الطريقة يتم الوحي الرباني إلى من اصطفاه الله من البشر، وإذا لم يتمَّ هكذا فلا شك أنه من وحي الشياطين وأوهامهم وبهذا يتميز النبي من المتنبئ، يقول أحمد عبد الوهاب: «النبوة ترتبط بالوحي ارتباطًا تامًّا فلا نبوة بغير الوحي وكذلك يرتبط الوحي بالملائكة فجميعها حلقات متصلة لا تقبل الفصل»[1].

وهذا كلام حقٌّ فإن المؤمن إذا عرف الحق والصواب في الوحي وعرف حقيقة الملائكة وما يمتازون به وما هي المهمات الملقاة عليهم سهل عليه بعد ذلك التفريق بين الوحي الكاذب الشيطاني والوحي الرباني، كما يسهل عليه معرفة الملك الموكل من الله بالوحي، ومعرفة زخرف الشياطين، وتلاعبهم بعقول أوليائهم. فما هو الوحي؟ ومن هم الملائكة؟

إن من المعلوم بالضرورة في الشريعة الإسلامية أن الله أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين لم تخل أمة من الأمم من نبي يقيم الله به الحجة على من يرسله إليهم ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3].

وأن جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم يشتركون في أشياء كثيرة منها ما علم منها، ومنها ما لا يعلم، فمما علم اشتراكهم في الدعوة إلى توحيد الله - عز وجل-

---

(١) النبوة والأنبياء صـ ٣.

(٢) سورة فاطر الآية: (٢٤).

(٣) سورة النحل الآية: (٣٦).

وإفراده بالعبادة ثم يشتركون أيضًا في إنزال الكتب من الله عليهم بالوحي الذي يتلقونه عن الله تعالى، كما أنهم يشتركون أيضًا في أن الذي يأتيهم بالوحي عن الله تعالى هو جبريل عليه السلام حيث اصطفاه الله لهذه المهمة النبيلة بينه وبين عباده. كما أنهم يشتركون كذلك في أن دعوتهم دائمًا تكون إلى التحلي بالفضائل وترك الرذائل وحسن الأخلاق والترغيب فيما عند الله والترهيب من عذابه والابتعاد عن السكون إلى الدنيا والاستمتاع بها كيفما يجد الإنسان أو كما تستمتع البهائم في حياتها فلا تجد في الوحي الذي يأتيهم عن الله كلمة يعاب بها أو تناقضًا يشينه أو أفكارًا خيالية لا فائدة من ورائها ولا خير كما هو الحال عند المتنبئين الذين يظهر عليهم الكذب في أقوالهم وأفعالهم وجميع تصرفاتهم، بل وفي الوحي الذي يزعمونه ويحاكون به القرآن الكريم في طريقته حيث تأتي ألفاظهم ركيكة مبتذلة، وأفكارهم ضحلة ساقطة يبدو عليها التكلف الشائن وظلمة الجهل والسطحية الباهتة وحب الشهوات، وربما يصدق أحيانًا عليهم المثل القائل: «رب ضارة نافعة» فإن ادعاء النبوة ضرر، وما يأتون به ضرر كذلك ولكن قد توجد فيه منفعة للمؤمن إذ إنه مما لا ريب فيه أن كلَّ من قرأ وحي هؤلاء الذين ادعوا النبوة ثم يقرأ القرآن الكريم لا شك أنه يزداد إيمانًا ويقينًا بعظمة كلام الله عز وجل فهو كما يقال: «وبضدها تتميز الأشياء».

* * *

الفصل الثاني..

بيان الفرق بين وحي الله عز وجل ووحي الشياطين إلى أوليائهم

«النبوة الحقيقية والنبوة المدعاة»

بيان الفرق بين وحي الله عز وجل ووحي الشياطين إلى أوليائهم «النبوة الحقيقية والنبوة المدعاة»..

لقد ألَّف المتحذلقون من أدعياء النبوة كلامًا كثيرًا وزخرفوه ونمَّقوه ثم فضلوه – لغبائهم وجهلهم – على القرآن دون حياء أو خجل من خالقهم ورازقهم كما سترى ذلك في «الإيقان والأقدس» وجُمَلٍ من الوحي القادياني والشيرازي والبهائي وقبل ذلك جملاً من وحي مسيلمة والمختار وغيرهم بل وسترى كيف أنهم تحدَّوا البشر أن يأتوا بمثل ما جاءوا به واختارهم لحمله والقيام به.

ونسخ الشريعة الإسلامية وإحلال ما تخيلوها من التعاليم محل التعاليم الإسلامية كما صرح البهائيون بذلك في مؤتمر «بدشت» بقيادة امرأة خرجت عن عفتها وأنوثتها وكل القيم الأخلاقية وهي «زرين تاج» التي كان لها دور بارز في ذلك المؤتمر كما يأتي بيانه.

لقد غفل أولئك الجهال عن أمر هامٍّ وهو حقيقة أن وحي الله عز وجل يأتي في كل مناسبة تحصل فورًا بما يبهر العقول ويحير أرباب الفصاحة عن محاكاته يأتي في النور وأمام الناس وبين الخاصة وبين العامة على حد سواء بخلاف وحي الشياطين فإنه لا يأتيهم إلا في خلوتهم وفي الظلام الدامس بل وفي الأماكن القذرة.

وقد ذكر المؤرخون أن طلحة النمري جاء إلى مسيلمة وسأله عن الوحي؟ وكيف يأتيه في النور أم في الظلام؟

فأجابه مسيلمة بجواب استدل منه طلحة على كذب مسيلمة.

كما تبين الرواية الآتية عند الطبري «عن عمير بن طلحة النمري عن أبيه أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مه رسول الله؟! فقال: لا حتى أراه فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم قال: من أين يأتيك؟ قال: رحمن قال: أفي نور أم في ظلمة؟

فقال: في ظلمة فقال: أشهد أنك كذاب»[١].

وهذا هو الوحي الذي ذكره ابن عمر رضي الله عنهما حين قيل له: إن المختار يزعم أن الوحي ينزل عليه فقال: صدق قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[٢].

ومن الجدير بالذكر أن أنبياء الله لا تأتيهم النبوة فجأة، وإنما يتقدمها إشارات كثيرة وتلميحات عديدة يهيئهم الله بها لنزول الوحي عليهم، وإرهاصات كثيرة كلها تمهيدات وإشارات لمجيء النبوة بعد ذلك فقد كان النبي محمدٌ ﷺ متميزًا في أخلاقه الكريمة وسلوكه الطيب حتى أحبه الناس كلهم ولقبوه بألقاب التبجيل والتكريم منها «الأمين».

وهكذا الأنبياء الحقيقيون يختارهم الله ويصطفيهم بخلاف المتنبئين فإنهم ينشئون نشأة منحرفة ثم يزداد انحرافهم كلما تمادوا في غيهم ولا يعرفهم الناس قبل ذلك إلا بسوء الأخلاق وخمول الذكر. وهكذا أول تباشير النبوة عندهم تكون دائمًا بمقدمات سيئة وتكون نتائجها باطلة ثم يشتهر أمرهم عند الناس بخلاف وجودها في أنبياء الله الصادقين، فقد كان من تباشير نبوة نبينا محمد ﷺ ما روته عائشة رضي الله عنها حين قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٣]. ومنها ما كان يسمعه ﷺ من تسليم الشجر والحجر عليه بالنبوة وفي هذا سرٌّ لله تعالى. قال القاضي - رحمه الله - وغيره من العلماء: «إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفاجئه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية فبدئ بأول خصائص النبوة. وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٨٦.

(٢) سورة الأنعام آية: (١٢١).

(٣) صحيح البخاري جـ١ صـ٢٢ ومسلم جـ١ صـ٣٧٧.

(٤) أنظر شرح النووي لمسلم جـ١ صـ٣٧٧.

وهكذا تأتي النبوة متدرجة إلى أن يبلغ الشخص من القوة أن يتحملها ويقوم بأعبائها، والذي يهمنا هنا هو أن للنبوة حالات وأمورًا ومقدمات توحي فعلاً بأن صاحبها ينتظر أمرًا ما يحدث له، بل وكأن الناس معه على موعد من ذلك من حسن خلقه معهم وصدق كلامه ورحمته بغيره وتواضعه وعقله النير وغير ذلك. وهذا بخلاف المتنبئين فإنهم لا يظهرون إلا بمشورة وتواطؤٍ مع شلة من الأصدقاء أو بدعم من دولة ثم يظهر فجأة أو يأتي بمقدمات كاذبة من أولها كدعوى التجديد ثم المهدية ثم الإلهام ثم النبوة على عجل وتخبط يدركه كلُّ من كان له بصيرة مع ما يتميز به من الأفكار المضطربة المتناقضة والكذب الفاحش، فإن مما يتميز به الوحي الذي ينزل على الأنبياء أنه لا كذب فيه فكل ما أخبر به يقع لا محالة سواءً أكان في الأمور الحاضرة أو الغيبية ويكون صدقه مستمرًّا دائمًا. بخلاف وحي الشياطين إلى أوليائهم فإنهم إذا صدقوا في واحدة كذبوا معها مائة كذبة كما سنضرب الأمثلة عند دراسة القادياني وحركته وغيره، كذلك فإن الوحي الإلهي دائمًا ينزل به جبريل أما الوحي الشيطاني فإنه يأتي في صور شتى وتخبطات كثيرة عبر عنها القادياني بأنه أحيانًا يأتيه بالوحي رجل على مكتب، وأحيانًا يأتيه به رجل في هيئة شاب إنجليزي، وأحيانًا يأتيه بالعربية وأحيانًا بلغات أخرى أهمها الإنجليزية، وأحيانًا يأتي الوحي في صورة مغازلة وحب كما ذكر القادياني أنه مرة جاء بالوحي رجل في صورة شاب إنجليزي فقال له: «I love you» فأجابه: أيضًا بقوله: «I love you» وكلمات أخرى إنجليزية كثيرة أراد الله أن يقيم الحجة على الغلام وأتباعه من قطعان البشر بأن الرجل كاذب وأن الوحي الذي ينزل عليه إنما هو من أفعال الشياطين المردة ومكرة الإنجليز كذلك أيضًا فإن الوحي الإلهي يأتي شاملاً لكل قضايا البشر التي تهمهم في أمور دينهم وأحكام دنياهم، بخلاف وحي المتنبئين فإن أكثره إنما يدور حول تمجيد الشخص لنفسه ووجوب بذل المال له بسخاء لإنجاح حركته، ويدور كذلك حول مسائل الأنس والاستمتاع وليس فيه تنظيم للحياة ولا بيان للأحكام التي تهم المجتمع؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وتوجد مقارنات كثيرة في بيان الفرق بين الوحي الكاذب والوحي

الحقيقي الإلهي والتي ستمر معنا إن شاء الله في ثنايا هذه الدراسة، وقد وصف الله عز وجل الملائكة بأنهم رسل كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١].

ووصفهم كذلك بأنهم: ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ ﴾[٢] ووصفهم بقوله: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ ﴾[٣] ووصفهم بالمسبحين وبالصافين: ﴿ أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[٤]، وأوصاف أخرى كثيرة تدل على شرفهم وعلوِّ منزلتهم عند ربهم، وهم ينقسمون إلى أقسام كثيرة كل قسم له شئون خاصة به ووظائفهم مختلفة ومراتبهم كذلك. أشهرهم الذين ذكرهم الله وهم جبرائيل وميكائيل في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ ﴾[٥] وأما إسرافيل فقد ثبت في الحديث بأنه هو الذي ينفخ في الصور وأما ملك الموت فلم يرد ذكر اسمه إلا بهذه التسمية فقط – ملك الموت – ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[٦].

وأما تسميته عزرائيل فإنها غير ثابتة كما حققه العلماء[٧]. وقد سمعت من بعض العامة تسمية غريبة له وهي «عسيس» و«عزران» وهذا هو القول بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير. وقد أراد الله واقتضت حكمته أن الناس لا يرون الملائكة علانية، ليدخلوا في الإيمان بالمغيبات، ومن لم يؤمن بهم فليس بمؤمن بل هو خارج عن الدين يستحق القتل إن أصر على جحده لهم؛ لأنه تكذيبٌ لله بما قرره في القرآن

---

(١) سورة الحج آية: (٧٥).

(٢) سورة الأنبياء آية: (٢٦-٢٧).

(٣) سورة الانفطار آية: (١١).

(٤) سورة فاطر آية: (١).

(٥) سورة البقرة آية: (٩٨).

(٦) سورة السجدة آية: (١١).

(٧) انظر شرح الطحاوية للألباني صـ٤٦ .

الكريم من وجودهم وحنوهم على بني آدم واستغفارهم لهم وحفظهم إياهم وتسجيل أعمالهم عليهم، والذي نحن بصدد الاهتمام به هنا ليس تفصيل أخبار الملائكة وبيان وظائفهم ومراتبهم وسائر ما يتعلق بهم. بل الذي نود الإخبار به وتأكيد بيانه أن كثيرًا من الدجاجلة المتنبئين يزعمون أن الملائكة تكلمهم وتأتيهم بالوحي وتجاهد معهم كما زعم المختار بن أبي عبيد أو أنهم يرونهم ما بين السماء والأرض على خيول بلق كما كان يزعم الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي حينما كان يرى أصحابه ذلك في دير المراق فإن هؤلاء الذين يتراءون لهم إنما هم في الحقيقة شياطين وليسوا هم الملائكة فهم أكرم من أن يظهروا لأعداء الله المتنبئين، وما كان الرسول ﷺ يرى أصحابه إياهم ولا كان الصحابة يطلبون ذلك لتمام معرفتهم بقدرهم ولعدم الحاجة إلى رؤيتهم، وكل من ادعى بأن الملائكة تأتي إليه أو تطأ بسطه أو تتمسح به كما يدعي الشيعة في أئمتهم المعصومين حسب اعتقادهم السخيف أو أنه يراهم في الوقت الذي يشاء أو غير ذلك من المزاعم فكلها كذب وافتراء ودلالة صريحة على تلاعب الشياطين بهم وعدم استقامتهم على الدين وعدم احترامهم للملائكة أيضًا، ولهذا فإنه لا يدعي تلك المزاعم إلا من كثر حمقه وقل علمه واستحل الكذب والخداع.

وما ذكره بعض علماء السلف من سماع أصوات الملائكة في بعض المناسبات — الله أعلم بحقيقة ذلك — فإن صح ذلك بنقل صحيح عن عدول صادقين يكون أمرًا خارقًا أو أنه أمر نادر جدًّا وينطبق عليه المثل القائل: «لكل قاعدة شذوذ» لأنه لو فتح هذا الباب وسلم الأمر لكل مدَّعٍ لأتى الناس بأعاجيب الكذب عليهم وتضارب الأقاويل التي لا تسمن ولا تغني من جوع وبالتالي تشويش الأفكار وزعزعة الإيمان بالملائكة على الصورة الصحيحة التي ذكرها الله عنهم. وفي كتاب ربنا وسنة نبينا عنهم وعن أعمالهم ومهامهم ما يغنينا عن التخبط في الأقاويل الكاذبة والقصص الفارغة والخيالات الباطلة فحقيقتهم أمر غيبيٌّ فوق إدراك العقل وما عرفناه من

الوحيين يكفينا معرفة بهم وبجلالة قدرهم.

ويتضح مما سبق أن الله تعالى اقتضت حكمته أن الوحي يأتي إلى النبي بواسطة أشرف الملائكة وهو جبريل عليه السلام إما في صورته الحقيقية وإما في صورة رجل. فيبلغ ما أمره ربه بتبليغه إلى الرسول البشري بكل دقة وأمانة لكلام المولى عز وجل الذي وصفه سبحانه بأنه ثقيل شديد. كما أن الوحي لا يختص فقط بتبليغ جبريل ولكن أحيانًا يكلم الله الشخص الذي يختاره مباشرة من وراء حجاب كما حصل لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وكما حصل لنبينا محمد ﷺ في ليلة الإسراء وغيرها، وقد يأتي الوحي أيضًا في صورة إلهام قوي في روع النبي الموحى إليه، وقد يأتي أيضًا للنبي في منامه، وقد صان الله أنبياءه عن تلاعب الشياطين بهم في منامهم بحيث جعل رؤياهم حقًّا يجب العمل بها. فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أراد أن يذبح ابنه إسماعيل من رؤيا رآها في منامه وعزم على ذلك لولا لطف الله تعالى به وبابنه كما هو مفصل في القرآن الكريم، وقد ختم الله أنبياءه ورسله بمحمد ﷺ فلا نبي بعده إلى يوم القيامة.

وقد بيَّن الله عز وجل في القرآن الكريم جوانب الوحي بقوله:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1].

هذا هو الوحي الحقيقي الذي يجعله الله رحمة لعباده، وهناك وحي ولكنه من الشياطين لأوليائهم. وكما في قول ابن عمر رضي الله عنهما – وقد سبق ذكره[*] – إن المختار قد زعم أنه يوحي إليه قال: نعم ثم استدل بالآية السابقة. وفي الجاهلية كانت الشياطين تأتي أتباعها علانية لهم ويسمونه «رئي» فيسجع الكاهن بما يخبره رئيه من الشياطين فيظن الجهال أنه وحي من الله تعالى وكرامة منه لذلك الكاهن.

---

(١) سورة الشورى آية: (٥١).

(*) انظر صـ ٥١.

الفصل الثالث ..

تحريم القول على الله تعالى بلا علم

تحريم القول على الله تعالى بلا علم..

في القرآن الكريم عدة آيات تحذر من القول على الله تعالى بغير علم في كل قضية يواجهها الإنسان مهما دقت. فما ظنك بدعوى النبوة والزعم بأن الشخص أوحي إليه ولم يوح إليه بشيء؟! إنها جريمة كبيرة، ولهذا حذر الله من الوقوع فيها لما فيها من الاستخفاف بالله عز وجل وبعقابه وعدم مبالاة الشخص بالكذب الذي هو الآخر جريمة كبيرة لا يتصف بها المؤمن بالله تعالى. إن الافتراء على الله تعالى والاجتراء على الكذب هما أشد صفات المنافقين الفجرة والملاحدة والكفرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[1] وقال ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[2]. إن الكذب كله قبيح وإجرام ولكن أشنعه وأشده حينما يقول الشخص: إن الله قال كذا أو حرم كذا أو أمر بكذا أو نهى عنه متقولاً على الله تعالى بلا علم، أو يقول: قال النبي ﷺ كذا أو أمر أو نهي أو أحل أو حرم كذا إنه يبوء بإثمه وإثم من عمل بقوله من الناس إلى يوم القيامة وقد كثر القائلون بذلك جدًا.

ومن عجيب أمر الإنسان أن بعضهم لو سألته عن أبسط الأمور الدنيوية فإنه سيقول لك: الله أعلم، ولو سألته عن أصعب الأمور في الدين والعقائد لأجابك بكل فصاحة وكأنه مشرع، وقد مثل لنا أحد مشائخنا فقال: لو سألته أين يباع البصل؟ لقال: الله أعلم ولكن لو سألته في أمور الدين لما تردد في الجواب. وهؤلاء هانت نفوسهم لهوانهم على الله تعالى فكان منهم ما سمعت من الفتاوى والتحليل والتحريم والتخبطات الجاهلية.

مع أن المشاهد أن الله تعالى دائمًا يفضح الكذاب ويظهره على حقيقته ولو في

---

(١) سورة الأنعام آية: (٩٣).

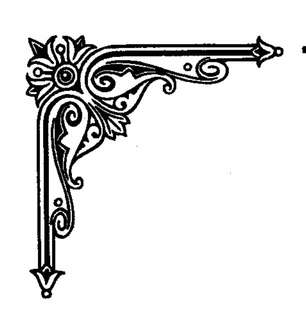
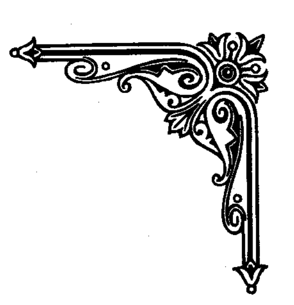
(٢) أخرجه البخاري جـ١ صـ٥٢ رقم ١٠٦ ومسلم ١/ ٩ رقم ١-٤ .

فلتات لسانه، ولنا أكبر عظة في المتنبئين الذين زعموا أن الله أوحى إليهم ثم جاءوا بكلام يبعث على الغثيان؛ تراكيب ركيكة وعبارات مرذولة وتناقض فاحش ظانين أنهم على شيء، وما ذلك إلا عقاب معجل من الله تعالى لهم. وإذا كان الإنسان يغضب غضبًا شديدًا حينما يعلم أن آخر كذب عليه فتراه يثور ويحمرُّ وجهه ويكاد يتميز من الغيظ.

أفلا يكون الله عز وجل - عالم الغيب والشهادة - أكثر غضبًا وسخطًا؟؟ وقد أعذر الله إليه بالصحة والعقل والمال والجاه ثم يقابله بالكذب عليه بكل وقاحة؟!

فلو تخيل المقدم على ذلك ما ينتظره عند الله من المقت والغضب والعقاب الشديد لما أقدم على ذلك، وهنا الذي يكذب على الله تعالى قد لا يفكر في الكذب على أقل مسئول أو رئيس له بل يخاف منه كخيفته من الله أو أشد خشية أما الكذب على الله فإنه من أسهل الأمور لديه.

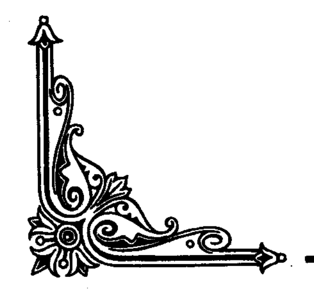
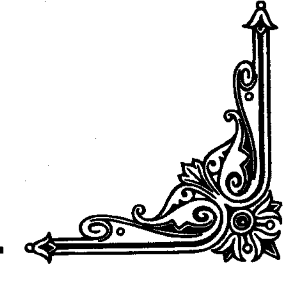
* * *

الباب الثالث ..

النبوة وعدد الأنبياء والمرسلين وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين.
- الفصل الثاني: أدلة ذلك من:
  ١- القرآن الكريم. ٢- من السنة النبوية.
- الفصل الثالث: تحديد عدد الأنبياء والمرسلين.
- الفصل الرابع: تحديد عدد المتنبئين.
- الفصل الخامس: حاجة البشر إلى الأنبياء والمرسلين.
- الفصل السادس: من بقايا المبشرات بالنبوة الرؤيا الصادقة.
- الفصل السابع: منزلة النبوة والوصول إليها.
- الفصل الثامن: علامات النبوة الموهوبة والمصطنعة.
- الفصل التاسع: صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- الفصل العاشر: المعجزات.
- الفصل الحادي عشر: النبوة اختيار من الله تعالى وليست مكتسبة.

الفصل الأول..

وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وأدلة ذلك

أكد الله تعالى في القرآن الكريم وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين من ذكر باسمه ومن لم يذكر باسمه كما أكدت ذلك السنة النبوية حيث وردت النصوص الصحيحة في بيان ذلك وأن من لم يؤمن بذلك فلا إيمان له.

* * *

الفصل الثاني ..

أدلة ذلك:

١- أدلة من القرآن.

٢- أدلة من السنة النبوية.

١- الأدلة من القرآن الكريم

ومما ورد في القرآن الكريم في تأكيد هذه الحقيقة آيات كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[1] وقول الله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3] وآيات أخرى كثيرة كلها تدل دلالة واضحة على وجوب الإيمان بكل الأنبياء بلا تفريق فمن فرق بينهم فهو كافر حقًّا.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[4].

كما مدح عز وجل الذين لا يفرقون بينهم بقوله تعالى -بعد الآية السابقة-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾[5]. وهذا هو الإنصاف الذي اتصفت به الأمة الإسلامية كما أمرهم ربهم في نظرتهم إلى الأنبياء من ذكر منهم باسمه ومن لم يذكر باسمه اعتقادًا جازمًا أن الأنبياء كلهم في درجة واحدة في وجوب الإيمان بهم وإن كانوا بعد ذلك يفاضلون بينهم حسب مراتبهم مثل أولي

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة آية: (١٣٦).

(٣) سورة البقرة آية: (١٧٧).

(٤) سورة النساء آية: (١٥٠-١٥١).

(٥) سورة النساء آية: (١٥٢).

العزم مع غيرهم دون أن يمسوا كرامتهم كلهم بأي تنقص بخلاف أهل الباطل وعلى رأسهم أدعياء النبوة. فإنهم يفاضلون بينهم ويحتقرون بعضهم وينفرون عن الإيمان ببعضهم الآخر حتى وإن كانوا من أولي العزم كما فعل القادياني مع نبي الله عيسى ﷺ؛ وكما فعلت النصارى واليهود مع بعضهم البعض في إيمانهم بأنبيائهم وغيرهم أو كما فعلوا في إيمانهم بنبينا محمد ﷺ يوالون ويعادون من الأنبياء على حسب أهوائهم وميولهم، ولقد شهد كل عقلاء بني آدم أنه لا يوجد عند أي أمة من الأمم أو أي نظام من الأنظمة أعدل وأشمل من عدالة الإسلام الذي أوجب على أتباعه الإيمان بجميع الأنبياء لا فرق بين المتقدم منهم أو المتأخر وأوجب احترام جميعهم ومحبتهم وتنزيههم عما لا يليق بهم من أفعال البشر وتصرفاتهم بل وأوجب احترام جميع أديانهم الإلهية الصحيحة.

وكذلك أوجب الإيمان بجميع الكتب السماوية المنزلة على رسله واحترامها والإيمان بأنها حقٌّ وأن ما فيها هو كلام الله قبل أن تمتد إليها يد التحريف والتبديل الشامل الذي أصابها ممثلاً في التوراة والإنجيل التي بأيدي النصارى واليهود فإنها قد غُيِّرت وبدِّلت ولم يعد لها تلك المكانة حين نزولها من عند الله إلى رسوليه الكريمين ولا أدلَّ على هذا التحريف من انحراف الأفكار الموجودة فيهما الآن وظهور الوثنية فيهما جلية. وما فيهما أيضًا من شتم الرسل وإلصاق شتى الافتراءات عليهم مما لا يقره عقل فضلاً عن الدين، بل إن المسلمين بتأديب الله لهم ينزهون كل رسول أكثر مما ينزهه أتباعه، وقد اعترف كثير من النصارى بأن الإسلام فيه الإنصاف والاحترام لكل الأنبياء وأن ما جاء في الشريعة الإسلامية بالنسبة للمسيح هو قمة الإنصاف والعدل وذلك لما وجدوه فيها من الثناء على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام. وذكروا أن كل ما يقال من معاداة الإسلام للمسيح أنه كذب وتضليل قام به الحاقدون على الإسلام من جهلة النصارى وغيرهم، وأن ذلك كله تشويه غير صحيح وافتراء باطل الإسلام بريء منه وممن قاله. وأوردوا أدلة واقعية على ذلك وهو أن بعض النصارى يدخل في الإسلام وليس عنده أي فكرة مكتملة عن المسيح فإذا به يصبح مؤمنًا تلقائيًا بالمسيح على حقيقته بمجرد أن يسلم ويؤمن برسالة محمد ﷺ إذا به يشهد أن عيسى

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، يؤمن به إيمانًا صحيحًا أنه نبي لا إله ولا ابن إله كما يقول أعداؤه عباد الصليب الممقوت. ولنستمع إلى شهادة الفيلسوف «برنارد شو» عن موقف الإسلام من المسيح ومن غيره من سائر الأنبياء وعن افتراءات الحاقدين عليه قال هذا الفيلسوف: «سيجيء يوم يعتنق فيه الغرب الإسلام فإنه مضت قرون كاملة كان للغرب فيها كتب وجرائد مملوءة من الافتراءات على دين الإسلام ونبيه ﷺ. أما اليوم فقد ترجمت معاني القرآن وبعض كتب الإسلام إلى لغات أوروبا ولاسيما الإنجليزية ففهم رجال الغرب أن الإسلام الحقيقي ليس الذي كانوا يقرؤونه ويعرفونه في الكتب والجرائد السابقة» (١).

كما لابد أن نقف على شهادة «إكليدوس» وموقف النصارى من الإسلام ونبيه العظيم وبيان الحقيقة في كل ذلك حيث قال: «ولقد كانوا في الواقع يُمرَّنون على كراهية محمد وكراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصمًا للمسيح ولقد درسته باعتباره رجلاً مدهشًا فرأيته بعيدًا عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية وإني لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله زمام العالم الحديث لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة» (٢).

ونصوص أخرى كثيرة يطول ذكرها هنا كلها شهادة ناصعة بإنصاف الإسلام وسمو رسالته ونبل مشاعره لكل الأنبياء والرسل وأن إيمان المسلمين بكل الأنبياء والرسل جاء منطلقًا من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ لأن التفريق بينهم إنما هو من شأن أصحاب الأهواء والبدع وطلاب الزعامات والعلو في الأرض، والمسلم الحق بريء من ذلك، لأنه ليس له خصومات مع أحد ولا بغي على أحد ولا يطلب زعامة فارغة تقوم على أنقاض بناء الآخرين ولا يطلب شخصية يجعلها محل الاستهزاء والاحتقار للآخرين.

---

(١)، (٢) انظر الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب صـ ١٣٠ .

٢- الأدلة من السنة النبوية

ومما ورد في السنة النبوية من وجوب الإيمان بجميع الأنبياء قوله ﷺ في التنويه بذكرهم:

١ - «**الأنبياء إخوة أولاد علات**»(١).

٢- وقوله ﷺ: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مؤنة عاملي ونفقة نسائي صدقة**»(٢).

٣- وقوله ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة**» قال رسول الله ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء**»(٣) وأخبار الرسول ﷺ عن الأنبياء قبله جملة دون تعيين يوجب الإيمان بهم جميعهم من ذكر اسمه ومن لم يذكر ما دام وقد ثبتت نبوة أحدهم فإنه لا يلزم من كوننا لا نعرف اسمه عدم نبوته، فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه الكريم أنه لم يذكر جميع الأنبياء والمرسلين بل منهم من قص خبره ومنهم من لم يشأ الإخبار به كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾(٤).

* * *

(١) أخرجه أحمد جـ ٢ صـ ٤٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده جـ ٢ صـ ٤٦٣ .

(٣) أخرجه مسلم عن جابر جـ ٦ ص ١٤٩، ورواه البخاري جـ ٦ ص ٥٥٨ .

(٤) سورة النساء آية: ١٦٤ .

الفصل الثالث ..

تحديد عدد الأنبياء والمرسلين

تحديد عدد الأنبياء والمرسلين..

إنَّ تكلُّف القول بعدد الأنبياء وبأسمائهم أمر لا طائل وراءه لعدم ثبوت ذلك بنصٍّ صحيح فيما يذكره العلماء، وأما ما يروى عن أبي ذر أنه قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمع غفير**.......» إلى أن قال: قلت يا رسول الله كم كتابًا أنزله الله؟ قال: «**مائة كتاب وأربعة كتب**» إلى آخر الحديث فقد ضعفه كثير من العلماء بل وحكموا عليه بالوضع خصوصًا وأن الله تعالى لم يخبر نبيَّه بعدد الأنبياء كلهم. بل قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[1] فتكلُّف عددهم غير وارد.

قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: «إن حديث أبي ذر في عدد الأنبياء والرسل وتفريقه بين الأنبياء والرسل هو حديث موضوع أي: مكذوب على أبي ذر وعلى رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد أن يُحدِّث به الناس إلا في حالة بيان بطلانه ليحذر الناس عن الاغترار به..... وقد اتهموا بوضعه إبراهيم بن هشام»[2].

وبما تقدم يتَّضح أن الإسلام هو دين العدالة ودين الإنصاف، يكره البغي والتعالي بغير الحق ويدعو إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل لا فرق بينهم ويؤمن كذلك بجميع الكتب المنزلة من عند الله جملة وتفصيلاً إلا ما ثبت عدم صحته. ولا نجد البغي والتفريق بين الأنبياء والرسل إلا عند الجهال والحاقدين على الإسلام من اليهود والنصارى، وإلا عند الأقزام من المتنبئين فإنه بمجرد أن يدَّعي أحدهم أنه أصبح نبيًّا إذا به يذمُّ هذا ويمدح هذا، وتارة يساوي بينهم وتارات أخرى يفاضل بينهم على وجه الاحتقار. وكل ذلك إنما يفعله حسب مزاجه وتخبطه في الجهل مما يؤكد

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٤ .

(٢) الإيمان بالأنبياء بجملتهم صـ ١٩ .

لكل عاقل أن هؤلاء الذين ادَّعوا النبوة إنما همهم الزعامة وجمع الأموال سالكين في ذلك طرقًا ملتوية وحيلاً بارعةً وأكاذيب ملفقة غير عابئين بعقول الناس ولا بانتقاد العقلاء لهم؛ لأنهم يدركون أنه ما من صائح إلا وله صدًى. ويؤمن المسلمون إيمانًا جازمًا أن أفضل الأنبياء والمرسلين هو محمد ﷺ وأنه آخر الأنبياء ختم الله به النبوة والرسالة فلا يدَّعيها أحدٌ بعده إلا كان كاذبًا دجَّالاً تلاعبت به الأهواء وغرَّرت به شياطين الإنس والجن، ونؤمن بهم جملةً وتفصيلاً، من ذكر باسمه ومن لم يذكر.

* * *

الفصل الرابع ..

تحديد عدد المتنبئين

تحديد عدد المتنبئين..

ورد في النصوص النبوية التي قدمنا ذكر بعضها تحديد عدد المتنبئين بثلاثين وفي بعضها بما يقارب الثلاثين وفي بعضها سبعة وعشرون نبيًّا........ إلى آخره.

فما المقصود بهذا العدد؟ وهل تحقق مصداقه إلى وقتنا الحاضر؟

الواقع أن المتتبع لأخبار المتنبئين يجد أن الذين ادعوا النبوة منهم من كانت دعوتهم مجرد دعوى ولم يكن لهم شأن يذكر، وهؤلاء عددهم يفوق الثلاثين بكثير ولعل تحديد الرسول ﷺ لا ينطلق على هؤلاء. ذلك لأن كثيرًا من هؤلاء قد حملته على دعواه مطامع أو حصلت له ظروف خاصة غيرت عقليته فانكشف أمره سريعًا بل كان أكثر هؤلاء محل فكاهات الناس، وسخريتهم وضحكهم عليهم كما سيأتي ذكر المزيد من الأمثلة لهذا الصنف من الناس، وحول هذا المفهوم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا فإنهم لا يحصون كثرةً لكون غالبهم ينشأ عن جنون أو سوداء وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا[(١)]. وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر»[(٢)].

والواقع أن الدجال لم يدع النبوة فحسب بل يدعي الألوهية وأنه الرب الخلاق وأن بيده الجنة والنار إلى غير ذلك من ترهاته، ولعل المراد بذكر الدجال الاتفاق الحاصل بين الدجال وبين مدعي النبوة في الكذب والجرأة الطائشة.

والحمل على أن هؤلاء الثلاثين إنما ينطلق على من كانت له صولة وجولة وشوكة وأتباع هو الأولى والأقرب إلى الحق والواقع، ولكن هل وصل عدد

---

(١) يقصد بهم مسيلمة، والأسود العنسي، وطليحة، وسجاح، والمختار بن أبي عبيد، والحارث الكذاب الذي خرج في خلافة عبد الملك فقتل.

(٢) فتح الباري جـ ٦ صـ ٦١٧ .

المتنبئين الذين ظهرت لهم شوكة وقوة هذا العدد (٣٠) الواقع يدل على أنهم لم يصلوا إلى هذا العدد إلى الآن ونحن على يقين. أنهم سيصلون هذا العدد في وقت من الأوقات كما أخبر الصادق المصدوق عندما يشاء الله تعالى، وقد ذكر صاحب «تحفة الأحوذي»[١] هذه الرواية في عدد من المتنبئين فقال: «وقع في حديث حذيفة عند أحمد بسند جيد «**سيكون في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وإني خاتم النبيين**». ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الطبراني: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابًا**» وسنده ضعيف..... وهو محمول إن ثبت على المبالغة في الكثرة لا على التحديد.....» ثم ذكر توجيهًا في عدد المتنبئين. بقوله: «يحتمل أن يكون الذين يدعون النبوة منهم ما ذكر من الثلاثين أو نحوها. وأن من زاد على العدد المذكور يكون كذابًا فقط لكن يدعو إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية وأهل الوحدة[٢] والحلولية[٣] وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد ﷺ ويؤيده أن في حديث علي عند أحمد فقال علي لعبد الله بن الكواء: «وإنك لمنهم» وابن الكواء لم يدع النبوة وإنما كان يغلو في الرفض».

***

(١) تحفة الأحوذي جـ٦ ص ٣٨٥ .

(٢) أي: وحدة الوجود.

(٣) أي: أهل القول بالحلول، وبين الفريقين عموم وخصوص فكل قائل بوحدة الوجود قائل بالحلول، وليس كلُّ قائل بالحلول يقول بوحدة الوجود.

الفصل الخامس ..

اضطرار البشر وحاجتهم إلى هدي الرسل

اضطرار البشر وحاجتهم إلى هدي الرسل..

ركَّب الله الإنسان السَّويَّ على أمرين هامين هما: الجسم والروح. وجعل لكل واحد من هذين الأمرين مطالب لا يستطيع أن يعيش مطمئنا بدونها، بل ولا يصلح له حال بدون إشباعهما والموازنة بينهما، وإذا شبع أحدهما وجاع الآخر اختل توازنه وانسجامه وحل القلق به والاضطراب وعاش عيشة التعساء وعيشة البهائم وظهر عليه الانحراف والاختلال والقلق. إن الجسم له مطالب من مأكل ومشرب ومنكح ومسكن ودواء وراحة وغير ذلك من الحاجات الكثيرة التي يتطلبها بقاء الجسم صحيحًا قويًّا، والروح هي الأخرى لها أيضًا مطالب تعيش بها وتسعد عندما تتوافر لها إنها تريد المعرفة بالله الذي أوجدها وتريد أن تعرف سر هذا الكون وسر الغرض من إيجادها وماذا ينتظرها عندما تفارق الجسم أين تذهب وكيف سيكون حالها ومعرفة الأمور التي تسخطه والتي ترضيه وما هي الأمور التي تقربها منه، وكيف سيتم الحساب والعقاب لها في الدار الآخرة وغير ذلك من المطالب الكثيرة التي تبعدها عن الشقاء الذي تعيشه، عندما لا تعرف هذه الأشياء أو الأشياء التي تقربها إلى السعادة عندما تعرفها فالنفس تقلق حينما تتصور أن الحياة هي أشبه ما تكون بحياة البهائم، فترى أن وجودها هكذا دون ضابط ولا نظام يجعل قيمتها وقيمة أية حشرة من الحشرات أو نبتة من النباتات في درجة واحدة فتعيش حينئذ في منتهى الأسى والحزن؛ لأن وراءها عقلًا يلهب مشاعرها وضميرًا دائم الوخز لها، فهي بين مدٍّ وجزر وإقدام وإحجام فتشعر بأنها إذا لم تحصل على غذائها الذي تحيا به أنه لا راحة لها في هذا العالم وكان الأولى بها أن لا توجد ما دام لا هدف من وراء وجودها في هذه الحياة الدنيا المملوءة بالمآسي والأحزان والظلم والاضطهاد والهمِّ والقلق، وهذا ما يفسره حال العالم الكافر الذي أشبع الأجساد وأجاع الأرواح.

كيف وصل بهم الحال إلى كثرة الانتحار والسطو والسلب والنهب والقتل وانتزاع الرحمة منهم حيث يقتل الوالد ولده، والولد والده دون أن يجد أيَّ رادع من

ضمير، أو أي أمل يتعلق به لينقذه من شقائه فلا هو يؤمن بالحياة الأخرى ليجد العزاء إذا فاته التنعم بهذ الحياة الدنيا والشعور بالراحة والأمن النفسي، ولا هو يؤمن بالقضاء والقدر فتهون عليه المصائب حين يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا هو يؤمن بما أعده الله للمحسن والمسيء من جزاء ليهون في نفسه مرارة هذه الحياة، إذًا فلا يبقي أمامه إلا أن الحياة هي هذه فقط فإما أن ينتزع سعادته منها بأي أمر كان وإما أن ينتحر ويستريح من عنائها وهذه هي نهاية الحياة عنده، والسبب في هذا هو أنه أشبع جسده وأجاع روحه فصارت حاله هكذا، وكيف تصل السعادة إلى قلبه والاطمئنان إليه من عند ربه وهو بعيد عن الدليل الذي يدله على ذلك ألا وهم رسل الله الذين أنقذ الله بهم البشرية حيث أوصلوهم إلى معرفة ما قصرت عنه عقولهم، وما لم يكن لتصل إليه إلا بواسطتهم مهما بلغت من المعرفة فإن لها حدودًا إذا تجاوزتها دخلت في الشقاء والتعاسة والجهل الشنيع كما علم ذلك كل عاقل، وقد عبر شمس الدين ابن القيم - رحمه الله - عن هذا فقال: «ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا يُنال رضى الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدي من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها...» إلخ ما ذكره رحمه الله[1] . وتبين هذه الحاجة الضرورية إلى الرسل في أمر واضح جدًّا. وذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يكون طائعًا مقبول العمل عند الله إلا بسبب المعرفة، والمعرفة عن الله على الوجه الصحيح لا

(١) زاد المعاد جـ١ ص٢٨ .

يستطيع أن يصل الإنسان إليها إلا بواسطة من اختارهم الله لذلك، إذ إن معرفته لا تتم إلا عن طريقهم لأنها من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، أو من ارتضى من رسول، والرسل قد ارتضاهم الله فأخبرهم بكل ما يسعد العباد ويوصلهم إلى رضوانه ويباعدهم من عذابه، وعلى هذا فإن حاجة البشر إلى معرفة الرسل وأخذ العلم عنهم من الأمور التي لا غنى لهم عنها إن أرادوا السعادة في الدارين؛ لأنهم يرشدون العباد إلى ما لم تصل إليه عقولهم إلا من جهة الرسل، والرسل لا يستطيعون إخبار الناس بذلك إلا من جهة الله عز وجل، فمن سلك سبيلهم نجا ومن سلك غير سبيلهم خسر الدنيا والآخرة واقتادته الشياطين واستولت عليه فيصبح أسيرًا لهم ليقودوه إلى غضب الله ومقته في الدارين. ولقد رأينا وسمعنا بالحياة التي يعيشها من أدبر وتولى عن هدي الرسل كيف اختلت مفاهيمهم وحلَّ الشقاء بهم وأظلمت الدنيا في أعينهم وتخبطوا في معاملاتهم والقوانين التي سنوها لأنفسهم فهذا يحرم وذاك يحلل، وهذا يبني وذاك يهدم، وفشت الخيانة والغش في معاملاتهم وارتبكت الأمور لديهم من كثرة تقلباتهم فيها مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1]. ومن هنا فإن المنصفين من أعداء الإسلام صرحوا رغم أنوفهم بأنه لا حياة مستقرة إلا في ظلال الإسلام وتعاليمه النيرة وأن هو الهادي والمنقذ للبشرية.

ولقد أخذ عقلاؤهم في الصراخ والعويل على ما هم فيهم من شقاء وتعاسة وما وصلوا إليه من استباحة الفواحش والفجور بشتى أنواعها وآخرها ما سموه بالشذوذ الجنسي الذي هو منتهى العقاب المخزي لمن اتخذ إلهه هواه وصار عقلاؤهم ينادون بالويل والثبور، وأكثروا من التحذير لأقوامهم الذين هم على شفا حفرة من النار بعد أن تأكدوا من أن أقوامهم يتسابقون إلى الهاوية السحيقة، وأنهم يحكمون على أنفسهم بالإعدام طواعية بسبب ميلهم إلى الحياة البهيمية وبعدهم عن تعاليم الله

(١) سورة طه آية: ١٢٤ .

عز وجل ونداء كل طائفة بتمجيد طواغيتها وأنظمتها الفاسدة فتجد الشيوعي يدعو إلى شيوعيته وتطبيقها علّها تنتشلهم - فيما يظن - من الحياة التي هم فيها.

وتجد الديمقراطي يدعو إلي ديمقراطيته، وتجد النصراني واليهودي يصيح في الناس بضرورة الارتباط التام بتعاليم الرب المسيح، وبالأفكار اليهودية إذا أرادوا إنقاذ أنفسهم حسب زعمهم بل وتجد كل صاحب نحلة يدعو إلى نحلته، ويزعم أن النجاة فيها، والكل ضائعون بعيدون عن النجاة التي تكمن في ركوب سفينة النجاة الحقيقية التي جعلها الله ملجأً للخائفين وأمانًا من كل عطب، إنها دعوة محمد بن عبد الله ﷺ التي اختارها الله لعباده فأكملها وجملها وجعلها أساس كل حياة سعيدة، من تمسك بها نجا، ومن أعرض عنها هلك: لقد أوصل الله هذه الحقيقة إلى فهم كل البشر ولكن العناد والاستكبار وشياطين الإنس والجن هي التي صدت العباد عن الاستظلال بظلها الوارف. فلم يستمعوا لنصح ناصح ولا لدعوة عاقل حتى يحل بهم ما حل بغيرهم من العقاب الشديد والخزي والبوار في هذه الدار قبل الدار الآخرة وعندها يستفيقون من غفلتهم ويستيقظون من نومهم ويتحسرون ولات حين مناص: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[1].

وإذا أردنا الأمثلة على الحياة التعيسة التي يعيشها أصحاب الأهواء الفاسدة البعيدون عن تعاليم ربهم المحاربون لدينه ورسله وكيف أنهم سيندمون حين يرون النهاية التي وصلوا إليها، إذا أردنا الأمثلة على ذلك فإن القرآن الكريم فيه الكثير من الأخبار التي تصور ذلك الواقع أدق تصوير حتى ليكاد يلمس بالحاسة بأبلغ أسلوب وأوضح بيان وأصدق نصح حيث قال أصدق القائلين وقوله الحق: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[2]، وقال

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٨ .

(٢) سورة الفرقان آية: ٢٧-٢٩ .

تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) ﴾[1].

وهكذا حال من أعرض عن هدي الله وركن إلى قاصري العقول والأفهام وتعلق بهم ودان بآرائهم، وهنالك في يوم القيامة تنكشف لهم الحقيقة وتبين لهم أن إعراضهم عن هدي الرسل وتمسكهم بطواغيت الدنيا من البشر دون تفهم ولا طلب للحق خسارة أيما خسارة وغبن أيما غبن.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾[2].

وآيات أخرى كثيرة من تأملها وأراد الله هدايته وسعادته علم يقينًا أن السعادة في الدنيا والآخرة والهدى والحق كلها في اتباع الرسل والتمسك بما جاءوا به قولاً وفعلاً وأن من أعرض عن تعاليمهم فلا يرى إلا الشقاء والتعاسة في الدنيا والآخرة.

وإذا أردت يا أخي القارئ أن تقف على استبشاع عقلاء الكفار لحياة أقوامهم وخوفهم على أممهم من الانهيار التام بسبب ما وصلوا إليه من رذائل وانحراف وبعدهم عن تعاليم الدين الذي يضمن لهم الحياة والاستقرار فيجب أن تقرأ لأولئك

(١) سورة سبأ آية: ٣١-٣٢.

(٢) سورة البقرة آية: ١٦٥-١٦٧.

عصارة أفكارهم وما وصلوا إليه من استنتاج صحيح ونقرأ لهم ثناءهم العاطر على سيد البشر محمد ﷺ وثناءهم على تعاليمه التي أنزلها رب البشر رحمة وهدى وفيها صلاح الناس في الدارين. أنطق الله بها أعداء الإسلام فنطقوا بها من باب الرغبة في الإنصاف.

ومما أود أن أنبه عليه وأشكر الله عز وجل أن وفقني للوقوف عليه هو أنني أثناء هذه الكتابة قرأت عن أخبار المستشرقين وتبرمهم من وضعهم وشهاداتهم وإنصافهم في مدح القرآن الكريم والسنة النبوية والرسول محمد ﷺ مما جعلني في أشد الحيرة في اختيار أي النصوص أذكر وأيها أترك، وكلها مما لا يهون على النفس تركه لما فيه من وضوح إنصافهم الذي يرفع هامة المسلم ويجعله معتزًّا بدينه ويحمد الله على أن وفقه إلى الانقياد له.

وقد اخترت ذكر النماذج الآتية من بين عدة نماذج تجدها في كتابين هما «الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب»(١) وكتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة»(٢) أرجو أن يهتم القارئ الكريم بقراءتهما ليزداد ثقة بدينه وسمو رسالته في هذه الحياة الدنيا ومن ذلك:

١ - قال الدكتور «ألكسيس كاريل» عن حضارة العصر وما سببته من انحراف وفشل: «إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا، لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ إنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا»(٣) ويقول أيضًا: «إن المادية البربرية التي تتسم بها حضارتنا لا تقاوم السمو العقلي فحسب بل إنها تسحق أيضًا الشخص العاطفي واللطيف والضعيف والوحيد وأولئك الذين يحبون الجمال

---

(١) القسم الثاني من صـ١٢٩ إلى صـ١٩٨ من كتاب «الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب».

(٢) أكثر صفحات الكتاب.

(٣) الإنسان ذلك المجهول صـ٣٨ .

ويبحثون عن أشياء أخرى غير المال»[١].

«ويظل تذوق الجمال كامنًا في أغلب الأفراد لأن الحضارة الصناعية أحاطتهم بمناظر قبيحة كريهة خشنة ولأننا تحولنا إلى آلات فالعامل يقضي حياته وهو يكرر الإشارات والحركات نفسها آلاف المرات في كل يوم. إنه يصنع قطعًا مفردة فقط ولكنه لا يصنع وحدة كاملة مطلقًا أي أنه غير مسموح له باستعمال عقله. إنه الحصان الأعمى الذي يدور في دائرة واحدة طول النهار ليخرج الماء من البئر»[٢] ويقول عن انتهاب الغرب للشهوات كيفما وجدت ومهما كانت بشاعتها: «كما أن الشذوذ الجنسي أخذ في الانتشار بعد أن طُرحت الآداب الجنسية جانبًا، وأصبح المحللون النفسانيون يستعرضون حياة الرجال والنساء الزوجية، ولم يعد هناك فرق بين الخطأ والصواب والعدل والظلم. فالمجرمون يتمتعون بالحرية بين جمهرة السكان وليس هناك من يبدي اعتراضًا على وجودهم ولقد جعل القساوسة الدِّين شبيهًا بالتموين لكل فرد منه قسط معين وحطموا الأسس الغامضة ولكنهم لم ينجحوا في اجتذاب القوم العصريين»[٣].

ويقول الكاتب الأمريكي «ول ديورانت»: «وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطرة لأننا أغنياء في الآلات، فقراء في الأغراض... إننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أقلقت بال سقراط نعني كيف نهتدي إلى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس. إننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن من جهة وبهذا الجنون الثوري من جهة أخرى.

إننا نطوف حول الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل ولكننا لا نعرف إلى أين نذهب ولم نفكر في ذلك»[٤].

---

(١) الإنسان ذلك المجهول صـ ٢٧١ .

(٢) الإنسان ذلك المجهول صـ ١٦١ .

(٣) صـ ١٨٦ .

(٤) مناهج الفلسفة جـ ١ صـ ٦-٧ .

وقال أيضًا: «فنحن غارقون في تيار من التغيير سيحملنا بلا ريب إلى نهايات محتومة لا حيلة لنا في اختيارها»[١].

وقد نشر في جريدة ديترويت الأمريكية مقال جاء فيه: «إن ما قد نشأ بيننا الآن من قلة الزواج وكثرة الطلاق وتفاحش العلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء يدل كله على أننا راجعون القهقرى إلى الهمجية. فالرغبة الطبيعية في النسل تتلاشى والجيل المولود حبله على غاربه»[٢].

أخي القارئ الكريم هناك مئات النصوص عن عقلاء الحضارة الغربية والشرقية كلها تندب حظ البشرية التعيس والسخافات التي يعيش فيها بعض البشر دون نظرة إلى الأخلاق أو الدين ودون تفكير في المصير المشؤوم الذي يهوون إليه بسرعة جنونية. إنها صرخات من علماء مجربين واعين ولكنها صرخات في وادٍ موحش فما الذي أوصل البشر إلى هذه الغابات المنحطة والرذائل المتراكمة إلا بعدهم عن هدي الأنبياء وعدم التفاتهم إلى ربهم فكان مثلهم كالذي يموت من الجوع وهو يحمل على ظهره غذاءه الشهي الذي لم يستطع الوصول إليه، ظهرت الخلاعة والمجون وظهر دعاة الكفر والإلحاد وظهر دعاة التنبؤ، وكأن أطوار كل طور يتمم المأساة التي قبله، نعم لقد وجد في حياة البشر مثقفون كما يزعمون ومتنبئون كثيرون فماذا كانت حصيلة ما أتوا به؟؟ لا شيء بل زادوا الطين بلة والنار اشتعالاً وكان وجودهم لا يختلف عن وجود دعاة الفسق والفجور وقد دخل بعض الناس في طرقهم أفواجًا فلم يقمعوا فسادًا ولم يمارسوا رذيلة من رذائل المجتمعات التي نشأ فيها هؤلاء ولكن – وهو دليل حسِّيٌّ قويٌّ – ما إن يتمسك المجتمع بتعاليم رب العالمين المنزلة على محمد بن عبد الله إلا وتجد الناس فعلاً تحولوا من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، وصاروا ينظرون إلى ماضيهم بغبن شديد

---

(١) صـ ٢٣٥ جـ ١ .

(٢) صـ ١٣٧ .

وحسرة عارمة كأنما كانوا في سبات عميق، وخداع مؤثر، فاستفاقوا ليجدوا أنفسهم في ظلال وعيون ونور يبدد عنهم الظلام الحالك الذي هم فيه، واستمع – مشكورًا– إلى شهادة عباقرة المجتمعات الجاهلية حين خرجوا عن كتمانهم لفضل سيد البشر وصرخوا مجاهرين بالحقيقة دون خوف ولا تردد حيث بهرهم الحق فلم يستطيعوا إخفاءه مع نفور بعضهم عن الإسلام إلا أن الحقائق التي تبدَّت لهم لم يتمالكوا معها إلا أن يقولوا الحقيقة مهما كانت النتائج.

يقول الكاتب والفيلسوف «برنارد شو»:

«إن الرجل العالم يميل بطبعه إلى الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي ينظر إلى أمور الدنيا والآخرة سواء»[1].

وقال أيضًا: «إني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم أجمع لتم له النجاح في حكمه ولقاده إلى الخير ولحل مشاكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة»[2].

وقال «بيرك» في بعض خطاباته في البرلمان الإنجليزي:

«إن دين الإسلام هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشري»[3].

وقال الكاتب الإنجليزي المعروف «كاريل»:

«إنه لا يمكن أن يكون محمد كذوبًا فإنه إن كان كذلك فلا يستطيع أن يأتي بمثل هذا الدين العجيب، والله إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتًا من اللَّبن إذا لم يكن عليمًا بمواد البناء على اختلاف أنواعها فما بالك بمواد بناء صرح شامخ البنيان مدعم الأركان مثل دين الإسلام الذي ظل على قوته وعظمته قرونًا طوالاً».

(١) المستشرقون والإسلام لزكريا هاشم.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المستشرقون والإسلام لزكريا هاشم.

وقال «جيبون»:

«إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعًا في أحكامها من أعظم ملك إلى أقل صعلوك فهي شريعة حيكت بأحكم منوال لا يوجد مثله قط في العالمين»[١].

وقال «سيديو»:

«بعد ظهور النبي محمد ﷺ الذي جمع قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصدًا واحدًا أظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر التاج بأسبانيا الأندلس إلى نهر الفانج في الهند أي: من نهاية الشرق إلى أول الغرب ورفعت أعلام التمدن في أقطار الأرض أيام كانت أوربا مظلمة بجهالات أهلها»[٢].

وقال «إدوارد مونيتيه» مدير جامعة جنيف عندما ألقى محاضرة تحت عنوان «الإسلام ينتشر بنفسه» قال فيها:

«إن الإسلام دين سريع الانتشار ينتشر من تلقاء نفسه دون أي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته، المسلم شديد الإيمان، وشدة إيمانه تستولي على قلبه وعقله وهذه ميزه في الإسلام ليست لدين سواه»[٣].

وقال الإمبراطور «نابليون بونابرت»:

«إن الإسلام دين الفقراء والأمراء معًا وإني أجد فيه بساطة ليست في طقوس الكنيسة وغفراناتها وكهاناهتا»[٤].

ويقول الأستاذ «شيرك» عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق عام ١٩٣٧م:

«إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى

---

(١) انظر الإسلام في نظر أعلام الغرب لحسين عبد الله باسلامه.

(٢) انظر الإسلام روح المدنية لمصطفى الغلاييني.

(٣) انظر الحديقة لمحب الدين الخطيب صـ ٢٤٢ جـ ١١ .

(٤) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب.

قمته بعد ألفي سنة»[١].

وقد أخذت تلك النصوص السابقة من كتاب «الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب» فانظرها هناك وانظر لمزيد الاطلاع على النصوص الأخرى أيضًا - القسم الثاني من الكتاب المذكور صـ ١٢٩ - ١٩٧.

ومعذرة إن أطلت النقل مع اشتياقي إلى ذكر النصوص الأخرى التي تركت نقلها هنا فإنني أجد سعادة غامرة حينما أقرأ هذه الشهادات المنصفة لديننا الإسلامي ولنبينا محمد ﷺ فإنها تزيد المؤمن اعتزازًا بدينه مع قوة الأمل أن يدرك الهاربون من ملاقاة الإسلام من أبناء المسلمين الذين يحنّون إلى حضارات الشرق والغرب جهلاً منهم بجواهرهم الثمينة وموائدهم الشهية التي يجدونها في الإسلام ليكفوا عن التطفل على الموائد الأخرى الموبوءة القذرة وعظمة النبي ﷺ لا تحتاج إلى شهادة هؤلاء وإنما نفرح بها لإدانتهم من كلامهم لقد أعلن الألوف من غير المسلمين عن شدة إعجابهم بديننا الإسلامي ونبينا محمد ﷺ وبقرآننا وبحضارتنا ومع هذا كله فإنه لا يزال السفهاء ومن سخفت عقولهم ممن ينتسبون إلى الإسلام لا يزالون يحاولون تشويه هذا التراث البديع الذي اختاره الله للبشرية إلى يوم القيامة.

ومما لا شك فيه أن أكبر ذلك التشويه وأكبر الإجرام في حق الخلق أجمعين هو الإقدام على دعوى النبوة بعد محمد ﷺ تحت شعارات ودعايات وأكاذيب يندى لها الجبين أفبعد نور الإسلام وشخصية محمد ﷺ يأتي من هو أكمل من محمد ﷺ وتأتي تعاليم أوضح وأشمل من تعاليم الإسلام؟؟ كلا والله.

إذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يا مزين التمائم[٢]

---

(١) انظر شريعة الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي.

(٢) هذا البيت أصبح بمثابة مثل، وإلا فإن التمائم حرام كلها قال ﷺ: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» وقال: «**من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له**».

الفصل السادس ..

من بقايا المبشرات بالنبوة الرؤيا الصادقة

من بقايا المبشرات بالنبوة الرؤيا الصادقة..

تضافر النقل عن علماء المسلمين على اعتبار الرؤيا الصادقة جزءًا مهمًّا من الأخبار المقبولة والبشارات المحترمة فهي كما وردت بها الأخبار جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة إذا كانت رؤيا صحيحة خالية من تلاعب الشياطين ووساوس النفوس. وروي «من سبعين جزءًا من النبوة» وعن ابن عباس «أنها جزء من أربعين جزءًا من النبوة» وعن ابن عمر «أنها جزء من تسعة وأربعين جزءًا» وقيل: «جزء من خمسين» وقيل: «من أربعة وأربعين»[(١)]. مستدلين بما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**»[(٢)]. وبما جاء فيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة**»[(٣)]. وفيه عن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثم الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءًا من النبوة**»[(٤)]. وكان أول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح في الوضوح.

والرؤيا الصادقة وإن لم تبن عليها أحكام شرعية لكنها إشارة قوية إلى المقصود وتنبيه للرائي على ما سيراه في يقظته، والرؤيا الصادقة حميدة ومقبولة ما لم تتعارض مع الشرع فإنها حينئذ تكون من تلاعب الشياطين بالرائي أو من وسوسة النفس بالشيء الذي يهمها في يقظتها؛ ولقد غالى المتصوفة في العمل بها حتى جعلوها أصلاً من أصول الأدلة على الدين مخالفين بذلك الحق والعقل وهو غلوٌّ مذموم غير محمود. ومبالغة في الثقة بالنفس غير ملتفتين إلى أن وساوس النفس وهمومها

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ٩ صـ ١٢٢-١٢٧، وانظر تفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٤٣٤ .

(٢) صحيح مسلم جـ١ صـ ٣٤٨ .

(٣) صحيح مسلم جـ٤ صـ ١٧٧٣ .

(٤) صحيح مسلم جـ٤ صـ ١٧٧٥ .

المختلفة لها دور كبير أحيانًا في حدوث الرؤى.

فقد روي أن أحد الملوك كان به علة من مرض أصابه فجاء إليه رجل من الحذاق وقال له: أبشر بعمر يمتد إلى ثلاثين سنة فقد رأيت ذلك في المنام فزجره الملك وقال له: هل تصدق المنامات؟ — مع أنه كان مسرورًا في قرارة نفسه بالرؤيا ولكنه أراد أن يتثبت،— فقال له الرجل: لقد تأكدت من صحة الرؤيا وتكرارها وأقدم نفسي إن لم أصدق فيها فقال له الملك: وما علامة ذلك؟ فقال له الرجل: العلامة أن ترى في هذه الليلة وكأن في يدك مسبحة فيها ثلاثون حبة؛ عشر منها صفراء، وعشر بيضاء، وعشر حمراء فأمره الملك بالانصراف وأعطاه بعض المال على أن يأتي في اليوم الثاني لزيارته فجاء إليه في اليوم الثاني وكانت أسارير وجه الملك منشرحة وأمر له بجائزة فخرج الرجل فقال له أحد أصدقائه من حراس الملك: كيف حصل ذلك فأخبره الرجل أنه أراد أن يفرح الملك ثم أشغل قلبه بالرؤية في المسبحة وألوان حباتها فرآها كذلك في نومه وما تجاوز الباب حتى سمع الصياح على وفاة الملك.

وجاء في بعض الروايات الإخبار بانقطاع النبوة واستثناء الرؤيا الصالحة منها. كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال: **«أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»**[1] الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»**[2]. فسمى رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة بالمبشرات عن الله عز وجل. قالها الرسول ﷺ للصحابة حينما شقَّ عليهم انقطاع النبوة كما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: - قال رسول الله ﷺ: **«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيَّ»** قال: فشقَّ ذلك على الناس، فقال: **«لكن المبشرات»** قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: **«رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء**

(١) رواه مسلم جـ ٢ ص ١١٦، وأحمد في المسند جـ ١ صـ ٢١٩، وابن ماجه جـ ٢ صـ ١٢٨٣ .

(٢) رواه مالك في الموطأ صـ ٨٣٠، وأحمد في المسند جـ ٢ صـ ٣٢٥.

النبوة»(١).

فهذه النصوص وغيرها توضح بجلاء أن النبوة قد انتهت بمجيء الرسول محمد ﷺ. فلا يدعيها بعده إلا من استحوذت عليه الشياطين وكان عند الله من الخاسرين المبعدين الأشقياء. والأحاديث واضحة المعنى سهلة العبارات سواء ما دل منها على ختم النبوة -كما سيأتى- أو على المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له إلا أنني أحب التنبيه على أمر هام جدًّا ينبغي الاعتناء به ألا وهو المبشرات أو الرؤيا. فلقد انخدع كثير من الناس برؤى شيطانية وتواترت لديهم بفعل وساوس أنفسهم وتلاعب الشياطين بهم وصار بعضهم يصدق بعضًا فيها وقد يبلغون أحيانًا المئات ويجتمعون على بدع وسيئات أو مبادئ ما أنزل الله بها من سلطان ومنها ادعاء المهدية التي كانت مرتعًا خصبًا لكثير من الناس في القديم وفي زماننا هذا حيث ادعوها أولاً بواسطة أحلام منامية ثم بعد ذلك تكاثروا على دعواها حتى صدقوا أنفسهم واعتقدوا إمامة أحدهم وأنه المهديُّ المنتظر الذي جاءت به السنة النبوية فخرجوا على الناس وسفكوا الدماء وفرقوا الأمة، وما علم هؤلاء أن الشياطين قد بلغت منهم ما يريدون. وما أكثر هذا الصنف من الناس بين الشيعة والرافضة لخلو عقائدهم في المهدي عن العقل السليم ومثلهم كثير من أنصاف المتعلمين المغامرين وكثير من محبي الزعامة والسيطرة وعلى رأس هؤلاء أقطاب الصوفية الذين يزعمون رؤية النبي ﷺ في كل وقت يريدونه يقظة لا منامًا كما يزعم بعضهم أو في أوقات خاصة يحددونها في احتفالاتهم، ومثلهم كذلك كل من يدعي رؤية النبي ﷺ وتكليفه له بنصح الناس أو بيان دعوى جديدة أو غير ذلك، والكل كاذبون مجانبون للحق والصواب وقد كانت الأحلام المنامية ودعوى تكليف الرسول ﷺ لهم بنصح الناس وتجديد الدين هي الخطوات الأولى التي اتكأ عليها أدعياء النبوة بعد ذلك. وقد تقع تلك الأحلام المنامية بالفعل ولكن لو بحثنا عن السبب وعن مدى صلاح أهل تلك

(١) أخرجه أحمد جـ٣ صـ٢٦٧، والترمذي جـ٤ صـ٥٣٣ من سننه.

الرؤى الكثيرة لوجدنا أن بعضهم لا يستحق أن يطلق عليه اسم الصلاح ولوجدنا أن أسباب تلك الرؤى إنما ترجع في أكثر الأمور إلى شدة شغفهم بتنفيذ مآربهم وتحقيق آمالهم حتى صارت هي المهيمنة على نفوسهم حتى في منامهم.

وترجع كذلك إلى عدم احترازهم عن تلاعب الشياطين بهم وذلك لعدم صلاحهم وعدم تمسكهم بالكتاب والسنة تمسكًا صحيحًا كما ترجع أيضًا إلى عدم تفريقهم بين الرؤيا الموافقة للشرع والمخالفة له، ذلك أن الرسول ﷺ حينما أخبر بأن الرؤيا الصالحة من المبشرات اشترط أن يكون صاحبها مؤمنًا متقيًا بعيدًا عن نزعات الشياطين يفرق بين الرؤيا الموافقة للشرع وأمره ونهيه وبين الرؤيا المخالفة له فإن هؤلاء الذين تخرجهم الرؤيا إلى المعاصي والفجور لم ينتبهوا إلى أن ما حصل لهم إنما كان من وحي الشياطين ووساوسهم فإنهم لو عرضوا ما رأوه على الشرع لعلموا أن الله لم يرض عن فعلهم ولم يكرمهم بإباحة عصيانه أو تحريم ما أحله أو الوصول إلى مرتبة النبوة وما يتبعها من التشريع المخالف لشرع الله تعالى أو دعوى قداسة أحد ووصوله إلى الحلول والاتحاد أو الإلهام المباشر أو الولاية التي هي فوق النبوة في مفهوم هؤلاء الحمقى.

* * *

الفصل السابع ..

منزلة النبوة والوصول إليها .

منزلة النبوة والوصول إليها ..

مما أجمع عليه سائر العقلاء والعلماء المعتبر كلامهم وهو ما تشهد به النصوص المتضافرة من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع المسلمين ويشهد به العقل السليم والفطر المستقيمة أن النبوة هبةٌ من الله تعالى وتفضُّلٌ منه على من يشاء من عباده الذين يرتضيهم عز وجل للقيام بمهمة الرسالة العظيمة لتبيانها لهداية الخلق لصفات أودعها الله فيهم كانوا بسببها أهلًا لتحمل هذا العبء العظيم. كما أشار الله إلى ذلك في القرآن الكريم حين قال تعالى في حقِّ نبيه محمد ﷺ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]. وقال عن موسى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[2] والقرآن والسنة مملوءان بالأدلة على ذلك وقد اختار الله الأنبياء لما سبق في علمه عز وجل من استعدادهم لها وجدارتهم إذ ليس كل شخص أهلا لها وإذا كان الحكام والملوك يختارون الشخص الذي يرسلونه عند توفر الصفات التي يرونها ضرورية فيه وهو من صفات الكمال فيهم ورجحان عقولهم فإن الله عز وجل - وله المثل الأعلى - اختار الذين أرسلهم وفضل خاتمهم وأتمَّ عليه نعمته في الدنيا والآخرة فهم — وإن كانوا من البشر — يجري عليهم كل ما يجري على سائر البشر من الصفات إلا أنهم في أعلى الكمال البشري خلقًا وخلقًا وعبودية لله عز وجل وقد أنعم الله عليهم بأمور جعلها خاصة بهم. لا يشاركهم فيها أحد من البشر كالوحي إما مباشرة أو بواسطة الملك حيث يتشرف بسماع كلام الله تعالى أو كلام الملك عن الله تعالى وكون قلوبهم لا تنام كما تنام سائر قلوب الناس.

كما قال أنس: «وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[3]. وقال النبي ﷺ:

(١) سورة الأنعام آية: ١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية: ١٤٤ .

(٣) فتح الباري جـ٦ ص ٦٧٠

«إنَّا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا»(١). وكذلك أيضًا مما يمتازون به عن سائر المخلوقات أن الله تعالى لا يميتهم إلا بعد أن يختاروا هم الموت ومفارقة الدنيا قال ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة» وكان نبينا في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته عائشة رضي الله عنها يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»، فعلمت أنه خير(٢). ومنها أن الأرض لا تأكل أجسادهم ولا تبليها كما قال ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء»(٣) وأنهم أحياء في قبورهم يصلون فيها. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الإسراء قول الرسول ﷺ: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم – يعني نفسه»(٤) وهل الصلاة هنا حقيقة أو بمعنى الدعاء انظر أقوال العلماء في هذه المسألة في شرح النووي لمسلم(٥)، ومنها ما أكرمهم الله به من سعة العلم وقوة الحجة ورجحان العقل والبنية الجسمية السليمة وفصاحة المنطق وارتياح النفس لرؤيتهم وتمام نصحهم وشفقتهم بأممهم. ومنها كذلك عصمتهم في التبليغ عن الله تعالى كما أوحاه الله إليهم لا يتطرق إليهم في هذا الجانب أيُّ نقص أو تغيير أو نسيان لأنها مهمتهم التي اختارهم الله من أجلها، ولو صحَّ أن يقع منهم خيانة أو تبديلٌ لكان هذا ذمًّا لله أولاً ولهم ثانيًا وحاشا ذلك أن يقع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٦) رحمه الله: «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ

---

(١) فتح الباري جـ ٦ ص ٥٧٩ ورواه البخاري بلفظ «تنام عيني ولا ينام قلبي».

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير جـ ٣ صـ ٥٥.

(٣) رواه البخاري جـ ٨ صـ ٢٥٥ .

(٤) رواه أبو داود جـ ١ صـ ٢٥١ .

(٥) صحيح مسلم جـ ١ صـ ٤١٣ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى جـ ١٠ صـ ٢٩١ .

رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه» إلى أن قال: «بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله، ولهذا من سبَّ نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل» إلى أن يقول: «والعصمة فيما يبلغون عن الله ثابتة فلا يستقرُّ في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»[١]. وهذا أمر بدهيٌّ جدًّا إذ لا يعقل أن يحصل عليهم ذلك كما يحصل على غيرهم من الناس لأنه إذا وقع ذلك صار نقصًا واضحًا فيهم ومدعاة لأن تقل الثقة بهم فنزههم الله عن ذلك، ومن الغريب أن الرافضة أخذوا هذه الصفات التي تميز بها الأنبياء ونسبوها إلى أئمتهم – كما يزعمون – من أهل البيت فغلوا فيهم غلوًّا مذمومًا خيار أئمة أهل البيت بريئون منهم ومن مبالغتهم. وأما في غير التبليغ عن الله فإن الرسل مثل سائر البشر فقد يجري عليهم الحزن والغضب والرِّضا والنِّسيان والصِّحة والمرض ويتزوجون ويولد لهم ويبيعون ويشترون وغير ذلك من صفات البشر التي لا نقص عليهم فيها، وقد صحت بهذا الأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنه نبيه ﷺ أن لا عصمة لأحد غير الأنبياء فيما شرع الله لهم من الشرائع والأحكام، ولا عبرة بتخريفات الشيعة الذين ادعوا عصمة أئمتهم من أهل البيت من كلِّ ما يجري على البشر فإن هذا هو الحمق والجهل بعينه، وليس لهم من الأدلة إلا ما افتروه كذبًا على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى الأئمة الذين ابتلوا بانتساب هؤلاء إليهم مع كراهتهم لهم، ولا عبرة كذلك بما نسبه النصارى واليهود إلى الأنبياء من فعل الجرائم التي يستعظمها الفساق فضلاً عن المؤمنين فضلاً عن الأنبياء كرميهم بالزِّنا والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها والعكوف على الخمر وأكل الحرام وغير ذلك[٢] مما لا يتطلب المقام بسط ذلك كله، وقد نزَّه الله أنبياءه ورسله عن كل ذلك وجعلهم أنقى وأتقى وأطهر البشر.

أما بالنسبة للصغائر من الذنوب فقد يقترفها النبي ولكنَّ الله يوضح له الأمر ثم

---

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٢٨٩ – ٢٩٠ .

(٢) التوراة طافحة بتلك الأخبار.

يسارع النبي إلى التوبة والاستغفار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه لمن سأل عن عصمة الأنبياء من الكبائر دون الصغائر فأجاب عن ذلك السؤال بجواب واف مفيد قال فيه: «فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام. كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل إنه لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»[1]. ثم قال: «وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون: إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولاً بذلك الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل»[2].

وهذا القول لا شك أنه لطمة في وجوه الشيعة الذين يدَّعون عصمة أئمتهم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها من يوم ولادتهم إلى نهاية أعمارهم بل وكفَّروا كل من لم ير مذهبهم فيهم كما ذكر ذلك علماؤهم[3].

يقول شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي وهو من أوائل علماء الشيعة ت ٤٦٠هـ في تقرير عصمة الأئمة وفلسفتها عندهم: «وأما الذي يدل على الأصل الثاني – وهو أن من شأن الإمام أن يكون مقطوعًا على عصمته – فهو أن العلة التي لأجلها احتجنا إلى الإمام ارتفاع العصمة بدلالة أن الخلق متى كانوا معصومين لم يحتاجوا إلى الإمام وإذا خلوا من كونهم معصومين احتاجوا إليه.

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٤ صـ ٣١٩.

(٢) المصدر السابق صـ ٣٢٠.

(٣) انظر الحكومة الإسلامية للخميني صـ ٩١، عقائد الإمامية الإثنى عشر لإبراهيم الموسوي الزنجابي صـ ١٥٧، وبحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي جـ ٢٥ صـ ٣٥٠- ٣٥١، وكتاب الكافي للكليني الأصول منه جـ ١ و جـ ٢ في صفحات كثيرة يذكر فيها مبالغات في شأن الأئمة أرفع من القول بالعصمة.

فلو كان الإمام غير معصوم لكانت علة الحاجة فيه قائمة واحتاج إلى إمام آخر والكلام في إمامته كالكلام فيه فيؤدي إلى إيجاب أئمة لا نهاية لهم أو الانتهاء إلى معصوم وهو المراد»[١].

ويقول الخميني - وهو من أواخر علمائهم-: «وقد ثبت ركنًا أصيلاً من عقيدتنا - نحن الإمامية - أن للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام امتيازًا في جميع مراحل الوجود يفوقون به جميع الخلائق على الإطلاق»[٢] . ويقول في وصيته المشئومة مفاضلاً بين القرآن الكريم ونهج البلاغة المكذوب أكثره على أمير المؤمنين علي ﷺ: «نحن نفخر بأن من فيض إمامنا المعصوم كان نهج البلاغة وهو بعد القرآن الكريم»[٣] . هذا وليس كل ما في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ كما حققه العلماء بل كان أكثره من وضع الشريف الرضي وغيره، ويقول الخميني كذلك مفتخرًا بالأئمة الذين هم منه ومن افتخاره براء: «نحن نفتخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون بدءًا من علي بن أبي طالب وختمًا بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان عليه وعلى أبنائه آلاف التحية والسلام وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الأمور!!»[٤].

انظر أخي القارئ إلى منزلة سيد البشر عنده وعند شيعته كيف جعله في عرض الأئمة ابتداءً بعلي وانتهاء بالمهدي المعدوم محمد بن الحسن العسكري وقال أيضًا زاعمًا أن الدعاء الذي يدعون الله به هو قرآن الأئمة مع أنه دعاء أكثره تعدٍّ وجرأة وسخافة. قال: «نحن نفتخر بأن الأدعية وهي القرآن الصاعد وفيها الحياة إنما هي من فيض أئمتنا المعصومين وعندنا مناجاة الأئمة الشعبانية ودعاء الحسين بن علي عليهم السلام في عرفات، وعندنا الصحيفة السجادية زبور آل محمد، والصحيفة الفاطمية وهي الكتاب

---

(١) كتاب الغيبة صـ ١٥ .

(٢) ولاية الفقيه صـ ٦١ .

(٣) الوصية الإلهية صـ ٥ .

(٤) نفس المصدر السابق.

الذي ألهمه الله سبحانه وتعالى للزهراء المرضية»[١]،هنا زعم أنه إلهام وفي مواضع أخرى من كتبهم أنه وحي إلى فاطمة ونصوص أخرى كثيرة تركتها كلها تمثل هذا الفكر السخيف والخروج عن الجادة التي عليها المسلمون، وافتراء مثل هذه الأكاذيب على الأئمة من أهل البيت وحاشا أهل البيت من كذب أعدائهم الشيعة الرافضة وتسمية الأدعية قرآنًا وأنها من فيض الأئمة. والمناجاة الشعبانية ودعاء الحسين بن علي والصحيفة السجاذية وكونها زبور آل محمد، وكذا الصحيفة الفاطمية التي جاءت عن طريق الإلهام بزعمه كلها خرافات لا أسانيد لها ودعاوى بمحض الهوى والتخرص. جاء في «دقائق التفسير» عن الرافضة وغلوهم الممقوت قوله: «وليس في الطوائف المتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبًا بالحق من المتتسب إلى التشيع، ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم، ومنهم من ادعى إلهية البشر وادعى النبوَّة في غير النبي ﷺ وادعى العصمة في الأئمة ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف. واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم»[٢].

ولقد قابل جهل الشيعة في حق أئمتهم جهل الفلاسفة في حق النبوة حيث ذهب بعض الحمقى والمهووسين منهم إلى مذهب البراهمة في الوصول إلى الكمال الإنساني حيثما يدعون، وإلى أن النبوة مكتسبة، وأنها تحصل بمجاهدة النفس وإرغامها على تحمل المشاق والمتاعب المختلفة ومنعها الراحة ورغد العيش وإذلالها بالجوع والعري والعطش والمواظبة على الطقوس التي قرروها لأنفسهم فإذا ألفت ذلك وصار العذاب عذبًا في شريعتها بدأت تتخلص من مطالب الجسد والحياة البهيمية رويدًا رويدًا حتى تصل إلى النبوة. بل وما فوق النبوة حيث تتحد بالخالق العظيم وهذا مما لا يخفى على كل مسلم أنه جهل وخرافات وظلمات وتكذيب بالقرآن وخروج عن دين الإسلام وضلالات لا دليل عليها وكذب على الله

(١)، (٢) دقائق التفسير جـ ٢ ص ٢٠٨ .

عز وجل يحسه العقل والواقع ودلالة أيضًا على استحواذ الشياطين عليهم وإيهامهم بالوصول إلى كل تلك الخيالات التي وصلوا إليها بزعمهم والتي يسمونها سموًّا وكمالاً للنفس وهم في الحقيقة أوصلوها إلى منتهى الانحطاط والخذلان، والله عز وجلّ هو الخلّاق الوهّاب لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع. وإذا تقرر - بما لا شك فيه - أن النبوّة موهبة من الله تعالى يهب فضله لمن يشاء من عباده فإنها تتم بين الله عز وجل وبين الرسول الذي يختاره الله بواسطة الوحي. أي الإخبار الخفي بطريقة لا يدركها إلا النبي الموحي إليه، وأكثر ما تتم بواسطة جبريل عليه السلام ينزل من السماء إلى الأرض بكل ما أراده الله من التعاليم التي يشاؤها الله عز وجل والتي فيها الخير والسعادة للبشر في دنياهم وأخراهم، وصفة مجيء الملك بالوحي إلى الرسول يختلف فأحيانًا يرى الرسول الملك إما على صورته الحقيقة - وهو قليل جدًّا -، وإما في صورة رجل، وإما أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس ويفهمه الرسول ليوضحه بعد ذلك للناس وكلام الله ووحيه وأمره ونهيه لا يشتبه بكلام غيره ممن يتقولون على الله الكذب أنه أوحي إليهم ولم يوح إليهم.

فإن هؤلاء يظهر عليهم الكذب والتكلف وتخبط الشياطين بهم لينزه الله كلامه ووحيه عن كلام الشياطين ووحيهم إلى أوليائهم زخرف القول غرورًا، ولهذا نعرف الكاذب فور إخباره بما أوحي إليه حسب زعمه، لأنه يأتي به عند حاجته وربما وهو يشرب الشاهي أو الدخان بل وربما ما هو أسوأ من الدخان، وهي أم الخبائث، الخمر أما الوحي الإلهي فلنستمع لأم المؤمنين عائشة وهي تصفه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**» - قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا»[1].

---

(١) صحيح البخاري جـ١ ص ١٨ .

الفصل الثامن ..

علامات النبوة الموهوبة والمصطنعة

علامات النبوة الموهوبة والمصطنعة..

للنبوة الموهوبة من الله تعالى علامات كثيرة تدل على صدقها وتأكيدها، جعلها الله حجة على الجاحدين والمنكرين لها لا تشتبه بغيرها عند أصحاب العقول الذكية كما أن النبوة المدعاة المصطنعة عليها علامات وشواهد كثيرة تدل على كذبها وكذب أصحابها، وهي حجة كذلك على من يدعيها وعلى من يصدق بها، وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى وتدبيره لعباده: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (١).

وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الأمر: «وصدق الصادق وكذب الكاذب يعرف بوجوه كثيرة جدًّا، وكذلك النبوة لها آثار مستلزمة لها بدون إخبار النبي بأنه نبيٌّ وكذب المتنبي الذي يزين له الشيطان أن يقول: إنه نبي له آثار تستلزم انتفاء النبوة وأنه كاذب» (٢).

إلى أن قال: «فآيات الأنبياء الدالة على صدقهم يمتنع وجودها بدون صدق النبي، ووجودها مع مدعي النبوة كاذبًا أعظم استحالة فإنها إذا كانت ممتنعة مع عدم نبوة صادقة -وإن لم تكن هناك نبوة كاذبة- فمع الكاذبة أشد امتناعًا فهي مستلزمة للنبوة لا تكون مع عدم النبوة ألبتة والكاذب قد عدمت في حقه النبوة ووجد في حقه ضدها وهو الكذب في دعواها يمتنع كونه نبيًّا صادقًا» (٣).

وقد أيد الله أنبياءه ورسله بنصره فكانت العاقبة الحسنة لهم وأجرى على أيديهم معجزات وآيات لا يستطيع فعلها أحد من البشر، لتكون شهادة إضافية على صدقهم إضافة إلى ما اصطفاهم الله به من حسن الخلق والصفات الحميدة التي لا توجد

(١) من سورة الأنفال آية: ٤٢ .

(٢) النبوات جـ ١ صـ ٢١٥ .

(٣) النبوات جـ ١ صـ ٢٥٩ .

مجتمعة في غيرهم من سائر البشر والله ذو الفضل العظيم. ميَّزهم الله برجاحة العقل وقوة الصبر، والعفة، والكرم، والشجاعة، وصدق اللسان، والبعد عن الكذب والخيلاء، والتكبر والرغبة في جمع الأموال والمدخرات والخيانة بالقول أو الفعل وغير ذلك من الصفات العديدة بخلاف المتنبئين الكذابين فإن أضداد تلك الصفات كلها تكون هي أظهر سماتهم وأكبر أهدافهم. إن للصادق دلائل كثيرة وقرائن واضحة تدل على صدقه فيما يذهب إليه تجبر الناس على تصديقه إذ لا يجدون مدخلاً لتكذيبه بادية آثار الصلاح والاستقامة خصوصًا إذا جرب مرات عديدة في صدقه فلم يخلف ظن أحد به بل يكاد مظهره يخبر بصدقه ووقاره فيحبه الناس ويعظمونه لأنه يمتلك صفة يحبها الناس ويعظمونها، وبضد ما تقدم من الصفات نجدها عند الكاذب فكل شيء فيه يشهد بكذبه، الدلائل والقرائن والتجربة وبغض الناس له؛ لأنه يتصف بصفة مذمومة بغيضة إلى الناس قد ذمَّها العقلاء ونفروا عنها وحذروا منها وهي الكذب وإذا كانت صفة الصدق محبوبة إلى الناس وصفة الكذب بغيضة إليهم في كل أمر مهما كان حقيرًا، فما بالك حين يكون الكذب في أمر خطير؟! بل وما بالك إذا كان الكذب هو على الله رب العالمين؟!!! لا شك أنه جريمة كبرى يشتد عليها غضب الله تعالى ومقته، وقد سمى الله ذلك في كتابه الكريم ظلمًا لا نظير له يستحق صاحبه أشد أنواع العقاب في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

ويطول المقام لو أردنا أن نستعرض العلامات التي اختص الله بها أولياءه الأنبياء والمعجزات التي ظهرت على أيديهم وكثرة الدلائل التي جعلت أشد المبغضين لهم يسلم لهم الطاعة ويقتنع بصدقهم رغم أنفه فقد ألفت فيه عدة كتب وذكرت فيه عدة أدلة في مجلدات ضخام. وحيث إن الموضوع لا يتطلب الإطناب في بيان تلك الدلائل والمعجزات كلها فإنني أستحسن هنا الإشارة الموجزة إلى أهم العلامات

(١) سورة الأنعام آية: ١٤٤ .

التي جعلها الله دالة على صدق الأنبياء والمرسلين والتي هي فوق متناول كل مدَّعٍ للنبوة والمعجزات التي جاء بها الأنبياء وهي دلالة صحيحة على صدقهم إلا أنه ليس دلالة صدقهم محصورة فيها فقط، فإن صدق الأنبياء يكاد يظهر عليهم من غير مخبر يعرف صدقهم كل من له أدنى تمييز، لأن أفعالهم وأقوالهم وأخبارهم وأوامرهم ونواهيهم كلها شاهدة على صدقهم. وقد شهد لهم الناس بذلك؛ من دخل في الإيمان ومن لم يدخل فيه من العقلاء المنصفين كما كان نبيُّنا محمد ﷺ يسمى قبل نزول الوحي عليه «الأمين»، ومما يذكره أهل التاريخ والمحدِّثون أن النبي ﷺ حين نزل عليه الوحي جاء إلى بيته وقلبه يرتجف من الخوف قائلاً لزوجته خديجة رضي الله عنها: «لقد خشيت على نفسي» فقالت: «كلا والله لا يخزيك الله إنك لتصل الرَّحم وتصدق الحديث وتحمل الكلَّ وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق»[1].

وهكذا فإنها كانت مقتنعة بفطرتها السليمة أن من اجتمعت فيه هذه الصفات فإن الله لا يخزيه؛ لأنه من الصادقين ومن ذوي الأخلاق العالية إذ من المستحيل أن تجتمع هذه الصفات لكاذب سيئ الخلق، ولهذا تجد أن كل من ادعى النبوة كاذبًا يستحيل أن توجد فيه هذه الصفات مجتمعة، وكذلك النجاشي علم بصدق الرسول ﷺ وآمن به بمجرد أن سمع بعض ما أنزل عليه من الآيات التي قرأها عليه جعفر فقال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة»[2].

وكذلك أيضًا ورقة بن نوفل علم صدق الرسول ﷺ من واقع الحال الذي أخبر به الرسول ﷺ حين نزول جبريل عليه حيث قال للنبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة. ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل

(١) أخرجه البخاري جـ ١ صـ ٢٢ ومسلم جـ ١ صـ ٣٨٠ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٣٣٦ .

يافوخه»[١].

وكذلك هرقل علم صدق الرسول ﷺ من واقع الحال الذي كان أخبر به للرسول ﷺ فإنه بعد مساءلته لأبي سفيان المشهورة في كتب التاريخ والحديث أيقن بصدق الرسول ﷺ وأخبر أن ما جاء به حقٌّ هو من عند الله[٢]، وكان الناس يتبركون بشعره وبصاقه ويرون طهور ذلك بزعمهم وأنى لكاذب أن يكون كذلك. قيل لمسيلمة: إن محمدًا ﷺ كان يمسح رؤوس الأطفال فينبت شعرًا جميلاً وكان إذا بصق في بئر كثر ماؤها فقام مسيلمة ومسح رأس طفل فأصيب بالصلع، وبصق في بئر فنضب ماؤها.

* * *

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٢٣٨ – واليافوخ: وسط الرأس.

(٢) انظر شرح الطحاوية صـ ١٦٠-١٦٢.

الفصل التاسع ..

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام..

هذا الفصل متمم لما قبله، وللرغبة في إبراز صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام أحببت أن أفرد صفاتهم بالذكر هنا، ومن المعلوم أن الله قد اختار لهم أجمل الصفات وكلَّفهم بأشرف المهمات، فإذا كان البشر يقولون: «اختيار الرسول دليلٌ على عقل المرسل» ويقصدون به الحث على اختيار المرسل اختيارًا سليمًا وإلا كان عيبه على المرسل له. فإن الله تعالى - وله المثل الأعلى - هو أعلم حيث يجعل رسالته يعلم من هو كفءٌ لهذا الشرف العظيم والمرتبة التي هي أعلى من جميع المراتب من يستحقها، ومن لا يستحقها، ولما كانت صفات الرسل الذين شرَّفهم الله بحمل رسالته كثيرة فإنه ينبغي أن نشير إلى أهم تلك الصفات فيما يلي، ومنها على سبيل الإجمال والمثال: الصبر، الأمانة، الصدق، الرحمة، سعة العقل، حسن الخلق، الفصاحة، والعصمة من الذنوب إلى آخر ما تقدم ذكره من الصفات الحميدة التي كان للرسل منها قصب السبق فقد اختارهم الله ليمثلوا أرقى صفات المدح في أنفسهم وفي معاملاتهم كلها قال الله تعالى لموسى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾[1] ومثله سائر الأنبياء عليهم السلام كلهم، باختيار الله تعالى وعنايته كما قال تعالى في حق نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾[3].

أما بالنسبة للصبر:

فلقد أعطاهم الله عز وجل فيه المزية العظمى التي لا يمكن لغيرهم من البشر الوصول إليها؛ لأنهم يعرفون مدى الثواب الذي يتحصل الصابرون عليه حيث قال

(١) سورة طه آية: ١٣ .

(٢) سورة طه آية: ٣٩ .

(٣) سورة القصص آية: ٦٨ .

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[١]. ولأنهم كذلك من أحرص الناس على هداية الضال، والحريص على الشيء دائمًا يكون صابرًا عليه إضافة إلى ما جبلوا عليه من سعة الصدر ورحابة النفس وطلاقة الوجه، ومن قرأ تاريخهم عرف مدى ما اتصفوا به من الصبر من أولهم إلى آخرهم وكان قوم كل نبي يقابلونه بأبشع ألوان السَّبِّ والشَّتم والاستهزاء وهو يقابلهم بالحلم والعفو: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾[٢]. فما من نبي إلا وقد تعرض لأذى لا يتحمله غيره من الناس يثبته على ذلك معرفته أن العاقبة للصابرين، وقد قص الله تعالى في القرآن الكريم كثيرًا من أخبارهم وأنواع البلاء الذي ابتلوا به فكانوا أثبت من الجبال الشامخة. كما أنك تجد ضد هذه الصفات لدى مدعي النبوة بكل وضوح، تجد الفظاظة والقلق والسب والشتم البذيء هي أبرز صفاتهم تضيق صدورهم عند مقام الاجتماع والجدال ويتملكهم الخوف ويهربون عند أدنى نازلة بهم إذ إنهم لا يملكون قوة نفسية على التحمل وانتظار الفرج وما أكثر من بادر منهم إلى الانتحار عند ظهور الشدائد والأزمات حينما تحيط به مفضلاً عذاب الآخرة على عذاب الدنيا لضعف يقينه بالله تعالى فإما أن يقتل نفسه أو يبادر إلى تكذيب نفسه والرجوع عن دعواه النبوة كما حصل لكثير منهم كما سيمر بك أثناء دراستك لأخبارهم إن شاء الله تعالى.

ولنا في تاريخ نبيِّنا ﷺ وصبره آيات وعظات فكان كلما واجهه الجاهلون بالأذى واجههم بالصبر فكان العائد منهم إلى الإيمان به غاية همة بعد رضى الله أن يكفر عما سلف منه من أذًى إلى الرسول ﷺ.

وأما بالنسبة للأمانة:

فقد ميَّز الله أنبياءه بهذه الصفة الطيبة التي لا يبلغها على حقيقتها أحد غيرهم، لقد كانوا أمناء مع الله ومع الناس بل كان الناس يسمونهم الأمناء قبل أن يكلفهم الله

---

(١) سورة الزمر آية: ١٠.

(٢) سورة إبراهيم آية: ١٢ .

بالرسالة كان ظاهرهم وباطنهم على حد سواء يأمنهم الناس ويثقون بهم بل لم يجرب على نبي خيانة قط، وهذا سيد الأنبياء والمرسلين كان المشركون يلقبونه بالأمين قبل نزول الوحي عليه وكيف لا يكونون كذلك وقد اجتباهم ربهم وهداهم إليه صراطًا مستقيمًا، كانت حياتهم المعيشية كأيٍّ فرد من أفراد أتباعهم لم يخرجهم بريق المال عن خلق الأمانة . ولم تطغهم السلطة والجاه عنها ومن قرأ سيرهم عرف شأنهم وتيقن عناية الله تعالى بهم بل أصبح أتباعهم الحقيقيون مضربَ المثل في تمثل هذه الفضيلة فكم من قصص تروى لهم ومواقف تذكر لهم على مر الزمان، ولا تتصور مقدار ما يتمتعون به من تحقيق صفة الأمانة إلا إذا تصورت أن الله تعالى قد أمنهم على أشرف ما في الوجود وهو الوحي فما الظن بغيره؟

ولك أن تقارن بين حياة المتنبئين حينما يلتف أتباعهم حولهم كيف تتغير أخلاقهم وسلوكهم وكيف يعيشون حياة البذخ والإسراف على حساب المغفلين من أتباعهم وما ينشأ في كثير من الأوقات من اشتداد الخصومة بين المتنبئين وأتباعهم حول اختلاسهم الأموال وإنفاقهم على رغباتهم الشخصية وأهليهم وترك أتباعهم في حالة بائسة من الفقر المدقع، وليس هذا فقط بل إن أشد ما يلاحظونه على المتنبئين هو شدة شبقهم في اقتناص اللذائذ وركوب الشهوات والفواحش التي يأنف صاحب العقل السليم أن يتصف بها فضلاً عن شخص يوحى إليه بكرة وعشيًّا.

ولا ريب أن هذا السلوك الذميم للمتنبئين هو نتيجة طبيعية بعد أن جعلوا الكذب مطيتهم والخداع دأبهم، وذلك أن الكذب لا يتصف به المؤمن الذي قد توجد فيه صفاتٌ كثيرة مذمومة لكن الكذب ليس من بينها: وقد عرف الناس أن الكاذب لابد أن يظهر عليه ما يدل على كذبه ولو بعد موته، ومن قولهم في ذلك: «أعان الله على الكاذب بالنسيان».

وأما بالنسبة للصدق:

فهم صادقون في أنفسهم.. صادقون في تبلغيهم عن الله.. صادقون مع كل

الناس.. فلقد ميَّز الله كل الأنبياء بأسمى الفضائل. ويأتي تميزهم بصفة الصدق في أول تلك الفضائل حيث جبلهم الله تعالى على حب الصدق بمختلف أنواعه. صادقين في أنفسهم، صادقين مع الناس كلهم، صادقين مع ربهم جل وعلا، بل صادقين حتى مع أعدائهم.

ولقد جرب الناس الأنبياء واعترفوا لهم بالصدق قبل أن يكلفهم الله بحمل الرسالة وكانت قريش تسمي نبيَّنا محمدًا ﷺ بالأمين الصادق قبل بعثته الكريمة. وذات يوم بعد بعثته قال لقريش: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ**» قالوا: نعم ما عهدنا عليك كذبًا قط[1]. وحينما اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه ورأوا طلعة النبي الكريم قالوا: هذا محمد هذا الأمين يحكم بيننا[2] ورضاهم بحكمه يدل على تأصل صفتين فيه هما الصدق والأمانة فمن اجتمعتا فيه استحق أن يكون حكمًا بين الناس، وهاتان الصفتان هما من المزايا التي جبل الله عليها أنبياءه ورسله.

ومن المعلوم بداهةً أن الناس لو جربوا الكذب على النبي والتناقض في أخباره وأقواله وأفعاله لنفر عنه الناس وتركوا دعوته، لأن فِطَرَ الناس تنفر عن الكاذب المخادع، وما دعوات المتنبئين وانهيارها إلا أمثلة ملموسة ليحق الله الحق ويبطل الباطل. وإذا كان الرسل قد ظهر صدقهم ولم يخف على أحد من الناس فمن باب أولى أنهم صادقون في إخبارهم عن اختيار الله لهم وأنهم صادقون في نبوتهم إذ كيف يحرمون الكذب على الناس ويستجيزونه على الله هذا محال فإنه لا يفتري الكذب على الله إلا الذين لا يؤمنون بالله حق الإيمان والذين ارتابت قلوبهم واضطربت أفكارهم وتضاربت أقوالهم مع أفعالهم؛ لأن من شأن الكاذب أن يقع في هذا ولابد ولم يعلم عن أيِّ نبي أنه تناقض في أقواله أو اعتذر عن أفعال قبيحة فعلها من أول الرسل إلى آخرهم؛ لأن العاقل من عامة الناس قد لا يقع منه هذا التصرف فما الظن

(١) البخاري جـ ٤ صـ ١٧٨٧ رقم ٤٤٩٢، ومسلم جـ ١ صـ ١٩٢ رقم ٢٠٨ .

(٢) انظر مستدرك الحاكم جـ ١ ص ٦٢٨، وانظر المعجم الأوسط للطبراني جـ ٣ صـ ٥٠ .

بمن هم محل عناية الله ورعايته وتهذيبه لهم لإعدادهم لحمل أشرف شيء في هذا الوجود؟!، ولا يرد على هذا ما يقعون فيه من الأخطاء التي تجري على سائر البشر ولا تمتُّ إلى حقيقة الرسالة بصلة. وقد مدحهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[1]. فقال تعالى في بيانه لمنزلتهم العالية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

وقال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[3].

وكان من أوصاف نبي الله موسى القوة والأمانة، قال تعالى حكاية عن المرأة التي سقى لها ولأختها غنمهما قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[4]. ومن صفاته أنه كان عند الله وجيهًا، قال تعالى عنه: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[5]. وعن اصطفاء الله له قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[6]. إلى غير ذلك من الآيات التي مدح الله فيها نبيَّه موسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أما المتنبئين فقد يكفي أن نذكر مثالاً واحدًا هنا على أوصافهم حيث أخذ تعهد من المحكمة الشرعية في باكستان على غلام أحد المتنبئين أن لا يعود إلى سب الناس وقذفهم وأن يحد من سلوكه السيئ مع الناس وقد أقر هو نفسه بهذا التعهد مباهيًا به كما سيأتي ذكره.

---

(١) سورة النساء آية: ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران آية: ٣٣ .

(٣) سورة يوسف آية: ٦ .

(٤) سورة القصص آية: ٢٦ .

(٥) سورة الأحزاب آية: ٦٩ .

(٦) سورة الأعراف آية: ١٤٤ .

وقد امتنَّ الله على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ بصفات الكمل من البشر فهو في الأخلاق كما وصفه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[1]. وقال له ربه: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣ ﴾[2]. وأخبر عز وجل عنه أنه لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[3]. بل إن إرساله رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾[4].

ولا أدل على صدقه من أن أعداءه لم يجدوا عليه سبيلاً لوصفه بالكذب، ولهذا لجئوا إلى وصفه بصفات تدل على انقطاعهم وحيرتهم فيه كمجنون وشاعر ونحو ذلك. ولو وجدوا عليه كذبًا لكان أعظم وصف منفر عنه ولاستغنوا عن وصفه بما عداه ولكنَّ أحدهم لم يجرؤ على وصفه به لأن عامة الناس كانوا على يقين من صدقه وبعده عن الكذب.

وهذا بخلاف أدعياء النبوة فما أكثر ما عرف عنهم الناس الكذب في أقوالهم سواءً التي ينسبونها إلى أنفسهم أو التي ينسبونها إلى الوحي المزعوم فتأتي النتيجة كذبًا خالصًا وتناقضًا فاحشًا ثم يبدأ المتنبئون في اللجوء إلى التأويلات البعيدة التي كانت تزيد الطين بلة، ولهذا لم يكتب لأي متنبئ البقاء لدعوته لأنها تحمل في طياتها موتها المعجل.

وأما بالنسبة للرحمة:

فإن الأنبياء رحمة للناس بمثابة الغيث للأرض، وتلك الرحمة فيهم نابعة من أعماق أرواحهم الطاهرة وعن معرفتهم برحمة الله لعباده وعن حبهم الصادق لإيصال الخير إلى من بعثوا إليهم وقد عرف أتباعهم ذلك عنهم فكانوا يفدونهم

---

(١) سورة القلم آية: ٤ .

(٢) سورة النساء آية: ١١٣ .

(٣) سورة النجم آية: ٣ .

(٤) سورة الأنبياء آية: ١٠٧ .

بأرواحهم وأموالهم وأولادهم وأيُّ رحمة أعظم من إخراج الشخص من سخط الله تعالى إلى مرضاته ومن هو أرحم ممن يدعو لمن يؤذيه بالهداية والعفو ويعتذر له بأنه جاهل وفي نفس الوقت يوجب الشفقة والرحمة به حتى يعلم الحق. وكان نبينا ﷺ حينما يشتد عليه قومه في إيذائه يقول: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**» وهذا نوح كان ينوح من شفقته ورحمته بقومه ولبث فيهم تلك السنين الطويلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم إذ لولا شدة رحمته بهم وحنوه عليهم لملهم في أقلَّ منها، وقد قيل: إنه سمِّي نوحًا لنوحه على قومه وبكائه عليهم، وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن نفس الإرسال من الله تعالى إلى الناس إنما هو بسبب الرحمة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾(١).

ولئلا يطول البحث لم نتعرض لسرد المواقف الشهيرة في الرحمة للأنبياء وما جرى عليهم ولهم من الناس مما يتطلب ذكره العديد من الصفحات صلوات الله وسلامه عليهم وإنما اكتفينا بهذه الإشارة لوضوح الأمر في ذلك واشتهاره.

سعة العقل:

وأما سعة عقول الأنبياء وما زودهم الله به من قوة الذكاء والفطنة فإنه أمر يكاد يلمسه كل شخص، وكيف لا يكون لهم ذلك وهم رسل الله إلى الناس، وإذا كان الناس فيما بينهم لا يرسلون إلا من تتوفر فيه المؤهلات التي ترجحه للسفارة بين المرسل والمرسل إليه فما بالك بخالق السموات والأرض حينما يختار شخصًا لإرساله بأعظم حدث في حياة البشر لتتغير عبادتهم وسلوكهم ومعاملاتهم رأسًا على عقب؟ إنها مهمة شاقة وأمر عظيم لا يستطيعه إلا من وفقه الله عز وجل ومن أدركه برحمته ولطفه فلو وزنت عقول الناس جميعًا بعقل نبي واحد لكان عقله راجحًا ورأيه سديدًا أكثر منهم جميعًا. وستدرك ذلك حينما تتصور أن النبي يأتي والناس يعبدون غير الله ويتعاملون بكل خلق ذميم ولا يتصورون من وجودهم إلا هذه الحياة

(١) سورة الأنبياء آية: ١٠٧ .

يأكلون ويشربون، ينتهبون اللذات ثم يموتون كما تموت سائر الحشائش والأعشاب. فإذا به يواجه هذا الكمَّ الهائل جدًّا من الجهل بمفرده فيكون هو فقط في صفٍّ وكل من يشاهدهم من البشر في صفٍّ مقابل ثم يبدأ بعون الله تعالى فإذا بأولئك يرون النور شيئًا فشيئًا حتى يكتمل فإذ هم مبصرون ولقد فاتت هذه الصفة أدعياء النبوة الذين عرف الناس عنهم البلادة ورداءة الفكر وضحالته وتشوفهم إلى استعباد الناس والعلو في الأرض في عجلة شديدة بغير الحق إلى حد أن بعضهم يتوسط بالناس على آخرين من أتباعه ليزوجه ابنته فيرفض أبو البنت كما وقع للقادياني وغيره، وهو من الأمثلة الكثيرة التي تدل على بلادة المتنبئين وطيشهم ومعرفة الناس بخفايا نفوسهم الشريرة.

حسن الخلق:

قال تعالى في صفة نبينا محمد ﷺ – وهي صفة في جميع الأنبياء-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾، وهذه شهادة ممن؟ إنها من رب العالمين وخالقهم وأكرم بها من شهادة صادقة!! بل إنه من الأمور الحتمية أن يكون الأنبياء كذلك في أرقى صفات حسن الخلق وأكملها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد ما يكونون عن سوء الخلق والفظاظة، وقد قال تعالى في حق نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لأن من كان خلقه الفظاظة وغلظ الطبع لا يبقى له صاحب فهو شخص منفر عن نفسه، فإن الناس لا يتحملون الفظ الغليظ بل يهربون منه وينفرون من لقائه أو الاقتراب منه؛ لأنه غير صالح في نفسه فكيف يكون صالحًا لغيره؟. ولقد حث الله تعالى على التمسك بحسن الخلق ولين الجانب وهو أمرٌ سهل على من سهله الله عليه، وقد قال أحد الشعراء لابنه:

بنـي إن البـر شـيء هيـن ... وجـه طليـق وكـلام ليـن

وقد اتصف محمد ﷺ وأصحابه بهذه الصفة التي جعلتهم محل أفئدة الناس على طول الزمن وهي نعمة عظيمة وفضل كبير، وقد قيل: «من لانت كلمته وجبت محبته»

وإذا أردت أن ترى مصداق هذا الكلام فقارن بين أخلاق الأنبياء وبين أخلاق المتنبئين وسترى الفرق واسعًا والبون شاسعًا، لقد لجأ المتنبئون إلى السباب والشتائم للمخالفين وبعض السَّبِّ يصل إلى قذف الأعراض وانتهاك الحرمات وقلة الحياء؛ لأن دعوتهم جاهلية والجاهلية لا تثمر إلا جهلًا وحمقًا أو تكون دعوتهم قائمة على إحياء العصبيات الضيقة والتعالي على الناس حينما يتعاظم الشخص منهم نفسه وبعضهم توسوس له نفسه بأنه إلهٌ وقد حصل هذا لكثير ممن ادَّعوا النبوة من طغاة الباطنية ممن سيأتي ذكرهم.

وأما الفصاحة:

فهي السِّلاح القويُّ في وجوه الخصوم وهي الطُّعم اللذيذ لاجتذاب الناس إليها، بها تتغير المفاهيم والعقول، ولها يطأطئ المعاند رأسه تعظيمًا وإكبارًا لصاحبها.

وقد رزق الله أنبياءه قمة الفصاحة فإذا بكلامهم له رونق ومذاق أحلى من مذاق العسل يأسر القلوب ويقنع العقول. ولا ريب أن الفصاحة أمر محبَّبٌ إلى النفوس، وهي صفة كمال في الشخص، وضدها صفة نقص وضعف يشين صاحبه ويحط من قدره. ومن هنا نرى نبي الله موسى ﷺ يطلب إلى ربِّه في أول لقاء أن يعطيه الفصاحة والبيان الذي هو عمود دعوته ومركز انطلاقته. وقد أعطى الله أنبياءه جوامع الكلام الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجد فيه ثلمة يدخل منها إلى عيب الأنبياء بها، وقد كانوا يهزون المنابر بخطبهم وكلماتهم التي هي كالغيث للأرض المجدبة، قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾[1] وهذا الأمر يفيد أن الله تعالى قد ضمن له أن يكون كلامه بليغًا فالكلام منه والبلاغة من الله تعالى، وإذا قارنت بين فصاحة الأنبياء وفصاحة المتنبئين سواءً منه، ما نسبوه إلى أنفسهم أو ما نسبوه إلى الوحي فكأنما تقارن بين الثرى والثريا أو بين الحديد والذهب، لقد جاء المتنبئون بعبارات تافهة وأساليب ركيكة ومفاهيم ضحلة كانت أضحوكة لكل من سمعها رغم

(١) من سورة النساء آية: ٦٣ .

ما كانوا يتكلفونه من الكلمات وما كانوا يسلكونه من طريقة فواصل القرآن بين الآيات فجاءوا رغم ذلك بما يبعث على الغثيان سماعه وبما يوحي لكل سامع بإفك وكذب صاحبه وقد أراد الله تعالى أن يكون الكمال له وحده ولصفاته الكريمة.

وأما العصمة من الذنوب:

وأولها الشرك بالله تعالى فهذا من الأمور التي لا جدال فيها بين عقلاء البشر إذ كيف يختار الله لهداية الناس وإخراجهم من الكفر إلى نور الإيمان بالله شخصًا كافرًا مثلهم؟! إن العقل السليم والفطرة المستقيمة تأبى تصور ذلك من الأنبياء الذين يختارهم اختيارًا خاصًّا بهم قد جبلهم على حسن الأخلاق والابتعاد عن كل شيء يعاب به سائر الناس وليس هناك ما يعاب به النبي من قول الناس له: لقد كنت كافرًا أو فاسقًا تعمل مثل عملنا وتسجد لآلهتنا والآن تنهانا عن ذلك. ولعل هذا هو السِّرَّ في أن الله تعالى لم يذكر ولا في آية واحدة أن الكفار عابوا أنبياءهم بالكفر وبالسجود للأصنام رغم تكلف أولئك الكفار للوصول إلى أيِّ شيء يتمسكون به لعيبهم وتنفير الناس عنهم مثل دعوى الجنون والسِّحر والشُّذوذ في العبادة والكهانة ونحو ذلك من أكاذيب الكفار على الأنبياء.

والأمر واضح جدًّا في عصمة الله لأنبيائه من تلك الذنوب فإن نشأتهم من أول وجودهم نطفًا في أصلاب آبائهم إلى ولادتهم وما بعد الولادة من النشء إلى مماتهم كلها واقعة تحت عناية الله تعالى واختياره الخاصِّ لهم. قال تعالى عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[1]. وكل من جوَّز على الأنبياء الكفر أو الشرك قبل البعثة فقد أفحش في الخطأ وقال على الله بغير علم.

إن العباد كلهم عند الله في درجة واحدة بالنسبة للتكاليف ولاستحقاق الثواب أو العقاب فكيف يتصور العقل أن يختار الله الرسل ثم يكونون كغيرهم من العصاة ومرتكبي الذنوب. وهل يصح أن يجعل الله الذين يعلمون كالذين لا يعلمون أو

(١) سورة طه آية: ٣٩ – وقد ذكر ابن كثير أقوالًا للعلماء في معناها تدور كلها حول مزيد العناية انظر تفسير القرآن العظيم جـ ٣ صـ ١٤٧ .

يجعل المتقين كالفجار، وأي مزية تبقى للرسل إذا جاز عليهم عصيان الله تعالى والشرك به. بل وكيف يؤكد الله على الناس طاعة الرسل ويجعل مصير البشر في الدار الآخرة مرتبطًا بموقفهم من رسلهم وهل يصح أن يكون هذه الحال لشخص عاصٍ؟! بل وإذا جاز على الأنبياء فعل المعاصي فمن الذي يبينها للناس غيرهم وإذا كانوا يفعلون المعاصي – وحاشاهم – فكيف يتم بعد ذلك أن يقدموا على النهي عنها وماذا سيكون موقف أعدائهم منهم؟ أليس ذلك سيكون بمثابة هدية لأولئك الأعداء للتشهير بهم ولتشكيك الناس في صدقهم وإخلاصهم في دعوتهم بل وتصنيفهم في عداد المخادعين الظالمين. وأهمُّ من ذلك كله لو حصل فعل العصيان من الرسل والأنبياء لاختلط الأمر على الناس في التمييز بين النبي الحقيقي والمتنبئ الكذاب، ولهذا تجد أن مدعي النبوة يظهر عليه من أقواله وأفعاله ما يدل صراحة على كذبه في دعواه وبالتالي نفور الناس عنه والاستهزاء به وبدعوته مما ينتج عنه في النهاية موت تلك الدعوة الكاذبة في مهدها أو بعد الصولة والجولة للباطل ثم يضمحل كما هو واضح لكل من رزقه الله أدنى بصيرة في دينه وكان سليم الفطرة صحيح العقل. لقد ادعى النبوة بعض المغامرين الأشقياء فإذا بدعوته تتجه كلها إلى الرغبة في استعباد الناس والتعالي عليهم واكتساب الجاه العريض والمال الوفير ووفرة الخدم والحشم واقتناص الشهوات والإسراف في البذخ والمتع المتنوعة. مما يعجل بنهاية دعوتهم بل وبنهايتهم هم أيضًا أسوأ نهاية عقابًا من الله لهم في الدنيا قبل الآخرة. وإلا فأيُّ متنبئٍ بقيت دعوته ثابتة في قلوب الناس مثل ثبات دعوة أنبياء الله الكرام؟! وأي شخص يجرؤ على القول بوجود ذلك؟! ولا شك أن هذا الموقف لو تأمله المؤمن لازداد إيمانه وقوى يقينه فبضدها تتميز الأشياء.

تلك بعض الأمثلة نكتفي بها، وهناك أمثلة كثيرة أعطى الله فيها أنبياءه صفة الكمال في كل واحدة منها: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

(١) سورة الحج آية: ٧٥ .

الفصل العاشر ..

المعـجــــــــــزات

المعجـــــزات ..

إتمامًا لإقامة الحجة على العباد وتشريفًا للأنبياء والمرسلين يجري الله على أيديهم معجزات هي فوق مستوى قدرة البشر كما هو معلوم، والمعجزة حتى وإن كانت ليست هي الدليل الوحيد على صدق الأنبياء ولكنها تزيد المؤمن إيمانًا والماديَّ إذعانًا وتجعله يطأطئ رأسه ويخمد تحديه وكبرياءه بسبب ما يرى من الأدلة الحسِّية الظاهرة التي هي من جنس ما يعرف من الأمور ولكنها تأتي من طريق يعرف تمامًا استحالة مجيئها منه في نفس الوقت على يد أي بشر مهما كان علمه وذكاؤه وقوته، ومهما بلغ أيضًا في معرفة الحيل والتمويه فإن من جرت على يده المعجزة هي في حكم التحدي والإعجاز فهي مكونة من أمور يعرفها المكذب للرسول ويعرف تفاصيلها، ومع ذلك فإنه يعجز عن الإتيان بمثلها كما حصل لسحرة فرعون فإنهم يعرفون السحر وتمويهاته وتخيلاته ولكن أن تلقف العصا كل تلك المناظر المرعبة وتمحو وجودها هو أمر لا يستطيعون الإتيان بمثله عن طريق السحر فلهذا أذعنوا وآمنوا بموسى ﷺ ومن حكمة الله تعالى في المعجزات أنها تأتي من مثل ما برع فيه المكذبون للرسل ليكون ذلك أدعى إلى التأمل والإذعان.

فمعجزة موسى ﷺ كانت قلب العصا حية تسعى وهي تناسب ما برع فيه المصريون في ذلك الوقت من معرفة السحر والاعتماد عليه في إضلال الناس وتعبيدهم لفرعون.

ومعجزة عيسى ﷺ كانت من نوع الطب الذي برع فيه القوم في وقته فجاءت معجزاته لتضيف إلى معرفة الأطباء دواءً ليس في مقدورهم الإتيان بمثله.

ومعجزة نبينا ﷺ من جنس ما كان يفتخر به العرب في وقتهم من الفصاحة والبلاغة والتأثير في السامعين إذ ليس في مقدور أحد أن يأتي بمثل هذه المعجزة وهو القرآن الكريم.

ومن هنا نجد أن هذا المسلك في إتيان المعجزات كان له الأثر البالغ في تفهم المكذبين للرسل وإذعانهم بعد ذلك والإقرار لهم مذعنين في قرارة أنفسهم، والله غالب على أمره.

أما مدعو النبوة فإنه لم يستطع أحد منهم الإتيان بأدنى معجزة من معجزات الأنبياء، بل إن المتنبئين يميلون إلى الحيل والأسحار التي تنكشف بعد وقت ويظهر فيها كذبهم واضحًا؛ لأن الله تعالى لا يصلح عمل المفسدين. بل إن المتنبئين عجزوا عن الإتيان بأدنى كرامة من كرامات الله تعالى لأنبيائه كما هو مدوَّن في أخبار وتراجم مدعي النبوة، ولنبينا محمد ﷺ من المعجزات الدالة على نبوته ما لا يكاد يحصى وكل واحدة دليل ظاهر وحجة قاهرة على صدقة ﷺ وتأييد الله عز وجل له ونصره وإعلاء كلمته. لقد أكرم الله نبينا محمدًا ﷺ بمعجزات كان أعظمها وأعلاها هي تلك المعجزة الخالدة «القرآن الكريم» التي تحدى الله فيها الجن والإنس أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة وأعداء للرسول ﷺ ورسالته، ومع ذلك لم يقدروا على نظم سورة واحدة من مثل القرآن الكريم الذي لا يزال طريًّا كأنما أنزل في وقت قراءته في كل عصر وعند أي جماعة لا يمل قارئه ولا تنقضي عجائبه، تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

وكذلك فإن للرسول ﷺ معجزات حسية كثيرة مثل انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه كأمثال العيون، وهطول الأمطار فور استسقائه، وتسبيح الطعام بين يديه ونزول البركة فيه بحيث يكفي القليل منه أضعاف ما كان يعرفه الناس بل وكان

---

(١) سورة الإسراء آية: ٨٨ .

(٢) سورة الحجر آية: ٩ .

الجماد أيضًا يحن إليه ﷺ كما حصل للجذع الذي كان يخطب عليه، وكذا انقياد الشجر له، وكذا إخباره ﷺ بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة من الأمور العظيمة التي أخبره الله بها وأمور أخرى كثيرة من أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتب الحديث والتاريخ ليرى ما يزيده إيمانًا ويقينًا بدينه وصدق نبيه عليه الصلاة والسلام.

وأما بالنسبة لمعجزات غير نبينا محمد ﷺ الدالة على صدقهم فقد تقدم أن لكل نبي من الأنبياء معجزة ودلالة على نبوته وصدقه لا يمكن أن تتحقق لأحد من البشر كائنًا من كان إلا إذا كانت بتأييد من الله تعالى ورضًى عن صاحبها، وهذا هو الذي حصل لكل الأنبياء، فهذا نوح عليه السلام حين استجاب الله له في إهلاك قومه أمره بصنع السفينة وعمَّ بعد ذلك الطوفان الأرض ولم ينج إلا من دخل معه السفينة كما قص الله تعالى ذلك في سورة هود قال تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ إلى آخر قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] وإبراهيم عليه الصلاة والسلام جعل الله عليه النار بردًا وسلامًا حين كاد له قومه ليحرقوه بها، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] ولو كانت لهم عقول راجحة لعلموا أن الآلهة التي طلبوا الانتصار لها هم أقوى منها.

وكذلك أحيا الله له الموتى حين طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[3]. وهذا نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام

(١) سورة هود الآيات: ٣٧-٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات: ٦٨، ٦٩ .

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٠ .

أعطاه الله كثيرًا من الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[١]. من أشهرها عصاه التي كان فيها من العجائب ومن قدرة الله ما لم يكن في مقدور أي شخص أن يفعله مهما أوتي من الحذق والمعرفة، وقد آمن السحرة بمجرد أن شاهدوها تلقف ما صنعوه وما كان له فيها كذلك من المنافع التي تدل على أنها معجزة من الله له، ومنها كذلك إدخاله ليده في جيب قميصه ثم ينزعها فإذا هي بيضاء مثل القمر من غير سوء، ومنها ضربه للبحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، ومنها ضربه الحجر فانفلق عيونًا – اثنتا عشرة عينًا – ومنها هرب الحجر بثوبه عندما آذاه بنو إسرائيل فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا، وآيات أخرى كثيرة كل واحدة منها تكفي للإيمان بأنها من الله ودالة دلالة لا لبس فيها على صدق نبوته، وكذا نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام فقد ذكر الله في القرآن بعض دلائل نبوته فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[٢]. ومنها كذلك المائدة التي طلبها من الله فكانت تنزل على بني إسرائيل فكانت عيدًا لأولهم وآخرهم.

ومن الأنبياء صالح عليه الصلاة والسلام فقد أيده الله بمعجزات تدل على صدق نبوته وتأييد الله له حيث طلب منه قومه ثمود آية ناقة؛ تخرج من صخرة وهم يرونها ويشربون من لبنها وتعنتوا في طلبها ومحل خروجها فدعا صالح ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأخرج الله الناقة من صخرة وهم يرونها تنفلق عنها في منظر هائل عجيب فقال لهم مطالبًا بالوفاء بما التزموا به من الإيمان به وبرسالته: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾[٣]. فكان من أمرهم وعتوهم ما كان وما أنزله الله بهم من عقاب شديد.

---

(١) سورة الإسراء آية: ١٠١ .

(٢) سورة المائدة آية: ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف آية: ٧٣ .

وقد سرد أبو منصور عبد القاهر البغدادي معجزات الأنبياء المشهورين منهم فقال: «كانت معجزة آدم عليه السلام علمه بالأسماء من غير درس ولا قراءة كتاب. وكانت معجزة نوح الطوفان وخلاصه منه. ومعجزة هود الريح وما كان من شأنها مع قوم عاد. ومعجزة صالح الناقة والصيحة التي دمرت على القوم. ومعجزة إبراهيم عليه السلام النجاة من النار. ومعجزة موسى اليد البيضاء وقلب العصا حية وحل العقدة من لسانه وسائر الآيات التسع التي كانت له. ومعجزة داود تليين الحديد له. ومعجزة سليمان الريح وتسخير الجن والشياطين له. ومعجزة عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك. وكذلك كل نبي له معجزة مخصوصة اجتمعت لنبينا محمد ﷺ جميع وجوه المعجزات التي تفرقت في الأنبياء»[(١)].

لقد جعل الله معجزات الأنبياء عونًا لهم وشهادة تدل على صدقهم؛ لأن كثيرًا من الناس لا يؤمنون إلا بما يقع تحت إحدى حواسهم لقصور أفهامهم وغلظ طباعهم. وتلك المعجزات لا يمكن أن تحصل لشخص محارب لله ولدينه كاذب عليه عز وجل، كما أن الله تعالى لم يجعل تلك المعجزات هي الدلالات الوحيدة على صدق الأنبياء وإنما هي مكملات فإن غير المعجزات الحسية آلاف المعجزات فيهم، في خلقهم وأقوالهم وأفعالهم ومعاملتهم وثقتهم بربهم، وبصدق ما يدعون إليه وعزمهم وشجاعتهم وصفات أخرى لا حدَّ لها كلها دلالة صريحة على اختيار الله واصطفائه لهم وأنهم صادقون بخلاف المتنبئين الكذابين فإنه لا يمكث فترة في ادعائه إلا وتبدو عليه آثار الكذب حيث تتغير أخلاقه وتسوء ولا يكون له همٌّ إلا انتهاب الأموال والنزو على أعراض الناس وحب الفواحش وظهور الكذب في أقواله وأفعاله وتعامله بل ويصبح كلُّ ما يأتي به يشهد بكذبه وفجوره وتناقضه في مبدئه وإذا أضاف إلى مخازيه التقول على الله بالوحي جاء كلامه غاية في الركاكة والسماجة وضحالة التفكير، وإذا أراد أن يتشبه بأخلاق الأنبياء وبصفاتهم فإنه سرعان ما ينساها ويرجع

---

(١) أصول الدين صـ ١٨٠ .

إلى طبيعته ورعونته. إن النبوة موهبة من الله تعالى فكل شيء يجري فيها إنما يجري على طبيعته دون تكلُّف أو تصنع فلا يمكن أن يلاحظ الناقد أيَّ خلل في تصرفات النبي أو في سلوكه بخلاف المتنبئ فكل فعل من أفعاله يصرخ وينادى عليه بأنه كذاب متكلف، ومن هنا ينشأ التناقض الفاضح الذي يسلكه المتنبئ ثم تنقلب صداقة أكثر أتباعه عداوة له لما يرونه من التناقضات واتباع الهوى بخلاف أتباع الرسل فإن من دخل معهم لا يمكن أن يرجع عنهم سخطة لدينه؛ لأنه يرى أن كل ما حوله يشجعه على الدوام والاستمرار على طريقته ويوحي إليه بأنه على هدًى مستقيم، فإن الحق عليه نور، والباطل عليه ظلمات، وللباطل صولة ثم يضمحل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1].

هكذا اقتضت حكمة الله تعالى، وهذه بشارة عظيمة لأهل الحق وبشارة تنذر الخارجين عن هدي الله بالخزي والزوال وأن ما يقومون به من زخارف باطلهم إنما هو جفاءٌ يذهب كما يذهب الجفاء فلا يغتروا به مهما كانت عظمته وحدته لأنه فساد والله عز وجل لا يحب عمل المفسدين وإذا لم يحبَّه الله فلا قرار له؛ لأن مالك الكون كله ومن بيده أزمَّة الأمور لا يريد له البقاء ومن لم يرد الله له البقاء فإنه أقرب إلى الزوال من أجزائه التي يتكون منها وقد سبق أن النبوة هبة من الله تعالى وليست مكتسبة بأيِّ حال، ومن ذهب إلى القول بأنها مكتسبة فإنه يدل على فساد مذهبه؛ لأن الله صرح في كتابه العزيز بأن النبوة هبة يختص الله بها من يشاء من عباده قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[3] فلا يمكن أن يتوصل إليها الإنسان لا بالعبادة ولا بالمجاهدة مهما بالغ في ذلك، ولقد تلاعبت الشياطين بكثير من منتحلي الزهد

---

(١) سورة الرعد آية: ١٧ .

(٢) سوة الأنعام آية: ١٢٤ .

(٣) سورة البقرة آية: ١٠٥ .

والعبادة والرياضة. الذين تصوروا سهولة الوصول إلى النبوة فراحوا يتخبطون في متاهات أوصلتهم إلى أن تصوروا في أنفسهم أنهم قد فاقوا غيرهم من البشر وأنهم لم يعودوا مجرد زهاد وعبَّاد بل تحولوا إلى أن صاروا أشرف العباد والزهاد وبعد فترة تصوروا أنهم صاروا في أعلى رتب العبادة ومنها إلى دعوى النبوة ثم الألوهية والإلحاد وذلك استدراجٌ لهم من حيث لا يشعرون، وهؤلاء إما أنهم أتوا من كثرة ما يرون أنفسهم فيه من الصلاح في ظنهم أو من مرض في أنفسهم لم يميزوا معه بين الحق والباطل فيما يتراءى لهم، من أحوال الشياطين واستدراجهم لهم وهم حريصون على ذلك أشد الحرص أو من جنون حب العظمة والسيطرة والتفاف قرناء السوء من حولهم وتزيين كل ما يأتونه من أعمال وأفكار خيرة كانت أو شريرة. مع ما هم فيه من البعد عن الله تعالى وعدم فقههم في الدين. فكانت هذه العوامل وعوامل أخرى كثيرة من أقوى الحوافز لتطلع هذا الصنف من الناس إلى دعوى النبوة واستسهالهم الوصول إليها، وما علموا أن الله غيورٌ على دينه وأنه لهم بالمرصاد وسنذكر إن شاء الله أمثلة كثيرة تدل على هذا الجانب عند دراسة تراجم المتنبئين.

* * *

الفصل الحادي عشر...

النبوة اختيار من الله تعالى وليست مكتسبة

النبوة اختيار من الله تعالى وليست مكتسبة..

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن النبوة اختيار من الله تعالى وتفضُّلٌ منه يجعلها حيث يشاء من خلقه لا دخل فيها لأحد غيره تعالى لما سبق في علمه سبحانه بالوقت الذي يحتاج فيه البشر إلى ظهور النبي وتجديد الدين، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] فلا مكان فيها للحظِّ والنصيب أو الجاه أو أي اعتبار آخر غير اختيار الله تعالى. وقد اعترض كفار قريش على اختيار الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ إذ لم يكن من كبار الأثرياء وأصحاب الجاه وهو اعتراض سخيف سفههم الله به، لأن الميزان عنده سبحانه لا يقاس بالأمور المادية التي يتطلع إليها البشر لقصر أفهامهم ونقص موازينهم.

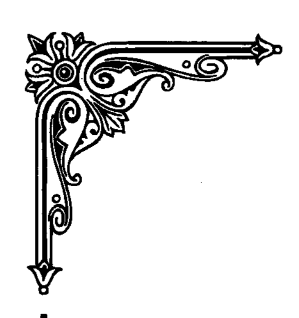
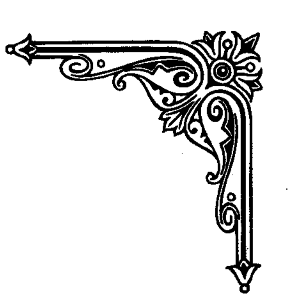
ولقد ظنَّ بعض الناس أن النبوة تعود إلى اكتساب الشخص لها وأن في مقدور أيِّ شخص قويِّ الحظ الوصول إليها إما بمجاهدة النفس أو بكثرة العبادة والسهر أو تكون على الشخص اعتباطًا دون سابق استحقاق لها، وكان للباطنية والصوفية صولات وجولات في تقرير هذا المفهوم السخيف حيث غلوا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا بل أوصل بعضهم نفسه إلى مرتبة الألوهية بعد أن تدرج في الكشف والاتصال والحلول والاتحاد، ووحدة الشهود، ووحدة الوجود، والفناء، وفناء الفناء، والمحق والدك..... إلى آخر خرافاتهم الممقوتة وجهالاتهم الضالة. فإن النبوة عند الغلاة منهم هي أقل المراتب التي يصل إليها الصوفي الكبير المتمثلة فيه ذات الله تعالى.

والذي يحار فيه الذهن هو لماذا لم يعمموها على كل شخص؟! لأن كل شخص بإمكانه أن يأتي بمثل خرافاتهم ودعاويهم فلماذا قصروها فقط على من يختاره سادتهم وكبراؤهم دون بقية الناس. وتزول الحيرة إذا علمت أن القصد الأول والأخير من كل ما يأتونه إنما هو جمع المال واستعباد الجهال في زخرف من القول غرورًا.

(١) سورة الأنعام آية: ١٢٤ .

وهل يثبتون أن العلم مكتسب، فإذا مات الأب العالم ورثه ابنه الجاهل فصار عالمًا إذا لم يستطيعوا إثبات هذه القضية فما بالك بإثبات صفة النبوة لبعض عتاتهم الحمقى إذ قد ينتقل عندهم من كونه زمَّارًا أو طبَّالاً أو طبَّاخًا إلى مرتبة الولاية الكبرى والقطبانية ثم يترقى بسرعة إلى أن يصل إلى مرتبة الولاية ثم النبوة بمجرد الحظِّ والنَّصيب. ولو استشعروا عظمة النبوة وشأنها الرفيع لعلموا أنها شأوٌ لا يدرك ومرقى صعب المنال ولنا في الأنبياء والمتنبئين آيات واضحات ودلالات قاطعات في بقاء كل منهم وظهور دعوته وانتشارها فلو كانت النبوة مكتسبة لكانوا في كل عصر بالملايين عددهم.

* * *

الباب الرابع

نبوة النساء

ويشتمل هذا الباب على الفصول الآتية:

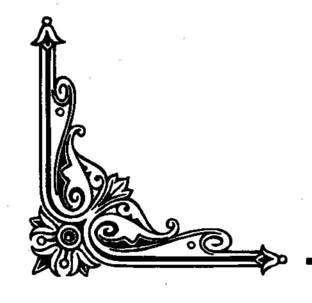
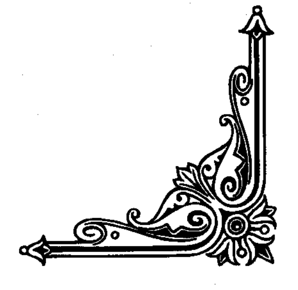
الفصل الأول: هل النبوة قاصرة على الرجال فقط أم تشمل كذلك النساء؟.

الفصل الثاني: استدلال من يقول بنبوة النساء:

١- أدلته من القرآن الكريم.

٢- أدلته من السنة النبوية.

الفصل الثالث: بيان القول الراجح في نبوة النساء.

الفصل الأول..

هل النبوة قاصرة على الرجال
أم تشمل النساء أيضًا؟

هل النبوة قاصرة على الرجال أم تشمل النساء أيضًا..؟

من المسلَّم به أن الله عز وجل خلق البشر وجعل بينهم تفاوتًا كبيرًا في الصفات الجسمية والعقلية والحسنة والقبيحة وجعل تفاضلاً كبيرًا بين الرجال والرجال، وبين النساء والرجال، بل وبين النساء والنساء، إلا أن جنس الرجال في الجملة هو أفضل من جنس النساء كما صرح الله بذلك حيث قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[2] ونصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبيِّن بجلاء أفضلية الرجال في الجملة على النساء غير أنه لا يمنع أن يوجد بين النساء من يفقن بعض الرجال في بعض الصفات فإن لكل قاعدة شذوذًا. والحكمة التي من أجلها جعلت النبوة والرسالة في الرجال دون النساء إنما هي لمزايا جعلها الله في الرجال. ذلك أن الاختلاف الواضح بين القوى العقلية والجسدية في الرَّجل والمرأة وما يتطلبه أمر النبوة من القيادة والزعامة وما يطرأ على المرأة من آلام وتقلبات واضطرابات نفسية وعقلية أثناء الحيض والنفاس والولادة وكذلك شدة العاطفة لدى المرأة إلى حد الضعف وما يجده الرجال من الأنفة في استعلاء المرأة عليهم واختلاطها بهم أو تحكمها فيهم[3] كل ذلك وغيره يجعل الحكمة تقتضي أن تكون النبوة في الرجال دون النساء – والله أعلم –.

وهذا هو الذي وقع، فلم يرد أيُّ نصٍّ لا في القرآن ولا في السنة أن الله أوحى إلى امرأة أو كلَّفها بالرسالة والبلاغ أو جعل لها شريعة وأتباعًا وأنصارًا لأن هذا يتطلب

(١) سورة النساء آية: ٣٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية: ٧ .

(٣) هذا الكلام لا ينطبق على كثير من رجال اليوم الذين مسخت رجولتهم وانعدمت أنفتهم فراحوا ينادون بعدم الفرق بين الرجل والمرأة، بل إن بعض السفهاء قد فضَّل المرأة على الرجل ورضي بها حاكمة عامة وقاضية وعسكرية فصارت لحمًا على عظم.

من المرأة أن تتبذل وتخرج وتلتقي بالرجال وهذا ما لا يتفق وطبيعتها [١]. والذي صرَّح الله به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[٢] يفيد بكل وضوح أن الرسل كلهم من جنس الرجال لا من جنس النساء.

وذكر أبو محمد ابن حزم أن النزاع حول نبوة النساء لم يحدث إلا عندهم بقرطبة وفي زمانهم ثم ذكر بيان أقسام المتنازعين وهم ثلاثة فقال: «فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدَّعت من قال ذلك. وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة. وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك». وبعد هذا التقسيم ذكر أنه «أمر لا ينازعون فيه» لكنه فرق بين صفة النبوة والرسالة فنفى أن يوجد خلاف في أن الله تعالى أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة التي هي بمعنى الإنباء وهو الإعلام قال: «فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبهًا له بأمر ما فهو نبيٌّ بلا شك». وقد أكد صحة نبوة النساء وضرب لذلك أدلة وأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

* * *

(١) ومن المؤسف أن أكثر الدول الإسلامية قلبوا الأمر تبعًا للغرب والشرق فصارت طبيعة المرأة إذا أرادت أن تكون متحضرة أن تكون في منتهى الوقاحة والخروج على كل الآداب والأعراف وأن يكون شعارها العري وإهداء جسدها لكل راغب.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٧ .

الفصل الثاني..

استدلال من يقول بنبوة النساء.

استدلال من يقول بنبوة النساء ..

١- الاستدلال من القرآن الكريم:

ومن الأدلة الواردة في القرآن الكريم التي احتج بها المجوزون نبوة النساء في بشارة أم إسحاق بإسحاق ومن ورائه يعقوب ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ۝٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾[1].

فهذا خطاب الملائكة لأم إسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها بإسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها: أتعجبين من أمر الله ولا يمكن ألبتة أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبيٍّ بوجه من الوجوه كما يرى ابن حزم.

ثم أورد ابن حزم دليلاً ثانيًا، وهو ما حصل لمريم أم عيسى من مخاطبة جبريل لها حينما قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩﴾[2] قال: «فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى إليها».

ودليل ثالث أيضًا وهو ما وقع من وحي الله لأم موسى بإلقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبيًّا مرسلاً قال: «فهذه نبوة لا شك فيها وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها أو قام في هاجستها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك أحدنا لكان غاية الفسق أو في غاية الجنون مستحقًّا لمعاناة دماغه في البيمارستان لا يشك في هذا أحد، فصح يقينًا أن الوحي الذي ورد لها في إلقاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على إبراهيم في الرؤيا في ذبح ولده فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لو لم يكن نبيًّا واثقًا بصحة الوحي والنبوة

---

(١) سورة هود آية: ٧١-٧٣ .

(٢) سورة مريم آية: ١٩ .

الواردة عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها أو ظنٍّ وقع في نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الأنبياء فاسقًا في نهاية الفسق أو مجنونًا في غاية الجنون. وهكذا تمسك ابن حزم في رأيه بنبوة النساء بتلك الآيات الكريمات.

٢- الاستدلال من السنة النبوية:

استدل من ذهب إلى القول بجواز نبوة النساء بالحديث المروي عن النبي ﷺ وهو قوله: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**» ووجه استدلاله بالحديث أن الكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك، وكان تخصيصه ﷺ مريم وامرأة فرعون تفضيلاً لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالاً لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما أصلاً وإن كن بنصوص القرآن نبيات»[1] إلى آخر كلامه.

* * *

(١) الفصل جـ ٥ صـ١٨ ، ١٩ .

الفصل الثالث...

بيان القول الراجح في نبوة النساء...

بيان القول الراجح في نبوة النساء..

الواقع أن ما يراه ابن حزم من الجزم بنبوة النساء وتفرقته بين النبوة والرسالة من الأمور التي يصعب التسليم بها، إذ لو جاز القول بنبوة النساء لجاز القول أيضًا بتكليفهن بالبلاغ ومخالطة الرجال والخروج عن ما يقتضيه حال المرأة إضافة إلى أنه لا يوجد نصٌّ صريح – حسب ما تيسر لي الاطلاع عليه – ينص على نبوة النساء بل الأحاديث كلها تثبت قصر النبوة على الرجال، وأحاديث الشفاعة خير شاهد على ذلك كما أنه لا يلزم من إثبات الوحي إلى بعض النساء القول بنبوتهن فقد وصف بالوحي إليه من لم يكن من البشر أصلاً كالنحل والسموات والأرض والجبال وما ورد من إثبات الوحي إلى النساء فإن له معنًى غير النبوة وهو واضح في العربية ومنه الوحي إلى أم موسى إلا أن القرطبي قد ذكر في تفسيره للآية: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾[1] رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيها: «أوحي إليها كما أوحي إلى النبيين»[2] ولكن العلماء لم يتفقوا على أن هذا الوحي كان عن طريق النبوة فقد فسروا هذا الوحي بأنه كان عن طريق أحد الأمور الآتية:

١ – الإلهام: أي ألهمنا.

٢ – أوحي إليها في النوم.

٣ – أوحي إليها ذلك بواسطة ملك كلمها بذلك.

٤ – أن المراد عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة.

وقد ذكر الشيخ محمد الأمين في كتابه «أضواء البيان» بعد ذكر الأقوال السابقة قوله: «ولا يلزم من الإيحاء في أمر خاص أن يكون الموحى إليه نبيًّا»[3].

---

(١) سورة طه آية: ٣٨ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١١ ص١٩٥

(٣) أضواء البيان جـ ٤ صـ ٤٣٩ .

أما الرازي وهو يشدد في المنع من القول بنبوة النساء فيقول: (أما قوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ فقد اتفق الأكثرون على أن أم موسى عليه السلام ما كانت من الأنبياء والرسل فلا يجوز أن يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء، وكيف لا نقول ذلك والمرأة لا تصلح للقضاء والإمامة، بل عند الشافعي وغيره رحمه الله لا تمكن من تزويج نفسها، فكيف تصلح للنبوة؟! ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[1] وهذا صريح في الباب، وأيضًا فالوحي قد جاء في القرآن لا بمعنى النبوة قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[2] وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾[3] ثم ذكر بعد ذلك تلك الأقوال المتقدمة»[4].

ومن هنا يتضح أن القول بأنه لم ترسل امرأةٌ رسولاً كما أرسل الله الرجال أنه أمر متفق عليه لا ينازع فيه أحد وأن ما حصل من النزاع في نبوة النساء إنما هو حول سماعهن للوحي وأما ما جاء في وصف بعضهن بالكمال فقد قالوا: إنه لا يعني كمال المرأة مهما كان ذلك الكمال أن تكون نبية..» بل توصف بكل الصفات الطيبة ما عدا النبوة والرسالة.

وكذلك لا يلزم من سماع كلام الملائكة أن يكون السامع نبيًّا فقد تواترت أخبار كثيرة بسماع الصحابة لأصوات الملائكة في مناسبات كثيرة آخرها اختلافهم في تغسيل الرسول ﷺ حين مات هل يجردونه من ثيابه أم يغسلونه وهي عليه؟! فسمعوا صوت ملك يأمرهم بتغسيله وهي عليه.

وقصص كثيرة جدًّا حصلت للصحابة ولغيرهم في سماع بعض الأصوات من قبل الملائكة دون أن يروهم أو رأوهم في زي البشر وسمعوا كلامهم أيضًا، ومع ذلك

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٧ .

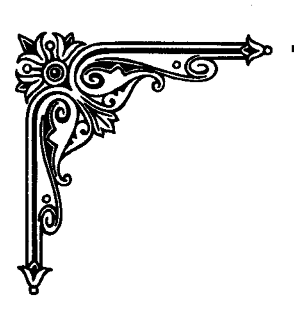
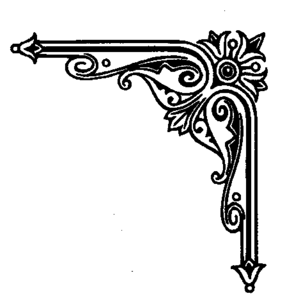
(٢) سورة النحل آية: ٦٨ .

(٣) سورة المائدة آية: ١١١ .

(٤) أنظر تفسير الرازي جـ ٢٢ صـ ٥١ .

لا يصح وصف من حصل له هذا بالنبوة وأما ما حصل لإبراهيم عليه السلام من أمر ولده فإنها رؤيا، ورؤيا الأنبياء حقٌّ فهو نبيٌّ ويعلم أن رؤياه وحي وأنها حقٌّ ولهذا أقدم على إرادة ذبح ولده بكل اطمئنان بخلاف أم موسى فإنها ندمت بعد ذلك على إلقائه وأصبح فؤادها فارغًا إلا من ذكر موسى بل كادت أن تبدي به لولا أن الله ربط على قلبها، ولو كان الوحي جاءها من الله تعالى كالوحي على الأنبياء لما حصل لها ذلك. ولو حصل لها ذلك الندم والقنوط بعد الوحي إليها لكان في غاية القبح والتكذيب بالوحي. ومعلوم أن ذلك لا يمكن أن يقع من نبي سمع وحي الله تعالى وسمع أمره ونهيه فإن المخلوق لا يخالف أمر الملك ونهيه وهو مخلوق مثله فكيف يخالف أمر الخالق ونهيه أو يتشكك فيه؟!!.

***

الباب الخامس..

ثبوت نبوة الأنبياء بالأدلة القاطعة

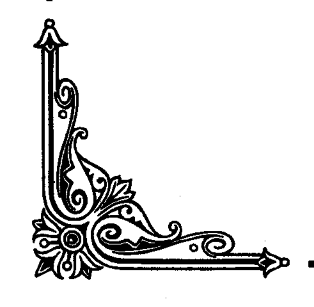
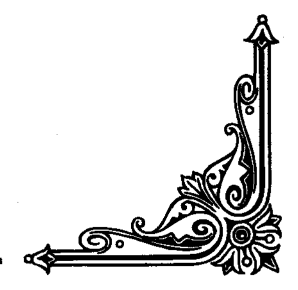
وفيه فصلان:

* الفصل الأول: ثبوت نبوتهم بالنصوص.

١- الأدلة من كتاب الله تعالى.

٢- الأدلة من سنة النَّبيِّ ﷺ.

* الفصل الثاني: ثبوت نبوتهم بالعقل.

الفصل الأول..

ثبوت نبوتهم بالنصوص

وفيه مبحثان:

* المبحث الأول: الأدلة من كتاب الله تعالى.

* المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

ثبوت نبوتهم بالنصوص وفيه مبحثان..

تمهيد:

مما لا يجوز فيه التوقف إثبات كل فضيلة لأنبياء الله تعالى الذين اختارهم لحمل رسالته إلى البشر مبشرين ومنذرين، وقد أظهر الله تعالى نبوتهم ومصداقها في أمور لا تكاد تحصى إلا بالكلفة لوضوحها وتنوعها سواء أكانت حسية أو معنوية خضعت لها رقاب الجبابرة وأقروا بها موقنين بصدقها وقوة تأثيرها لأنَّ كلَّ شيء يشهد لها وينادي أصحاب الحجى بعدلها والانضواء إليها وأن نبوتهم لا ينقصها شيء حقيقي يجعل الشخص يتوقف عنده في تصديقهم؛ لأن من أراد الله تعالى أن يكمله لا يستطيع أحد أن ينقصه، ولولا العناد الذي هو طبيعة بعض الفاسدين الذين يكابرون الحقائق ويتجاهلونها بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا لما احتاجوا إلى أي عناء في إقناعهم ولكنهم كما أخبر الله عنهم يستكبرون عنها ويجحدونها بسبب تلك الصفات الذميمة فيهم كحبهم الظلم ورغبتهم في العلو.

المبحث الأول: الأدلة من كتاب الله تعالى على ثبوت نبوة الأنبياء:

ففي هذا الكتاب الكريم من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ما لا يجهله أي مسلم؛ لأن الله تعالى أراد أن يقيم حجته على جميع عباده فأثنى على جميع الرسل وأوجب الإيمان بهم جميعًا دون تفريق ووصفهم بأجمل الصفات وأجرى على أيديهم أعظم الآيات والمعجزات ونصرهم وأذلَّ أعداءهم وجعل العاقبة الحسنة لهم. قال تعالى في وجوب الإيمان بجميع الأنبياء من ذكر باسمه ومن لم يذكر باسمه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1]، وقال تعالى عن عددهم: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[2] وقال تعالى في بيان مهمتهم جميعًا: ﴿رُّسُلًا

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٥ .

(٢) سورة النساء آية: ١٦٤ .

﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾[(١)] وقال تعالى في بيان وحيه إلى الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[(٢)] والآيات في إثبات نبوتهم كثيرة جدًّا في كتاب الله تعالى.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية على ثبوت نبوة الأنبياء:

وكما اعتنى الله بذكر الأنبياء في كتابه الكريم كذلك اعتنى بهم النبي فأخبر عنهم في أحاديث كثيرة عن عددهم وفضائلهم ومهماتهم وما قوبلوا به من أقوامهم. ومن ذلك قوله ﷺ في حديث الشفاعة:

١- **«عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان»** الحديث[(٣)].

٢- وقال ﷺ: **«الأنبياء أولاد علات»**[(٤)].

٣- وقال ﷺ: **«وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**[(٥)].

وأخبر ﷺ في ليلة الإسراء أنه صلى ببعض من ذكرهم من الأنبياء[(٦)].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا، وإنما الغرض تزيين هذه الدراسة بمثل هذه النصوص المشرقة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ في ذكرى الأنبياء العطرة.

* * *

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٥ .

(٢) سورة يوسف آية: ١٠٩ .

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٤٤١ رقم ٣٤١٠، ومسلم ١/ ١٩٩ رقم ٢٢٠ .

(٤) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٧٠ رقم ٣٢٥٨، ومسلم ٤/ ١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥ .

(٥) أخرجه البخاري ١/ ١٣٨، ومسلم ١/ ٣٧٠ .

(٦) أخرجه مسلم ١/ ١٥٦ .

الفصل الثاني..

ثبوت نبوتهم بالعقل.

ثبوت نبوتهم بالعقل..

إذا كنا ننزِّه الإنسان العاقل عن فعل العبث ونرى أنه لا يليق به مهما كان ذلك الأمر، سواءً كان ذلك الأمر فيه مصلحة له أو لغيره أو مضرة أيضًا إذا كان ذلك معيبًا في حق الإنسان فإن الله تعالى أولى أن ننزهه عن ذلك وأن نجلّه وأن نعلم أن له سبحانه وتعالى حكمة في كل أمر يعمله، وأنه رتَّب على كل أمر يأمر به أو ينهى عنه ثوابًا أو عقابًا لتمام عدله بعد أن يبين كل ذلك بواسطة أنبيائه الذين اصطفاهم لذلك، ومن هنا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأن ما يريده الله لا يمكن معرفته إلا عن طريقه سبحانه أمرًا ونهيًا، وفي بداهة العقول أن الحاجة إلى الأنبياء من أوجب الضروريات التي تحتمها العقول السليمة كما أن العقل السليم كذلك لا يمكن أن يفترض معرفة الناس لأمور دينهم دون وحي ولا وحي دون نبيٍّ.

كذلك فإن العقل السليم لا يمكن أن يتصور شيوع النبوة بين الناس ولا أنها مكتسبة إذ لو كان كلٌّ واحد يمكنه الوصول إليها لما تأخر أحدٌ عن ادعائها مهما كانت ضحالة فكره وخصوصًا المغامرون منهم ومن ثَمَّ تفقد النبوة قداستها والاستفادة منها. وإذا كانت بعض العقول تفترض شيوع النبوة وصلاحية كل أحد لها فإن بعض العقول قد تتصور وتتخيل أشياء لا وجود لها في خارج الذهن بل هي أماني يصدق عليها قول الشاعر:

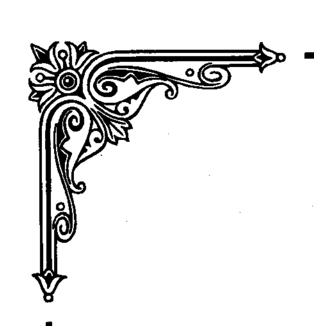
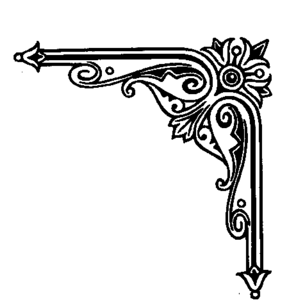
تلك الأماني يتركن الفتى ملكًا ... دون السماء ولم ترفع له رأسًا

فأقصى ما يتطلبه العقل ثبوت الحجة وانتفاء موانعها، وقد حصل ذلك فقد أظهر الله لأنبيائه من الحجج الواضحة والدلائل ما لا يمكن معه الشك في صحتها وصدورها عن خالق البشر.

فمن آمن بأن له ربًّا أوجب العقل عليه بأن له نبيًّا أيضًا يخبره بما لا يصل العقل إلى إدراكه إذ من المشاهد أن العقل قاصرٌ وله حدٌّ ينتهي إليه ولا سبيل إلى تجاوزه.

والله تعالى لا يكلم كلَّ أحد من البشر فلو كلمهم جميعًا لما بقي للنبوة مزية، ولو تركهم جميعًا لما قامت الحجة عليهم والإعذار الذي يحبه الله إليهم كما اقتضت حكمته تعالى أن يكون الأنبياء على فترات وعلى تدرج في التشريع إلى أن نضجت البشرية ببعثة محمد ﷺ، فانقطعت حينئذ النبوة والإرسال كالإنسان الذي يفصل له الثوب على قدر نموه واكتماله إلى أن ينتهي نموه فيستقرُّ على ثوب يكون مناسبًا له دائمًا فإن الإنسان لا ينمو دائمًا كما أن البشرية كذلك لا تنمو أفهامهم ومداركهم جميعًا على طول الدهر في وقت واحد. لقد أوكل الله إلى العقل التفكير والاستنتاج والتجارب وغير ذلك من المهام العديدة التي رتبها الله على العقل، وبه يؤاخذ الإنسان وبه يعاقب.

* * *

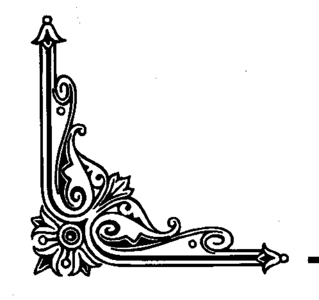
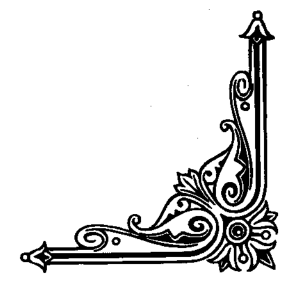



الباب السادس ..

الأدلة على انقطاع النبوة بنبينا محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين

وفيه الفصول الآتية:

* الفصل الأول: الأدلة على انقطاع النبوة بنبينا محمد ﷺ وفيه:
  ١- المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم.
  ٢- المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.
* الفصل الثاني: الأدلة من إجماع الصحابة رضي الله عنهم.
* الفصل الثالث: الأدلة من إجماع عامة المسلمين وعلمائهم على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ.

الفصل الأول ..

الأدلة على انقطاع النبوة بنبينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان :

١- المبحث الأول: الأدلة من كتاب الله تعالى.
٢- المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

الأدلة على انقطاع النبوة بنبينا محمد ﷺ

تمهيد:

قال الندوي «انقطاع النبوة تكريم للإنسانية ورأفة بها»[1] وهي الحارس من الفوضى الفكرية، ولقد تضافرت النصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيِّه محمد ﷺ ومن سائر علماء المسلمين وعامتهم - إلا من شذًّا على التأكيد بأن البشر قد أشرفوا على النهاية العامة التي ليس بعدها إلا الحياة الآخرة. وأنهم قد استكملوا مراحل الابتلاء والتربية فلم يعودوا في حاجة إلى تبديل المفاهيم والعقائد بقدر ما هم في حاجة إلى الاستقرار والثبات لاجتياز ما تبقى لهم من الحياة في هذه الدار على نهج واضح وطريق سليم ومعتقد طيب يقدمون به لملاقاة ربهم للفوز برضاه ورحمته.

***

(١) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن صـ ٢٢١ .

المبحث الأول: الأدلة من كتاب الله تعالى

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٣)

فقد كفى الله البشر مؤنة البحث والاجتهاد في استخراج النظام الصالح لهم في دينهم وفي دنياهم أيضًا، فأنزل الله خير كتبه وأرسل خير خلقه وصار على الناس الحجة البيضاء التي ليلها كنهارها اشتملت على بيان كلِّ ما يحتاجه العباد فلا خير إلا وقد بينه لنا، ولا شر إلا وقد حذرنا منه.

قال المصطفى ﷺ: «**وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**» قال أبو الدرداء: «صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»(٤). أي أن الرسول ﷺ لم يمت حتى بين لنا جادة الطريق ووضحها، وأكمل الله به الدين، فمن زاد عليه فقد كذب الله تعالى في شهادته بإكمال الدين الإسلامي الحنيف وكذب أيضًا المصطفى ﷺ، وزعم أن الرسالة قاصرة والبيان غير تام، وهذا هو الظلم المبين والكذب المشين. ويقول الرسول المصطفى ﷺ في بيان أنه لا خير إلا دلَّ أمته عليه ولا شرَّ إلا وحذرها منه: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرًا لهم ويحذرهم ما يعلمه شرًّا لهم**»(٥).

(١) سورة الأحزاب آية: ٤٠ .

(٢) سورة المائدة آية: ٣ .

(٣) سورة آل عمران آية: ٨٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجه جـ١ صـ٤ .

(٥) أخرجه أحمد جـ٢ صـ١٦١ – ١٩١ .

وإذا كانت هذه صفة كل الأنبياء، النصح بإخلاص والشفقة والرغبة في إسعاد البشر فإن لنبيِّنا محمد ﷺ المقام الأعلى فيها، وقد شهد له الصحابة الكرام بذلك، فقال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد توفي رسول الله وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا» [1]. فهذه النصوص النبوية مع قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ لا تدع لأي متحذلق مجالاً في الزيادة في الدين أو النقص منه إلى يوم القيامة...

ومن المعلوم أن البشر لا يستطيعون الوصول إلى النهج السليم الذي فيه مجانبة غضب الله تعالى والفوز برضاه إلا عن طريق النبوة لقصور العقول عن إدراك ذلك مهما أوتيت العقول من ذكاء وفطنة. لأن ذلك أمر غيبيٌّ ومعرفة الغيبيات فوق متناول العقول كما أن التشريع والقوانين التي تصلح للبشر مدى الحياة ليس في متناول ومقدرة أي شخص إذا لم تكن عين الله ترعاه، ولا أدل على ذلك من تناقض قوانين من يسمون أنفسهم «بالمشرعين» وكيف أحلوا قومهم دار البوار كما هو الحال اليوم، وإذا كان ذلك معلومًا وواضحًا لدى أصحاب القلوب الحية فإنه يخفى على أصحاب العقول المريضة والأفهام السقيمة، فتجد أحدهم يتجاوز حده ويدعي ما ليس له بحقٍّ فيظهر الله كذبه عاجلاً ليلقى جزاءه في هذه الدار قبل الدار الآخرة. وإذا كان هذا حال من يزعم القدرة على التشريع من دون الله تعالى فإنه لا يقل عن هؤلاء سوءًا من اتخذ الكذب على الله تعالى سبيلاً للرياسة والزعامة الدنيوية ممثلة في دعوى النبوة دون أن يجد في نفسه أيَّ رادع من ضمير أو خوف من أحد بل ودون أي مبالاة بما ينتج عنها من الفوضى الفكرية والأحكام الجاهلية والبعد عن الله عز وجل وعن دينه الذي ارتضاه لنفسه وتعبَّدنا به وما سيلقاه في الدار الآخرة من جزاء وعقاب لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إن الإسلام كامل، والبشرية قد وصلت إلى مرتبة الكمال فلا يحتاجون إلى نبيٍّ

(١) انظر الفتوى الحموية صـ ٤ .

جديد بعد محمد ﷺ فإن التعاليم التي جاء بها صالحة للبشرية مهما امتدت بهم الأزمنة ومهما تتابعت الدهور وهذه نعمة من الله تعالى عليهم لتجتمع هممهم على هذا الدِّين القيم وتطمئن نفوسهم إلى أنه لا تغيير ولا تبديل لأحكامه وتعاليمه النيرة وأنَّ عليهم فقط تنفيذ ما جاء به نبيهم محمد ﷺ ليصلوا إلى السعادة التامة في الدنيا والآخرة. لأنه صادر ممن له الدنيا والآخرة علام الغيوب. ولهذا جاءت أحكام الإسلام كلها وافية بما يحقق المصلحة التامة للبشرية إلى يوم القيامة فهي ليست في حاجة إلى أحد يزعم لها التطور والتجديد لأنها في أكمل طور وأتم تجديد. فالزنا مثلاً جريمة وحكمه موضح في الكتاب والسنة فلا يحتاج إلى تطور إلى أن تقوم الساعة وسيبقى جريمة إلى أن تنتهي الحياة في عرف العقلاء وأصحاب الفطر المستقيمة. كذلك السرقة فإنها ستبقى جريمة إلى أن تقوم الساعة فجاء حكمها موافقًا لحجمها ولا يمكن أن تعتبر فضيلة في أي زمن، ولا يمكن أن يوجد رادع لاجتنابها أفضل ولا أقوى مما جاء به الإسلام. وهكذا في كل قضية تهم البشر لتسيير حياتهم سيرة حسنة لا يوجد أكمل مما بينه الخالق العظيم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ (١). ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

ولكن أعداء الإسلام من المستعمرين أصحاب المطامع الجشعة في احتلال بلاد المسلمين والقضاء على حضارتهم العريقة لم يرضهم هذا المنهج الإلهي، كذلك لم يرضَ أصحاب النفوس الشريرة المتعطشة إلى السلطة والعلو في الأرض بغير الحق أن تسير الأمور على هذا النهج الواضح فقام كذابون يدعون النبوة في حلقات ومؤامرات خبيثة متسترين بالإسلام أحيانًا ومظهرين الإلحاد أحيانًا وأخرى متلبسين بالمهدية أحيانًا، وبالتطور والتقدم أحيانًا أخرى مستغلين ظروف بعض جهلة المسلمين وغيرهم حيث أغروهم بالمال والجاه وبالوعود الخلابة، ومن وراء أولئك

---

(١) سورة النساء آية: ١٢٢ .

(٢) سورة المائدة آية: ٥٠ .

كلهم أعداء الإسلام والمتربصون به الدوائر عليهم دائرة السوء ولا يحتاج التعليل لوقوف أعداء الإسلام إلى جانب هؤلاء الفجار إلى تفكير واستنباط، ذلك؛ لأن هؤلاء رأوا أن أدعياء النبوة هم أفتك سلاحًا وأشد تثبيتًا لهم ولبقائهم في البلاد الإسلامية وإرجاع المسلمين إلى عصور الذُّل والوثنية والجاهليات المختلفة الأشكال والأفكار فربى هؤلاء عملاءهم من أدعياء النبوة وسهروا على تحقيق أهدافهم والتمكين لهم بشتى الوسائل وأمدوهم بكل ما يحتاجون إليه في سبيل تلك الغاية الخبيثة من معونات مادية فأغدقوا الأموال عليهم وعلى من يسلك سبيلهم ويصفق لهم، ومعونات معنوية في أكمل أشكالها وهو الحاصل في كثير من البلدان الإسلامية فذهب هؤلاء الطغاة من المتنبئين إلى خداع ومغالطة المسلمين وجرؤوا على التلاعب بتأويلات النصوص وفق ما يهدفون إليه والتهمت نارهم كثيرًا من المغفلين السذج من المسلمين فأحدثوا فوضى فكرية بين صفوف المسلمين وصار بعضهم قدوة للبعض الآخر في الإقدام والجرأة على دعوى النبوة وتهوين الوصول إليها وأنها دائمة لا تنقطع فوصل المسلمون في البلاد التي ابتليت بهؤلاء إلى ما لا يتصوره العقل من الجهل والتمزق والفرقة والعداوة والبغضاء فيما بينهم إلا من رحم الله.

خصوصًا في عصرنا الحاضر – عصر الحذق في الخداع والمؤامرات – عصر التكتلات الدولية الكبيرة من أصحاب المطامع وحب السيطرة على العالم. فكم جنت بريطانيا وفرنسا وأمريكا وكل دول الكفر على المسلمين من آلام وجراح لا يزال يئن لها المسلمون ليلاً ونهارًا ولا يستطيعون الخروج من تلك الدوامات المحكمة عليهم فلا يخرجون منها إلا كما تخرج الفراخ الصغيرة من تحت أمهم لتعود مرة أخرى إليها بعد أن وطئت أقدام أولئك الأنجاس ديار المسلمين وعاثوا فيها فسادًا وتخريبًا للحياة الطبيعية وللأخلاق وللعقول السليمة وانحاز إليهم من كان طبعه مثل طباعهم من شياطين الإنس ومشائيمهم، ولكن الله عز وجل متمُّ نوره ولو كره الكافرون. إن القول بأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل أمر معلوم من

الدين بالضرورة، وما كان ينبغي أن ننظر إلى المخالف فيه ولا أن يعار أدنى اهتمام لولا انخداع كثير من جهلة المسلمين بأكاذيب بعض الدجاجلة لحذقهم التلاعب بتأويل النصوص ونجاحهم في تغطية ما وقعوا فيه من التناقض والاضطراب والشبهات ولكن الله أظهر كذبهم وزيف دعاويهم إذ ما من دعوى خالية عن الإثبات إلا وهي تحمل في طياتها ما يكذبها ويشهد عليها بالفشل والخداع «فقد أعان الله على الكاذب بالنسيان»، وختم النبوة بمحمد ﷺ مع وضوحه ومعرفته من دين الإسلام بالضرورة -كما قدمنا- فقد جهله بعض الناس متأثرين بزخرف أقوال المتنبئين إضافة إلى قلة معرفة هؤلاء بدينهم وإعراضهم عن تدبر كلام ربهم القائل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ لأن صراحة هذه الآية في استحالة وجود نبوة بعد محمد ﷺ لا تخفى إلا على جاهل بالإسلام أو معاند في قلبه مرض ذلك أن الله تعالى قد أكمل الدين به وأتم به النعمة على هذه الأمة إلى يوم القيامة. لأن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ يدل صراحة على أن الله قد أكمل الإسلام ورضيه لنفسه دينًا وما دام أن الله أكمله ورضيه فإنه لا يحتاج إلى إكمال أحد فإن ما تكفل الله بإكماله يكون بلا ريب في منتهى الكمال والإتقان، ودعوى النبوة تكذيب لله تعالى في تلك الشهادة العظيمة وقبول قول أي مدَّعٍ للنبوة يعتبر مخالفة وردًّا لما رضيه الله لعباده من الدين فمن لم يرض بما رضيه الله فقد حارب الله وخرج عن دائرة الإيمان مهما زخرف من الأقوال واخترع من الأفكار وتلاعب بمفاهيم النصوص. يقول ابن القيم -رحمه الله- في تعليله لكون محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء: «وبالجملة فقد جاءهم رسول الله بخيري الدنيا والآخرة بحذافيره ولم يجعل الله بهم حاجة إلى أحد سواه، ولهذا ختم الله به ديوان النبوة فلم يجعل بعده رسولاً لاستغناء الأمة به عمن سواه» (١).

---

(١) بدائع الفوائد جـ ٣ صـ ٦٧٧ .

المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية:

وردت في السنة النبوية نصوص صريحة واضحة مثل وضوح الشمس في رابعة النهار في دلالتها على انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ وأنه لا يدَّعيها بعده إلا دجَّال ماكر وهي أحاديث كثيرة نكتفي بذكر بعضها في هذه المقدمة، ومن تلك الأحاديث:

١- ما ثبت في الصحيحين عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ وإنه لا نبي بعدي**»[1].

٢- وثبت في الصحيحين كذلك عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعليٍّ حينما خرج إلى تبوك: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**»[2].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلَّا وضعت اللّبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[3]. وفي رواية عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال بعد ذكره لذلك المثل -: «**فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء**»[4].

قال الخطابي في بيان معنى حديث: «**بعثت أنا والساعة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى قال: «وهذا يفسر على وجهين؛ أحدهما: وهو قول قتادة أنه أراد الوسطى على السبابة يقول: سبقت الساعة بقدر ما بينهما من الفضل، والمعنى تقريب مدة مجيء الساعة، والوجه الآخر: أن يكون أراد انقطاع النبوة بعده وأن لا نبي بينه وبين الساعة كما لا حائل بين الوسطى والسبابة»[5].

---

(١) صحيح البخاري جـ٦ صـ٤٩٥، ومسلم جـ٤ صـ٥٠٩ ومسند أحمد جـ٢ صـ٢٩٧.

(٢) صحيح البخاري جـ٨ صـ١١٢ واللفظ له، ومسلم جـ٥ صـ٢٦٨ بلفظ «**غير أنه لا نبي بعدي**».

(٣) صحيح البخاري جـ٦ صـ٥٥٨ ومسلم جـ٥ صـ١٤٩.

(٤) سبق تخريجها.

(٥) غريب الحديث جـ١ صـ٢٨٠.

الفصل الثاني..

الأدلة من إجماع الصحابة

الأدلة من إجماع الصحابة..

وردت عن الصحابة الكرام ﭫ نصوص كثيرة بإجماعهم على أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء وآخرهم لا نبي بعده، وكانوا يعاملون كل من لم يقل بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين معاملة المرتدين حتى وإن أقر بالإسلام؛ لأنهم يعتبرون ذلك كفرًا وتكذيبًا لما جاء في كتاب الله تعالى وما قام به أبو بكر ومن جاء بعده في حربه لأهل الردة خير شاهد على ذلك. ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه قال بجواز بعثة رسول لله في أي زمن من الأزمان أو بلد من البلدان بل لم ينقل عن أحد من المتنبئين أنه استدل بقول صحابي على احتمال ظهور نبي من عند الله رغم حاجة المتنبئين إلى العثور على أي دليل يساعدهم في تقوية ادعاءاتهم وأنَّى يكون من الصحابة ذلك وهم يسمعون كلام الله ويعقلونه ويسمعون كلام نبيِّهم غضًّا طريًّا من شفتيه المباركتين ليلاً ونهارًا. وإجماعهم ﭫ حجة قاطعة ولنا فيهم أسوة حسنة من خالف هديهم ضلَّ، ومن تمسك به نجا بثناء الله عليهم في كتابه الكريم وثناء رسوله العظيم إلى يوم القيامة على أنه إن وجد في كلام أحد من المتنبئين أو أتباعهم من اعتمد كلامًا لأحد من الصحابة فإنه كذبٌ صرف، وكيف لا يكذبون على الناس وقد كذبوا على الله تعالي؟!!.

* * *

الفصل الثالث..

الأدلة من إجماع عامة المسلمين وعلمائهم على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ.

الأدلة من إجماع عامة المسلمين وعلمائهم على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ

أجمع المسلمون كافة على القول بانتهاء النبوة بعد محمد ﷺ، لم يخالف في ذلك إلا من لم يؤمن بالله تعالى ولم يصدق ما جاء في الشريعة الإسلامية وفيما يلي نذكر بعض الأدلة ممَّا ورد في ذلك عن الصحابة وعلماء المسلمين ومواقف عامة المسلمين منهم.

١- أما ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم:

فقد تقدم أنهم أجمعوا على الإيمان بختم النبوة بمحمد ﷺ واعتبروا كل من لم يعتقد ذلك كافرًا حلال الدم خارجًا عن هدى المسلمين يجب قتله وقتل من اتبعه. وفعل الصحابة رضوان الله عليهم بالمتنبئين وأتباعهم بعد وفاة الرسول ﷺ خير شاهد على موقفهم وإجماعهم على ختم النبوة بمحمد ﷺ فلقد شنوها غارة على مدعي النبوة وتقربوا بحربهم إلى الله عز وجل، وكتب التاريخ مليئة بأخبارهم وأعلامهم التي سطروها في هذا الجانب سواء مع من تنبأ بعد وفاة الرسول ﷺ مثل طليحة ابن خويلد وسجاح فلم يعرف عن أحد منهم أنه اشتبه عليه أمر ختم النبوة لا أحد بعد الرسول ﷺ اللهم إلا ما ورد في شأن إبراهيم ابن النبي ﷺ حسب ما ورد من الأحاديث في شأن نبوته لو لم يمت صغيرًا ومع هذا فقد وردت الأحاديث معلقة بشرط بقائه وهو لم يبق فانتفى أن يكون بعد الرسول ﷺ أيُّ نبي ويدل على هذا أنه قيل لعبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنهما: رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: «مات صغيرًا ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده»(١). وهكذا كان جواب كل صحابي فمن أثبت لأحدهم قولاً بنبوة أحد بعد الرسول ﷺ فقد كذب عليهم.

---

(١) البخاري مع الفتح جـ ١٠ صـ ٥٧٧ وانظر كلام ابن حجر.

٢-أما الأدلة من إجماع علماء الإسلام قاطبة:

فهو أمر معلوم بالضرورة فقد أجمعوا على انتهاء النبوة بنبينا محمد ﷺ وأقوالهم أكثر من أن تحصر ابتداءً بعصر الصحابة إلى وقتنا الحاضر وإلى أن تقوم القيامة.

قال البغدادي: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام. وأولهم آدم وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ»(١).

وقال أيضًا: «كل من أقر بنبوة محمد ﷺ أقرَّ بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقرَّ بتأييد شريعته ومنع من نسخها وقال: إن عيسى عليه السلام إذا نزل من السماء ينزل بنصرة شريعة الإسلام»(٢).

ويقول القاضي عياض: «أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبره الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص»(٣).

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال في إحدى خطبه: «أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه السلام»(٤).

وقال أبو حنيفة لمن طلب العلامة على صدق رجل ادعى النبوة في زمنه: من طلب منه علامة فقد كفر؛ لقوله ﷺ: «لا نبي بعدي»(٥). وروى مثل هذا عن أبي يوسف ويعقوب بن إبراهيم.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين؛ جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعم

---

(١) أصول الدين صـ ١٥٩ .

(٢) المصدر السابق صـ ١٦٢ .

(٣) الشفاء جـ ٢ صـ ٢٧١ .

(٤) البداية والنهاية جـ ٩ صـ ١٩٩ .

(٥) مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة جـ ١ صـ ٦١ .

الله على عباده ومن تمام محبته على خلقه أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم»(١).

ويقول الطحاوي رحمه الله: «وإنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين. وكل دعوى النبوة بعده بغي وهوى»(٢).

وقال ابن أبي العز رحمه الله: «ولما ثبت أنه خاتم النبيين علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب»(٣).

ويقول الشيخ حافظ رحمه الله: «المسألة الخامسة: أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل فلا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده فهو محكم أبدًا» قال هذا في شرحه للبيتين الآتيين من «سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد»:

وكل من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ادعى

فهو ختام الرسل باتفاق ... وأفضل الخلق على الإطلاق(٤)

وأقوال العلماء من الكثرة بحيث لا تحصر إلا بجهد سواءً أقوال المتقدمين منهم والمتأخرين ولم يخل جيل من الأجيال أو عالم من العلماء من التعرض لإيضاح تلك الحقيقة وبيان ما قرره الشرع الإسلامي فيها، وإنما المقصود الإشارة إلى وضوح قضية النبوة لدى كل مسلم يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا وأنه لا ينازع في التسليم بهذا إلا من انحرف عن الحق واتبع هواه بإجماع عامة المسلمين وعلمائهم خلفًا عن سلف.

* * *

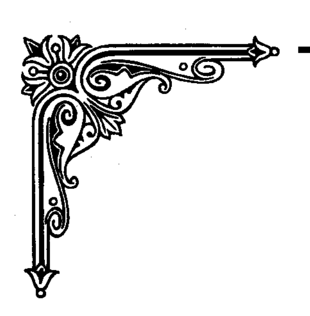
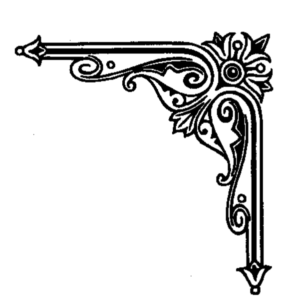
---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٤ صـ ٦٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٦٨-١٧٦ .

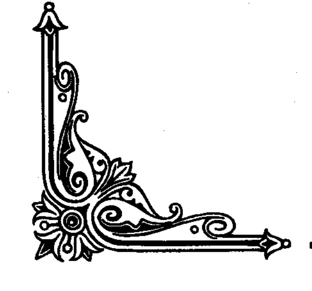
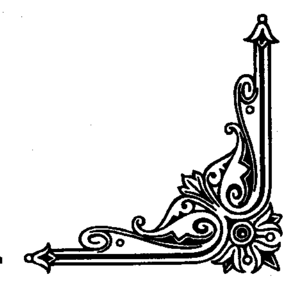
(٣) المصدر السابق صـ ١٧٦ .

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول صـ ٥١١ – ٥١٢ .

الباب السابع..

تحذير الرسول ﷺ من ظهور دجالين يدّعون النبوة بعده وبيان ظهور كذبهم من أقوالهم وأفعالهم

أخبر ﷺ أنه سيقوم في مختلف الأزمنة دجالون كذابون يدعون النبوة وحذر منهم ومن الوقوع في حبائلهم، وهي من معجزاته ﷺ وإخبار الله له، وقد حصل ذلك بالفعل فوجد في مختلف الأزمنة من ادعى النبوة وزعم أنه يوحى إليه ولم يوح إليه وتقول على الله تعالى دون مبالاة كما هو شأن المتنبئين، ومن تلك الأحاديث التي أخبر بها المصطفى ﷺ الدالة على التحذير منهم وتشير إلى عددهم.

١ - عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة كذابين**»(١).

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**»(٢) وسنقف إن شاء الله في أثناء هذه الدراسة على تحقيق هذا العدد وماذا يراد به حقيقة.

٣ - وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(٣).

٤ - وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئًا. فقام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال: «**أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي أكثرتم فيه. وأنه كذاب من ثلاثين كذابًا يخرجون بين يدي الساعة**»(٤).

٥ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالاً كلهم يكذب على الله عز وجل ورسوله**»(٥).

والذي يظهر أنه ليس المقصود بالكذابين هؤلاء أنهم من الرجال فقط بل وأيضًا

---

(١) أخرجه مسلم جـ ٥ صـ ٧٦٨ .

(٢) صحيح البخاري جـ ٦ صـ ٥١٦ .

(٣) سنن الترمذي جـ ٤ صـ ٤٩٩ وسنن ابن ماجة جـ ٢ صـ ١٣٠٤ .

(٤) مسند أحمد جـ ٥ صـ ٤١ .

(٥) المسند جـ ٢ صـ ٤٥٠ وأبو داود جـ ٣ صـ ٤٣٥ .

بعض النساء يدعين كذلك كذبًا أنهن نبيَّات كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «**في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(١).

وقد حذر نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام من ظهور الدجالين الكذابين أيضًا فقال حسب ما جاء في إنجيل متى: «**احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبًا أومن الحسك تبنًا هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة**»(٢).

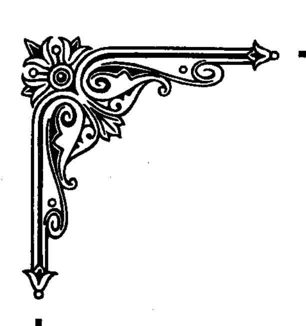
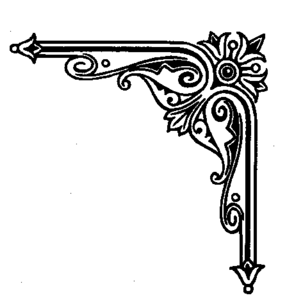
وبتلك الأحاديث تبين مقدار الخطر الذي يبيِّته هؤلاء على الدين وأنهم كذابون دجَّالون همهم الزعامة وهدم الحق والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون.

* * *

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٧ صـ٣٣٢ قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح» وسيأتي ذكر نبوة النساء إن شاء الله مفصلاً.

(٢) إنجيل متى: الإصحاح ٧ .

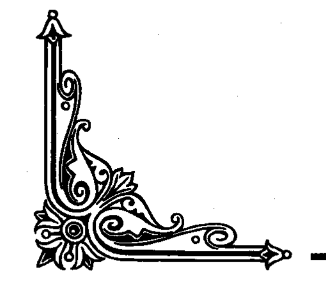
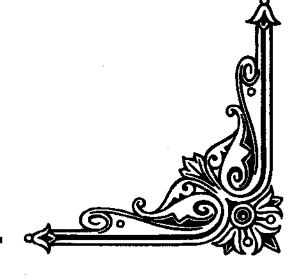



الباب الثامن..

المتنبئون وأصنافهم قديمًا وحديثًا

ويشمل الفصول الآتية:

* الفصل الأول: المتنبئون في زمن الرسول ﷺ قبل وفاته.
* الفصل الثاني: المتنبئون بعد وفاة النبي ﷺ في زمن الصحابة.
* الفصل الثالث: المتنبئون في زمن الدولة الأموية.
* الفصل الرابع: المتنبئون في عصر الدولة العباسية.
* الفصل الخامس: المتنبئون فيما بعد الدولة العباسية إلى وقتنا الحاضر.

الفصل الأول..

المتنبئون في زمن الرسول ﷺ قبل وفاته.

المتنبئون في زمن الرسول ﷺ قبل وفاته..

تمهيد:

ظهر بعض المتنبئين في حياة الرسول ﷺ، ولكن الله تعالى بشَّره عن طريق الرؤيا بأن أمرهم إلى الزوال وهو ما حصل بالفعل مصداقًا لما رآه عليه الصلاة والسلام وكان هدف هؤلاء هو الطمع في المال والرئاسة، وكانوا يشدون أزرهم بالعصبية القبلية البغيضة مستهلين دعوى النبوة لما وجد عند بعضهم من الفصاحة أو حذق الشعوذة التي كانوا يموهون بها على أتباعهم فانضم إليهم أقوام على مشارب شتى ونيات مختلفة. ولكن كان الله لهم بالمرصاد حيث بطش بهم أولياء الله وجنوده تحت بارقة السيوف فأذاقوهم حر الحديد وانكسرت شوكاتهم وهزم أتباعهم شر هزيمة فكانوا عبرة للناس حيث علموا أن أمر النبوة لا يتوقف على الفصاحة أو حذق الشعوذة، وإنما هي عناية الله تعالى واختياره لمن يريده، والحاصل أن دعوى النبوة قد ظهرت في حياة الرسول ﷺ فما هو الحال بها بعد وفاته عليه الصلاة والسلام؟!!.

وهذا ما سنذكره إن شاء الله في الدراسة الآتية:

١- الأسود العنسي:

في سنه ١١هـ ادعى هذا الشخص النبوة في حياة النبي ﷺ وثار في اليمن وقوي أمره وخافه المسلمون في اليمن وكان يجيد معرفة المخاريق السحرية. قال ابن حجر «وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوة وغلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية ويقال: إنه حزبه فلما حاذاه عثر الحمار فادعى أنه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيئًا فقام»(١).

---

(١) فتح الباري جـ٨ صـ٩٣ .

اسمه: عبهلة بن كعب واختلف في اسم جده فقيل: إن اسمه غوث كما يرى ابن كثير[١] وقيل: عوف كما يرى ابن الأثير[٢]، وحينما قوي أمره باليمن راودته نفسه أن يدعى الألوهية فأطلق على نفسه «رحمن اليمن» وكان أتباعه ينادونه بـ «يا رحمن اليمن» فيجيبهم. ينسب إلى عنس التي هي بطن من مذحج[٣] من بلدة منها يقال لها: «كهف حنان» فيما يذكر ابن كثير[٤] أو «كهف خبان» فيما يذكر الطبرى[٥].

ولقبه: ذو الخمار لأنه كان معتمًّا متخمرًا[٦] وذكر ابن حجر أن ذا الخمار هو اسم شيطان الأسود في قول لبعضهم[٧] وبعضهم يقول له: «ذا الحمار» لأنه كان قد درَّب حمارًا له على الركوع أمامه فسمي ذا الحمار، وقيل له: الأسود بسبب لونه، وتذكر كتب التاريخ عنه أنه أول من قام بحركة الردة في الإسلام في عهد النبي ﷺ خرج باليمن فيمن اتبعه من مذحج بعد حجة الوداع للنبي ﷺ وكان كاهنًا شعياذًا وكان يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من سمع منطقه[٨]، وقد كاتبه أهل مذحج فاجتمع له سبعمائة فارس وواعدوه بخراب فوثبوا بها وأخرجوا عمال النبي ﷺ منها ثم توجهوا إلى صنعاء فأخذوها بعد هزيمتهم لجيش الأبناء وقتل عاملها شهر بن باذام وصفا ملك اليمن للأسود وأخرج عمال النبي ﷺ من كافة المناطق التي أخذها في اليمن وامتد ملكه ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن واستطار أمره كالحريق وكان قد كتب إلى عمال النبي ﷺ كتابًا يقول لهم فيه: «**أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما**

---

(١) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٠٧.

(٢) الكامل جـ٢ صـ٣٣٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٠٧.

(٥) تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٩٩. - الكامل جـ٢ صـ٣٣٦.

(٦) فتح الباري جـ٨ صـ٩٣.

(٧) فتح الباري جـ٢ صـ٣٣٦.

(٨) تاريخ الطبري جـ٣ صـ١٨٥.

أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه»[١].

وهكذا يقلب الفُجَّار الأمور فيسمون أهل الحق والحكم متمردين ومتوردين، ويسمون المتمردين والمتوردين أهل الحق، ولا تزال هذه الصفة في الناس أبدًا إلا أنه في عصرنا الحاضر ازداد أهل الباطل تفننًا في تسمية مخالفيهم من أهل الحق بألقاب وأسماء ما كانت تعرف في القديم.

قتل العنسي:

لم يكن قتل الأسود ميسورًا لضخامة جسده وشدة احتياطه بالحراس وبشياطينه، ولكن كانت قدرة الله أقوى منه فبعد أن استولى هذا المتنبئ الكذاب على صنعاء وقتل أميرها المسلم شهر بن باذان[٢] وتزوج بامرأته أيضًا وتسمى «أزاد» وكانت امرأة حسناء جميلة مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ ومن الصالحات[٣] وبعد أن قوي أمره لم تَطِبْ نفسه بالاقتصار على دعوى النبوة بل طمع في الألوهية فلقَّب نفسه «رحمن اليمن» وردد أتباعه هذا الاسم وظل هذا البغيض كذلك إلى أن جاءت كتب من النبي إلى أهل اليمن تأمرهم بقتل الأسود فقام معاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين وكان في الكتاب الأمر بقتل الأسود مصادمة أو غيلة وبعد مكاتبات بين أعيان أهل اليمن ومن بصنعاء من المسلمين قويت شوكة المسلمين ويذكر أهل التاريخ أخبارًا طويلة في كيفية قتل الأسود إلا أن خلاصتها نوجزها فيما يلي:

اشتور أربعة من المسلمين في كيفية قتل الأسود غيلة في داره بعد أن تم رأيهم على ذلك، وهم «قيس بن عبد يغوث، وفيروز، وداذويه» وبمساعدة زوجة شهر التي أخذها الأسود قهرًا وتزوجها بعد قتل زوجها. ففي ذات ليلة وبعد مداولات ومشاورات بينهم وبين زوجة شهر وحينما جاء وقت التنفيذ دخل فيروز دار الأسود

---

(١) تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٩٩ .

(٢) هكذا عند الطبري جـ٢ صـ٣٧٧ وعند ابن كثير جـ٦ صـ٣٠٨ «باذام».

(٣) البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٠٨ .

متخفيًا حيث وثب فيروز على الأسود وضربه بالسيف حتى قتله ثم احتز رأسه وقد قال النبي ﷺ حينما بلغه قتل فيروز الديلمي للأسود قال: «فاز فيروز»[١] مات في زمن عثمان، وقيل: بل في زمن معاوية بعد الخمسين[٢]. ثم احتار هؤلاء كيف يعلنون خبر قتله على الناس ثم اجتمعوا على النداء بذلك في الفجر نادوا بشعارهم ففزع المسلمون والكفار من هذا النبأ ثم أذنوا «أشهد أن محمدًا رسول الله وأن عبهلة كذاب» وألقوا إليهم رأسه ووقع قتل ونهب بين أصحاب الأسود وفروا إلى نجران ثم تراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم، وكان يصلي بهم معاذ بن جبل وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يبشرون بذلك فوصل الرسل إلى المدينة وقد توفي النبي ﷺ ولكن الله أعلمه بمقتل الاسود من ليلته التي قتل فيها وبشر النبي ﷺ أصحابه بذلك. وكأن الله عز وجل أراد أن يموت الرسول ﷺ وقد قرت عينه وارتاح قلبه واندفع همه ليطمئن على سير الإسلام من بعده.

قال في تهذيب الأسماء: «ذكر أن العنسيَّ قتل في حياة النبي ﷺ في مرض موته وقال خليفة بن خياط والواقدي وآخرون من أهل المغازي إنما قتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة إحدى عشرة وهو ما قواه الحاكم أبو أحمد»[٣].

ومما يذكر أن مدة تغلب العنسي كانت ثلاثة أشهر أو أربعة تقريبًا «وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول بعد موت النبي ﷺ فكان أول بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة» وقد علم الرسول ﷺ بقتل الأسود من ليلته التي قتل فيها جاءه الوحي بذلك وبشر أصحابه ﷺ وهدأت الأمور في اليمن وتغلب المسلمون إلا أنهم حينما علموا بوفاة النبي ﷺ انتفضت الأمور واضطربت الأرض[٤] لأنه لم يستقر في

---

(١) انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ صـ ٤٧٢ .

(٢) تقريب التهذيب جـ ١ صـ ٤٤٨ .

(٣) تهذيب الأسماء جـ ٢ صـ ٣٦٤ – ٣٦٥ .

(٤) أنظر كتب التاريخ / تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ١٨٥، تاريخ الكامل لابن الأثير جـ ٢ صـ ٣٣٦ – ٣٤١ ، =

نفوسهم بعد أن النبي ﷺ سيموت كما مات غيره من الرسل وإذا كان هذا الأمر قد أذهل مثل عمر رضي الله عنه فما بالك بهؤلاء؟!، والذي يهمنا الآن ذكره أنه قد انتهت حياة العنسي المجرم وكفى الله المؤمنين شره وأصبح الذي زعم النبوة والوحي طرافة بين الناس، ومن أقواله: «والمائسات ميسًا والدارسات درسًا يحجون جمعًا وفرادى على قلائص بيض وصفر»[(١)] ومن الغريب أن ينسب مثل هذا الكلام إلى الله وقد قيل:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

ومما ورد فيه وفي مسيلمة قول النبي ﷺ عن ابن عباس أنه قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال له: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت»** وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: **«وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت»** فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة»**[(٢)]. وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا علي فأوحي إليَّ أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء**

= البداية والنهاية جـ ٦ صـ ٣٠٧-٣١٠.

(١) عيون التواريخ – كما جاء في كتاب الدعاة صـ ٦١ لوجيه فارس الكيلاني – نقلاً عن ختم النبوة لأحمد سعد الغامدي صـ ٢١٢، وكتاب الدعاة من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين لم أعثر عليه رغم إلحاحي في طلبة.

(٢) صحيح البخاري جـ ٨ صـ ٨٩، ومسلم جـ صـ ١٣١ وأحمد جـ ٢ صـ ٣١٩.

وصاحب اليمامة»[١].

وفي رواية أخرى كذلك ذكرها البخاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[٢] وقد تحققت رؤية النبي ﷺ فذهب الأسود ومسيلمة كأنهما هباء شأن نهاية كل باطل.

قال النووي: «ونفخه ﷺ إياهما فطارا دليل لانمحاقهما واضمحلال أمرهما وكان كذلك وهو من المعجزات»[٣] كما أن نفخه لهما فطارا دليل على حقارة أمرهما واضمحلال شأنهما، وهذه بشارة للنبي ﷺ قبل موته بأن من ادعى النبوة فإنه سيذهب كالهباء، وهو ما وقع بالفعل وقد استنتج بعض العلماء فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه الذي قضى على مسيلمة بعد وفاة الرسول ﷺ وتلك الفضيلة هي إسناد القضاء على مسيلمة والأسود إلى نفس الرسول ﷺ وأن عمل أبي بكر كأنه من عمل النبي ﷺ وهكذا انتهت حياة الأسود العنسي وبقي المتنبئ الآخر وهو مسيلمة الذي سنذكر أمره فيما يلي:

٢- مسيلمة:

ادعى مسيلمة أنه نبيٌّ يوحى إليه وأخذ يكذب على الله بكلام تافه سخيف وبأساليب ركيكة. وقد وجد له آذانًا صاغية ممن اتخذ العصبية ممن لم يشرفهم الله بحب الإسلام والتعرف على تعاليمه وأحكامه المشرقة وقد ظل هذا المتنبئ على ضلاله ودعواه النبوة حتى قتل على ذلك في حديقته التي سماها حديقة الرحمن والتي صارت تسمى حديقة الموت بعد ذلك.

اسمه: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث الحنفي الوائلي.

قال ابن إسحاق: «ادعى النبوة سنة عشر[٤] ولقب نفسه «رحمن اليمامة» القرية.

---

(١) صحيح البخاري جـ٨ صـ٨٩، ومسلم جـ صـ ١٣١ وأحمد جـ٢ صـ٣١٩ .

(٢) صحيح البخاري جـ٨ صـ٩١ «باب قصة الأسود والعنسي».

(٣) شرح النووي لمسلم جـ٥ صـ١٣٢ .

(٤) تاريخ الطبري جـ٣ صـ١٢٧ ، البداية والنهاية جـ٥ صـ٥٠ .

التي ولد فيها. قال ابن حجر: «ويزعم.... في كتاب الردة أن مسيلمة لقب واسمه ثمامة. وفيه نظر؛ لأن كنيته أبو ثمامة فإن كان محفوظًا فيكون ممن توافقت كنيته واسمه [١] وكانت له معرفة بالسحر والنيرجات المعروفة في ذلك الوقت.

وكان بدء اشتهاره أنه جاء وفد من بني حنيفة إلى النبي ﷺ بالمدينة وكان مسيلمة معهم وله طمع شديد في الزعامة وقد أحاطه الوفد بهالة من التعظيم حيث جاءوا به إلى الرسول ﷺ وهم يسترونه بالثياب [٢].

وقد أيّد ابن حجر القول بأن مسيلمة كانت له مكانة قوية بين قومه وأنه على فرض صحة الرواية التي تقول بعدم مكانته بأن مسيلمة وفد على الرسول ﷺ مرتين:

الأولى: كان فيها تابعًا وكان رئيس بني حنيفة غيره وأخرى كان متبوعًا وخاطبه النبي ﷺ أو أن القصة واحدة وكان إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكبارًا أن يحضر مجلس النبي وعامله النبي معاملة الكرام على عادته في الاستئلاف فقال لقومه: «**إنه ليس بشرِّكم**» أي بمكانة لكونه كان يحفظ رحالهم» [٣].

وأقول والله أعلم إن قول الرسول ﷺ: «**ليس بشرِّكم**» أي: أنهم كلهم أشرار لميلهم بعد ذلك لاتباعه ونصرته والكفر بالإسلام فيكونون كلهم أشرارًا وهو مثلهم إذ هو واحد منهم.

ويظهر من الرواية التي تذكر أنهم جاءوا يسترونه بالثياب أنهم قد بيتوا النية للحصول على مكسب من النبي ﷺ ولهذا ردَّ النبي ﷺ طمعهم كما جاء ذلك في الرواية الآتية عن ابن عباس عن أبي إسحاق قال: حدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ تستره بالثياب ورسول الله جالس في أصحابه ومعه عسيب [٤] من سعف النخل في رأسه خوصات، فلما انتهى

---

(١) انظر فتح الباري جـ٨ صـ٨٩ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) العسيب: جريد النخل.

إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلم رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «**لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك**» (١).

ولعل هذه الرواية أقوى من الرواية الأخرى التي ذكرها ابن إسحاق أيضًا عن شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة قال: كان حديث مسيلمة على غير هذا زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانته فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا قال فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم وقال: «**أما إنه ليس بشركم مكانًا يحفظ صنعة أصحابه**» وذلك الذي يريد رسول الله قال: ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله فلما انتهى إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال: إني أشركت في الأمر معه وقال لوفده: ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني: «أما إنه ليس بشركم مكانًا» ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه، ثم جعل يسجع السجعات (٢).

وفي سنة عشر هجرية كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ كتابًا ادعى فيه أن الله قد ابتعثه كما ابتعث الرسول محمدًا ﷺ نفسه وأنه شريكه في النبوة والملك أيضًا ويقتسمان غلة الأرض مناصفة ليرضي رسول الله ﷺ بذلك فلا يتعرض له ظنًّا منه أن الرسول ﷺ يطلب غلة الأرض والملك.

وجاء في هذا الكتاب «من مسيلمة بن حبيب - انتسب هنا إلى جده - رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشًا قوم يعتدون» (٣) ويقصد بنصف الأرض «غلة

(١) تاريخ الطبراني جـ ٣ صـ ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق، والبداية والنهاية جـ ٥ صـ ٥١ .

(٣) هذه رواية الطبري وفي البداية جـ ٥ صـ ٥١ «ولكن قريشًا قوم لا يعتدون» ويظهر لي أن هذا الاستثناء يدل على حذف «لا».

أرض اليمامة» وفي هذا الكتاب من أنواع الجهل الشنيع أنه نسي الرسل واتجه إلى الهدف الذي يريده وهوالعلو في الأرض وطلب الزعامة وجمع المال في مقابل أن يعطي الرسول نصف غلة أرضه إرضاءً له حسب ما أملاه عليه تفكيره السطحي المتمثل في طمعه في المال والسلطة. وكان من خبر هذا الكتاب أن أرسله مسيلمة مع رجلين من أتباعه وحين قرأه الرسول ﷺ قال: «**فما تقولان أنتما؟**» قالا: نقول كما قال فقال: «**أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**».

ثم كتب إلى مسيلمة رد كتابه وفيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدي أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**»[١]. ولقد كان لمسليمة ساعد مخلص أضله الله على علم وهو رجل يسمى نهار الرحال أو الرجال بن عنفوة كما في بعض الروايات وكان من أمره أنه كان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن وتفقه في الدين فبعثه الرسول ﷺ معلمًا لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من أمر المسلمين فكان أعظم فتنة وشرًّا على بني حنيفة من مسيلمة حيث شهد له أنه سمع محمدًا رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه فصدقوه واستجابوا له وأمروه بمكاتبة النبي ﷺ ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه فكان نهار الرجال بن عنفوة لا يقول شيئًا إلا تابعه عليه[٢].

ومما جاء من الوعيد لهذا الشخص ما رواه الطبري يسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يومًا – وأبو هريرة ورجال بن عنفوة في مجلس عنده: «**إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد فهلك القوم وبقيت أنا والرجال فكنت متخوفًا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة**»[٣].

ومما يلاحظ أن الرسول ﷺ لم يرسل جيشًا لمحاربة مسيلمة ولعل مردَّ ذلك

---

(١) انظر لتلك الأخبار تاريخ الطبري جـ٣ صـ١٤٦ .

(٢) تاريخ الطبري جـ٣ صـ٣٨٢ .

(٣) أخرجه الطبري جـ٣ صـ٢٨٧، والبداية والنهاية جـ٦ صـ٣٢٣ .

إلى أن مسيلمة لم تكن له شوكة قوية ولم يجتمع عليه الناس ولم يشكل خطرًا في حياة الرسول ﷺ. ويحتمل أيضًا أن يكون النبي ﷺ كان ينوي أن يرسل إليه من يحاربه لولا أن توفي عليه الصلاة والسلام قبل تنفيذ ذلك.

تعاليمه:

أصدر لأتباعه عدة تعليمات تدل كلها على سفهه وطيشه، ومع ذلك كان يظهر الإيمان بنبوة محمد ﷺ خداعًا ومكرًا منه.

ومن تلك التعاليم:

١- وضع عنهم الصلاة - صلاتي الفجر والمغرب - مهرًا لسجاح المتنبئة.

٢- أحل لهم الخمر - كما في تاريخ الطبري - وعند ابن كثير أنه حرمه، ولعله حرمه على المتزوج المنجب كما تفيد بعض الروايات.

٣- أحل لهم الزنا.

٤- من أنجب ولدًا لا يصح له أن يأتي النساء إلا إذا مات ذلك الولد فله أن يطلب ولدًا آخر ثم يمسك.

وهو بهذا يكون قد خالف جميع العقلاء في أن هذه الأمور التي أباحها لا تخدم مصلحة الشخص لا في دينه ولا في دنياه، فالخمر تذهب العقول والمال، والزنا يشيع الفاحشة ويقضي على الأعراض والأسر وترابطها فأي خير في إحلاله لهذه المنكرات؟ وأي وحي ينزل بهذا السفه وحب الشهوات والفجور؟! وأي ضرورة تدعو لإخبار الفساق أن الوحي قد أباح لهم فعل هذه الجرائم التي هي من أساسيات حياتهم الخليعة؟!، وأما منعه من إتيان النساء فهي رهبانية كاذبة ومحاربة للفطرة ولن يستطيع أحد تنفيذ ذلك، ومن المحير أن يجرم إتيان النساء على من أنجب ولدًا ثم يحل له الزنا كما ذكرت روايات المؤرخين فهذا تناقض منه[1].

(١) تاريخ الطبري جـ٣ صـ١٣٨، وانظر البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٢٠ والكامل ج ٢ صـ٣٥٥.

نهاية مسيلمة:

وجه أبو بكر رضي الله عنه جيشًا لقتال مسيلمة وأمَّر عليهم عكرمة بن أبي جهل ثم أمده بشرحبيل لكن عكرمة استعجل قبل أن يصل شرحبيل فأنشب المعركة مع مسيلمة وأتباعه فانهزم وأخبر بذلك أبا بكر فكتب إليه أبو بكر كتابًا وقال فيه: «يا ابن أم عكرمة لا أرينك ولا تراني على حالها لا ترجع فتوهن الناس امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عمان ومهرة وإن شغلا فامض أنت ثم تسير وتسير جندك تستبرءون من مررتم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت، ثم سيَّر الصديق خالد بن الوليد إلى اليمامة وكان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل فالتقوا بمكان يسمى عقرباء فاقتتلوا أشد قتال وقع بين العرب وحمل بنو حنيفة على المسلمين فأزاحوهم ثم تراجع المسلمون فكرُّوا، على المرتدين كرة منكرة فانهزم المرتدون فقال أحد كبارهم: «يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة وهي حديقة مسيلمة الكذاب فقال البراء بن مالك ألقوني عليهم في الحديقة فأشفق عليه المسلمون لكنه أصر ثم ألقوه فيها فقاتل المرتدين عند باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين فدخلوا فاقتتلوا حتى وصلوا إلى مسيلمة فبادره وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار فقتلوه وقتل فيها عشرة آلاف مقاتل وقد قتل مسيلمة وعمره مائة وخمسون سنة كما يذكر الطبري أو مائة وأربعون كما يذكر ابن كثير وصدق ما أخبر به الرسول ﷺ قبل وفاته حين رأى في المنام نهاية مسيلمة والأسود العنسي كما تقدم ذلك فيما سبق.

٣- طليحة بن خويلد الأسدي:

قال الذهبي عنه: «البطل الكرَّار صاحب رسول الله ﷺ ومن يضرب لشجاعته المثل»، قال محمد بن سعد: «كان طليحة يعد بألف فارس لشجاعته وشدته»[١].

ادعى طليحة النبوة في آخر حياة النبي ﷺ وأخذ أمره يشتد قليلاً قليلاً وقد ساعده

(١) سير أعلام النبلاء جـ١ صـ٣١٧ .

عامل العصبية البغيضة على تمرده وخروجه عن الحق والتفاف قومه عليه عصبية جاهلية. خصوصًا وأن الناس كانوا يتطلعون في وقته إلى أي جديد يصدون به الامتداد الإسلامي أو نفوذ قريش كما كانوا يتصورون جهلاً منهم بحق محمد ﷺ وإرسال الله عز وجل؛ وقد أظهر عداءه للنبي ﷺ والمسلمين عمومًا بعد معركة أحد حيث ظن أن الفرصة مواتية له لهزيمة المسلمين فخاب أمله وبقى الإسلام قويًا – ليظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون.

اسمه: طليحة بن خويلد الأسدي من قبيلة بني أسد بن خزيمة.

قال جعونة بن مرشد الأسدي حين ادعى طليحة النبوة:

بني أسد قد ساءني ما فعلتم — وليس لقوم حاربوا الله محرم[1]

فإني وإن عبتم عليَّ سفاهة — حنيف على الدين القويم ومسلم

وقد اجتمعت على طاعة طليحة حين أعلن خروجه أسد وغطفان وطيء عصبية وخروجًا عن طاعة قريش بزعمهم، ولهذا قال عيينة بن حصن «نبي من الحليفين – يعني أسدًا وغطفان – أحب إلينا من نبي من قريش وقد مات محمد وطليحة حي»[2] وقد تحالف طليحة مع اليهود في غزوة الأحزاب وفي خيبر لكنه أصيب بخيبة أمل مريرة من جراء ذلك.

وقبل أن يموت النبي ﷺ بأيام «وجه ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئًا فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه، مع هوى بعض الناس فيه ونشر الدعايات له وحينما مات النبي ﷺ أخذ طليحة في تجميع أمره ونشر ترهاته وأسجاعه الكاذبة، وحينما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة وجه إليه جيشًا

---

(١) الإصابة جـ ١ صـ ٥٣٨ .

(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٢ صـ ٣٤٢ .

يقوده خالد بن الوليد رضي الله عنه. فالتقى المسلمون على «بزاخة» معسكر طليحة[١]. قال عبد الرحمن بن الأزور الأسدي لأخيه ضرار بن الأزور الصحابي حين كان ببلاد قومه لما ادعى طليحة النبوة ففارقه وقال يخاطب أخاه ضرارًا ويحرض الأنصار على جهاد من بالبطائح من أهل الردة بقصيدة أولها:

قد قلت للمرء الشقيق ضرار   طال البكاء لفرقة الأنصار

وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة فقاتلوا قتالاً شديدًا وطليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم.

فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له: هل جاءك جبرئيل؟.[٢] قال: لا! فرجع فقاتل ثم كر على طليحة فقال له: لا أبالك أجاءك جبرائيل؟ قال: لا! فقال عيينة حتى متى؟ قد والله بلغ منا ثم رجع فقاتل قتالاً شديدًا ثم كر على طليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال: لك؟ قال: قال لي: إن لك رحًا كرحاه وحديثًا لا تنساه، فقال عيينة قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه انصرفوا يا بني فزارة فإنه كذَّاب فانصرفوا وانهزم الناس، وفي رواية لياقوت أن طليحة قال لعيينة: «نعم قد جاءني وقال لي: إن لك يومًا ستلقاه ليس لك أوله ولكن لك آخره ورحًا كرحاه وحديثًا لا تنساه»[٣].

نهاية طليحة:

اشتملت حياة طليحة على نهايتين:

١- نهاية ادعائه النبوة   ٢- نهاية حياته.

ونبدأ بذكر نهاية ادعائه النبوة، وذلك أنه حينما اشتدت المعركة ورأى طليحة أن

---

(١) وذكر ياقوت أن بزاخة ماء لطئ بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني، ماء لبني أسد. معجم البلدان جـ١ ص٤٠٨ .

(٢) في معجم البلدان جـ١ صـ٤٠٨ هل جاء ذو النون.

(٣) معجم البلدان جـ١ صـ٤٠٨ .

الدائرة ستكون عليه كان قد أعد العدة للفرار فركب فرسه وأركب زوجته على بعير له ثم نجا بها وقال: يا معشر فزارة من استطاع منكم أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل ثم انهزم وهرب إلى الشام واستوطن في حلب ولم يزل عندهم إلى أن مات أبو بكر ولم يقابله حياءً منه. وحينما استخلف الناس عمر رضي الله عنه جاءه طليحة وبايعه فقال له عمر: أنت قاتل عكاشة وثابت؟ والله لا أحبك أبدًا فقال له: يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما فبايعه عمر وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان بالكير ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق.

ويذكر بعض أصحاب التاريخ أن طليحة كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره بتوبته ويلح لاعتذاره مما صدر منه من قصيدة قال فيها:

فهل يقبل الصديق أني مراجع ومعط بما أحدثت من حدث يدى

وإني من بعد الضلالة شاهد شهادة حق لست فيها بملحد[1]

ولكن ياقوتًا يقول في ذلك: «هرب طليحة فدخل جبًّا له فاغتسل وخرج فركب فرسه وأهلَّ بعمرة ومضى إلى مكة وأتى مسلمًا» ثم ذكر رواية أخرى قال فيها: «وقيل: بل أتى الشام فأخذه غزاة المسلمين وبعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده في فتوح العراق وقيل: بل هو قدم على عمر بعد وفاة أبي بكر مسلمًا فقبله»[2].

وبغضِّ النَّظر عن هذا الخلاف فإنه لا يخالف أحد في توبة طليحة ورجوعه إلى الإسلام وهو أهم ما في قضيته فقد أنقذه الله مما هو فيه من ترَّهات دعوى النبوة وأكاذيب الكهان. قال في تحفة الأحوذي: «قال الحافظ: وبنو أسد كانوا فيمن ارتد بعد النبي ﷺ واتبعوا طليحة بن خويلد الأسدي لما ادعى النبوة ثم قاتلهم خالد بن

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ صـ ١٢٩ .

(٢) معجم البلدان جـ ١ صـ ٤٠٨ .

الوليد في عهد أبي بكر وكسرهم ورجع بقيتهم إلى الإسلام وتاب طليحة وحسن إسلامه»[١].

تعاليمه:

أراد أن يحاكي أنبياء الله -عز وجل- في إلزام الناس بأمور ونهيهم عن أخرى حسبما يأمرهم الله به فأراد طليحة أن يدخل هذا الباب فجاء بأوامر ونواهٍ شاهدة ببطلان نبوته ومن تلك التعاليم:

١- أمر أتباعه بعدم السجود في الصلاة.

٢- أن يذكروا الله ويصلوا قيامًا.

٣- أن السجود ليس من العفة وذلك في قوله الذي زعم أن الله أوحاه إليه وقد قال لهم: «إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبيح أدباركم شيئًا فاذكروا الله أعفة قيامًا»[٢].

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال له: أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبيح أدباركم شيئًا فاذكروا الله قيامًا فإن الرغوة فوق الصريح فقال: يا أمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هدم الإسلام كله فلا تعنيف عليّ ببعضه فأسكت عمر[٣] نرجو الله عز وجل أن يعفو عنا وعنه.

وفاته:

أسلم طليحة في سنة تسع ثم ارتدَّ فكان اسلامه الحقيقي بعد هزيمته في بزاخة وحسن إسلامه وذهب إلى مكة واعتمر في أيام الصديق ثم رجع فكانت له جهود بارزة في القتال والشجاعة مع خالد رضي الله عنه، وقد كتب الصديق إلى خالد أن يستشير طليحة في الأمور الحربية ولا يؤمره يقول ابن كثير في تعليل ذلك: «يعني معاملته

(١) تحفة الأحوذي جـ٧ صـ٢٦ .

(٢) الكامل لابن الأثير جـ٢ صـ٣٤٤ .

(٣) معجم البلدان جـ١ صـ٤٠٨ .

بنقيض ما كان قصده من الرئاسة في الباطن وهذا من فقه الصديق ﷺ وأرضاه»[١].

وهكذا أيضًا فعل عمر ﷺ حيث كتب إلى النعمان بن مقرن فاتح نهاوند كتابًا قال له فيه: إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب واستعن بهم وأشر برأيهم[٢].

وسل طليحة وعمرًا وعمر ولا تولهم شيئًا، ولم تكن وصية الصديق هذه ووصية عمر ﷺ في شأن طليحة إلا وهما مقتنعان بحسن إسلامه وصدق توبته.

وتظهر بطولة طليحة وحسن إسلامه حين أرسله النعمان هو وعمر وعمرًا طليعة ليأتوه بالخبر فيما بينه وبين نهاوند وأوصاهم ألا يغلوا[٣] في أرض العدو. قال ابن جرير: فخرج طليحة بن خويلد، وعمر بن أبي سلمى العنزي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي فلما ساروا يومًا إلى الليل رجع عمر بن أبي سلمى فقالوا: ما رجعك؟ قال: «كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضًا عالمها» ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو فقالوا: ما رجعك؟ قال: سرنا يومًا وليلة ولم نر شيئًا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس: ارتد الثانية ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند وبين الطزر[٤] ونهاوند بضعة وعشرون فرسخًا فعلم علم القوم واطلع على الأخبار ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبر الناس فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه فقال: والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر[٥] العجم الطماطم هذه العرب العاربة فأتى النعمان فدخل عليه فأخبره الخبر وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فنادى عند ذلك النعمان

---

(١) البداية جـ٦ صـ٢١٨ .

(٢) في تاريخ الطبري «واشرب برأيهم».

(٣) أي: لا يتعمقون.

(٤) الموضع الذي فيه النعمان وجيشه.

(٥) أي يجعلهم ذبائح للعجم.

بالرحيل فأمرهم بالتبعية»[١]. وقد كان من أصحاب الرأي والمشورة في تلك الحروب التي فتح الله بها قلوبًا غلفًا وأسمع آذانًا صمًّا ودخل الناس في دين الله أفواجًا وحلَّ نور الإسلام في تلك البقاع محل الظلم والظلام. وأنجبت تلك البلدان من كان نورًا في الإسلام وفخرًا للمسلمين وخدموا العقيدة الإسلامية خدمة كبرى. وهكذا انتهت حياة طليحة بالجهاد في سبيل الله وصدق التوبة، وكان إذا ذكر أيام دعواه النبوة استغفر وشكر الله على الهداية، وتذكر الروايات التاريخية أنه سقط شهيدًا في معركة نهاوند غفر الله لنا وله.

* * *

(١) تاريخ الطبري جـ ٤ صـ ١٢٨ .

الفصل الثاني..

المتنبؤون بعد وفاة النبي ﷺ في زمن الصحابة

المتنبئون بعد وفاة النبي ﷺ في زمن الصحابة..

تمهيد:

لم تنته الرغبة في التطلع إلى النبوة فكلما ضعف الإيمان في النفوس واشتد الجهل وقويت العصبية البغيضة ونشط أعداء الإسلام لمحاربته واشتدت شهية الراغبين في الزعامة والعلو في الأرض، كلما حصل ذلك ظهر قرن الشيطان وقوي التعاون بين شياطين الإنس والجن لإغواء الناس وإخراجهم عن دينهم إن استطاعوا ولن يستطيعوا إن شاء الله ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾(١) لأن الله غيورٌ على دينه. ولقد ظهر الكثير من هذا الصِّنف من الناس في مختلف الأزمنة وتفاوتوا في القوة والضعف كما سنرى في استعراض حياة هؤلاء من خلال دراستهم وبيان حجم قوة كل واحد منهم ومصيره من عصر الصحابة فمن بعدهم إلى وقتنا الحاضر.

وقد عرفت مما سبق أنه قام في عصر النبي ﷺ أولئك الأشخاص الذين ادعوا النبوة، وبعد وفاته ﷺ قام كثيرون ممن ادعوا النبوة في مختلف العصور، منهم من كان له تأثير وشوكة قوية ومنهم من كان دون ذلك، ولم يفلت المسلمون أيَّ واحد منهم بل حاربوهم بشتى أنواع الحرب فمنهم من بطشوا به بحد السيوف. ومنهم من اكتفوا بإعلان مخازيهم وفضحهم لعدم شوكتهم، وهكذا سارت الأمور وسيبقى الحال هكذا دائمًا إلى نهاية حياة البشر، حرب قائمة بين الخير والشر على امتداد تاريخ البشرية، ولله حكمة بالغة في ذلك إذ لو شاء لهدى الناس جميعًا، ولا يزال أمر مدعي النبوة في ضعف وزلٍّ ما دام الجهاد قائمًا بين المسلمين وبين أعداء الدين، ولنا عبرة وعظة كبرى بما مضى من تاريخ البشر فإنه ما من شخص ادعى النبوة وهو كاذب إلا فضح الله أمره وقامت عليه الحجة بسلوكه واعتقاده، وكان ذلك سببًا في

(١) سورة المائدة آية: ٦٤ .

هلاكه وهلاك أتباعه ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾(١) ولئلا يكون للناس على الله حجة فإنه لا أحد أحبُّ إليه العذر من الله تعالى. وإذا كان أمر ادعاء النبوة قد وجد في حياة النبي ﷺ فما بالك بعد وفاته؟!! خصوصًا وأنه كلما تقادم عهد النبوة كلما طلع قرن الشيطان وقوي الانحراف والرغبة في العلو بغير الحق، واستمر خروج المتنبئين بعد زمن الرسول ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين ثم في عهد الدولة الأموية ثم العباسية ومن هؤلاء من خطر أمره وكانت له شوكة حتى تم قضاء الله عليه، ومنهم من كان يدَّعي النبوة ثم يضمحل أمره ويصبح فكاهة يتندر الناس بأخباره في مجالسهم، ومنهم من ادعاها تظرفًا ومجونًا، ومنهم من أراد مجرد لفت النظر إليه.

وسنذكر إن شاء الله ما يتيسر لنا الاطلاع عليه من أخبارهم مع مناقشة أقوالهم وأفكارهم، وليس المقصود فقط مجرد قصص هؤلاء، وإنما الهدف هو الاعتبار وبيان حفظ الله لهذا الدين رغم ما يبذله أعداؤه ضده من محاولات ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا. فإن الوقوف على هذه المخططات الرهيبة وعلى سِيَرِ أصحابها وكيف أخفقوا وحيل بينهم وبين ما يشتهون آية من آيات الله، بل هي من الأمور التي تزيد المؤمن بصيرة وزيادة في إيمانه وصدق نبيه محمد ﷺ والوقوف على مزايا القرآن العظيم الهائلة خصوصًا حينما يقارن بينه وبين ما يزعمه أولئك الفجار من الوحي الذي يتلقونه عن شياطينهم مما تشمئز النفوس من سماعه ويبعث على الغثيان والنفور الشديد من تركيبه وركاكته، وفي عهد الدولة الأموية كانت للمتنبئين حركاتهم المستمرَّة أيضًا. وحينما بدأت الدولة العباسية في سنة ١٣٢هـ عندما تولى أول خليفة فيها وهو أبو العباس السفاح استمر أدعياء النبوة في الظهور مع امتداد زمن الدولة العباسية التي استمرت قائمة بغضِّ النظر عن قوة الخلفاء فيها أو ضعفهم إلى سنة ٧٤٠هـ تقريبًا حينما سقطت على يد آخر الخلفاء فيها وهو الخليفة المستكفي بالله بعد أن أذن الله بنهاية دولتهم وقيام دولة أخرى على أنقاضها، ولكن أدعياء النبوة

(١) سورة الأنفال آية: ٣٧ .

لاقوا نفس المصير الذي لقيه أسلافهم من قبل بكل حزم وقوة على أيدي الخلفاء والحكام في كل المناطق، وبعد نهاية الدولة العباسية وقيام حكام آخرين خلفًا عن خلفاء بني العباس ثم ظهور الدولة العثمانية ظهر متنبؤون ولاقوا نفس المصير أيضًا، وبعد نهاية الدولة العثمانية وإلى وقتنا الحاضر والمتنبئون يخرجون بين وقت وآخر ولكنهم مخذولون ومنبوذون من قبل أهل الدين في ذلٍّ وصغار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يهمنا من تاريخ الدول المتعاقبة إلا جانب واحد في هذه الدراسة ذلك هو بيان هذا الجانب السيئ في الفترات التي ظهر فيها المتنبؤون سواءً أكانوا أصحاب شوكة ونفوذ أم مجرد خروج ضعيف على أي صورة كان؛ لأن الغرض هو بيان حال هؤلاء وأخذ العبرة من تلك الحوادث والاطلاع على تلك الأخبار وإظهار الأهداف والنوايا لكل أولئك؛ والاطلاع على المصير الذي ساقهم الله إليه، والاطمئنان على أن الله حافظ دينه كما أخبر بذلك مهما تعددت أسباب الكفر، ومهما تنوعت الدعايات الباطلة وهذا أمر مهمٌّ في هذه الدراسة وليس المقصود مجرد ذكر قصصهم كما تقدم أو معرفة نهاية حياتهم بطريقة قصصية فالغرض هو الاعتبار ليقف كل من تطوّع له نفسه الأمارة بالسوء على مصيرهم وما لاقوه في هذه الدنيا قبل الآخرة فينفر ويخاف أن يرد مواردهم أو يستحسن أفعالهم إذا كان يعتبر بغيره؛ لأن العاقل كما هي العبارة المشهورة عند الناس: «من اتعظ بغيره».

ونهدف كذلك إلى قطع الشك والوساوس إذا وجدت في نفس أيِّ شخص في انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ أو استمرارها فإن معرفة الشَّرِّ يقي من الوقوع فيه على حدِّ ما ورد عن حذيفة رضي الله عنه حين قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[١] الحديث.

نعم بعد وفاة النبي ﷺ كانت مسألة النبوة محطَّ أنظار كثير ممن استهوتهم الشياطين حيث تصوَّر هؤلاء المتنبؤون أن أمر النبوة لا يحتاج إلى أكثر من قليل من

(١) جزء من حديث عن حذيفة رواه البخاري جـ١٣ صـ٣٥ .

الذكاء واستجلاب الناس حول دعوى الوحي والإلهام مع فصاحة اللسان وليِّ الكلمات بها كما فعل أهل الكتاب الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

مع الاستناد أيضًا إلى السجع المتكلف وزخرف القول غرورًا، ولكن الله تعالى - وهو المتكفل بحفظ دينه إلى يوم الدين - غالبٌ على أمره ولن يمكن أحدًا من تغيير الدين الذي ارتضاه لعباده وأكمله لهم مهما تكالبت على المسلمين قوى الشَّرِّ ومهما بذلوا من الأموال ومهما تفننوا في وضع الخطط الكثيرة. لقد ابتلي المسلمون على طول تاريخهم بمؤامرات كثيرة وتخطيطات متتابعة فلا تفشل مؤامرة إلا وتقوم أخرى منذ أن بزغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، ومع تلك المؤامرات الكثيرة والتخطيطات الرهيبة فإن أصحابها كانوا بالنسبة للإسلام:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يُضِرْها وأوهى قرنه الوعل

لقد حاربه أعداؤه ظاهرًا وباطنًا وكان أكثر حربهم له وهي أشد أنواع الحرب وأخطرها اللجوء إلى ضربه من الداخل حيث أوعزوا إلى كبار مجرمي البشر بأن يدَّعوا النبوة ثم أمدوهم بالأموال والأفكار وأحاطوهم بهالة من التعظيم ليرفعوا من شأنهم في أعين الناس وفعلوا كل ما في وسعهم لانتشار تلك الدعوات لكنها كلها باءت بالفشل. لقد أوجد أعداء الإسلام أقزامًا يدَّعون النبوة بكل جرأة وعندهم الاستعداد التام أيضًا للإقدام على الكذب على الله وعلى رسوله وخداع المسلمين طمعًا في الزعامة والعلو وهو الأمر الذي أثار شهيتهم أيضًا لدعوى النبوة حينما وجدوا من يساعدهم من شياطين الإنس الذين هم على شاكلتهم إضافة إلى جهل وحمق مدعي النبوة بعظم هذه المنزلة وأنها أعلى مما يتصورون. وإن كانت نظرتهم

---

(١) سورة آل عمران آية: ٧٨ .

كلها موجهة إلى الزعامة والحكم وقد تمَّ لبعضهم ذلك وحيل بين آخرين وما يشتهون. وسيلقى كلُّ إنسان ما قدم مسجلاً عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وسنبين في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى كيف قابل المسلمون مدعي النبوة بمواقف مختلفة ملأها التهكم والاستهزاء لمن قلَّ شأنه، والسيف والتنكيل لمن خطر أمره حماية للدين ونصحًا لله تعالى ولرسوله ﷺ ولعامة المسلمين ليكون الدين كله لله ولو كره الكافرون[1].

وستشتمل الدراسة - إن شاء الله - عن كل متنبئ على الأمور الهامة مثل:

١- ترجمة لكل متنبئ.

٢- وذكر طرف من أخباره.

٣- وبيان موقف الناس منه.

٤- والأضرار التي نتجت عن دعوته على الفكر والمجتمع الإسلامي.

٥- بيان نهايته هو وأتباعه.

* * *

(١) انظر «ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة» للمودودي حيث نقل عن علماء الإسلام ما قالوه في قضية «ختم النبوة» تحت عنوان «إجماع الصحابة» صـ ١٩، و«إجماع علماء الأمة عليها» صـ ٢٢.

١- المتنبئ ذو التاج «لقيط بن مالك الأزدي»:

ظهر هذا المتنبئ في عمان واستولى على عمان في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد اجتمع له جمع كثير من الناس فأرسل أبو بكر رضي الله عنه حذيفة بن محصن الغلفاني الحميري وعرفجة البارقي الأزدي إلى عمان ثم أرسل على إثرهما عكرمة بن أبي جهل من اليمامة لمساعدتهما ولما علم بهم لقيط استعد بجيشه وعسكر في «دبا» فالتقى جيش المسلمين وجيش لقيط بها فاقتتلوا قتالاً شديدًا فانتصر ذو التاج وقويت معنويات جيشه وظهر الانكسار في المسلمين، وبينما هم كذلك إذا بالخريت بن راشد في بني ناجية وغيرهم فتقوى بهم المسلمون والتحموا في معركة شرسة انهزم فيها المشركون شر هزيمة وقتل منهم عشرة آلاف وغنم المسلمون مغانم وسبيًا كثيرًا فقسموها وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

* * *

(١) انظر أدعياء النبوة صـ ٩٨، ٩٩ .

٢- سجاح بنت الحارث

ادعت هذه المرأة النبوة وكانت نصرانية راسخة فيها [1] والتف حولها خلقٌ كثير من قومها بني تغلب ومن غيرها مستغلة أحداث وفتن الردة وأخافت من جاورها من القبائل وأرادت أن تلتهم اليمامة مقر مسيلمة فوصلتها وكان لها مع مسيلمة أحداث سنذكرها فيما بعد:

اسمها: سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية ولدت في عائلة من الزعماء نشأت على جانب من الذَّكاء وقوة الشخصية وحب الزعامة كان لها طموح ورغبة في الزعامة، وساعدها انضمام نصارى بني تغلب التي تنتمي أمها إليهم بينما ينتمي أبوها إلى بني يربوع وكان لوقوف بني تغلب معها والتفافهم حولها لأطماع اجتماعية وسياسية. ومن العجيب أن الأنفة التي اتصف بها العرب من عدم الخضوع للنساء لم تقف دون استسلامهم لها مما يوحي بعلامة استفهام، وربما كان أغلبيتهم ممن كان يئد البنات خوف العار قبل الإسلام لأنفة الجاهلية التي كانت في أكثرهم فما هو السِّرُّ في استسلام هؤلاء الأتباع لها؟ مما يدل دلالة واضحة أنهم كانوا يريدون من ورائها تحقيق أغراض وتصفية حسابات قديمة مع مناوئين لهم. فأرادوا الاجتماع عليها وإتمام ما يريدونه.

أما سجاح فقد كتبت إلى مسيلمة تخبره بأنه لا يمكن أن يجتمع نبيَّان في آن واحد ودعته للمناظرة العلنية بين قوميهما فمن غلب تبعه الآخر.

اللقاء بين سجاح ومسيلمة:

قال ابن حجر عنها: «وهي امرأة من بني تميم ادعت النبوة أيضًا فتابعها جماعة من قومها ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوجها واجتمع قومها وقومه على طاعة

---

(١) تاريخ الطبري جـ٣ صـ ٢٧٢ حوادث سنة ١١ هـ.

مسيلمة»[١].

وقد اختلف الرواة في الطريقة التي تم بها اجتماع هذين الماكرين المتنبئين. فرواية تذكر أن سجاح بنت الحارث عقدت العزم على دخول اليمامة فعلم بذلك مسيلمة وخاف منها فأعمل حيلته الثعلبية بأن أرسل لها هدية يستأمنها على نفسه ويتودد إليها ليأتيها فمالت إليه وأذنت له وآمنته فجاءها وافدًا في أربعين من بني حنيفة فاجتمع بها فقال: «لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت وقد ردَّ الله عليك النصف الذي ردت قريش فحباك به وكان لها لو قبلت».

ورواية أخرى تذكر أن مسيلمة لما نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها فقالت له سجاح: انزل قال: فنحى عنكِ أصحابكِ ففعلت فاختلى بها وكان قد ضرب لها قبة: وجمرها بأنواع الروائح الطيبة لعلها تذكر الباه. فلما دخلت القبة نزل مسيلمة فقال: ليقف ها هنا عشرة وها هنا عشرة ثم دارسها وقد ارتخى منها كل عضو لتلك الروائح الكثيرة فقال لها: ما أوحي إليك؟ فقالت: هل تكون النساء يبتدأن؟ ولكن أنت قل ما أوحي إليك قال: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشي». قالت: وماذا أيضًا؟ قال أوحي إلى «أن الله خلق النساء أفواجًا وجعل الرجال لهن أزواجًا فنولج فيهن قعسًا إيلاجًا ثم نخرجها إذا نشاء إخراجًا فينتجن لنا سخالاً إنتاجًا» قالت: أشهد أنك نبي قال: هل لكِ أن أتزوجكِ فآكل بقومي وقومك العرب.

قالت: نعم فأنشدها أربعة أبيات من الشعر في غاية الفحش لم أرغب في إثباتها هنا لسخافتها ثم تزوج بها ومكثت عنده ثلاثة أيام ثم كرَّت راجعة إلى قومها فسئلوها عن أمرها مع مسيلمة فقالت: إنه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقًّا فاتبعته وتزوجته قالوا: فهل أصدقك شيئًا؟! قالت: لا قالوا: فارجعي واطلبي صداقًا فإنه قبيح بمثلك أن لا يكون لها صداق فرجعت، وتذكر الرواية أن مسيلمة حين رآها راجعة أغلق

(١) فتح الباري جـ٨ ص ٩١

الحصن ظنًّا منه أنها نكثت فطمأنته أنها رجعت تريد صداقها فاستدعى مؤذنها وقال له: ناد في أصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد رفع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد؛ صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر[1] ويذكر صاحب الأغاني أن بني تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ويقولون: هذا حقٌّ لنا ومهر كريمة منا لا يرد[2] ». وربما حصل من هؤلاء هذا الفعل والقول في زمنه قبل رجوعهم جميعًا إلى الإسلام في حرب خالد لهم، والله أعلم.

نهاية سجاح :

بعد أن سيَّر الصِّديق الجيوش لحرب المرتدين وكتب الله الظفر انطفأت فتنة سجاح على يد سيف الله خالد بن الوليد الذي شتت جمعهم وقتل أشرارهم فإنه بعد هزيمة مسيلمة وقتله مكثت سجاح مع قومها بني تغلب حتى كان عام الجماعة فنقلهم معاوية إلى الكوفة وجاءت معهم وأسلمت وحسن إسلامها[3].

وذكر ابن الأثير أنها انتقلت إلى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة وذكر ابن الأثير رواية أخرى في نهايتها بقوله: «وقيل: إنها لما قتل مسيلمة سارت إلى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر »[4]. وقيل: إنها تزوجت رجلاً من الصحابة.

ومهما كان فقد كان لها دور وصولة وجولة، وإذا كان قد اشتد ساعدها حتى خافها مسيلمة فلا شك أنها كانت لها شوكة لولا أن لطف الله بالمسلمين ونصرهم على جحافل الكفر كلها ليتمَّ ما أخبر به عز وجل حين أخبر عن الإسلام بأنه سيظهر

---

(١) فتح الباري جـ٨ صـ٩١ .

(٢) تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٧٤ الكامل جـ٢ صـ٢٥٦ .

(٣) الأغاني ١٦٥ : ١٨ - ١٦٦ والله أعلم بصحة هذا.

(٤) الكامل جـ٢ صـ٣٥٧ .

على الدِّين كله ولو كره الكافرون. فقد أظهر وله الحمد والثناء على أيدي أولئك الرجال الذين شرَّفهم بطاعتهم له ونصره لهم.

ومن أسجاعها التي كانت تزعمها :

قولها في تحريض جيشها على غزو اليمامة مكان مسيلمة: «عليكم باليمامة، دفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة»[1] بل لقد لحقتهم بعدها ملامات وليست ملامة.

وقولها: «أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونها حجاب»[2].

وبانتهاء فتنة سجاح خمدت فتنة التنبؤ في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ودخل الناس في دين الله أفواجًا وعلت راية الإسلام خفاقة في كل أرض العرب لتثور بعد ذلك في أشكال مختلفة وفي أماكن متفرقة فتن مختلفة المآرب كما سيتضح من دراستنا إن شاء الله تعالى لهذه القضية.

٣-المختار:

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي الكذاب ١-٦٧ هـ ولد بالطائف في السنة الأولى للهجرة، وقتل سنة ٦٧ هـ على يد مصعب بن الزُّبير وكان والد المختار من أجلة الصحابة[3] وله أخبار طويلة ومواقف عديدة مع ابن الزبير وابن زياد، وقد لقب بعض العلماء المختار بـ «كيسان» وهو اسم للغدر[4] في اللغة العربية، استشهد والد المختار في معركة الجسر الشهيرة، وكان المختار لا يزال صغيرًا فقام بكفالته عمه سعد بن مسعود الثقفي الذي كان أميرًا على المدائن لعلي بن أبي طالب، وقد نشأ المختار على جانب من

(١) تاريخ الطبري جـ٣ صـ ٢٧٢ الكامل جـ٢ صـ ٣٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري جـ٣ صـ ٢٧٠ .

(٣) انظر تحفة الأحوذي جـ٦ صـ ٣٨٦ .

(٤) القاموس المحيط جـ٢ صـ ٢٥٧ .

الذكاء وحب الزعامة والتطلع بلهفة إلى أن يشار إليه بالبنان ولذلك ركب كل صعب وذلول للوصول إليها ولم يبالِ في سبيل الحصول عليها بأي ثمن حتى وإن كان دينه.

بدء شهرته: لم يكن للمختار منهج واضح بل كان كثير التلون مخادعًا أظهر التَّشيُّع ليستميل قلوب الناس في الشيعة إليه. وتمَّ ذلك مع أنه لم يكن شيعيًّا صادقًا لأهل البيت وإنما أظهر التشيع ليحتطب في حبله، ويمكن أن نقسم سيرته إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول: صلته بابن زياد:

وتبدأ هذه الصلة من مجيء الحسين بن علي ﷺ إلى العراق بطلبٍ منهم ليولوه الخلافة بزعمهم ثم غدروا به وقتلوه كما بيَّنه أهل التاريخ ففي أثناء خروج الحسين علم به المختار فأحب أن يدلي بدلوه معه لعله يتحصل على مأرب من مآربه لكنه أفلس فقد علم عبيد الله بن زياد بأمره مع الحسين وأنه يريد نصرته والانضمام إليه. وأنه مختفٍ في مكان قرب الكوفة وبعد البحث عنه جيء به إلى ابن زياد فعنَّفه ثم رماه بعمود كان في يده فشطر عينه ثم أمر به إلى السجن حتى ينظر في أمره فلبث في السجن مدة ثم شفع فيه زوج أخته عبد الله بن عمر إلى يزيد فكتب إلى ابن زياد بإطلاقه من السجن فأخرجه ابن زياد بشرط إن وجده في الكوفة بعد ثلاثة أيام يضرب عنقه، ولو كان ابن زياد يعلم ما يخبئه له القدر على يد المختار لضرب عنقه قبل أن يخرجه من السجن ولتغدى به قبل أن يتعشى المختار به ولكن حكمة الله وقضاءه نافذ.

الدور الثاني: صلته بابن الزبير:

وحينما أطلق ابن زياد المختار فرَّ هاربًا على وجهه ميممًا شطر مكة للاجتماع بابن الزبير وأخذ يتلطف له ليحصل على ولاية ما، ولكن ابن الزبير كان يعلم الكثير عن المختار وعن تلونه وغروره وغدره فماطله بسبب ظروف كان يمرُّ بها ابن الزبير أثناء حصار أهل الشام له وبقي كذلك حتى ملَّ المختار البقاء جوار ابن الزبير وواتته الفرصة أيضًا للرجوع إلى الكوفة حين بلغه كلام أهل الكوفة عنه من رغبتهم في

مجيئه إضافة إلى حركة الاضطراب داخل البيت الأموي حول اختيار الخليفة فوصل إلى الكوفة وهو الدور الثالث له.

الدور الثالث: المختار في الكوفة واشتداد ساعده بها:

ويبدأ هذا الدور من رجوع المختار إلى الكوفة إثر وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية وظهور الانقسام والفتن في البيت الأموي في شأن الخلافة ثم انتقالها إلى الفرع المرواني بدلاً عن السفياني وفي هذه الأثناء رجع ابن زياد إلى دمشق للمشاركة في النظر في أمر الخلافة وترك العراق. فكرَّ المختار راجعًا إليه مغتنمًا الفرصة.

وقبل أن يصل إلى الكوفة أخذ يصول ويجول ويملأ الأسماع بأنه مرسل من محمد ابن الحنفية – وقد كذب في ذلك – للأخذ بثأر الحسين ﵁ وما إن سمع به أهل العراق الذين كانوا على أحرَّ من الجمر وفي أقصى الألم والندم على قتل الحسين حتى أسرعوا بالانضمام إلى المختار فورًا دون التأكد من محمد ابن الحنفية وذلك لهوًى في نفوسهم للانقضاض به على قتلة الحسين فبدأ بإخراج عامل ابن الزبير على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي، وأراد أن يتحاشى مصادمة ابن الزبير فكتب إليه أنه لم يخرج عامله إلا لأنه لا يصلح للحكم في أهل الكوفة واتهمه بأنه مداهنٌ لبني أمية، ولكن ابن الزبير لم يكن من الغفلة عن مطامعه ليصدقه فشدد الرد عليه أخيرًا بعد أن تريث في أمره فترة فأعلن المختار استقلاله بالكوفة والعراق عمومًا وتوالت عليه وفود التأييد وازدادت قوته يومًا بعد يوم، وسارت الرياح كما يحب وفي تلك الأثناء استتبت الخلافة لبني أمية – الفرع المرواني فكون عبد الله جيشًا لحرب المختار يقوده رجل من أشد المبغضين لدى أهل العراق – ولا شك أن الحال كان يقتضي أن يرسل إليهم قائدًا إن لم يحبه أهل العراق فلا أقلَّ من أن لا يعرفوا شيئًا عنه فأما أن يرسل ذلك الجيش ويقوده ذلك القائد البغيض لهم فإنها سقطة في الاختيار فإن أهل العراق كانوا ينظرون إلى هذا القائد الجديد القديم وهو ابن زياد كمكسب جاءهم بنفسه ليقيدوا منه للحسين. وحينما علم المختار بجيش

الخلافة الأموية أرسل من قبله جيشًا يقوده رجل له شهرة حربية وبغض للدولة الأموية وميل شديد لأهل البيت -كما وصف- وهو إبراهيم بن الأشتر النخعي والتقى الجيشان في الموصل فدارت الدائرة على ابن زياد وتفانى أصحاب المختار في الوصول إلى ابن زياد فتم لهم ذلك ووصلوا إليه وقتلوه ثم أرسلوا برأسه إلى المختار!!!

وتلك الأيام نداولها بين الناس ثم أخذ المختار يتوسع ويضيف إليه ما يقتطعه من البلدان، وكان عليه أن يقابل ذلك بالشكر والصبر على النعمة ولكن نفسه لئمت عن ذلك وقادته إلى حتف أنفه بِصَلَفِه كما يقال.

نهاية المختار:

حينما انتصر المختار في العراق أعجبته نفسه ولم يصبر على النعمة التي هو فيها. فأخذت نفسه تطمح إلى أعلى من الملك وهو دعوى النبوة التي كان بادعائها قد حكم على شخصه ووجوده بالإعدام والإهانة. فبدأ يلفق كلامًا ويفعل أمورًا يوحي بها إلى الناس على أنها من الله وهي من السجع المتكلف والإخبار بالمغيبات وهو في الحقيقة قد وقع في قبضة السبئيين الذين زينوا له كل ما يفعله حتى دعوى النبوة، فاستوحش منه أهل الكوفة حينما فعل هذه الأمور وأمورًا أخرى من حطِّه لشأن كبار أهل الكوفة ورفع شأن عبيدهم عليهم فحقدوا عليه وتمنوا أن تأتي أية قوة لحربه لينضموا إليها وما هي إلا أيام فإذا ابن الزبير يرسل إلى العراق جيشًا يقوده مصعب ابن الزبير لاسترداد العراق من المختار وإرجاعه إلى خلافة ابن الزبير. وما إن قارب مصعب العراق حتى انضم إليه أولئك الوجهاء الحاقدون على المختار فدارت معارك بينهم انهزم المختار في آخرها وقتل سنة ٦٧هـ وأراح الله منه العباد والبلاد وظهر كذبه وتمويه السبئيين عليه وصدقت معجزة الرسول ﷺ في إخباره عنه بأنه كذاب ثقيف حيث يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**» قال في تحفة الأحوذي: «كذاب قيل: هو المختار ابن أبي عبيد الزاعم أن

جبريل يأتيه» إلا أن المناويَ قد ضعَّف سند الحديث[١].

دعوى المختار نزول الوحي عليه:

يذكر العلماء أن المختار كان يزعم للناس بأن الوحي ينزل عليه، وأحيانًا يصرح، وأحيانًا يلمح بنبوته، وأخذ يسجع لهم ويزعم أن جبريل هو الذي يأتيه بالوحي[٢].

وروى الإمام أحمد عن رفاعة القتباني قال دخلت على المختار فألقى إلي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك قال: فأردت أن أضرب عنقه قال: فذكرت حديثًا حدثنيه أخي عمر بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما مؤمن أمّن مؤمنًا على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء**»[٣]. ويذكر أن ابن عمر[٤] حينما قيل له: إن المختار يزعم أن الوحي ينزل عليه قال: صدق!! قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[٥].

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده وكان يتعاهد مبيتي بالليل قال: فقال لي: اخرج فحدث الناس قال: فخرجت فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟ فقلت: الوحي وحيان؛ قال الله تعالى: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا**﴾[٧] قال فهمّوا أن يأخذوني فقلت: ما لكم وذاك إنّي مفتيكم وضيفكم فتركوني، وإنما أراد عكرمة أن يعرِّض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي

(١) انظر تحفة الأحوذي جـ٦ صـ٣٨٦.

(٢) البداية والنهاية جـ٨ صـ٢٩١.

(٣) المسند جـ٥ صـ٤٣٧.

(٤) البداية والنهاية جـ٨ صـ٢٩١.

(٥) سورة الأنعام آية: ١٢١.

(٦) سورة يوسف آية: ٣.

(٧) سورة الأنعام آية: ١١٢.

ينزل عليه»[١].

ومن المحير أن ابن كثير - وهو يذكر هذه الأمور عن المختار - لم يجزم بادعاء المختار للنبوة مع جزمه بادعائه للوحي وذلك في قوله عن المختار: «وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه ولكن ما أدري هل كان يدَّعي النبوة أم لا؟ [٢]» ثم شرع في بيان مخازي المختار التي تدل على فجوره وخروجه عن الحق. بينما هو يذكر قبل هذا الكلام قوله عنه: «بل كان كاذبًا يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل» بينما نجد آخرين من العلماء يشككون في دعوى المختار ونزول الوحي عليه مثل البغدادي الذي قال عنه: «فلمَّا تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين إلى حدود أرمينية تكهَّن بعد ذلك وسجع كأسجاع الكهنة وحكى أيضًا أنه ادعى نزول الوحي عليه [٣] » ولكنه بعد قليل من كلامه هذا قال: «ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له: أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه وزعم أن الوحي ينزل عليه»[٤].

ومن العلماء من جزم بادعاء المختار النبوة[٥] ولم يتشكك في ذلك، ويذكر الطبري كتابًا للمختار إلى الأحنف بن قيس قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس أما بعد فويل أم ربيعة ومضر فإن الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر، وقد بلغني أنكم تكذبوني وإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلي ولست أنا خيرًا منهم». ولم أر للطبري كلامًا حول هذا الموضوع إلا تلك الرواية، ومنها إشارة قوية إلى ادعائه النبوة وكذا ما يذكره عنه

(١) البداية والنهاية جـ٨ صـ٢٩١ .

(٢) البداية جـ٨ صـ٢٩٢ .

(٣) الفَرْقُ بين الفِرَقِ صـ٤٦ .

(٤) الفرق بين الفرق صـ٤٧.

(٥) انظر كتاب الفرق والمذاهب لشيبة الحمد صـ١٥٧ .

الشِّهرستاني حول بيان تعلق المختار بالقول بالبداء على الله وذكر السبب في ذلك، وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدَّعي علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي يوحى إليه، وإما برسالة من قبل الإمام، ويقصد الإمام هنا محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب الذي استغل المختار الدعاية له، وزعم أنه يؤيده على كل أفعاله وقد تبرأً منه ابن الحنفية حينما رآه وقد تجاوز حدَّه في الغلو. وقد أضاف إلى وحيه التافه خزعبلات أخرى وخرافات كان جريئًا على ادعائها دون مبالاة، ومن ذلك:

١- أنه كان له كرسيٌّ قديم قد غشَّاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وزعم أنه بقية من ذخائر أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه وأنه للمختار وأتباعه مثل تابوت بني إسرائيل وأن فيه السكينة وأمرهم إذا حاربوا أن يأخذوه معهم يستنصرون به ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾.

٢- زعم لأتباعه أن الملائكة تقاتل معهم مثل ما كانت تقاتل مع الرسول وأصحابه في معركة بدر، وفي إحدى المعارك أسر أصحاب المختار جماعة من بينهم رجل يقال له: سراقة بن مرداس البارقي فأعمل الحيلة عليهم ونجا فإنه أخذ يقول لأصحاب المختار: أين الذين أسرونا؟ لماذا لم أرهم؟ لستم أنتم الذين أسرتمونا!!! فقيل له: ومن أسرك؟! فقال: رجال على خيل بلق فوق عسكركم - يقصد الملائكة - فأعجبهم كلامه.

فلما بلغ المختار فرح به وأطلقه ليعمل لهم دعاية ولكن الرجل ما إن انفك منهم حتى لحق بجيش مصعب بن الزبير ثم مرغ أنوفهم في التراب. حيث كتب لأبي إسحاق - المختار - هذه الأبيات:

ألا أبلغ أبا إسحاق إني ... رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرًا ... عليَّ قتالكم حتى الممات

أرى عيني ما لم تبصراه كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا أقول لهم كذبتم وإن خرجوا لبست أداتي[(١)]

وما إن وصلت هذه الأبيات المختار حتى تيقن أن الناس أصبحوا يستطيعون الاحتيال عليه وتشويه موقفه المتداعي.

٣- إنه أول من قال بالبداء على الله تعالى، والذي حمله على ذلك أنه كان يخبر بأشياء من المغيبات على طريقة الأنبياء فإن وافقت الخبر قال لهم مفتخرًا: إن الله أوحي له بذلك، وإن لم تقع كما أخبر قال لهم: بدا لربكم[(٢)] فحينما جاء مصعب ابن الزبير لحربه أخرج المختار قائده أحمد بن شميط وقال لهم: إن النصر سيكون لكم وزعم أن الله أخبره بذلك عن طريق الوحي، وحينما التقى الجيشان دارت الدائرة على ابن شميط، وقتل هو وكثير من أتباعه ورجع بعضهم هاربين فقالوا للمختار: ألم تعدنا بأن النصر سيكون لنا؟ فكيف وقد انهزمنا؟ فقال لهم: إن الله وعدني بذلك ولكن بدا له. والقول بالبداء عقيدة خبيثة من عقائد الشيعة من قال بها كفر، وعند الشيعة من لم يقل بها فلا دين له بزعمهم، وسوف نبين أمرها فيما يلي.

٤- أنه كان من أكذب الناس، وقد ورد الحديث بذلك كما روت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت للحجاج حينما دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أماه إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟! فقالت: لست لك بأمٍّ إنما أنا أم المصلوب على الثنية ومالي من حاجةَ ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**».

---

(١) تاريخ الطبري جـ٦ صـ ٧٠ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ ١٤٩ وفي قول الشهرستاني أن المختار هو أول من قال بالبداء على الله نظر فقد قيل: إن أول من قال بالبداء هو عبدالمطلب .

فأما الكذَّاب فقد رأيناه – تقصد المختار – وأما المبير فلا أراك إلا إياه[1]، ولقد صدق الوصف عليهما تمامًا فالمختار كذب حتى على ربه، والحجاج ما كان يبالي بالقتل بحقٍّ أو بغير حقٍّ كما قيل في تاريخه والله أعلم بصحة ذلك عنه[2]، وفي صحيح مسلم الحديث بطوله وفيه أن الحجاج أرسل إلى أمِّ عبد الله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني قال: فقال: أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتيني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك... الحديث، وكذب المختار فيما ادعاه[3] في كل تلك المسائل التي جاء بها مما لا يتوقف فيه أحد إلا أن أخطر شيءٍ جاء به هو قوله بالبداء على الله حيث تلقفها كثير من المفسدين وجعلوها متكئًا لهم في تقوُّلهم على الله وادعاء علم الغيب فإذا لم يوافق القدر ما قالوه قالوا: بدا لربنا وقطعوا عنهم ألسنة السائلين في ما زخرفوه.

وإليك أيها القارئ الكريم نبذة موجزة عن البداء:

البداء معناه الظهور بعد الخفاء كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[4] ومعناه أيضًا: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل كما في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[5] وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل، وحدوث العلم تبعًا لحدوث المستجدات لنقص الإدراك لما وراء المحسوسات.

---

(١) تاريخ ابن كثير جـ ٨ صـ ٣٤٦ .

(٢) انظر رسالة الحجاج المفترى عليه.

(٣) أخرج الحديث مسلم جـ ٥ صـ ٤٠٧ وهو في سند الترمذي جـ ٤ صـ ٤٩٩ .

(٤) سورة الزمر الآية: ٤٧ .

(٥) سورة يوسف آية: ٣٥ .

وإذا أطلقت هذه المعاني على الإنسان فلا محذور فيها لتحققها فيه، وأما إذا أطلقت على الله عز وجل فلا شك أنها كفرٌ تخرج صاحبها من الملة، فالله له صفة العلم الكامل عالم الغيب والشهادة يعلم السر وأخفى، ويعلم ما ظهر وما سيظهر على حدٍّ سواء ومحالٌ عليه -عز وجل- حدوث الجهل بالشيء فتبدو البداءات فيه وقد صار أشد الفرق التي تنتسب إلى الإسلام قولاً بالبداء على الله وتعلقًا به هي فرقة الرافضة وقد استراحوا لها جدًّا لأنها تغطى أكاذيبهم في أئمتهم وتناقضهم في الروايات عنهم حينما ادعوا لهم العصمة ومعرفة المغيبات، وينبغي معرفة أنه قد افترقت الرافضة في هذه القضية إلى ثلاث مقالات:

١- فرقة منهم يقولون: إن الله تبدو له البداوات وأنه يريد أنه يفعل الشيء في وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء وفسروا النسخ الحاصل فى بعض الأحكام على أنه نتيجة لما بدا لله فيها – تعالى الله عن قولهم.

٢- وفرقة أخرى فرقوا بين أن يكون الأمر قد اطلع عليه العباد أم لا فما اطلعوا عليه لا يجوز فيه البداء، وما لم يطلعوا عليه - بل لا يزال في علم الله - فجائز عليه البداء فيه.

٣- وذهب قسم منهم إلى أنه لا يجوز على الله البداء بأيِّ حال(١).

هذا ما ذكره الأشعري عنهم.

والواقع أنه بالرجوع إلى مصادر الشيعة الإمامية الرافضة تجد أنهم متمسكون بهذا المعتقد، ويقررون أن الله تبدو عليه البداوات ويذكرون في فضائل من يعتقد على الله البداء أكاذيب كثيرة، ومن ذلك ما ذكره الكليني في «أصول الكافي» – حيث عقد بابًا كاملاً في البداء سماه باب البداء – وأتى فيه بروايات كثيرة منها:

١- عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: ما عبد الله بشيء مثل

---

(١) مقالات الإسلاميين صـ١١٣ جـ١ .

البداء[١].

٢- وفي رواية ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام ما عُظِّم اللهُ بمثل البداء[٢].

٣- وعن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تنبأ نبيٌّ قط حتى يقر لله بخمس؛ البداء، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة[٣].

٤- وعن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما بعث الله نبيًّا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء[٤].

٥- ومن تمجيدهم لمن يقول بالبداء ما رواه الكليني عن جعفر أنه قال: يبعث عبد المطلب أمة وحده عليه بهاء الملوك وسيما الأنبياء وذلك أنه أول من قال بالبداء[٥].

٦- ونقل الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر - أي خروج المهدي - في السبعين فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى الأربعين ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: قد كان كذلك[٦].

ومفهوم هذا النَّصِّ أن الله حينما وقَّت خروج المهدي في أربعين ما كان يعلم عن مصير الحسين فلما قتل الحسين غضب الله على الناس فأخَّر خروج المهدي الذي

(١) الكافي جـ ١ صـ ١١٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .
(٣) المصدر السابق صـ ١١٤ .
(٤) الكافي كتاب الحجة جـ ١ صـ ٢٨٠ .
(٥) الكافي كتاب الحجة جـ ١ صـ ٣٠٠ .
(٦) الكافي كتاب الحجة جـ ١ صـ ٣٠٠ .

تزعمه الشيعة. ويبدو أن أول من ادعى البداء على الله تعالى هم اليهود حيث يعتقدون أن الله خلق الخلق ولم يكن يعلم هل يكون منهم خيرٌ أو شرٌّ؟!! وهل تكون أفعالهم حسنة أم قبيحة؟!!! فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من التوراة ما نصه «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع البهائم ودبابات الأرض وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم[1]» وهذا النص وأمثاله يفيد صراحة أن الله قد بدت له أمور لم يكن يعلمها فحزن حزنًا وتأسف أسفًا وندم ندمًا شديدًا تعالى الله عن هذا الكذب. فالبداء عقيدة يهودية ومدونة في كتبهم. ونفس الأفكار موجودة عند الشيعة فالكليني – كما رأينا فيما سبق – يروي عن الأئمة فضائل كثيرة لاعتقاد هذا الكفر.

ويذكر كثيرٌ من العلماء أن أشدَّ من تزعم القول بالبداء في الإسلام هو المختار بن أبي عبيد الثقفي تغطية لكذبه. قال البغدادي مبينًا سبب ادعاء المختار القول على الله بالبداء: وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عزوجل فهو أن إبراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار تكهَّن وادعى نزول الوحي عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفي ومحمد بن الأشعث الكندي وأكثر سادات الكوفة غيظًا منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم وأطمعوا مصعبًا في أخذ الكوفة قهرًا فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم إليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلَّب بن أبي صفرة مع أتباعه من الأزد وجعل أعنَّة الخيل إلى عبيد الله بن معمر التيمي وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج

(١) سفر التكوين الإصحاح السادس ٥ – ٧.

صاحبه أحمد بن شميط إلى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن، وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له: لماذا تعدنا بالنصر على عدونا؟! فقال: إن الله تعالى كان قد وعدني بذلك لكنه بدا له، واستدل على ذلك بقول الله عز وجل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ فهذا كان سبب قول الكيسانية بالبداء[1].

وقال الشِّهرستاني: «وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء؛ لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي يوحي إمَّا برسالة من قبل الإمام فكان إذا وَعَد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء. قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار»[2]. ومعلوم عند كافة أهل العلم أن النسخ ليس معناه البداء على الله تعالى.

إبطال القول بالبداء على الله تعالى:

ما من مسلم سليم الفطرة لم تدنَّس فطرته بشبهات المبطلين وأقاويل الضالين إلا وهو يعتقد أن الله تعالى لا يلحقه نقص في علمه المحيط بكل شيء وأن ادعاء البداء على الله معناه نسبة الجهل إليه - جل وعلا - وهذا كفر صريح، فإنه بالرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى أقوال أهل العلم وإلى فطرة كلِّ شخص نجد أن كل ذلك يدحض ما ذهب إليه علماء الشيعة ويبطل القول بالبداء، وأن الذين يطلقونه على الله ما عرفوه وما قدروه حق قدره. ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تكذب كلَّ زعم يقول بالبداء على الله عز وجل؛ من ذلك قول الله سبحانه:

١ - ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن

---

(١) الفرق بين الفرق صـ ٥٢ .

(٢) الملل والنحل جـ ١ صـ ١٤٩ .

وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾(١).

٢- ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾(٢).

٣- ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾(٣).

وفي السنة أحاديثُ كثيرة تدل على ما دلت عليه تلك الآيات ومعلوم أن هذه الفكرة لم ترد على أذهان السلف الأوائل بل إنهم كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ويستعيذون بالله منها فإن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، والله لم يثبتها لنفسه، والأنبياء لم يقروا لله بها كما زعمت الرافضة وإنما أقر بها اليهود وروَّجها عبد الله ابن سبأ، والله عز وجل قد كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق الخلق فلا يجري في هذا الكون شيء إلا وفق ما قدر وقضى عالم الغيب والشهاوة هكذا أخبرنا ربنا وأخبرنا نبينا ﷺ. كما جاء عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»**. يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من مات على غير هذا فليس مني»**(٤). وفي رواية لأحمد: **«إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد»**(٥) وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: **«فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بناره»**.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت**

---

(١) سورة الأنعام آية: ٥٩ .

(٢) سورة طه آية: ٥٢ .

(٣) سورة الحشر آية: ٢٢ .

(٤) أخرجه أبو داود جـ ٢ صـ ٥٢٨ .

(٥) سنن الترمذي جـ ٥ صـ ٤٢٤ .

فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ونصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى دلالتها مثل وضوح الشمس في رابعة النهار على أن الله تعالى قد فرغ من كتابة.. كل شيء، وأنه عالمٌ بكل ما سيجري منذ أن أوجد المخلوقات إلى أن يرجعوا إليه، ومن لم يؤمن بهذا فلا نصيب له في الإسلام، ومن تصوَّر أن الله يغيِّر ويبدِّل حسبما تقتضيه الأحوال وتجددها بغير علم سابق بها فما عرف الله عز وجل وما قدره حق قدره ولا قرأ القرآن ولا سمع بالسنة مهما ادعى أنه على الإسلام. ومما يستدعي التَّنبيه عليه هنا أن الشيعة وهم مختلفون في القول بالبداء كما قدمنا، فإن الكليني روى أحاديث كثيرة عن الأئمة في إثبات البداء على الله كما هي عادته؛ لأنه لا يروي عن الرسول ﷺ إلا قليلاً جدًّا اكتفاءً بما يصوغونه عن الأئمة، وقد صان الله رسوله عن كذبهم. روى الكليني روايتين عن أبي عبد الله تدلان على أن الله تعالى يعلم كل شيء حتى فلي الأشياء التي تبدو له فيها البداوات مع أنه قد أتخم الباب بذكر أحاديث البداء على الله ولم يحترز فيها عن شيء ولا أدري هل تلك الروايتين تغطية لما أسندوه إلى الله من الجهل أم يصح عليهم بموجبها أنهم متناقضون وإلا فكيف يفسر الأمر إذا قلنا: إن الله يعلم كل شيء وأنه قدر كل شيء بعلم ومعرفة ودقة تامة.

ثم بعد ذلك يبدو ويغير ويبدل وفق ما يراه من المصلحة ووفق ما يتجدد من علمه بالأمور في وقت الفعل فهذا تناقض منهم، والله منزَّهٌ عن ذلك، وكمثال على ذلك ما سبق إيراده في قتل الحسين فكيف قدر لخروج المهدي وقتًا وبعد قتل الحسين غضب وغير على الفور وقتًا آخر ثم غير أيضًا هذا الوقت الأخير حينما أفشى الناس سر الأئمة وجعله بغير وقت ولا أجل مسمًّى أليس هذا هو الجهل

(١) سنن الترمذي جـ ٤ صـ ٦٦٧ .

بعينه؟!! تعالى الله عن ذلك!! فكيف قدر الله في مسألة واحدة أربعة تقديرات حسب تغيرات الأمور؟ حيث قدر وجود المهدي ثم جعله في السبعين ثم في مائة وأربعين ثم في غير وقت بعد ذلك إذ ما فائدة تلك التقديرات المتوالية؟ ومافائدة القول بأن الله يعلم كل شيء ثم يجري عليه مثل هذه التخبطات؟ تعالى الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[1].

* * *

---

(١) سورة الأنعام آية: ٥٩ .

الأسود بن قيس بن ذي الخمار

ظهر هذا المتنبئ في بلاد اليمن، وكان يمتحن من يخالفه بالشهادة له أنه رسول الله إلى أن جيء له بأبي مسلم فكانت له معه القصة الآتية التي ذكرها صاحب «كرامات الأولياء» وهي «أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبأ باليمن فبعث إلى أبي مسلم عبد الله بن ثوب فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأُجِّجت ثم ألقى فيها أبا مسلم فلم تضرَّه...» إلى آخر قصة أبي مسلم مع عمر رضي الله عنه حين التزمه حين قابله وعانقه وشكر الله تعالى أن جعل في أمة محمد مثل كرامة إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام[1].

* * *

(١) انظر كرامات الأولياء جـ ١ صـ ١٨١ .

الفصل الثالث..

المتنبؤون في زمن الدولة الأموية

المتنبئون في زمن الدولة الأموية..

في عصر الخلفاء الراشدين اشتدت وطأة المسلمين على مدعى النبوة مما جعل التنكيل بهؤلاء عبرة لكلِّ من تسوِّل له نفسه الطموح إلى هذه الدعوى الخطيرة.

وقد تميَّز العصر الأموي بالحفاظ على قوة الإسلام وإقصاء التيارات المنحرفة فكانت الكلمة في الدولة كلها للعرب والعربية، ولم يسمحوا باندماج غير العرب فيهم، وهذه منقبةٌ للدولة الأموية القريبة العهد من عصر النبوة والخلفاء الراشدين. ولقد أشغل حكام الدولة الأموية فراغ المسلمين للفتوحات وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، ووجد فيها صناديد الرجال ومحبو الجهاد في سبيل الله بغيتهم فسطَّروا أروع الأمثلة في البطولات وإعزاز الإسلام وأهله رغم ما حصل من تجاوزات فيها، ورغم ما ابتليت به من ظهور الحركات المناوئة كالخوارج وغيرهم إلى أن ابتليت بظهور الدولة العباسية التي تغيرت فيها تلك الملامح المضيئة في الدولة الأموية، وفيما يلي نستعرض حركة المتنبئين في تلك الدولة.

المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي:

يذكر العلماء في ترجمتهم لهذا المتنبئ أنه كان ساحرًا فاجرًا شيعيًّا خبيثًا [1] وذكر ابن جرير عن الأعمش أنه قال: «سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أردت أن أحيي عادًا وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا لأحييتهم» قال الأعمش: وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، وقد خرج المغيرة في سبعة نفر وكانوا يدعون الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة فأخبر خالد القسري بخروجهم وهو على المنبر فقال: أطعموني ماءً فسخر به نوفل وقال فيه شعرًا فاحشًا لا أحب ذكره هنا[2]

---

(١) البداية والنهاية جـ ٩ صـ ٣٢٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري جـ ٧ صـ ٢٩ والبداية والنهاية جـ ٩ صـ ٣٢٣.

وقد خرج - كما يذكر ابن الأثير - سنة ١١٩هـ[١]، وكان مولًى لخالد بن عبدالله القسري قال الشهرستاني: «وادعى الإمامة لنفسه بعد محمد النفس الزكية وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه واستحلَّ المحارم وغلا في حق عليٍّ رضي الله عنه غلوًّا لا يعتقده عاقل»[٢].

وفي شرح النووي لصحيح مسلم قوله: «أما المغيرة بن سعيد فقال النسائي في كتابه: -كتاب الضعفاء- هو كوفيٌّ دجَّالٌ أحرق بالنار زمن النخعي ادعى النبوة»[٣].

وفي سير أعلام النبلاء «قلت: كان رافضيًّا خبيثًا كذابًا ساحرًا ادعى النبوة وفضل عليًّا على الأنبياء وكان مُجَسِّمًا»[٤].

وبلغ من جرأته أنه جاء إلى محمد الباقر فقال له: «أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق فنهره وطرده، وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله. وكان الشعبي يقول للمغيرة: ما فعل الإمام؟ فيقول: أتهزأ به؟ فيقول: لا إنما أتهزأ بك»[٥].

هكذا قدم هذا الطلب وبكل وقاحة إلى الباقر يطلب منه أن ينسلخ عن دينه فيدَّعي ما ليس له به حقٌّ وتناسى أن الباقر بشر وأنه ليس على شاكلة المغيرة يبيع دينه بخراج العراق.

وهذا الطلب أيضًا يوضح الحافز الحقيقي لمدعي النبوة ألا وهو جمع الأموال وجبايتها للاستمتاع بها على حساب المغفلين من أتباعهم، وقد أقام الله الحجة على كذب المتنبئين بأمور كثيرة وسقطات خطيرة تنبه الغافل وتثبت العاقل ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيَّ عن بينة.

---

(١) الكامل صـ٢٠٨ .

(٢) الملل والنحل جـ١ صـ١٧٧ .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم جـ١ صـ١٠٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء جـ٥ صـ٤٢٦ .

(٥) الكامل جـ٥ صـ٢٠٩ .

بعض عقائد المغيرة الخرافية:

للمغيرة خرافات كثيرة واعتقادات جاهلية فهو من كبار المجسِّمة وكان بدائيًا في تفكيره وتصوره لربه فإنه كان يقول: «إن الله على صورة رجل على رأسه تاج، وإن أعضاءه على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به لسان تعالى الله عن ذلك، يقول: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلَّم باسمه الأعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب بأصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي ارفضَّ عرقًا فاجتمع من عرقه بحران أحدهما: ملح مظلم، والآخر عذب نير، ثم اطلع في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وسماء أخرى، وخلق من البحر المالح الكفار، ومن البحر العذب المؤمنين، وكان يقول: بإلهية عليٍّ وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع عليٍّ وكان يقول: إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع. وكان يقول: بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة وكان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور[1]، ومن خرافاته أيضًا أنه زعم أن الله تعالى حينما خلق ظلال الناس فكان أول ما خلق ظل محمد ﷺ وظل عليٍّ[2] واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[3].

وله في تأويل القرآن بهواه أقوال شنيعة فقد أوَّل قول الله تعالى:

١ - ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[4] أن الله لما أراد أن يخلق الأشياء تكلم باسمه الأعظم فطار فوقع فوق رأسه التاج كما سبق.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير جـ ٥ صـ ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٢) الملل والنحل جـ ١ صـ ١٧٧ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٨١ .

(٤) سورة الأعلى آية: ١ .

٢- وأوّل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾[(١)] بأن الأمانة هنا هي علي بن أبي طالب فقد عرض الله على السموات والأرض والجبال أن يمنعن علي بن أبي طالب حقَّه من الخلافة فأبين فقام عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فأمره أن يتحمل منعه وأن يغدر به ففعل ذلك أبو بكر.

٣- وأوّل قول الله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾[(٢)] بأن الشيطان هو عمر حينما أوعز إلى أبي بكر منع عليٍّ من الخلافة بشرط أن تكون الخلافة له بعد أبي بكر[(٣)].

ومما لا يشك فيه عاقل أن هذه العقائد إنما هي مجموعة من الخرافات القديمة والحكايات التي يتسامر بها العجائز التي توافق أخيلتهن أو لتقريبها إلى خيالات الأطفال.

وتعالى الله عن هذا التجسيم الشنيع، فإن الله ليس كمثله شيء فلا يغالبه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذه المغالبة بينه وبين ظله يريد أخذه فيفلت منه وتعليله لخلق البشر وتكفيره لخيرة الناس بعد محمد ﷺ وزعمه أن شرائع الأنبياء واحدة لا تختلف وتحريمه لماء الأنهار أو العيون أو الآبار التي تقع فيها نجاسة إنما هي أدلة واضحة على مدى جهله وبعده عن معرفة الشرائع ولا تستحق من الرَّدِّ أكثر من أنها مجموعة خرافية خيالية لم يذكرها نبي ولا أتى بها دين من الأديان السماوية ولا قال بها عاقل من البشر. وأما تأويله لتلك الآيات فهي تعبير عن خبثه وبغضه لخيرة أمة محمد ﷺ وقد أوَّلها حسب مذهبه الرافضي الردىء إذ لم يسبقه إلى تلك التأويلات الباطلة إلا الشيطان الذي صوَّرها له، والصحابة أكرم وأجل مما تصوره هذا الغبي الجاهل بحقهم رضي الله عنهم جميعًا وقد قيل:

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٧٢ .

(٢) سورة الحشر الآية: ١٦ .

(٣) انظر المقالات للأشعري جـ١ صـ٧٣ .

وقد قيل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إن ناسًا يسبُّون أبا بكر وعمر فقالت: وما تعجبون؟! انقطع العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر، وأما الذي يرى على القبور أمثال الجراد حينما يخرج المغيرة إليها فلا يبعد أن تكون خدعة سحرية، وقد كان ماهرًا في السحر فقد يأمر الشياطين أن تتمثل بذلك، وقوله: إنه يستطيع أن يحيي عادًا وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا يكفي أن الله أخزاه وحرق كما يحرق الحطب ولم يستطع أن يحيي روحه ولا أن يطفئ النار المشتعلة في جسمه فكيف بإحياء عاد وثمود؟.

وأغرب من هذا استنتاجه من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ على أن الله خلق ظلَّ محمد وظلَّ عليٍّ قبل الخلق. غريب جدًّا هذا الاستدلال وعجيبٌ وتخبُّط مظلم فأين معنى الآية الحقيقي من معناها عند الجاهل المغيرة؟!! لا مقارنة بينهما.

نهاية المغيرة:

حينما ظهر المغيرة وانتشر أمره تنبَّه له خالد بن عبد الله القسري وبعد أن ألقى القبض عليه أمر به فأحرق بالنار مع سبعة آخرين سنة ١٣٩هـ، وذكر الفاضلي محقق كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني أنه أحرق سنة ١١٩هـ وسماه أبو عبد الله المغيرة ابن سعيد البجلي وهو خلاف ما ذكره المحققون، ومما أحبُّ التَّنبيه عليه أنه قد وقع خلاف بين العلماء في شخص هذا الرَّجل وتضاربٌ بين أقوالهم مما لا نحتاج إلى التطويل بذكره بل اكتفينا بما عليه أكثر الروايات، ومن أراد أن يقف على تلك الأقوال فلينظر تعليق محمد محيي الدين في مقالات الإسلاميين[١].

* * *

(١) من صـ٦٩ إلى صـ٧٢ جـ١.

٢- صالح بن طريف

نشأ هذا المتنبئ في بلاد البربر في برغواطة بالمغرب سنة ١٢٥هـ، وكثر أتباعه وأتباع ابنه الذي تنبأ بعده أيضًا، وفيه يقول صاحب لسان الميزان: «صالح بن طريف له ترجمة طويلة وأتباع في جبال البربر، وكان ادعى النبوة وشرع لأتباعه دينًا جديدًا وتنبأ بعده بعض ولده، وقال ابن حزم: والتابعون له من أهل برغواطة ينتظرون رجوعه إلى أن قطع الله آثارهم»[١].

* * *

(١) لسان الميزان جـ٣ صـ١٧١ .

٣- بيان بن سمعان التميمي التبان

هو بيان بن سمعان الهندي التميمي اليمني ظهر في أول القرن الثاني للهجرة في العراق[١]، وكان يبيع التبن بالكوفة كما ذكر القمي[٢]، كان هذا الشخص ممخرقًا ضالاً كثير التأويل للقرآن بهواه انضم إليه جماعة، وصار له أتباع على رأيه الباطني الإلحادي وفي أساسه يرجع إلى طائفة الكيسانية السبئية المارقة عن الدين وكان بدء أمره واشتهاره هو زعمه ومن معه أن الإمامة صارت من بعد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه.

ومن هنا بدأ طريقه إلى الغلوِّ في تمجيد نفسه حيث وصل أخيرًا إلى دعوى النبوة وكانت له آراء كفرية خرج بها عن الإسلام الذي كان يدَّعيه وصار وثنيًّا حلوليًّا كما يتضح عند ذكر معتقداته الفاسدة فيما يأتي:

المعتقدات الضالة لبيان:

لبيان بن سمعان اعتقادات كثيرة وهي مزيجٌ خبيثٌ من الإلحاد والزندقة منها:

١- زعمه هو وأتباعه أنه نبي وأنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ.

٢- إدعاؤه الألوهية لعليٍّ رضي الله عنه والحسن والحسين ثم له[٣] بعد ذلك حيث قال لأتباعه: إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ثم انتقلت إليه منه -يعني نفسه- فادعى لنفسه الربوبية على

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» تعليق محمد محيي الدين صـ ٤٠ وفي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي «بنان بن إسماعيل الهندي وهو تحريف شنيع» انظر مقالات الأشعري تعليق محمد عبد الحميد صـ ٦٦.

(٢) انظر فرق القمي صـ ٢٣.

(٣) انظر الفرق بين الفرق صـ ٢٣٧ وانظر الكامل لابن الأثير جـ ٥ صـ ٢٠٩.

مذاهب الحلولية.

٣- زعم أن عنده معرفة اسم الله الأعظم يهزم به أعداءه ويدعو به الزهرة فتجيبه وهذا من تناقضه الفاحش فإذا كان الإله عنده هو عليٌّ رضي الله عنه فأي اسم له؟.

٤- أوَّل القرآن الكريم على حسب هواه وفجوره فزعم أن الله ذكر اسمه في القرآن حيث قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[1] فقال: أنا البيان، وأنا الهدي والموعظة للمتقين. ومن تأويلاته للقرآن على حسب عقيدته في الله تعالى -زعمه أن الله - تعالى وتقدَّس - رجلٌ من نور يفنى كله ولا يبقى منه غير وجهه فقط واستدل على هذا الكفر بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[3].

٥- واستدل على غلوِّه في عليٍّ رضي الله عنه بقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[4] قال: إنه أراد به عليًّا فهو الذي يأتي في الظلل، والرعد صوته، والبرق تبسمه، ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر - يدعوه إلى نفسه والإيمان بنبوته المزعومة وفي هذا الكتاب قوله: «أسلم تسلم وترتقِ في سلم وتنج وتغنمْ فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ المبين» فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات في الحال[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٨ .

(٢) سورة القصص آية: ٨٨ .

(٣) سورة الرحمن آية: ٢٦-٢٧ .

(٤) سورة البقرة آية: ٢١٠ .

(٥) انظر تعليق محمد عبد الحميد في مقالات الإسلاميين جـ١ صـ٦٦ والملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ١٥٢ - ١٥٣ ومقالات الأشعري جـ١ صـ٦٧ .

نهاية بيان:

علم خالد بن عبد الله القسري - وكان واليًا على العراق لبني أمية - فاحتال على بيان حتى ظفر به، وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك ثم أمر به فقتل: وقيل: إنه أحرقه بالنار(١).

وقال القمي: «فأخذه خالد بن عبد الله القسري فقتله وصلبه مدة ثم أحرقه»(٢).

الرد على بيان وإبطال عقائده:

طرق بيان مسائل كثيرة فوق مستوى عقله خاضها بجهله وقلة علمه وعقيدته السبئية الضالة فجاءت كفرًا صراحًا استحقَّ ما حلَّ به من عقاب، ومن أهمِّ الأمور التي برزت له وادَّعاها حين تعاظم نفسه:

١- زعمه أنه نبيٌّ.

٢- زعمه أنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ.

٣- ادعاؤه الألوهية لعليٍّ وللحسن والحسين رضي الله عنهم ثم لنفسه أيضًا.

٤- كذبه أنه يعرف الاسم الأعظم وأنه يفعل به ما يريد.

٥- التأويلات الباطلة لمعاني القرآن الكريم في قوله تعالى:

١- ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾.

٢- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾.

٣- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وكل تلك الأمور التي ادعاها تدل على ضحالة فكرة وغروره وجهله وهي مسائل لا يدَّعيها من يحترم عقله إذا لم يكن له دين يردعه، ولكن الجاهل عدوٌّ نفسه كما قيل:

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ١٥٣ – الفرق بين الفرق صـ٢٣٩ .

(٢) فرق القمي صـ٢٣ .

١-أما زعمه أنه نبيٌّ:

فلا أظن أننا في حاجة إلى التوقف للردِّ عليه حيث قدمنا ما فيه الكفاية، ولا أحد من المسلمين يحتاج إلى معرفة الرد لوضوح ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ فهي عقيدة راسخة -ولله الحمد- في عقل كل مسلم وكل ما جاء به بيان إنما هي خزعبلات ومخاريق.

٢- وأما زعمه أنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ:

فإن هذا النسخ معناه واسمه على الصحيح الكفر بشريعة محمد ﷺ، فإن الله عز وجل أكمل الدين وجعله خاتمًا لكل الأديان، وجعله صالحًا للبشرية إلى نهاية الحياة الدنيا، فلا يجوز ردُّ النُّصوص ولا تأويلها ولا الزِّيادة فيها ولا النَّقص منها، فمن فعل شيئًا من ذلك فقد كذب الله عز وجل وخرج عن جماعة المسلمين. ولا عجب في زعم بيان هذا النسخ؛ لأنه ما دام وقد ادعى النبوة فلابد أن ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء مما يتوافق وهواه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾(١).

٣- وأما ادعاؤه الالوهية له أو لغيره من البشر:

فهذا مما لا ينبغي الوقوف عنده، ولا ينبغي أيضًا مجادلته فيه؛ لأنه لا يقدم على هذه الفرية العظيمة إلا من سقط عنه القلم، ولقد ادعى هذا القول غيره كثير ممن هم على شاكلته من المعتوهين والطغاة.

٤- وأما زعمه أنه يعرف الاسم الأعظم وأنه يفعل به ما يريد:

فهو قولٌ لا شك في كذبه فيه، لأن الله لا يمكن من كان مثل بيان من الوصول إلى هذا الشرف العظيم وبحث حقيقة اسم الله الأعظم مما لا يتعلق به البحث هنا، ولا حاجة إلى ذكر خلاف العلماء فيه وبيان ما رجحوه ويكفي الإشارة إلى أن المؤمن الصادق المخلص المضطر يكفيه في دعائه ربه واستجابته له أن يدعوه بأي اسم من أسمائه عز وجل، فإن العبرة إنما هي في صدق التوجه إلى الله وامتثال طاعته ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) سورة الصف آية: ٧ .

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

٥- وأما تأويلاته الباطلة للقرآن الكريم

فهي دلالة واضحة على مدى جهله وبعده عن العلم، فإن قول الله عز وجل: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ يعني: أن القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ يعني: القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة أي زاجر على المحارم والمآثم[2]. هذا معنى الآية عند أهل الحق فمن أين لبيان أن الله ذكر اسمه في القرآن الكريم؟! وكيف يكون هدًى وموعظةً وهو يدعو إلى الإلحاد والنار ونسخ شريعة الإسلام التي رضيها الله لعباده إلى أن تقوم القيامة وقد يكون هلاكه موعظة زاجرة.

وأما تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أن الله تعالى عن كلامه رجلٌ من نور يفنى كله إلا وجهه، فإنه تأويل من لا يعرف صفات الله تعالى وأوغل في التشبيه والتجسيم وأساء الظن بربه، إنها صورة من أبشع الصور لجسم فني كله ولم يبق إلا وجهه فقط تعالى الله عن جهل الجاهلين. وقد فسَّر علماء الإسلام هذه الآية بأن معناها أن كل موجود يفنى ويشمله الهلاك إلا ذات الله عز وجل فقد عبَّر الوجه عن الذات، والله عز وجل له وجه وله ذات نؤمن بذلك كما جاء به كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

فمعنى الآية أن ذات الله تعالى هي الباقية وما عداها ممن خلقه الله هالك وفانٍ وقيل في معنى الآية: «أي: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه» أي من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة[3]. وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ يخبر عزَّ وجلَّ أن كلَّ من على وجه الأرض من المخلوقات فانٍ وأنه لا يبقى إلا خالقهم سبحانه وتعالى وليس في الآية ما ذهب إليه بيان من وجود ذات

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٨٠ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٨ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٤٠٣ .

تفنى كلها إلا الوجه منها فهذا لا يقول به عاقل سليم الفطرة والعقل، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ تهديد من الله عز وجل للكافرين بأنهم سينتظرون في يوم القيامة عند فصل القضاء مجيء الله عز وجل على تلك الصورة التي وصفها ربنا ليفصل بين عباده ويجازى كلًّا بما قدم في حياته الدنيوية. وليس في الآية ذكرٌ لعليٍّ رضي الله عنه ولا فيها تأليه لأحد غير الباري جل وجهه وتفسير بيان لها إنما هو تعبير منه عن عقيدته السبئية الخبيثة في تأليه علي بن أبي طالب.

٤- أبو منصور العجلي الكوفي:

هو رجل من أهل الكوفة من عبد القيس نشأ في البادية وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب[١] وكان أحد الشيعة الغلاة ادعى النبوة بعد تمهيدات ومقدمات كثيرة وحيلٍ وأكاذيب وجد من يصغى لها ويؤمن بها من محبي الفسق والفجور، وأغلب ظني أن منها زعمه أن لا يقرأ ولا يكتب فإني أستبعد ذلك.

وقد أباح لأتباعه فعل كل ما يشتهون في شريعته وتسمى فرقته المنصورية، وقد ذكر عنه النوبختي آراء فاسدة كثيرة في كتابه «فرق الشيعة» ونقلها عنه كثير من العلماء جاء فيه:

«المنصورية وهم أصحاب أبي منصور وهو الذي ادعى أن الله عز وجل عرج به إليه فأدناه وكلمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسرياني: أي نبي وذكر أنه نبي رسول وأن الله اتخذه خليلاً» وعند القمي «قال له بالفارسية بايبسر» أي يا نبى[٢] إلى أن قال: «وترقى به الأمر إلى أن قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام نبيًّا ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعليُّ بن الحسين ومحمد بن علي وأنا نبي ورسول.. وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: من خالفكم فهو مشرك كافر فاقتلوه فإن هذا جهادٌ خفيٌّ وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي من عند الله عزَّ

---

(١) كتاب المقالات والفرق للقمي صـ ٤٦ .

(٢) فرق القمي صـ ٤٧ .

وجلَّ وأن الله بعث محمدًا بالتنزيل وبعثه هو (يعني نفسه) بالتأويل»[١].

خرافات العجلي:

وقد أوغل هذا العجلي في الخرافات وتخبط في عقيدته وخرج عن عقله وفطرته وجاء بأمور ينطبق عليه فيها قول الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]. وحاصل تلك الخرافات والأكاذيب:

١ - زعمه أن الله مسح على رأسه ثم قال له: بلغ عني يا بني حين عرج به[٣].

٢ - دعواه أن الله بعث محمدًا ﷺ بالتنزيل، وبعثه هو بالتأويل[٤] وأن الرسل لا تنقطع أبدًا.

٣ - وصف نفسه بأنه الكسف الساقط من السماء[٥] المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[٦].

٤ - وأن الله اتخذه خليلاً[٧].

٥ - جهله بأبسط الأمور التي يعرفها حتى أطفال المسلمين المبتدئين في التعليم حيث قررت أن أول ما خلق الله تعالى من البشر عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ثم علي بن أبي طالب وذكر الشهرستاني أن هذا القول من الأمور التي ابتدعها العجلى[٨].

٦ - نفى أن تكون هناك جنة أو نار وعد بها أولياء الله وأعداؤه بل أَوَّلها بتأويلات

(١) فرق الشيعة صـ ٥٩ .

(٢) سورة إبراهيم آية: ٢٧ .

(٣) مقالات الأشعري جـ ١ صـ ٧٥ .

(٤) الفرق بين الفرق – التعليق صـ ٢٤٤ وانظر مقالات القمي صـ ٤٧.

(٥) المصدر السابق، وقد ذكر الشهرستاني عن أبي منصور أنه زعم أن الكسف الساقط هو الله، ومرة قال: هو علي بن أبي طالب.

(٦) سورة الطور آية: ٤٤ .

(٧) فرق الشيعة صـ ٥٩ .

(٨) الملل والنحل جـ ١ صـ ١٧٩ .

باطنية إلحادية فزعم أن الجنة هي طاعة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت، والنار رجل كذلك أمرنا بمعاداته وهو خصم إمام الوقت[١].

٧- أباح في شريعته الزنا والخمر والميتة ولحم الخنزير والدَّم وقال: إن الله لم يحرم عليهم أيَّ شيء يتقوون به[٢].

٨- أبطل جميع شعائر الإسلام الظاهرة مثل الصلاة، الزكاة، والصوم، والحج وزعم أنها أسماء أئمة من عرفهم سقط عنه التكليف ودخل الجنة[٣].

هذه هي أكاذيب هذا المتنبئ الكذاب، ولا نستغرب أن يأتي بمثل هذه الافتراءات - بل وأكثر منها- ما دام وقد جرؤ على الكذب حتى على رب العالمين وعلى جبريل الذي زعم أنه يأتيه بالوحي، وهذه الصفات الذميمة التي اتصف بها العجلي جاءت كلها نتيجة لاستهانته بالكذب على الله ودعوى النبوة ووجود من يصدق كلامه ممن لم يثبت الإسلام في قلوبهم من الوثنيين والمجوس.

- وقوله: إن الله مسح على رأسه حين عرج به إليه ثم قال له: يا بني بلغ عني دلالة على تفكيره الساذج البدائي حيث زعم أن الله مسح رأسه كما يمسح الناس على رؤوس الأيتام والأطفال المدللين وأنه تبناه هو نفس اعتقاد أهل الشرك وأهل التثليث الذين يزعمون أن الله اتخذ صاحبة وولدًا، وقول النصارى الذين يزعمون أن عيسى ابن الله تأثر بهم هذا المتنبئ فأقدم على هذه الكذبة البلقاء وزعم أنه عرج به إلى السماء مثل ما عرج بالنبي ﷺ هي فرية يصدق عليها قول المصطفى ﷺ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[٤].

- وأما زعمه أن الله أرسل محمدًا ﷺ بالتنزيل وأرسله هو بالتأويل فهذا من

(١) المصدر السابق.

(٢) مقالات الأشعري جـ١ صـ٧٥ .

(٣) الملل والنحل جـ١ صـ١٧٩ .

(٤) أخرجه البخاري جـ٦ صـ٥١٥ وأحمد والترمذي.

أغرب الغرائب لأنه أُمّي إباحي نشأ بالبادية لا يقرأ ولا يكتب حسب زعمه ثم يجعل له الله هذه الرتبة التي مضمونها أنه أعلم من الرسول محمد ﷺ وأفهم منه في بيان معاني النصوص ولا شك أنها قسمة ضيزى أن يكون الذي ابتعثه الشياطين أكمل ممن ابتعثه رب العالمين.

- وقوله: إن الرسل لا تنقطع فهي الفرية التي يقول بها كلُّ من يدَّعي النبوة قديمًا وحديثًا وفيما تقدم من الأدلة على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ ما يوضح ذلك.

- وأما تأويله لقول الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾﴾ بأنه هو أو أنه عليُّ بن أبي طالب أو أنه الله تعالى – حسب اختلاف الروايات عنه فهو تأويل باطل على أيِّ احتمال كان من تلك الأقوال ذلك أن معنى الآية لا ينطبق على أيِّ واحد منها؛ لأن معناها أن الكفار قد بلغ بهم العناد والاستكبار إلى حدٍّ أنهم إذا رأوا العذاب معاينة في السماء يقولون: هذا سحاب متراكم ولا يفكرون في عذاب الله ولا في عقابه لبعدهم عن الله تعالى، هكذا يذكر علماء التفسير فليس الكسف هو العجلي ولا غيره من الناس، ومن يوصل العجلي إلى أن يكون كسفًا في السماء.

- وزعمه أن الله اتخذه خليلاً يردُّه قول تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾[1] والله عز وجل لا يتخذ خليلاً إلا من اصطفاه برسالته وزيادة قربه منه.

واعتقاده أن أول ما خلق الله من البشر عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم علي بن أبي طالب حسب ما ذكره عنه الشهرستاني – كما تقدم فإن هذا القول من الأمور التي ابتدعها العجلي ولا أظن أن أحدًا أيضًا سيبتدع مثل هذا القول إلى الأبد، ولعل هذا التخريف من التأويل الذي بعث به العجلي كما يزعم وإلا فأهل الأديان كلهم على اتفاق أن آدم هو أبو البشر وأول مخلوق فمن أين له أن أول مخلوق من البشر هو عيسى وعلي بن أبي طالب وما أدرى بأي وجه خصص هذين الكريمين بأنهما أول مخلوق؟.

وأما اعتقاده نفي وجود الجنة والنار وأنهما إشارة إلى طاعة رجل من أهل البيت

---

(١) سوة الكهف آية: ٥١ .

ومعاداة من لم يواله فقد أخذ هذا المبدأ من غلاة الباطنية الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ولا الحساب والعقاب ولا جنة ولا نار وإنما هي أرحام تدفع وقبور تبلع، ولا غير ذلك فلا يؤمنون بأن وراء هذه الدار دارًا أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾[1] ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل على كل كاذب دليلاً من نفسه يدل على كذبه، وهذه التأويلات لهذا الشخص إنما هي أدلة ناصعة على كذبه، وهكذا كان حاله وحال كل من ادعى النبوة في تلك العصور أو في عصرنا هذا إذ ما من مدَّعٍ للنبوة وهو كاذب إلا وظهر من كذبه وتناقضه ما فيه الكفاية للتحذير منه وهؤلاء في تخبطهم أشبه ما يكون بفرس امرئ القيس الذي قال فيه:

مكـرٍّ مفـرٍّ مقبـلٍ مـدبـرٍ مـعًا ... كجلمود صخرٍ حطَّه السَّيل مِنْ علِ

نهاية العجلي:

بعد خوض أبي منصور في باطله وسعيه بالفساد في الأرض وانتشار خطره تنبه له والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر الثقفي وبعد أن ألقى القبض عليه قتله وأمر بصلبه ليكون عبرةً لغيره من الطغاة[2] ويجب أن يلقى المتنبئون في كل عصر هذا العقاب، لتموت الفتن ولئلا يقدم على الاستهانة بدعواها الكاذبون ويظهر أن ابنه الحسين بن أبي منصور من الطغاة الذين لا يعتبرون بغيرهم فقد قام بعد قتل والده وادعى النبوة أيضًا فأخذ وأتيَ به إلى المهدي الخليفة العباسي فأقر أمامه بما نسب إليه فلاقى نفس المصير الذي شقي به والده حيث قتل وصلب هو وجماعة من أتباعه ممن تمكنت الدولة من إلقاء القبض عليهم[3].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾[4].

---

(١) سورة النور آية: ٤٠ .

(٢) انظر المقالات للأشعري جـ١ صـ ٧٥ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق تعليق محمد محيي الدين صـ ٢٤٤ .

(٤) سورة يوسف آية: ٢١ .

أبو الخطاب الأسدي

أحد غلاة الشيعة ومن كبار الفساق خرج عن الإسلام بما أتى من أقوال وأفعال زاعمًا أن الله ابتعثه نبيًّا.

وهو محمد بن أبي زينب، ولقبه المقريزي محمد بن أبي ثور، وقيل: محمد بن أبي يزيد[١] ويكنى أبا الظبيان وأبا إسماعيل[٢] أيضًا وكان مولًى من موالي بني أسد ونسب إليهم وتسمى فرقته «الخطابية» نسبة إليه، وهم خمس[٣] فرق وبعضهم قال: خمسون[٤] وكان في بدء أمره يدَّعى الإسلام ويتشيع لأبي جعفر الصادق وغالى في تشيعه له إلى الحد الذي جعل أبا جعفر يلعنه ويشهر ذمته له وطرده حين زعم أنه الإله وقد لبس صورة إنسية[٥] وبعد أن أعلن أبو جعفر براءته منه قام أبو الخطاب بالدعوة لنفسه والاحتطاب في حبله ودعا المغفلين من الشيعة إلى الاعتقاد بنبوة الأئمة وأنهم يعلمون الغيب وكل ما هو كائن فأجابوه ثم نقلهم إلى الاعتقاد في ألوهيتهم فأطاعوه ثم ادعى بعد ذلك أنه هو نفسه نبي مثل سائر الأنبياء ولم يكتفِ بهذا بل وزعم بعد ذلك أنه هو أيضًا إله.

وعن تخبطات أبي الخطاب قال القمي: «وكان أبو الخطاب يدَّعي أن جعفر بن محمد قد جعله قيِّمه ووصيَّه من بعده، وأنه علمه اسم الله الأعظم ثم ترقى إلى أن ادعى النبوة ثم ادعى الرسالة ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم، وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمد وأنه يتصور في أيِّ

---

(١) خطط المقريزي جـ ٢ صـ ٣٥٢ .

(٢) الحور العين صـ ١٦٦ وانظر الفرق بين الفرق صـ ٧٢٤ – ٢٤٨ .

(٣) مقالات الأشعري جـ ١ صـ ٧٦ .

(٤) خطط المقريزي جـ ٢ صـ ٣٥٢ .

(٥) أنظر الملل والنحل جـ ١ صـ ١٧٩ .

صورة شاء، وذكر بعض الخطابية أن رجلاً سأل جعفر بن محمد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثم انصرف إلى الكوفة فسأل أبا الخطاب عنها فقال له: أو لم تسألني عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها؟»[١].

ويذكر عنه وعن أتباعه أنه قبل أن يتبرأ منه جعفر خرج هو وأتباعه يريدون الحج فكانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك جعفر لبيك جعفر»[٢] ومع زعمهم أن جعفر بن محمد إلههم إلا أنهم قالوا: إن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من عليٍّ كما يذكر الأشعرى[٣].

ثم أنكر هو وأتباعه الجنة والنار وفسروها بتفسيرات باطنية فزعم أن الجنة نعيم الدنيا، والآخرة آلامها. وأجاز شهادة الزور للشخص إذا كان من أتباعه على مخالفيه. وأباح لأتباعه كل المحرمات والملذَّات. وزعم أن الأنبياء لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والآخر صامت. فالناطق في عصره هو محمد، والصامت علي بن أبي طالب[٤].

ثم فضَّل نفسه على عليٍّ وعلى جعفر فيما بعد، ومن عقائدهم أنهم لا يموتون وأن أحدهم إذا بلغ النهاية ارتفع إلى الملكوت[٥].

ونلخص عقائد الخطابية فيما يلي:

١ - أن جعفر الصادق إلهٌ تمثل في صورة بشرية، وقد تبرأ منه جعفر وبالغ في التبرؤِ منه ولعنه كما يذكر الشهرستانى[٦].

٢ - أن الأئمة كلهم أنبياء.

---

(١) فرق القمي صـ ٥١ .

(٢) انظر خطط القريزي جـ ٣ صـ ٣٥٢ ، مقالات الأشعري جـ ١ صـ ٧٧ .

(٣) المقالات جـ ١ صـ ٧٨ .

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية صـ ١٣ .

(٥) مختصر التحفة الاثنى عشرية صـ ١٣ .

(٦) الملل والنحل جـ ١ صـ ١٧٩ .

٣- أن الأئمة كلهم آلهة.

٤- أنه هو نفسه نبيٌّ.

٥- أنه هو نفسه قد صار إلهًا.

٦- أنكر هو وأتباعه الجنة والنار فالجنة عندهم نعيم الدنيا، والنار آلامها.

٧- أجاز شهادة الزور لموافقيه على مخالفيه، وأن ذلك فرضٌ واجبٌ عليه كما ذكر القميُّ عنه فإن لم يفعل فقد ترك أعظم فريضة بعد المعرفة[1].

٨- أباح لأتباعه كل الملذات والمحرمات[2] مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾.

٩- زعم أن الأنبياء لا يزال منهم رسولان دائمًا؛ ناطق وصامت.

١٠- عدم الاعتراف بالموت بل إن أحدهم إذا بلغ النهاية في العمر ارتفع إلى الملكوت.

١١- وأضاف القميُّ أن أبا الخطاب ادعى أنه من الملائكة أيضًا[3].

هذه أهم المزاعم التي ادعاها أبو الخطاب وهي في الحقيقة خليطٌ من المتناقضات والمحالات، ولقد وقفت أمامها متعجبًا كيف نقلها علماء الفرق والتاريخ حتى لقد حيرني أمرها جدًّا ولولا الثقة في نقل هؤلاء العلماء لما تصوَّرت أن تصدر تلك المزاعم كلها لفرقة الخطابية ثم يحكم لهم الناس بعد ذلك بوجود العقول والأفهام مثل قوله بألوهية جعفر الصادق، وأن الأئمة كلهم أنبياء أو أنهم آلهة إضافة إلى دعوى النبوة أو الألوهية فيما بعد.... إلى آخر تلك المزاعم التي لا تجتمع في عقل إنسان له أدنى مسكة من العقل ويظهر أن هذا الشخص ادعى تلك المزاعم كلها على فترات كلما قبل الناس منه أمرًا نقلهم إلى آخر معتمدًا على القول بالتناسخ

---

(١) فرق القمي صـ ٥١ .

(٢) فرق القمي صـ ٥٢ .

(٣) المصدر السابق.

حينًا وحينًا آخر على القول بالبداء مع ما وجده في أتباعه من الاستجابة العمياء والغفلة التامة، وأيضًا طبيعتهم الخبيثة الحاقدة على الإسلام، والرغبة في الانفلات والإباحية، وقد قيل: إنه ما من ناعق إلا وله صدًى، ومن المعروف عنه وعن بدء دعوته أنه تدرج في ادعائه النبوة بأن كان يظهر التشيع أولاً وذلك؛ لأن الشيعة لا يفكرون إلا في الغلوِّ المذموم في حق عليٍّ وأهل البيت عمومًا رضوان الله عليهم.

فمن أظهر لهم الغلوَّ في أهل البيت فإنهم ينساقون إليه مثل النعم وهم أبعد ما يكونون عن موالاة أهل البيت ومحبتهم المحبة الحقيقية الواجبة لهم، وحينما انضم إليه من هم على شاكلته اختار أبا جعفر ليكون نقطة قاعدته فطلب إليه أن يدعى النبوة والألوهية فصادف رجلاً مؤمنًا بالله ورسوله فطرده ولعنه وتبرأ منه أشد البراء، وحينما يئس منه أعلن أبو الخطاب عن نبوته هو نفسه فأطاعه أتباعه المارقون شأن كلِّ عصابة ملحدة ممن كان قد غص بريقه من انتشار الإسلام وعلو رايته في الأرض.

وبعد أن أوصل نفسه إلى مرتبة النبوة لم تطب نفسه بالبقاء عليها بل طمح إلى ما هو أعلى منها فادعى الألوهية لنفسه عن طريق التناسخ والحلول وأخذ يشرع لأتباعه شريعة جديدة تتوافق وميولهم، وأما إنكاره لوجود الجنة والنار فإنه يريد بذلك قطع طمع أتباعه من انتظار يوم القيامة أو التفكير في الجزاء الأخروي وأن تقتصر همتهم فقط في الدنيا فيهتبلوا الشهوات والملذات، فليس هناك أيُّ مانع فالكل حلال على طريقة الشيوعية الملحدة في عصرنا الحاضر. وأما إجازته شهادة الزور للشخص إذا كان من موافقيه فهي قضية صغيرة بالنسبة إلى الطامات التي جاء بها. وأما زعمه أن النبوة لا تنقطع فهذا شيءٌ طبيعيٌّ أن يقوله ولعله قال هذا في مراحله الأولى حينما كان يتطلع إلى دعوى النبوة. وأما عدم اعترافه وفرقته بالموت وتسميتهم له نقلة إلى الملكوت فما بعد الكفر ذنب، وسيعلمون حينما يموتون أنه نقلة ولكنها نقلة رغم أنوفهم إلى ما لا محيص لهم عنه، وأنها ليست نقلة سياحية كما يتصورون.

وأما ما يذكر عنه من أنه ادعى أنه من الملائكة فهذا من أعجب ما يوجد من

تخبطات الشياطين به وتلاعبهم بفكره، وهو إشارة إلى تضلعه من عقيدة التناسخ، وحينما تتصور صدور هذه الأفكار كلها عنه تتصور أنك أمام إنسان معجب بنفسه مخطئ في تقديرها قد غطى الهوى عقله فصار يهذي بتلك المزاعم التي يكره الإنسان مجرد قراءتها عنه، وكما ذكرت سابقًا فإنه لولا تواتر النقل عنه بهذه الخزعبلات لما تصورت أحدًا من الناس يقدم عليها ويدعيها جملة، ولعله يصدق عليه وعلى فرقته العبارة التي يرددها الناس دائمًا وهي قولهم: «الجنون فنون».

والعجب يكمن في قبول أتباعه لتلك المزاعم كلها في شخص واحد، وقبول الناس منه لها مجتمعة فيه، وقد يزول العجب إذا عرف أن الناس يستجيبون إلى البدع أكثر مما يستجيبون للحق ويقبلون على الدعوة إلى الفجور والكفر أكثر مما يستجيبون إلى الطهر والعبودية لمن خلقهم، وسبب هذا هو أنفسهم الأمارة بالسوء وتحريض الشياطين لهم على ذلك وانحراف فطرهم، وقد ذكر الله عن قوم لوط أنه بلغ بهم الحال بحيث كانوا يتصورون أن العفافَ والطُّهرَ جريمةٌ يجب محاربة من يعتقدها ينظرون إليها باشمئزاز حيث قالوا عن لوط ومن آمن به على سبيل تعداد مساوئهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1].

فانقلب عليهم الحال فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وانعكست الأمور واختلت الموازين وهو بلا شك عقاب معجل من الله تعالى ونذير بسوء خاتمتهم.

* * *

(١) سورة الأعراف آية: ٨٢ .

نهاية أبي الخطاب

استمر أبو الخطاب في فجوره واستمالة الناس إليه والجد في دعوة الناس إلى مذهبه سرًّا وجهرًا إلى أن علم به والي الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور على الكوفة عيسى بن موسى فألقى القبض عليه. ثم قتله بسبخة الكوفة ثم صلب هناك وأراح الله منه المسلمين وذلك في سنة ١٤٣هـ[١]. «وكان أصحابه قالوا له: إنا نخاف الجند فقال لهم: إن أسلحتهم لا تعمل فيكم فلما ابتدؤوا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه: ألم تقل: إن سيوفهم لا تعمل فينا فقال: إذا كان قد بدا لله فما حيلتي؟!!»[٢].

ويذكر البغداديُّ أن أبا الخطاب نصب خيمة في كناسة الكوفة ودعا فيها أتباعه إلى عبادة جعفر ثم خرج أبو الخطاب على والي الكوفة في أيام المنصور فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى في جيش كثيف فأسروه فصلب في كناسة الكوفة[٣].

وأما ما زعمه من القول بالبداء على الله فقد تقدَّم الردُّ على هذه الفرية وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤] ولقد احتذى كثيرٌ من أتباع أبي الخطاب حذوه في ادعاء النبوة تأسيًا بشيطانهم الكبير كما سنذكرهم فيما يلي بإيجاز.

* * *

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١ صـ٣٣٦، وانظر الفرق بين الفرق صـ٣٤٧ تعليق محمد محيي الدين.

(٢) انظر فرق الشيعة للنوبختي صـ٩١ .

(٣) الفرق بين الفرق صـ٢٤٧ .

(٤) سورة الذاريات آية: ٥٣ .

المتنبئون من فرق الخطابية

١- بزيغ الحائك:

ذهب بعض الشيعة الخطابية – وهو من شنعهم – إلى القول بنبوة هذا الشخص وهو من أهل الكوفة وقد كان يعمل حائكًا إلا أنه طوَّر نفسه إلى دعوى مقام النبوة حيث استخف قومه فأطاعوه.

وفي هذا يقول عنه ابن حزم: «وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وإن وقع هذه الدعوة لهم في حايك لظريفة»(١) وذكر القميُّ أنهم زعموا أن بزيغًا نبي أرسله جعفر بن محمد أرسله هو وشخص آخر تنبأ أيضًا واسمه السري الأفصم(٢)، وشخص ثالث أيضًا اسمه صايد وسماه الأشعري في المقالات بزيغ بن موسى. وعند الإسفراييني في التبصير «أبي ربيع» وقد قال محمد محيي الدين: «وأغلب الظن أنه سهو وتحريف من النساخ»(٣).

ومن عقائده وفرقته:

١ – أنهم يزعمون أن جعفر بن محمد هو الله تشبه بصورة بشرية ويظهر من كلام البغدادي أن بزيغًا نفي أن يكون جعفر هو ذلك الذي يراه الناس بل كان الإله هو الذي يظهر بصورة جعفر.

٢– ومن مزاعمهم أن كل ما يحدث في قلوبهم هو وحي من الله تعالى، وأن كل مؤمن يوحى إليه مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٤) فسروا قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بوحي من الله، واستدلوا كذلك بقول الله تعالى:

---

(١) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٦ .

(٢) فرق القمي صـ ٥٢ .

(٣) الفرق بين الفرق صـ ٣٤٨ هامش ٢ .

(٤) سورة آل عمران آية: ١٤٥ .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[٢].

٣- تطاولوا على الملائكة والرسل فزعموا أن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد عليهم السلام.

٤- زعموا أنه لا يموت منهم أحد، وفسروا موتهم بأنه انتقال أو رفع إلى الملكوت.

٥- زعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشية[٣] ولا أدري ما المقصود بهذا الكلام الذي يكذبه الواقع بداهة؟! إلا أن يقولوا بأنها رؤية قلبية مع استبعاد هذا أيضًا. وزاد البغدادي أنهم ادعوا في أنفسهم أنهم هم الحواريون وذكروا قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وقالوا إذا جاز الوحي إلى النحل فالوحي إلينا أولى بالجواز[٤].

وقال الشهرستاني: «وتسمى هذه الطائفة البزيغية»[٥]. ومما لا ريب فيه أن الإنسان حينما يضل عن الصراط المستقيم يأتي بغرايب الأمور ويصل في الضلال إلى ما لا تصل إليه الحيوانات وسائر الأنعام، وقد أخبر الله تعالى عن هذا في كتابه الكريم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[٦]. فوصف الله الذين يخرجون عن هديه بأنهم ضلَّالٌ كالأنعام بل هم أشد منها في كل الأمور. فإن الأنعام لا تهتدي إلى المسالك الشنيعة التي اهتدى إليها أهل الشر والفجور في اقتناص الشهوات وفي عبادة غير الله تعالى.

إن الإنسان حينما يصل إلى حدِّ دعوى النبوة أو الألوهية بل إلى ما هو أقل من ذلك، وهو تزكية نفسه ومدحها إنما هو دليل على حمقه ورعونته الجامحة وهوانه

(١) سورة النحل آية: ٦٨ .

(٢) سورة المائدة آية: ١١١ .

(٣) انظر المقالات للأشعري جـ١ صـ٧٨ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق صـ٢٤٨ .

(٥) الملل والنحل جـ١ صـ ١٨٠ .

(٦) سورة الأعراف آية: ١٧٩ .

على الله تعالى، وقد ضرب الله مثلاً للمتكبر يدركه حتى أولئك الذين يدعون الألوهية من دون الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾(١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾(٢).

وحينما تقف أيها القارئ الكريم على دعوى بزيغ الحائك وفرقته من أن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو الله تشبه بصورته أو على الرواية الأخرى أن جعفرًا ليس هو الذي رآه الناس في حياته وإنما ذلك هو الله يترائى للناس أو زعمهم أن الله يوحى إلى كل واحد منهم ثم يلجؤون إلى آيات من القرآن الكريم ويكذبون على الله تعالى في معانيها ويؤولونها بكل صلافة على حسب هواهم أو تقف كذلك على تطاولهم على مكانة الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾. وبأنهم كرام بررة فيزعم هؤلاء أنهم خير منهم وخصوصًا حينما يفضلون أنفسهم على خيار الملائكة مثل جبريل وميكائيل أو خير البشر محمد بن عبد الله. أو تقف كذلك على زعمهم أنهم لا يموتون وإنما يرفعون إلى الملكوت أو أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشية. إلى غير ذلك مما يقوله هؤلاء من أقوال وما يعتقدونه من اعتقادات باطلة إنك حينما تقف على تلك الأمور كلها تندهش من جرأة هؤلاء على الكذب والتطاول إلى ما ليس لهم بحق، بل وتلمس بوضوح مقدار جهل الإنسان وقصوره حينما لا يقف عند حدِّ الشرع أو حدِّ العقل الذي وهبه الله له وتلك المعتقدات يكفي واحد منها لإلحاقهم بالحيوانات من الحمير والبغال وسائر الأنعام.

٢- معمر الكوفي:

وتسمى طائفته المعمرية ويقال لهم أيضًا: اليعمرية – كما يذكر الأشعرى–

---

(١) سورة الإسراء آية: ٣٧ .

(٢) سورة الحج آية: ٧٣ .

إحدى فرق الشيعة الخطابية الضالة زعموا أن معمرًا الكوفي نبي وقد شنَّع ابن حزم عقولهم الحمقاء وتهكم بهم بقوله ساخرًا منهم: وفرقة قالت بنبوة معمر بايع الحنطة بالكوفة[١].

وفي مختصر التحفة الاثنى عشرية أن أصحاب معمر كانوا يقولون بنبوة جعفر الصادق وأن أبا الخطاب بعده نبي ثم معمر بعده نبي وهو آخر الأنبياء وجميع أحكام الشريعة مفوَّضة إليه وحده[٢].

هذا وهم يقولون بإسقاط الأحكام ورفع التكاليف فيما يذكر عنهم الدهلوي وإذا كان الحال -كما ذكر- فأي أحكام الشريعة بعد ذلك تفوَّض إلى معمر اللهم إلا أن تكون شريعة الإباحية والهوى. بل ذكر الأشعري أنَّ هذه الفرقة وصلوا في الغلو في زعيمهم إلى حدٍّ أنهم عبدوه كما عبدوا قبله أبا الخطاب. قال الأشعري: وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك وقالوا بالتناسخ وأنهم لا يموتون.

ولكن يُرفعون بأبدانهم إلى الملكوت وتوضع للناس أجسادٌ شبه أجسادهم واستحلوا الخمر والزِّنا واستحلوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وهم يسمون المعمرية[٣].

وقال البغدادي: «وكانوا ينكرون القيامة»[٤]. والرد على هذه الأفكار وإبطالها لا يحتاج إلى علمٍ أو ذكاءٍ فهي أفكار تافهة نابعة من حماة الوثنية والإلحاد الصريح طافحة بالمجوسية، لقد جمع هؤلاء مذهبهم من أفكار شتى. فإن زعمهم أن الدنيا لا تفنى هو

---

(١) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٤ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية صـ ١٣ .

(٣) المقالات جـ ١ صـ ٧٨ .

(٤) الفرق بين الفرق صـ ٢٤٨ وانظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ صـ ١٨٠ .

مذهب الدهرية الباطل وإنكارهم الجنة والنار ويوم القيامة هو مذهب أهل الإلحاد. وقولهم بالتناسخ هو مذهب المجوس، واستحلالهم المحرمات وتركهم الصلاة هو مذهب المشركين. وهكذا أصبح مذهبهم خليطًا فاسدًا من الشرور كلها.

٣- عمار - الملقب خداش:

ذهب قسم من الخطابية إلى القول بنبوة هذا الشخص ذكر ذلك عنهم ابن حزم فقال: «وقالت فرقة من أولئك شيعة بني العباسي بنبوة عمار الملقب «بخداش» فظفر به أسد بن عبد الله القسري أخو خالد بن عبد الله القسري فقتله إلى لعنة الله»[١].

وذكره الأشعري في مقالاته وذكر أن فرقته تسمى العمارية نسبة إلى رئيسهم المذكور[٢] إلا أنه لم يذكر عن دعوى عمار النبوة شيئًا كما أنه نسبهم إلى الفطحية نسبة إلى عبد الله بن جعفر الذي كان أفطح[٣] الرجلين، وقد رجح عبد الحميد محي الدين في تعليقه على كتاب «الفرق بين الفرق» أن عمارًا المذكور اسمه عمار بن موسى الساباطي وأن له كتابًا معتمدًا عند فرقته لم يذكره بالاسم[٤].

٤- عمير التبان:

وذهب قسم من الشيعة الخطابية إلى القول بنبوة عمير التبان، وقد كان له موقف مع خالد بن عبد الله القسري وكان هذا - إضافة إلى ادعائه النبوة - سببًا في قتله. قال ابن حزم عنه: «وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة، وكان لعنه الله يقول لأصحابه: لو شئت أن أعيد هذا التبن تبرًا لفعلت، وقدم إلى خالد عبد الله القسري بالكوفة فتجلد وسبَّ خالدًا فأمر خالد بضرب عنقه فقتل إلى لعنة الله»[٥].

---

(١) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٦ .

(٢) وانظر المقالات للأشعري جـ ١ صـ ١٠٢ .

(٣) الفرق بين الفرق صـ ٦٢ وسماهم «الأفطحية».

(٤) تعليقه على كتاب الفرق بين الفرق صـ ٦٢ .

(٥) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٦ .

وفرقته تسمى العميرية، وهو عند الأشعري يسمى عمير بن بيان العجلي قال الأشعري عنهم: «وهذه الفرقة تكذب من قال منهم: إنهم لا يموتون ويزعمون أنهم يموتون ولا يزال خلف منهم في الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفرًا كما عبده العميريون وزعموا أنهم ربهم»(١). وقد سلط الله على زعيمهم عمير يزيد بن عمر بن هبيرة فقتله. والواقع أن هذه الأفكار تدل على تغلغل الوثنية والمجوسية إلى عقولهم كما تدل على مدى الحمق الذي تميز به هؤلاء، ذلك أن الاختلاف في وقوع الموت أو عدم وقوعه على أي كائن حي إنما هو خلاف تافه لا ينبغي أن يكون إلا في عنابر المجانين فإن وقوع الموت على كل كائن أمر لا يقبل أدنى شك بل ربما تعرف ذلك أيضًا الحيوانات، بل بالتأكيد عرفته كما أخبر الله تعالى عن النملة التي نصحت بقية النمل بالابتعاد عن مكان مرور سليمان وجنوده خوفًا من الموت ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

زعمهم أنه لا يزال خلف منهم في الأرض أئمة أنبياء إنما هو من تخرصاتهم الكاذبة وجهلهم بالإسلام. وأما عبادتهم لجعفر وزعمهم أنه ربهم فهذا من عجائب الإنسان حينما يخرج عن شرع الله تعالى حيث يصبح أضل من الأنعام.

كما أن جَمْعَ هؤلاء العميرية بين القول بربوبية جعفر والقول بنبوة بعض الناس وأن الله هو الذي أرسلهم يعتبر منتهى تناقضهم وسخافة عقولهم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾(٢).

تعقيب على آراء تلك الفرق الأربع من الخطابية:

لقد اتفقت البزيغية والمعمرية والعميرية والعمارية على الكفر بالله، وتعظيم رئيس ملتهم الأول وهو أبو الخطاب القائل بألوهية جعفر بن محمد، وقد استظرف ابن حزم –رحمه الله– تعلق البزيغية بحائك جاهل وزعمهم أنه نبي وحق له ذلك

---

(١) المقالات جـ ١ صـ ٧٩.

(٢) سورة الإسراء آية: ١٧.

فلقد وصل هؤلاء في ضلالهم إلى الخروج عن بداهة العقول الإنسانية وصاروا أضلَّ من البهائم. وهذا أمر حتميٌّ في مثل هذه الضلالات التي اتفق عليها هؤلاء الخطابية، ومع ذلك فهم يزعمون أن الله يوحي إليهم؛ لأنهم أولى من وحيه إلى النحل، وما فهم هؤلاء أن النَّحل خيرٌ منهم وأن الوحي الذي يأتيها عن الله إنما هو الإلهام وليس وحي شريعة وعبادة، فإن النَّحل لا يمكن أن يجعل الله له رسلاً لهم شرائع وأوامر ونواهٍ إلا في أفهام البزيغية الزائغة.

وأما زعمهم أنهم هم الحواريون فلا شك أنهم من حواريِّ الشياطين الذين أوصلوهم إلى هذا المستوى من الكفر والإلحاد، وأما تطاولهم على الأنبياء والملائكة؟!! فإنه تطاولٌ يدل على حمقهم بدليل ادعائهم النبوة وأين هم وأين الملائكة؟! وأين هم وأين محمد رسول الله ﷺ؟!!. فالملائكة عباد مكرمون خلقهم الله لعبادته وتقديسه، ومحمد ﷺ هو أشرف الأنبياء والمرسلين فبم فاق البزبغيون صفوة المخلوقات هؤلاء وكيف أجازت لهم عقولهم أن يتفوهوا بهذا الإفك والافتراء.

ومن غريب أمرهم؟!، ذلك العناد والاستكبار حيث لم يعترفوا بأنهم يموتون كما يموت الناس بل ينتقلون بزعمهم إلى الملكوت، وسبب هذا الموقف منهم هو اعتمادهم على عقيدة التناسخ الباطلة التي توحي لهم بأن كل هذه الكائنات الحية كانوا بشرًا انتقلوا عن طريق التناسخ إلى أن يتم انتهاء تكرار المولد عنهم، ومعلوم أن هذه العقيدة إنما هي عقيدة الهندوس عباد البقر والشجر والحجر والفروج. فكيف يحق لهم بعد ذلك الانتساب إلى الإسلام؟!. وفرقة المعمرية الذين قالوا بنبوة زعيمهم معمر الذي وصفه ابن حزم بأنه بائع الحنطة يقال: كيف وصلت إليه النبوة؟ بل وبأي وجه ساغ لهم أن يجعلوه آخر الأنبياء؟!. هل ذلك ليقفلوا باب النبوة بعده لإبقائها فيهم؟! نعم هذا هو الهدف إنها الرغبة في الزعامة والسيطرة.

ولقد توَّجوا كفرهم بإنكار القيامة وإنكار الجنة والنار وقولهم بالتناسخ

واستحلالهم الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركهم كل أنواع الدين إذًا فبماذا أرسل نبيُّهم بعد هذا كله؟! أليس هذا هو الكذب المفضوح؟.

وكذلك أيضًا فرقة العميرية الذين دانوا بربوبية جعفر من دون الله وخالفوا قومهم فقط في أنهم يموتون، فنعم! إنهم يموتون رغم أنوفهم وسيبعثون ويحاسبون شاؤوا أم أبوا. وزعمهم أنه لا يزال خلف منهم في الأرض يتلقون النبوة أبدًا تلك أمانيُّهم الحمقاء بل لا يزال خلفهم وسلفهم في الفتنة يعمهون وإلى الكفر يتسابقون لا إلى أخذ النبوة. ولقد زيِّن لهؤلاء كلهم سوء أعمالهم فرأوها حسنة سوف يرون عاقبتها عندما يقفون عليها يوم القيامة والعرض على رب العالمين.

٥- الحارث الكذاب:

اسمه الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي تنبَّأ هذا الرجل في زمن عبدالملك بن مروان. وقد لقبه الناس بـ«الكذاب» وهو من أهل دمشق مولى أبي الجلاس العبدري وقيل: مولى الحكم بن مروان وأصله من مكان يسمى «جولة».

كان في بدء أمره عابدًا زاهدًا يُرى عليه أثر العبادة والتقوى والخشوع حتى قيل عنه: «لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه» ولكنه رجع القهقرى لشقوته ونفسه الأمارة بالسوء. وقد خَدَعه الشيطان وأخرجه عن أولياء الله إلى أعدائه بما زَيَّن له من أمور ظنها كرامات من الله وأنه صار بها نبيًّا حسب ما طوَّعت له نفسه وقد فطن في بدء الأمر إلى خداع الشيطان له ولكن بتحريض من قرناء السوء وتزيين الشيطان له مضى في غوايته، وذلك أنه كتب إلى والده يقول له: «يا أبتاه أعجل عليَّ فإني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين» ولكنَّ هذا النداء لم يلق ناصحًا بل لقي غويًّا فقد كتب إليه والده يقول له: «يا بني أقبل على ما أمرت به إن الله يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[1] ولست بأفاكٍ ولا أثيمٍ فامض

(١) سورة الشعراء آية: ٢٢١-٢٢٢ .

لما أُمرتَ به[1].

بدء إظهار الغواية:

وحينما استقر رأيه على إظهار نفسه نبيًّا. كان يأتي إلى أهل المساجد، وكلُّ من يجده سامعًا لكلامه فيحدثه بأمره ويريه الأعاجيب التي حصلت له ثم يأخذ عليه العهود الغليظة أنه إن رأى ما يرضى قبل وإلا كتم عليه واستمر على هذا الحال حتى اجتمع له أقوامٌ كثيرون وفشا خبره بل ووصل إلى عبد الملك فكان له معه شأن كما سيأتي

من دعاياته لطريقته:

لقد برع في خداع الناس وخدمته الشياطين وجاء بعجائب تحير عقول الجاهلين وزخرف القول غرورًا – كما هو الحال في كل مخادع مكار فمن ذلك:

١ - أنه كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح بصوت يسمع.

قال ابن كثير: «قلت: وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية –رحمه الله– يقول: كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح وكان زنديقًا».

٢- كان يأتي إلى أصحابه بفاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

٣- كان يزعم لأتباعه أنه يريهم الملائكة على الخيول ما بين السماء والأرض بل كان يريهم ذلك فعلاً حيث كان يخرج بهم إلى مكان يسمى «دير المراق» فيريهم رجالاً على خيل بين السماء والأرض.

وقد استمر في ضلالاته وتمويهه على الناس حتى أذن الله في هلاكه فقيض الله له من أنهى أمره وأراح منه الناس.

نهايته:

رغم إخفائه لخبره وتستره وأخذه العهود على كل من استجاب له، لكنه فشا أمره وكثر أتباعه وأنصاره ووصل خبره إلى ولاة الدولة حيث علم به القاسم بن مخيمرة

(١) أنظر تلبيس إبليس صـ ٢٧٨ .

فقال له: إني نبيٌّ!!! فقال له القاسم: كذبت يا عدو الله ما أنت بنبيٍّ ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ: «**إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبيٌّ**»(١) وأنت أحدهم ولا عهد لك. ثم ذهب إلى أبي إدريس قاضي دمشق فأخبره بمقالة الحارث وما رد عليه القاسم فقال له: بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه الآن يفر، وقام أبو إدريس من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فاهتم له عبد الملك فبعث في طلبه وكان الحارث قد فطن لهذا فحذره فلم يجده طلب الخليفة مما اضطر عبد الملك إلى أن يخرج بنفسه على رأس جيش وسار حتى نزل مكانًا يسمى (الغبيرة أو الصنيبرة) كما ذكر ابن الجوزي أو النصرية كما سماها ابن كثير.

وقد خاف عبد الملك أن يكون كل عسكره يرون رأى الحارث ولا شك أنه موقف مزعج له سياسيًّا ودينيًّا وهو أشد ما يقلق ولاة الأمور.

كيف تم إلقاء القبض عليه:

حينما علم الحارث بوصول أخباره إلى الدولة خاف من ذلك فتوجه سرًّا من دمشق إلى بيت المقدس واتخذ له دارًا وجهزها بما يحتاج إليه إن ظهر عليه خوف من أي عدو.

ولم يكن يخرج منها بل كان يرسل أتباعه ليأتوه بالناس في مكانه السري فيعرض عليهم أمره ويدعوهم إلى الالتفاف إلى حركته ومناصرته، وتم الأمر على ذلك حتى قيَّض الله له رجلاً من أهل البصرة جيء به إليه فأخذ في التحميد وفي إخباره بأمره وأنه نبي مبعوث ومرسل. وكان الرجل أذكى منه وقد أراد أن يتقرب به إلى الله ثم إلى عبد الملك فقال له: إن كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر فأعطاه الحارث المهلة التي يريدها فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه فقال: إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم فسرَّ منه الحارث وأمر أن لا يحجب

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

عنه متى أراد الدخول عليه. وكان هدف البصري من كثرة الدخول عليه أن يعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به. وحينما وصل منه إلى هذه المنزلة والثقة أراد البصري أن ينهي الشر ويحسمه فقال له: ائذن لي فقال: إلى أين؟ فقال: إلى البصرة فأكون أول داع لك بها وهذا الوعد مما يتلهف عليه الحارث ويسر به فأذن له في الذهاب. فتوجه فورًا ليس إلى البصرة وإنما إلى قامع فتنة الحارث إلى عبد الملك بن مروان. وحينما قرب منه صاح بأعلى صوته النصيحة النصيحة.

فقال أهل العسكر: وما نصيحتك؟ قال: نصيحة لأمير المؤمنين فأذن له الخليفة بالدخول فدخل وهو يقول: النصيحة فقال له: وما نصيحتك؟ قال: أخلني لا يكن عندك أحد فأخرج من في البيت، وقال له: أدنني قال: ادن فدنا وعبد الملك على السرير قال: ما عندك؟ قال: الحارث، فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال: أين هو؟ قال: يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال: أنت صاحبه، وأنت أمير بيت المقدس، وأميرنا هاهنا فمرني بما شئت.

فأعمل البصري حيلته وبمعاونة أمير بيت المقدس حتى تم إلقاء القبض عليه في أحد المخابئ التي أعدها لنفسه فأمر به عبد الملك أن يصلب في خشبة ثم أمر بطعنه بالرمح إلى أن مات. وفي رواية لابن كثير[1] في كيفية القضاء عليه أنه دخل عليه رجلان فدعاهما إلى نبوته فكذباه ودخلا على عبد الملك فأخبراه، ويمكن الجمع بين هذا الخبر وما قبله بأن البصريَّ أخبره ثم جاء الرجلان فأخبراه أيضًا[2].

ومما يذكر أن الحارث في أثناء مسيرهم به إلى عبد الملك جعلت في عنقه جامعة من الحديد وجمعت يداه إلى عنقه فلما أشرف على عقبة بيت المقدس تلا هذه الآية: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾.

(١) جـ٢ صـ٢٧.

(٢) سلسلة طويلة.

فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به. فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب(١) قال ابن كثير: «وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول: سمعت العلاء ابن زياد العدوي يقول: ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا لقتله حارثًا. حيث إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي فمن قاله فاقتلوه، ومن قتل منهم أحدًا فله الجنة**».

وجدير بالذكر أن ما وقع منه من إسقاط الحديد بمجرد قراءة آية من القرآن الكريم. إنما هو زيادة في الابتلاء والفتنة من الله للمؤمنين ليكونوا على يقين وثبات في إيمانهم بختم النبوة بمحمد ﷺ.

وفيه كذلك مدى مدافعة الشياطين عن أوليائهم وتخويف الناس منهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(٢).

وفيه أن المؤمن بربِّه ونبيِّه يجب أن يكون واثقًا من ذلك ثابتًا لا تزعزعه ترهات الدجالين ومخاريقهم مهما زخرفوا من القول ومهما ابتكروا من حيل وليعلم المؤمن أن ذلك كله من الشياطين حيث سلطهم الله تعالى ليبتلي المؤمن الصادق، ليظهر مدى ثقته ويقينه وصلابته في دينه، فإن كثيرًا من الدجاجلة يأتون بعجائب من الحيل والكلام المعسول مما ينحرف معه ضعفاء الإيمان واليقين بسبب أنهم لم يحصنوا أنفسهم ولم يوطِّنوها على رفض كل ما يصدر عن من لا خير فيه ولا دين عنده. فإن الشخص العارف بالدرب والواثق من صحة سيره عليه لا يلتفت إلى كثرة الدروب

(١) انظر البداية والنهاية جـ ٩ صـ ٢٧ – ٢٨، تلبيس إبليس صـ ٣٧٩، وانظر معجم البلدان جـ ٢ صـ ٣٢٣ وقد ذكر أن الحارث من قرية تسمى «الحولة» وهي من أعمال دمشق وذكر قصة الحارث كلها.

(٢) سورة آل عمران: آية: ١٧٥ .

المتشابهة ولا يلقى لها بالاً. ومن هنا يجب أن نحذر كلَّ ما يضرنا في ديننا أو يشككنا فيه بحيث لا نسمع ولا نقرأ ولا نلقي أي اعتبار لكل ما يصدر عن أعداء ديننا. إلا إذا كنا على مستوى من المعرفة بحيث نسمع أو نقرأ للرد عليه وإبطاله لا لمجرد القراءة والاطلاع فقد ينخدع الشخص في أثناء سماعه أو قراءته لأعداء الإسلام بما يؤثر عليه عاجلاً أو آجلاً بسبب ما يسمعه من أكاذيبهم وشبهاتهم وزخارف أقوالهم فيعلق بذهنه ما لا يقدر على دفعه بعد ذلك. وكم وقع من الناس ضحايا هذا التصرف!! إما بسبب قصور معرفتهم بدينهم وأكاذيب أعداء الإسلام. وإما عقاب لهم من الله بسبب إصغائهم إليهم واستحسانهم أفكارهم، فالعاقل يحمي نفسه وأهله وكل من يقبل نصيحته من خداع الخادعين وأكاذيب الدجالين خصوصًا في عصرنا الحاضر عصر الدعايات والخطب الرنانة والغزو الفكري المنظم ووسائل الإغراءات المختلفة حيث انتشرت في كل مكان، وفي كل مصدر خصوصًا أجهزة الإعلام التي لا حدَّ لها من إذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات وأشرطة كاسيت وفيديو وغيرها من الوسائل الهائلة التي خربت الاعتقاد السليم وانحرفت بالشباب إلى الخروج عن النهج السليم والصراط المستقيم مما يستوجب زيادة الانتباه وإلزام النفس بما يعود عليها بالخير والفائدة والابتعاد عن كلِّ ما يضرها في العاجلة والآجلة.

وعلينا أن نعتبر بمن مضوا قبلنا وأن نحذر الدعايات البراقة والحيل الخادعة، فقد رأينا مدى ما وصل إليه الحارث من أمورٍ تحير الشخص بحيث ينقر بظفره رخامة في المسجد فتسبح بصوت مسموع وغير ذلك من حيله التي قد تخفى على البسطاء والعوام من الناس. فإن العاقل العارف يعلم أنه لا يمتنع أن يكون الذي يسبح في الرخامة شيطان قريب منها لا يراه الناس وهذا غير ممتنع، وإثبات شيخ الإسلام أن الحارث كان ينقر الرخامة في المسجد فتسبح وقوله بعد ذلك: «وكان زنديقًا» يؤيد هذا التعليل.

فإن شياطين الإنس وشياطين الجن يقوي بعضهم بعضًا وينفع بعضهم بعضًا.

وأما إطعامه لأصحابه فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فإنه ليس من الأمور المستحيلة لأمور:

١- أن الصيف والشتاء لا يكونان في كل العالم في وقت واحد فلا يبعد أن تأتي له الشياطين من أقصى الأرض بتلك الفاكهة.

٢- لعله اهتدى إلى طريقة يحتفظ فيها بفاكهة الصيف إلى الشتاء وبالعكس، وهذا في الإمكان إما بواسطة العسل أو غيره من المواد الحافظة التي كانت تستعمل في الزمن القديم.

وأما رؤيتهم الملائكة فما لا شك فيه ولا ريب أن أولئك ليسوا هم الملائكة وإنما هم شياطين يتمثلون للناس فإن الملائكة لا يراهم إلا الأنبياء وبطرق غير تلك الطرق التي تمت للحارث في دير المراق وغير الحارث من المارقة.

* * *

الفصل الرابع..

المتنبئون في عصر الدولة العباسية

المتنبئون في عصر الدولة العباسية..

جاءت الدولة العباسية وجاءت معها روافد حضارات مختلفة، ودخلت الأفكار المتباينة في مفاهيم الناس بعد أن كانت الواجهة للدولة الإسلامية هي الحضارة العربية والعرق العربي فقط. وبحكم أن الدولة العباسية قامت من البداية على أكتاف غير العرب في معظم الأمور فقد تدرجت قوة غير العرب رويدًا رويدًا إلى أن اكتملت في عهد حكام الدولة العباسية فظهرت القوي الفارسية، والهندية، والتركية، واليونانية، واختلط الحابل بالنابل كما يقال في المثل العربي، واتسع الخرق على الراقع، وأصبحت التيارات المختلفة بحارًا تتلاطم أمواجها، وانحصر النفوذ العربي ولم تعد له تلك المكانة في عصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية. وزاد الطين بلة ترجمة الكتب الأجنبية حيث انتشرت الأفكار الهدامة من كل جانب. وظهر المناوئون للعقيدة الإسلامية علانية من ادعاء النبوة والألوهية والإلحاد مع ما قيضه الله من وقوف العلماء المدافعين عن الإسلام ورد تلك التيارات المنحرفة والوقوف في وجوه أتباعها.

وفيما يلي نبين حركة المتنبئين في العصر العباسي المليء بالأحداث:

١- الحسين بن أبي منصور العجلي:

بعد أن قتل والده أبو منصور العجلي مصلوبًا قام هذا الجريء وادعى أنه نبي يوحي إليه وانضم إليه أتباع والده وغيرهم[١]. وجبيت إليه الأموال وقد ألقي عليه القبض ثم أتى به إلى الخليفة العباسي المهدي. وبعد استجوابه أقر بكل دعاويه أمامه فأمر بقتله وصلبه بعد أن أخذ منه مالاً عظيمًا. وطلب أصحابه فقتل منهم جماعة وصلبهم. قال القمي عن قتله: «ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبي منصور وقد تنبأ وادعى مرتبه أبيه»[٢].

---

(١) الفرق بين الفرق صـ ٤١ «التعليق».

(٢) وانظر مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٩ وفرق النوبختي صـ ٣٤ وفرق القمي ٤٧ .

وهكذا أثَّرت التربية الخاطئة حيث كان والده ضالاً فاقتدى به ابنه وسار على ضلاله ولاقى نفس المصير الذي لاقاه والده ولو كان الأب صالحًا ومربيًا أمينًا لتغير مسلك ولده بل لتغير مسلكه هو أولاً ولكنك لا تجني من الشوك العنب.

والذي يظهر أن الحسين لم يبق طويلاً بعد والده ولم يكن له شأن أكثر من أنه أراد أن يحافظ على تجمع أتباع أبيه بعد أن ادعى النبوة وحيل بينه وبين ما يشتهي ولهذا لم يحفل علماء الفِرَقِ والتاريخ بذكره كثيرًا.

٢- محمود بن الفرج النيسابوري:

هذا الرجل ادعى النبوة في زمن المتوكل سنة ٢٣٥ هـ وفي بلدة يقال لها: سامرا وزعم أنه ذو القرنين وأنه نبيٌّ حيث زعم أنه هو وقد أطاعه قلة من الناس حددهم الطبري وابن الأثير بسبعة وعشرين رجلاً فعاجلهم المتوكل على الله – جعفر بن المعتصم – بالعقوبة حيث أمر بمحمود بعد أن جيء به إليه أن يضرب ضربًا شديدًا ولم يكتف بهذا بل وأمر بحمله إلى أصحابه وأن يضربه كل رجل منهم عشر صفعات ففعلوا وحمل محمود إلى باب العامة فأكذب نفسه. وأخذوا له مصحفًا فيه كلام قد جمعه وذكر أنه قرآن وأن جبريل نزل به ثم مات من الضرب في ذي الحجة وحبس أصحابه(١). هذا هو الجزاء الصارم والعقاب الرادع حيث ضاعف الخليفة إهانته لمدعي النبوة بأن يضربه أصحابه ويلطموه على وجهه وهو يُكَذِّب نفسه ويتبرأ من أقواله، هذا هو الذُّلُّ المعجل في الدنيا فكيف يكون حاله في الآخرة من كذبه على الله وإرادة تغيير شرعه وإبطال أحكامه وصرف الناس عن القرآن الكريم إلى التلفيقات التي ساعدته عليها شياطين الإنس والجن؟!! ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾. تلك عاقبة الجرأة على دعوى النبوة وذلك مصير كل طاغٍ ومستكبر.

فهذا وأمثاله يستحقون الصَّغار والذُّل وكان الناس يعاملونهم على هذا الأساس إلا من زاغ قلبه.

(١) انظر تاريخ الطبري صـ ١٧٥ والكامل لابن الأثير جـ ٧ صـ ٥٠ .

ولا أدل على استهانة الناس بمدعي النبوة ما يفعله كثير من المؤرخين من ذكر حركة الشخص وصولته وجولته وأفعاله القبيحة ودعواه النبوة واستمالة الناس إليه وقوة حركته دون أن يذكروه بالاسم كما فعل ابن الأثير رحمه الله حين ذكر الشخص الذي ادعى النبوة في سنة ٣٢٢ هـ فقد ذكر أخباره كلها وما لقيه من جزاء هو وأتباعه ولم يذكر له اسمًا استهانة به فيما يبدو، وقد ظهر هذا الرجل في بلدة يقال لها: «باسند» ودخل الناس في طاعته فوجًا بعد فوج وقويت حركته جدًّا وقتل كثيرًا ممن خالفه.

وكان يستعين ببعض الحيل والمخاريق للتمويه بها على السذج والبسطاء من العامة فكان يدخل يده في حوض ملآن ماءً فيخرجها مملوءة بالدنانير وغير ذلك من الأمور التي كان يجيدها بواسطة السحر وحذق الحيل فتبعه بشر كثير، وصار يشكل حركة خطيرة في زمن خلافة الراضي بالله العباسي - أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله.

فأرسل إليه أبو علي بن محمد بن المظفر جيشًا فحاربوه وضيقوا عليه وهو فوق جبلٍ عالٍ حتى قبضوا عليه وقتلوه وحملوا رأسه إلى أبي علي وقتلوا خلقًا كثيرًا ممن اتبعه وآمن به وكان يدعي أنه متى مات عاد إلى الدنيا فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما هم عليه من ذلك الاعتقاد السخيف إلى أن انقرضوا[١].

والعبرة التي ننتفع بها من هذا الحدث أن فيه من الناس كما ذكرهم الله في القرآن الكريم من هو أضل من الأنعام[٢] وأحطُّ فهمًا منها إذ كيف صدَّق هؤلاء - وهم عدد كثير - أن إنسانًا مثلهم يموت ثم يعود إلى الدنيا مسرعًا ويظلون على انتظاره بفارغ الصبر حتى تنتهي آجالهم ولا يزالون على تصديقه لقد جنَّبوا عقولهم جانبًا وأحلوا محلها الشياطين تتلاعب بهم.

---

(١) الكامل جـ٨ صـ ٢٨٩ .

(٢) انظر سورة الأعراف آية ١٧٩، وانظر البداية والنهاية جـ ١١ صـ ١٧٩ .

ولعل في هذا الحدث أيضًا تسلية للدعاة إلى الله أن لا ييسئوا من وجود من يقف إلى جانبهم، فإن الناس منهم جداول، ومنهم جلامد، ومن النفوس حرائر وإماء فإنه – كما يدل الواقع – ما من داعٍ يدعو إلى خير أو إلى شرٍّ إلا ويجد له من يقف إلى جانبه، وإن الدعاة إلى الله إن تركوا الناس وما هم عليه فإنما يتركونهم إلى مثل هؤلاء الضالِّين المضلِّين الذين يفسدون عقولهم وأفهامهم ويصيِّرونهم مثل البهائم أو أضل لعدم وصول النور الإلهي إليهم وبطريقة صحيحة واضحة فتتلقفهم شياطين الإنس والجن ليجعلوا منهم جنودًا مجندة ومطايا للوصول إلى أغراضهم السيئة.

ويأبى الله عز وجل إلا إظهار دينه ولو كره الكافرون وما من كاذب على الله إلا ونجد أن الله يخزيه في دنياه ويظهر كذبه وفجوره نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة.

٣- المقنع الساحر:

اسمه حكيم أو عطاء. ظهر هذا المتنبئ في بلاد خراسان وكانت له شوكة قوية فيها وكان ماهرًا في السحر وظل شره يتطاير إلى أن مات مسمومًا من قبل نفسه وفيه يقول صاحب «نزهة الألباب»: والمقنع الساحر الذي ادعى النبوة في زمن المهدي العباسي وغلب على كثير من خراسان وكان يظهر في السماء بدرًا. فكان الناس يقولون: «بدر المقنع» وفيه يقول المعري:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وتيه مثل بدر المقنع

حوصر مدة فامتص خاتمًا فيه سم فمات[1].

وسماه الذهبي عطاء المقنع الساحر العجمي قتل في عهد الخليفة العباسي المهدي وحينما أحس بالهزيمة سقى نفسه وحظاياه بالسم فماتوا فاحتز جيش المهدي رأسه وبعثوا به إليه على قناة وذكر الذهبي أن هذا الرجل ادعى الربوبية وكان

(١) نزهة الألباب في الألقاب جـ٢ صـ ١٩٢ .

قبيح الوجه أعور قصيرًا فيه لكنة اتخذ وجهًا من الذهب فتقنع به فسموه المقنع. قال ابن سناء الملك:

إليـك فمـا بـدر المقنـع طالعًـا بأسـحر مـن الحـاظ بـدر المعمـم

وكان قمر المقنع يرى من مسافة شهرين[1].

ادعاء الباطنية نبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر:

ادعت جماعة من القرامطة أن هذا الشخص نبيٌّ ووصلوا في ذلك إلى الكفر البواح، قال ابن حزم: «وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم القرامطة»[2].

وقال البغدادي عن الإسماعيلية القرامطة: «وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل» وافترق هؤلاء فرقتين.

١- فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

٢- وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث أن جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل[3]، والواقع أن أخبار القرامطة وغلوَّهم في محمد بن إسماعيل مما لا يمكن الإتيان بها هنا لكثرتها ولا يهمنا منها هنا إلا جانب ادعائهم نبوة محمد بن إسماعيل وكفرهم بختم النبوة بمحمد ﷺ شأنهم شأن غيرهم من فرق الكفر والضلال.

٥- المتنبئ حاميم:

ظهر هذا المتنبئ في المغرب سنة ٣١٣هـ في تطوان وقد استمرت فتنته سنتين إلى

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء جـ ٧ صـ ٦، ٣-٧، ٣.

(٢) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٤.

(٣) الفرق بين الفرق صـ ٦٢، وانظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١٦٧ – ١٦٨ جـ ١.

أن قتل بقصر مصمودة بجوار طنجة كما يذكر ابن خلدون.

ولم أجد من توسع في أخباره كغيره من المتنبئين الذين كانت لهم شوكة ومنعة.

٦- المتنبئ أبو عيسى «إسحاق بن يعقوب الأصفهاني»:

ظهر هذا المتنبئ في خراسان وصار له أتباع كثيرون من اليهود وقد ذكره صاحب المصباح المنير بقوله: «وعيسى رجل أقام بأصفهان ويقال: أصله من نصيبين ادعى النبوة واتبعه قوم من اليهود من يهود أصفهان فنسبوا إليه وهم يعترفون بنبوة محمد ﷺ لكنهم قالوا: إنما بعث للعرب خاصة»[١].

قد ذكر أصحاب الفرق هذه الطائفة المشهورة باسم العيسوية وذكر الشهرستاني بعض أخبار أبي عيسى وأن بعض الكتاب يسميه «عوفيد ألوهيم» أي عابد الله عاش في زمن المنصور العباسي وكان قد ابتدأ دعوته في آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد وانضم إليه كثير من اليهود كعادتهم في استغلال كل حدث لصالحهم.

وقد زعم لهم أبو عيسى أن الله كلفه بخلاص بني إسرائيل من أيدي الأمم الظالمين لهم وقد ظهرت عليه المجوسية حيث حرم أكل كل ذي روح[٢]. وهو من يهود إيران وخلف فرقة «اليودجاينة» فيما يذكره ديب على حسن[٣].

٧- أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب:

قال في «لسان الميزان»: أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي سنان أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور ثم قال: «قلت: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد وقيل أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي أبو الطيب[٤] ولا منازع أنه أحد فحول الشعراء وقد عرف «بالمتنبئ» ولا يجهل منزلته الشعرية طالب

(١) المصباح المنير جـ ٢ صـ ٤٤٠ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ صـ ١٨١ .

(٣) أدعياء النبوة صـ ١٤٧ .

(٤) لسان الميزان جـ ١ صـ ١٦٠ .

علم، كان أبو الحسين بن عبد الصمد يسقي الماء لأهل الكوفة على بعير له. ولد المتنبئ سنة ٣٠٦هـ في الكوفة، ولكنه نشأ في الشام وقد فاق أهل زمانه في الأدب وكانت له همة كبيرة في العلو والشهرة كثير التجوال في الأمصار لمدح الحكام وأشهرهم سيف الدولة الحمداني الذي أطراه المتنبي بقصائد كثيرة. كما مدح كافورًا الإخشيدي حاكم مصر في ذلك الوقت وبقي عنده فترة ولم ينل ما أمله فيه رغم مدائحه له وكان كافور ذكيًا عارفًا نفسية المتنبئ فماطله إلى أن نفذ صبر المتنبي فأخذ في هجائه وذمه بقصيدته المشهورة ومطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

ثم هرب إلى بغداد فأرسل كافور في طلبه فأعجزه فقيل لكافور: ما هذا حتى تخافه؟ قال: هذا رجل أراد أن يكون نبيًا بعد محمد أفلا يروم أن يكون ملكًا بديار مصر، والملك أقل وأذل من النبوة».

ثم توجه المتنبي إلى مدح عضد الدولة بن بويه في فارس فأعطاه مالاً كثيرًا ولكن هذا المال الذي قيل: إنه ثلاثون ألف دينار كان نكبة عليه وسببًا في قتله، وذلك أن عضد الدولة حينما أعطى المتنبي ذلك المال دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل وفيها تكلف وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها؛ لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ ودسَّ عليه طائفة من الأعراب بأن يقتلوه ويأخذوا ما معه من الأموال وتم ذلك. ولقد صدق من قال:

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

دعوى النبوة:

هل ادعى أبو الطيب النبوة؟ وهل ثبت ذلك عنه صراحة؟

لقد احتدم الخلاف في ذلك طويلاً فمن ذاهب إلى أنه ادعى النبوة، ومن مدافع عنه بأنه لم يدعها وإنما نسبت إليه دعوى النبوة افتراء عليه.

فذهب ابن كثير -رحمه الله- إلى الجزم بأنه قد ادعى النبوة فعلاً بل وإنه حاول الإتيان بعبارات نمّقها يشابه بها القرآن الكريم، وقد تبعه جماعة من الجهال والسفلة فقال عنه: «وقد كان المتنبي جعفي النسب... وقد ادعى حين كان مع نبي كلب بأرض السماوة قريبًا من حمص أنه علويٌّ. ثم ادعى أنه نبي يوحي إليه فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم.

وزعم أنه أنزل عليه قرآن، وقال أيضًا: «وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادَّعاه من الإفك والبهتان، وهي لفظة المتنبي الدالة على الكذب، ولله الحمد والمنة».

الوحي الذي زعمه المتنبي:

ادعى المتنبي - فيما يذكر ابن كثير عنه - أن الله أنزل عليه وحيًا منه قوله: «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي خسار، امضي على سنتك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك من ألحد في دينه وضلَّ عن سبيله». وقد علَّق ابن كثير على هذا الكلام بقوله: «وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره ولو لزم قافية مدحه النافق بالنفاق والهجاء بالكذب والشقاق لكان أشعر الشعراء[1] وأفصح الفصحاء، ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذي لو اجتمعت الجن والإنس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سوره لما استطاعوا».

وقال في القاموس المحيط:

«وتنبأ: ادعاها، ومنه المتنبي أحمد بن الحسين خرج إلى بني كلب وادعى أنه حسنيٌّ ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس دهرًا طويلاً ثم استتيب وأطلق»[2].

وذكر في لسان الميزان أن المتنبي ولد سنة ١٣١هـ، وقتل في شهر رمضان سنة ٣٥٤هـ. وعن قضية نبوته قال: «قال القاضي ابن أم شيبان سألته عن معنى المتنبي

---

(١) وللمتنبي ديوان من الشعر مشهور قلما يجهله أديب، وقد شرحه العلماء عدة شروحات.

(٢) القاموس المحيط جـ١ صـ٦٧ .

قال: هو لقب من الألقاب أو له سبب من الأسباب؟ فقال: هذا شيء كان في الحداثة أوجبته صورة قال: فلم أستقص عليه استحياء منه. وذكر علي بن منصور في رسالته إلى المعري أن المتنبي قبض عليه في وزارة علي بن عيسى وحبس ثم أحضره وسأله فاعترف بادعاء النبوة فأمر بصفعه فصفع خمسين صفعة، وأعيد إلى الحبس، ويقال: إن ابن خالويه قال له في مجلس سيف الدولة: لولا أنك جاهل ما رضيت أن تدعي المتنبي. ومعنى المتنبي كاذب، والعاقل لا يرضى أن يدعي الكذب. فأجابه بأني لا أرضى بهذا ولا أقدر على دفع من يدعوني به[1].

وفي تاريخ بغداد أن المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علويٌّ حسنيٌّ ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعي أنه علوي إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوتين وحبس دهرًا طويلاً»[2].

وفي أبجد العلوم قال القنوجي: «وإنما يقال له: المتنبئ؛ لأنه ادعى النبوة حتى حبس ثم تاب وأطلق»ثم قال: «هذا أصح».

وقيل: لقوله: «أنا أول نبي بالشعر» وقيل: لقوله:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في عود[3]

والله أعلم بحقيقة أمره. والذي يتبادر إلى الذهن أن هذا الرجل لم تكن له شوكة ولم يتظاهر بالنبوة، ولم يزعم أنه أنزل عليه قرآن غير ما ذكره ابن كثير من أسجاعه. وغير ما يقال عن بعض فلتات لسانه كما أن خصومه كثيرون بسبب هجائه لهم وإضافة إلى ما كان له من الطمع في الشهرة والجاه.

وقد وجدت كتابًا للعلامة محمود شاكر عن المتنبي بخصوصه، وقد دافع عنه كثيرًا وأكد أن هذا الرجل لم يدَّعِ النبوة. وإنما كان ذلك دعاية من خصومه السياسيين

---

(١) انظر لسان الميزان جـ ١ صـ ١٦٠ .

(٢) تاريخ بغداد جـ ٤ صـ ١٠٤ .

(٣) أبجد العلوم جـ ٢ صـ ٢٩٠ .

بل ادعى أنه من أهل البيت فحسب. ولم يدَّعِ النبوة كما زعم خصومه والحاقدون عليه.

«ودافع أبو العلا عن المتنبي في رسالته «الغفران» ونفى عنه تهمة النبوة بقوله: لأن نطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان».

موقف الحكام من دعواه النبوة:

مما لا ريب فيه أن كل مسلم سواء كان حاكمًا أو محكومًا، عالمًا أو أميًّا يعرف تمام المعرفة أنه لا نبي بعد محمد ﷺ به ختمت النبوة والرسالة إلى يوم القيامة، ومن البدهيِّ أن يتصدى كل مسلم غيور على دينه لكل طامع في هدمه مهما كانت أساليبه وقد تابع ابن كثير حديثه عن المتنبي فبين موقف الحكام منه حين ادعى النبوة والتف حوله بعض السذج من الناس في بلاد السماوة قائلاً:

ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة خرج إليه نائب حمص من جهة بني الإخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيَّض الله وجهه فقاتله وشرد شمله وأسر مذمومًا مدحورًا وسجن دهرًا طويلاً فمرض في السجن وأشرف على التلف فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابًا اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام فأطلق الأمير سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا جحده إن أمكنه وإلا اعتذر منه واستحيا»[1].

نهايته:

تقدم أنه حينما ذهب المتنبي إلى فارس لمدح عضد الدولة بن بويه أعطاه مالاً ودسَّ إليه من يأتيه بسره نحو عضد الدولة فجاء المخبر بما تبين منه الغض من شأن عطية عضد الدولة فتغيظ منه عضد الدولة وأضمر قتله بطريقة لم يشعر بها المتنبي. حيث حرَّض عليه بعض الأعراب قطاع الطرق أن يترصدوه أثناء سفره ويقتلوه ويأخذوا ما معه من الأموال، ومن سوء حظ المتنبي أن رئيس هؤلاء الأعراب

(١) البداية والنهاية جـ ١ صـ ٢٥٨ .

ويسمى فاتك ابن أبي جهل الأسدي كان قد هجاه المتنبي فاعتبرها فرصة لقتله.

وبينما كان يسير المتنبي إلى بغداد وصل إلى النعمانية قرب بغداد جلس للغداء فلم يفاجئه إلا وستون رجلاً على خيولهم قد وقفوا عليه فقال لهم: هلموا يا وجوه العرب إلى الغداء فلم يكلموه فأحسَّ بالشر وركب خيله وأخذ سلاحه فتقاتلوا ساعة فقتل ابنه محسن وأحد غلمانه وأراد الهرب ولكن مولى له: قال له: أين تذهب وأنت القائل:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني   والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال له المتنبي: ويحك قتلتني ثم كرَّ عليهم فتكاثروا عليه وطعنوه برماحهم حتى مات. وأخذوا كل ما معه وانتهت حياة هذا الرجل الذي أثرى الشعر العربي بقصائد جياد. ودفن المتنبي في المكان الذي قتل فيه وعمره ثمان وأربعون سنة لثلاث بقين من رمضان وقيل: خمس بقين منه، وقيل: بل كان قتله في شعبان سنة ٣٥٤هـ[١].

ولا يزال ذكره مشهورًا بين الأدباء وأهل اللغة والتاريخ[٢] إلى وقتنا الحاضر بل وسجلت باسمه شوارع ومدارس تخليدًا لذكراه.

٨- مرادويج بن زياد:

ظهر هذا المتنبئ في بلاد الديلم مدعيًا أن روح سليمان بن داود قد حلَّت فيه عن طريق التناسخ، وبهذا فهو النبي سليمان بن داود، وكان منه زهو وبطر وتصرفات طائشة كان له كرسيٌّ من ذهب وكراسي من فضة يجلس عليها وحده وأتباعه.

وكان يكره الأتراك ويمقتهم مقتًا شديدًا وأهانهم إهانة عظيمة خصوصًا الذين جاءوا لخدمته والإيمان به. فكانت خيولهم لها أصوات بالصهيل والجلبة فانزعج مرداويج وسئل عن ذلك فأخبر أنهم الأتراك فأمر بإنزال السروج من على الخيول ووضعها عليهم. ومن ذلك الوقت بدأت المؤامرة لقتله. فتآمروا هم ومن كان يبغض

(١) انظر البداية والنهاية صـ ٢٥٦ – ٢٥٩ جـ ١١ .

(٢) انظر تاريخ الكامل لأبن الأثير جـ ٨ صـ ٥٦٦ .

هذا الشخص على الفتك به. وفي أحداث طويلة سردها ابن الأثير - رحمه الله - أدت في النهاية إلى قتل مرداويج وهو في الحمام وأراح الله منه وتفرق أصحابه.

وأما الذهبي فإنه قد ذكره ولم يسند إليه دعوى النبوة بل ذكر أنه كان ملكًا طاغية كانت له مع الأتراك أحداث جسام حيث بالغ في إهانة من حضر احتفاله منهم إلى حدٍّ أنه أمر بسروج خيولهم أن توضع على ظهورهم ومن أبي منهم فإنه يقتل مما جعلهم يبغضونه جدًّا ويتآمرون على قتله وقد تمَّ لهم ذلك حيث قتلوه في الحمام الذي كان يستريح فيه(١).

٩- علي بن الفضل الحميري الجدني:

هو أحد الطغاة الذين استهواهم الغرور والتجبر في الأرض بغير الحق، وهو باطنيٌّ ملحد من عتاة الباطنية ومردتهم. وقد بوَّب أبو الفضائل لأخباره بقوله: «باب ذكر علي بن الفضل الجدني لعنه الله» وقد توسع في أخباره.

اسمه: علي بن الفضل بن أحمد الخنفري الحميرى(٢) أظهر في بدء أمره الزهد والتقشف نفاقًا. وبعد أن اجتمع بزعيم الفاطميين عبيد الله القداح أرسله داعيًا إلى اليمن، ومن هناك ادعى النبوة بعد أن التفت عليه القبائل التي دعاها واستجابت له. وما زال به الغرور والفجور إلى أن كان مؤذنه - قبل أن يعلن كفره ظاهرًا -. يقول في أذانه: «أشهد أن على بن الفضل رسول الله»(٣) بأمر منه. وبعد أن ادعى النبوة لم تطب نفسه بالوقوف عند هذه الدعوى فزاد وادعى الألوهية. وسمى نفسه رب العزة، وهذه حال كثير من عتاة الفجور حين يكذب ويدعي النبوة ويقبل المغفلون منه يرقِّي نفسه بعد ذلك إلى الألوهية وقد صار هذا الرجل يكتب إلى كبار أتباعه: «من علي بن

(١) انظر سير أعلام النبلاء جـ ١٥ صـ ٢١٥ .

(٢) كشف أسرار الباطنية صـ ٤٠ - ٦٧ .

(٣) أشعة الأنوار للبيحاني وقد سماه أبو الفضائل «علي بن الفضل الجدني» في كتابه كشف أسرار الباطنية انظر ص ٤٠ - ٦٧ .

الفضل إلى عبده.....».

يقول الديلمي: «وكان هذا -علي بن الفضل- لعنه الله تسمى ربَّ العزة في اليمن وكان يكتب إلى أسعد بن أبي يعفر: «من باسط الأرض وداحيها وناصب الجبال ومرسيها إلى عبده أسعد بن أبي يعفر»(١).

إلى أن يقول عنه: «وعزم لعنه الله في بعض أيامه -أعني علي بن الفضل لعنه الله- قصد الكعبة وتخريبها»(٢). وأساس نشأة على بن الفضل أنه كان من الشيعة الإمامية، وقد حدث أن زار قبر الحسين في كربلاء وأظهر الحزن والبكاء عليه ما لفت نظر ميمون بن ديصان القداح المجوسي خادم القبر آنذاك فطمع في اصطياده وأخذ يقرر له أن ابنه عبد الله بن ميمون هو المهدي وأكمل له تعليمه ثم أرسله هو ورجل آخر عرف بعد ذلك بـ«منصور اليمن» واسمه الحسين بن فرج بن حوشب فذهبا إلى اليمن كل واحد في ناحية وأظهرا الزهد والعبادة حتى اشتهرا بذلك ومالت إليهما القبائل وبعد أن قوي عودهما. سلطا على اليمن وأظهرا ما كانا يخفيان من الاعتقادات الباطنية.

يقول عنهما الهمداني: «وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد، وتسمى الآخر بالمولى، ومكثا مدة يتستران بإقامة الشريعة ثم ظهر منهما الإباحية، وليلة الإفاضة، وأولاد الصفوة، ونكاح الأمهات والأخوات والبنات، والمشاركة في الزوجات وتعطيل الشرائع وشتم الأنبياء عند التمكن والقدرة، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة وبرئ كل واحد من صاحبه، ودعا كل واحد منهما إلى نفسه بأنه إلهٌ وربٌّ وغزا وقصد العلويين بالمكاره والقتل وسبى الذرية»(٣).

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه صـ ٨٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تثبيت دلائل النبوة صـ ١٤٨ – أخبار القرامطة – وانظر كتاب «الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي صـ ٢٠ ».

وفي كتاب السلوك للجندي قال عن علي بن الفضل:

«فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم وارتكبت محظورات الشرع وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: أشهد أن عليَّ بن الفضل رسول الله وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات وسائر المحرمات» ثم ذكر أبياته «خذى الدف إلى آخره.. إلى أن قال: «وكان يخاطب نوابه وأمراءه في كتبه بقوله: «من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل»[١].

وذكر الداعي الإسماعيلي إدريس عماد الدين عن علي بن الفضل قوله: «إنه ادعى النبوة.. فارتكب المحارم وأتى بالعظائم ومال إلى الإباحات وترك الأعمال.. مقتديًا بالمغيرة وأبي الخطاب»[٢] وهما من الغلاة المارقة ومن كبار الإباحيين مثلهما مثل ابن الفضل الإباحي صاحب ليلة الإفاضة التي ذكرها عنه الهمداني.

وقد شرحها أحمد شرف الدين بقوله عن علي بن الفضل وخلاعته وإباحيته قال: «وعندما احتل صنعاء حصل المطر فأمر بسد الميازيب التي ينزل فيها الماء من سطوح الجامع ثم أطلع النساء اللاتي سبين من صنعاء وغيرها وصعد المنارة وأمر بإلقائهن في الماء فمن أعجبته اجتذبها إلى المنارة وافتضها حتى افتض عددًا من العذاري» ويقول أيضًا: «إن ابن الفضل انهمك في تحليل محرمات الشريعة وإباحة محظوراتها وعمَّر دارًا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساء ورجالاً متزينين متطيبين ثم توقد الشموع بينهم ساعة ثم تطفأ ويضع كل واحد من الرجال يده على أي امرأة ويقع عليها ولو كانت من محارمه»[٣]. وهذه الليلة يسمونها ليلة الإفاضة

---

(١) كتاب السلوك صـ ٤٤٨ .

(٢) عيون الأخبار صـ ٤٠ .

(٣) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي صـ ٦٦ نقلاً عن «تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن» تأليف أحمد شرف الدين صـ ٨٥ – ٩١ .

ويسمون ذلك الفعل الشنيع صيدًا ويعتبرونه من أطيب المباحات قبحهم الله. وهو فعل لا ترضى به حتى الحيوانات البهيمية.

تعاليمه:

أهم تعاليم هذا الطاغية - كما تقدم من تاريخه بشكل عام- هي الخروج عن الإسلام وحل جميع المحرمات. لأن شريعته - كما يزعم- قامت على الأسس الآتية:

١- جواز أن يتزوج الرجل ابنته أوأخته.

٢- جواز اللواط والزنا والخمر.

٣- المنع من إقامة جميع شعائر الإسلام فلا صلاة ولا صوم ولا حج.

وقد نظم بعضهم شريعة هذا الفاجر في هذه القصيدة التي ألقاها على المنبر قائلاً فيها:

خذي الدف يا هذه والعبي ... وهزي هزاريك ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعه ... وهذي شرائع هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام فلم يتعب

إذ الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن صوموا فكلي واشربي

ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زوره القبر في يثرب

ولا تمنعي نفسك المعرسين ... من الأقربين ومن أجنبي

فكيف حللت لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب

أليس الغراس لمن ربه ... ورواه في الزمن المجدب

وما الخمر إلا كماء السماء ... حلال فقدست من مذهب[1]

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه صـ ٨٢ .

وفي بعض أبيات هذه القصيدة قوله عن شريعة علي بن الفضل لعنه الله:

أحـــل البنـــات مـــع الأمهـــات ومـــن فـــضله زاد حـــل الـــصبى[١]

ومعنى ما تقدم أن المتبع لهذا المتنبئ الكذاب يصبح مثل البهيمة تمامًا لا يميز بين الحلال والحرام ولا الحق ولا الباطل ولا الظلمات ولا النور فبماذا بعد هذا كله بعثه الله حسب دعواه الكاذبة؟؟!.

نهاية علي بن الفضل:

اجتمعت كلمة الكثير من القبائل عليه والانضواء تحت لوائه بعد أن خدعهم بما أظهر من التقوى والصلاح. وحين تمكن وكثر أتباعه أعلن خلافه وجرد السيف واستولى على أماكن كثيرة في اليمن[٢]. وظل يحكم بالقهر وأظهر الخلاعة والفواحش وكرهه الناس حتى أقرباءه فأهلكه الله على يد أحد الأطباء في عام ٣٠٣هـ.

قال أحمد شرف الدين: «وبقي ابن الفضل يعيث فسادًا حتى مات مسمومًا سنة ٣٠٣هـ مما جعل القبائل اليمنية تهاجم عاصمته (المذيخرة) وتهزم أتباعه»[٣].

وعند الجبهان تفصيل أكثر عن كيفية القضاء على الطاغية ابن الفضل حيث يقول: «وفي عام ٣٠٣هـ قدم من بغداد رجل يمارس مهنة الطب والجراحة فاشتهر أمره فذكر لعلي بن الفضل وكان قد أحب الفصاد فطلبه فلما أحضر جرده من ثيابه وألبسه غيرها احتياطًا وكان هذا الجراح قد عاهد الله أن يقتله إن أمكنه الله منه فلما أخرج المبضع مسحه بأطراف شعره وكان شعره مشبعًا بسم قاتل فعلق بالمبضع شيء من السم فلما فصد في الأكحل تسرب السم إلى جسمه وخرج من فوره هاربًا فلما كان بعد قليل أحس علي بن الفضل بالموت فأمر بأن يلحق الطبيب حيث كان

(١) انظر الحور العين صـ١٩٩ .

(٢) انظر أشعة الأنوار.

(٣) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي صـ٦٦ نقلاً عن تاريخ الفكر الإسلامى في اليمن أحمد شرف الدين صـ٨٥ – ٩١ .

فأدركه الجند فقاتلهم حتى قتل -رحمه الله- وهلك علي بن الفضل بتأثير السم وذهب إلى لعنة الله وبئس المصير»(١).

ولقد أهلكه الله بعد أن أفسد أخلاق كثير من الرجال والنساء وشجعهم على الفجور والخروج عن الدين، وأشاع مذهب المجوس الذي هو دينه بالنفاق والحيل وإباحة الزِّنا واللواط والتفلت عن الإسلام وتتبع الشهوات وتخبط في دعاويه فبينما هو يدعي النبوة إذا به يدعي الألوهية وأنه خالق الأرض والسماء وأن الناس عبيده، وهكذا يخرج من أمثال هذا الدجال ليعاقب الله به من تركوا الدين ورفضوا الأخلاق ليعودوا إلى عقولهم ودينهم الذي ارتضاه لهم الذي جعله خير الأديان ومهيمنًا عليها وكله طهر وخير وعطف ومواساة وحفظ للروح والمال والعرض والعقل لا خير إلا دل البشر عليه، ولا شرَّ إلا وحذرهم منه.

١٠- وهب بن مسرة:

وممن ادعى النبوة: «وهب بن مسرة» وإن كان لبعض العلماء تحفُّظٌ في إثبات دعوى وهب النبوة، وقد قال الطلمنكي في رده على الباطنية: «... ابن مسرة ادعى النبوة وزعم أنه سمع الكلام فثبت في نفسه أنه من الله»(٢).

ولكن صاحب سير أعلام النبلاء الذي نقل عن الطلمنكي قوله السابق قال: «قلت: ليس هذا من قبيل ادعاء النبوة بل من قبيل الغلط والجهل» وقد توفي وهب ببلده بعد رجوعه من قرطبة في نصف شعبان سنة ٣٤٦هـ.

١١- حمزة بن عمار:

تنبأ حمزة بن عمار البربري في إلحاد شديد حيث زعم أنه نبيٌّ من قبل محمد ابن الحنفية الذي هو الله – تعالى الله – وأنه مؤيَّد بأسباب من السماء تنزل عليه يفتح بها الأرض ويملكها فتبعه على آرائه خلق من الناس، وحينما وصل خبره إلى أبي جعفر

(١) الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي صـ ٢٠ – ٢٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ١٥ صـ ٥٥٨ .

محمد بن علي بريئ منه وكذبه[١].

متنبئان مجهولان:

قال في البحر المحيط: «في أوائل القرن الثامن ادعى شخص النبوة في مدينة بالأندلس في زمن السلطان ابن الأحمر فقتله وصلبه»[٢].

وذكر الشاطبي أنه ادعى النبوة في عصره رجل يسمى الفازازي فقتله الشيخ أبو جعفر ابن الزبير[٣].

والذي يهمنا من ذكر هذين المتنبئين هو مقابلة المسلمين لهما في إهدار دمهما عقوبة لهما على تلك الدعوى الخطيرة التي تخرج صاحبها من الدين ومن عصمة دمه.

١٢- محمد بن نصر النميري:

هذا الرجل هو زعيم النصيرية الفرقة المشهورة الكبيرة، وأخبارها كثيرة، ولها تعليمات وعبادات وأعياد وآراء كثيرة مخالفة للدين الحنيف، وكانوا في الأصل رافضة في الظاهر ولكنهم باطنية ملاحدة يزعمون أن عليًّا ﷺ إله ولا يزال لهم وجودهم القويُّ في سوريا وغيرها من بلاد الشام[٤]. ولم أر أحدًا من علماء الفرق قد ذكر أن محمد بن نصير ادعى النبوة غير ما وجدته في كتب الشيعة ومنهم القمي حيث ذكر أن محمد بن نصير كان يدعي أنه نبي ورسولٌ وأن علي بن محمد العسكري هو الذي أرسله[٥].

* * *

(١) فرق القمي صـ ٣٢.

(٢) البحر المحيط جـ ٧ صـ ٢٣٦١.

(٣) الاعتصام صـ ٢٦٣.

(٤) انظر التفصيل، الدراسة عنهم كتاب «فرق معاصرة» لكاتب هذه الأسطر.

(٥) انظر فرق القمي صـ ١٠٠.

الفصل الخامس..

المتنبئون بعد عصر الدولة العباسية إلى وقتنا الحاضر.

المتنبئون بعد عصر الدولة العباسية إلى وقتنا الحاضر..

١- غلام أحمد القادياني:

ظهر هذا الرجل في القارة الهندية أيام الاستعمار البريطاني لها.

اسمه: المرزا غلام أحمد، واسم والده «غلام مرتضي» واسم أمه «جراغ بي بي» وقد تضارب قوله في نسبة أسرته فهو يزعم أنه ينتمي إلى أسرة أصلها من المغول. ومرة زعم أنها فارسية ثم زعم أنها من الصين، وفي أخرى زعم أنه له صلة بأهل البيت فهو من بني فاطمة بنت الرسول ﷺ، وفي أخرى زعم أنه من سمرقند. وبعد كل هذا الخلط والاضطراب زعم أن الله تعالى أوحى إليه أن نسبه يرجع إلى فارس فقال: «والظاهر أن أسرتي من المغول ولكن ظهر عليَّ من كلام الله تعالى أن أسرتى حقيقة أسرة فارسية وأنا أومن بهذا لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله تعالي». والمشين في هذا أنه كلما سئل عن سبب هذا التناقض ألقى مسئوليته على علام الغيوب فهو يزعم أنه لا يخبر بشيء إلا بما جاء به الوحي.

صفاته وأخلاقه:

تذكر كتب القاديانية أن القادياني كان قليل الفطنة مستغرقًا تبدو عليه البساطة والغرارة فقد قيل عنه: إنه كان لا يحسن ملء الساعة وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عدًّا. وكان لا يميز الأيمن من حذائه عن الأيسر منها حتى اضطر إلى وضع علامة عليها. وكان يضع أحجار الاستنجاء التي كان يحتاج إليها كثيرًا وأقراص القند التي كان مغرمًا بها في مخبأ واحد. وكان كثير الأمراض.

كما وُصف بالبذاءة وسوء الأخلاق وطول لسانه هجاء مقذعًا للمخالفين والعلماء المعاصرين وعباد الله الصالحين وكان مصداق صفة المنافق التي جاءت في الأحاديث الصحاح، «**وإذا خاصم فجر**»، وكان يكثر سبَّ مخالفيه بمثل هذه الألفاظ:

فلان الغوي الجاهل الخليع الكلب الأحمق الضال الكذاب اللعين ابن الزنا والبغي الشيطان الغوي وأمثال هذه الكلمات والسباب البذىء الذي لا يصدر إلا عن السفهاء السوقة. ومن ذلك أنه تنبأ بموت رجل في زمن محدود ولكن هذا الرجل لم يمت حسب تنبؤه في هذه المدة فقال له بعض العلماء: أنت تظن أنك نبي ولا تتكلم إلا بوحي الله فكيف يمكن أن يختلف وعد الله فبدل أن يجيبهم بدليل بدأ يسبهم هم وجميع علماء المسلمين فقال: «لا يوجد في الدنيا شيء أنجس من الخنزير، ولكن العلماء الذين يخالفونني هم أنجس من الخنزير!! أيها العلماء يا آكلي الجيفة وأيتها الأرواح النجسة».

وقد وصف جميع من يخالفونه بقوله: «بعضهم كالكلاب، وبعضهم كالذئاب، وبعضهم كالخنازير، ويخاطب الشيخ ثناء الله الأمرتسري قائلاً: «يا كلب يا آكلي الجيفة».

ويقول عن العالم الكبير مهر علي الكولري الجشتي:

فقلت لك الويلات يا أرض جولر   لعنت بملعون فأنت تدمر

ويسب جميع مخالفيه بشعره التافه فيقول:

إن العدى صاروا خنازيرا الفلا   نساؤهم من دونهن الأكلب

ولم يقتصر في سبه على الناس بل تطاول فسب أنبياء الله الأطهار، من ذلك سبه لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال عنه: إن عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه إنه صالح؛ لأن الناس كانوا يعرفون أن عيسى رجل خمار وسيىء السيرة. وقد كذب وافترى وحاشا أن يوصف نبي الله عيسى بهذا الوصف أو الأوصاف الأخرى التي قالها مما أنزه القارئ عن ذكرها وله أشعار ركيكة ومعانٍ تافهة مملوءة بالسباب والشتائم بما يليق به.

وقد أخذ عليه تعهد في المحكمة الجنائية أن لا يستعمل مرة أخرى تلك الألفاظ القبيحة والسب والشتم والقذف ضد مخالفيه، وقال الغلام نفسه: «أنا عاهدت أمام

نائب الحاكم بأني لا أستعمل بعد ذلك ألفاظًا سيئة».

كما عرف عنه التناقض في القضية الواحدة وكثرة الكذب حيث يذكر شيئًا ثم يذكر آخر يدل على كذبه وحبل الكذب قصير كما قيل.

ومن الكذب الذي اشتهر به الكذب على الله حيث يأتي بكلام من تلفيقه ثم يزعم أن الله قاله في القرآن الكريم ثم يكذب على الرسول ﷺ بوضع أحاديث من تلقاء نفسه كما عرف عنه الكذب والاحتيال لأخذ أموال الناس وعدم الوفاء بالتزاماته. وقد اشتهر هو وأسرته بعمالتهم للإنجليز ووقوفه إلى جانبهم ووقوفهم إلى جانبه وجانب أتباعه.

تطوره في دعواه النبوة :

كان في بدء أمره خاملاً متواضعًا ثم بدأ في الدعوة إلى الله تعالى والوقوف في وجوه أعداء الإسلام من شتى المذاهب والأفكار وألّف المؤلفات والمناظرات في ذلك، واحترمه المسلمون هناك ثم انتقل نقلة أخرى بفعل دسائس الإنجليز وغيرهم من أعداء الإسلام، ومن صديقه الحكيم نور الدين البهيروي فإذا به يظهر بأنه مجدد كغيره من المجددين الذين يظهرون في فترات من الزمن ثم انتقل نقلة أخرى فإذا به ملهم ومحدث إكرامًا من الله له وبعدها انتقل إلى أنه شبيه بالمسيح تمامًا وأورد الأدلة على ذلك وبعدها أصبح هو نفسه المسيح رسول الله عن طريق اعتقاده التناسخ وأنه نبي كأيِّ نبي من أنبياء الله ثم ادعى بعد ذلك كله أنه خير الأنبياء وأفضلهم وأكملهم شريعة ونظامًا في أحداث كثيرة وآراء عديدة كتب عنها الشيخ إحسان رحمه الله كثيرًا لا مجال لذكرها هنا[1].

وأوَّل ختم النبوة بتأويلات باطنية باطلة. ولا يزال له أتباع كثيرون في مختلف بقاع العالم يدافعون ويجادلون عنها. ولعلماء الهند وباكستان من المسلمين جهود مشكورة في بيان كفر هذه الطائفة القاديانية وزعيمهم.

(١) وفي كتابي فرق معاصرة أخبار كثيرة عنه فانظرها هناك إن شئت.

وفاته:

وقعت في عام ١٩٠٧م بين القادياني وبين العلامة ثناء الله الأمرتسري مناظرات خرج الغلام منها مدحورًا مغضبًا ثم تحدى القاديانى الشيخ ثناء الله بأن الله سيميت الكاذب منهما في حياة الآخر، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه، وفي شهر مايو ١٩٠٨م أجيبت دعوته فأصيب بالهيضة الوبائية «الكوليرا» في لاهور فمات في بيت الخلاء وكان خارجًا لقضاء حاجته، ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة «بهشتي مقبرة» وخلفه الحكيم نور الدين البهيروي.

والملاحظ أن القادياني أثبت أنه كان كذابًا في دعواه النبوة حتى في موته؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**».

٢- رشاد خليفة:

ولد رشاد في كفر الزيات عام ١٩٣٥م بمصر، هذا الرجل داعية بهائي انظر أخباره في فرقة البهائية، وقد كتب الشيخ ديب علي حسن في كتابه «أدعياء النبوة» هذا العنوان «رشاد خليفة نبي أمريكا» سنة ١٩٨٠م، وقد ذكر أن رشاد خليفة ادعى النبوة في بداية القرن الخامس عشر الهجرى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وأنه زعم أن جبريل يأتيه بالوحي فطرده المسلمون هناك ولكنه أسس مسجدًا قريبًا من المركز الإسلامي الذي طرد منه بعد ادعائه النبوة، ومن الغريب أنه أسس مسجده المذكور من إحدى الجمعيات اليهودية مجانًا.

آراؤه الاعتقادية:

- نفى ختم النبوة بمحمد ﷺ بحجة أن القرآن لا ينفي وجود الرسل بعد محمد ﷺ، وقد ختمت النبوة بـ «محمد» ﷺ لا الرسل، وفرق بين النبي والرسول - حسب زعمه !!!!!-.

- يرفض السنة والأحاديث النبوية كلها بحجة أنها من وضع الناس بعد وفاة

النبي ﷺ.

- يدعو فقط إلى التمسك بالقرآن. ولا يرى أن فيه ناسخًا ومنسوخًا.

- أنه آخر الأنبياء بسبب انحراف كثير من الناس عن الهدى — ونسي نفسه.

- يرى أن معجزة القرآن لا تكمن في فصاحته وإنما في الرقم ١٩ وله ولع شديد بهذا الرقم كما هي طريقة الباطنية، وقد استنتج منه على طريقته الخرافية أمورًا كثيرة منها:

- الدلالة على أن القرآن حقٌّ، والرسول محمد ﷺ حقٌّ، وقد ألقى محاضرة في ذلك بالكويت وفي كثير من تجار المسلمين هناك ونشروها ابتغاء ثواب الله مجانًا.

- الله يحب أمريكا وهم أفضل من العرب والمسلمين بمائة مرة — لتضلعه في العمالة.

- العرب أعطاهم الله القرآن فرفضوا العمل به فاستبدل الله بهم غيرهم أفضل منهم وهم الأمريكان وعلى يديه وهل الأمريكان الآن هم حملة القرآن؟

نهايته:

وجد رشاد مقتولاً في مطبخه بعدة طعنات ولم يعرف من قتله[١].

رد تلك المزاعم:

إن الأمر قد لا يحتاج إلى كثير من العناء والتفكير بسبب وضوحه فهي مزاعم أصبحت مشتركة لدى أدعياء النبوة.

فما اكتشفه رشاد خليفة من أن النبوة ختمت بمحمد ﷺ ولم تختم الرسل؛ لأن القرآن إنما نفى النبوة بعده فقط ولم ينف ظهور الرسل هذا اكتشاف سخيف واستهجان لعقول الناس وتفرقة عجيبة لم يفطن لها إلا هذا الشخص. مع أنه يرفض السنة ولا يحترم أحاديثها لأنها بزعمه من كلام الناس وليست من كلام الرسول ﷺ فيا ترى هل نصدق رشادًا ونكذب كل الأمم في تلك القرون كلها؟! وبأي عقل نصدق أن الناس منذ زمن الرسول ﷺ إلى يومنا وهم يروونها ثقات عن

---

(١) انظر أدعياء النبوة صـ ١٧٢-١٧٧ .

النبي ﷺ ولم يكتشفوا أنها من كلام الناس؟؟! لقد أخطأ رشاد كما أخطأ أسلافه المستشرقون الذين أوحوا له ولغيره بهذه الفكرة السخيفة.

ومن العجائب أنه بعد هذا المسلك القبيح الذي سلكه تجاه السنة يدعو إلى التمسك بالقرآن وحده، ويريد أن يفرق بين وحي الله بقسميه فيؤمن ببعض ويكفر ببعض. وهل القرآن يحرم السنة أم يوجب التمسك بها؟!! ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1]؟!.

أو قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

أو قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات في القرآن الكريم أعماه تعصبه عن النظر فيها فصار يهرف بما لا يعرف.

كما أن زعمه أن القرآن ليس فيه ناسخ ولا منسوخ هو زعم يخالف ما عليه المسلمون، وما جاء في القرآن الكريم أيضًا الذي يزعم أنه يتمسك به فقط فإن الله تعالى قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[4]. وهذا أمر معروف ومسلَّم به عند كافة المسلمين.

وأما زعمه أنه آخر الأنبياء فإنه عقوقٌ منه لسيده البهاء المازندراني وخروج عليه وتناقض منه فقد زعم أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ فكيف يدعيها بعد ذلك؟! أم أنه يرى أنه لا فرق بين النبوة والرسالة؟! فقد زعم أن بينهما فرقًا إذ ختمت الأولى وبقيت الثانية، ومن هنا وجد المدخل السهل إلى ادعاء الرسالة فماله لا يفقه ما يقول؟!

أما محاولة الغضِّ من معجزة القرآن الكريم في فصاحته وأن المعجزة فيه هو

---

(١) من سورة النجم آية: ٣-٤ .

(٢) من سورة الحشر آية: ٧.

(٣) من سورة النساء آية: ٦٥ .

(٤) من سورة البقرة آية: ١٠٦ .

احتواؤه على الرقم المفضل عند البهائية وهو رقم ١٩ فقد تحدى سلفه المازندراني الجن والإنس كلهم أن يأتوا بحرف من مثل وحيه «الأقدس» بسبب فصاحته وقوة بيانه – فيما يراه – مع أن أفكاره وكلامه في هذا الكتاب مما يخجل العاقل من سماعه ويشمئز من قراءته ولكن كما قيل: «الجنون فنون». وأخيرًا أعلن عمالته وخروجه عن الاعتزاز بالإسلام بأن الأمريكان هم أفضل البشر سواء أكانوا عربًا مسلمين أم مسلمين من غير العرب. هذا القول منه لا يحتاج إلى مزيد من الردود عليه لتفاهته وتفاهة الحضارة الأمريكية الحالية التي تئن بأنواع الويلات، ومتى استبدل الله بالعرب أمريكا؟ لأن العرب رفضوا العمل بالقرآن حسب تخريفاته. فهل عملت أمريكا بالقرآن حسب هذا الزعم؟!! ولعل هذه الفلتات التي تأتي من كل متنبئ كذاب هي لإقامة الحجة على الناس فإن فيها عبرة لأولي الأبصار وحجة على كل متكبر جبار؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة.

٣- علي بن محمد الشيرازي:

ادعى هذا الرجل النبوة وكوَّن فرقة تنتسب إليه كان لها أثر بارز في شغل المسلمين عن دينهم وإلهائهم بمثل تلك الترهات التي جاء بها المرزا المذكور وأمثاله ممن تلقفهم المستعمرون وربَّوهم على أيديهم الملطخة بدماء المسلمين وعلى أحقادهم التي تغلي بها قلوبهم. بعد أن استيقنوا أن لا طاقة لهم بحرب الإسلام علانية ولا عن طريق المؤامرات التي طالما خططوا لها ثم باءوا بالفشل الذريع وحينما ضعف المسلمون وهجم أعداؤهم عليهم واستعمروا بلدانهم بالقوة والقهر تنبَّه المسلمون بعد ذلك وطردوهم فلجأ هؤلاء الحاقدون إلى استعمال الحيل ليعيدوا الكرة على المسلمين في ثوب جديد وتحت غطاء محكم هو التظاهر باحترام الإسلام والشفقة على المسلمين ثم الهدم من الداخل وتمَّ لهم بعض ذلك فاتخذوا لهم وسطاء ممن لا ضمائر لهم ولا دين من محبي الزعامة والفتن والشرور والإباحية وهم المتنبئون في إيران، وباكستان، وفي الهند، وفي فلسطين، وفي غيرها من الدول

الإسلامية. فكان هؤلاء أكبر معاول الهدم للأمة الإسلامية وأشدهم جنودًا مخلصين للمستعمرين فأمدهم هؤلاء بالمال الوفير وبالدعايات العريضة وبالمؤازرة الكاملة ماديًّا ومعنويًّا فظهر هؤلاء المنافقون وواجهاتهم الظاهرة إسلامية وبواطنهم ملاحدة يدعون إلى الإسلام وإلى الكفر به في وقت واحد. فهم خلق مشوَّه في جسم الأمة الإسلامية؛ وميكروبات فتاكة ونار مشتعلة تقضي على الأخضر واليابس، ولولا لطف الله بالمسلمين وحفظه لدينه ولكتابه الكريم لمحي الإسلام أو لحرِّف تحريفًا لا يبقى فيه ما يمت إلى الحقيقة بصلة ولشابه في ذلك ما حصل للتوراة والإنجيل غير أن الله تعالى لا يخلف وعده، وقد وعد بحفظ القرآن الكريم النبراس الذي يضيء للمسلمين طريقهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]. وما تعهد الله بحفظه فلن يضيعه أحد، ومن الملفت للنظر والمؤسف حقًّا أنه كلما قوي أعداء الإسلام واشتدت شوكتهم ضعف أمر دعاة الإسلام واستكانوا بفعل أسباب تفتعل ضدهم لتحد من نشاطهم وتثبط عزائمهم وتتوالى عليهم الكوارث من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون تنفذ فيهم الخطط على مهل وتؤدة واحدة بعد الأخرى ليجد أدعياء النبوة الطريق ممهدًا دون منازع لهم فيما يهدفون إليه من هدم وتفتيت قوة المسلمين وتشتيت كلمتهم.

أما الذي نحن بصدد ذكره وهو علي بن محمد الشيرازي فإنه من الطويل أن نذكر هنا كل ما قيل عنه وعن أتباعه الذين كوَّنوا فيما بعد فرقة البابية فقد أُلِّفت فيها كتب وتخصص لذكرهم مؤلفون. ولكن حسبي هنا أن أقتصر على التعريف بهذا الشخص والدوافع التي دفعته إلى ادعاء النبوة وكيف كانت نهايته مقتصرًا على الأهم في ذلك كله فيما يلي:

اسمه: علي بن محمد رضا الشيرازي:

ولد في شيراز بإيران سنة ١٢٣٥هـ نشأ يتيمًا تحت كفالة خاله الميرزا علي

(١) سورة الحجر آية: ٩.

الشيرازي، ثم تتلمذ على أحد مشائخ الرشتية ويسمى الشيخ عابد فترة ثم ترك الدراسة وأقبل على التجارة مع خاله، ثم عاد إلى الدراسة بنهم في كربلاء والنجف على كبير مشائخ الرشتية كاظم الرشتي، الذي تفرس فيه نجاح المخطط الذي طالما كان يحلم به كاظم ألا وهو الدعوة إلى ظهور المهدي المنتظر حيث كان الجو الذي يعيشه الناس مملوءًا بالإرهاصات والتوقعات اللاهثة لظهور المهدي حتى كان الرجل حينما يقوم من نومه يُسأل ماذا رأيت عن المهدي؟!. واستحوذت عليهم الشياطين وكثرت الرؤى عن المهدي وعن خروجه المرتقب، وكان دعاة الرشتية في قمة نشاطهم للتبشير بظهور المهدي وقرب خروجه بين لحظة وأخرى، ثم كان الرشتي يصرح أحيانًا ويلمح أحيانًا أخرى بوجود المهدي، ويشير إليه في مجلس درسه حتى أطمع الشيرازي في نيل صفة الباب إلى المهدي، ومن ثم بدأ الانحراف يدب إلى نفسه الشقية، وصار إلى تعذيب نفسه وفرض رهبانية عليها ما أنزل الله بها من سلطان فكان يعرض نفسه لأشعة الشمس المحرقة، والبرد الشديد، ثم الاختباء في خلوات مظلمة على طريقته الخرافية للصوفية المأخوذة عن البوذية، ثم خرج من تلك الخلوات والمجاهدات بأفكار مظلمة ووساوس شديدة، وطمع في الوصول ليس إلى الباب للمهدي، ولا المهدي نفسه بل الوصول إلى النبوة بعينها فادعاها صراحة. وصار يهذي بكلام في منتهى السقوط والركاكة زاعمًا أنه كلام مقدس أنزله الله عليه كما سنذكر نماذج من هذا الهراء الذي يستحي الشخص المبتدئ في التعلم أن ينسبه إلى نفسه: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[1].

ابتداء ظهوره:

في القرن الثالث عشر الهجري حينما لهث الشيعة الاثنى عشرية إلى التمسك بأي خرافة تعيد لهم قوتهم، ودولتهم التي يحنون إلى قيامها، كما كانت قبل الإسلام ذات نفوذ وأبهة كان الجو صالحًا لأي طامع له فكر قويٌّ وتمويه يستهوي به العامة أن

---

(١) سورة النور آية: ٤٠ .

يحتوي على الشيعة، ويسيرهم في كل اتجاه يريد فالأمر أضيق من أن يحتاج إلى انتظار؛ لأن الشيعة في ذلك الوقت قد أوصلوا الناس إلى الحد الذي يبدو فيه أحدهم وكأنه على جمر الغضى وشوك القتاد، أو انتظار العاشق الولهان الطامع في قرب وصال من يريد فقد قربت الرشتية ظهور المهدي بدعايتهم الخلابة حتى لكأن أحدهم يكاد أن يراه فجأة في كل لحظة من لحظاته.

وقد ادعى الشيرازي أولاً أنه من أهل البيت لتتم به المؤامرة المهدية. وفعلاً وحينما وصل إلى الخامسة والعشرين من عمره بدأ الاستعداد لادعاء المهدية، ولكنه قدم قبل ذلك الادعاء بأنه الباب إلى المهدي، وصار يكرس جهوده، والدعايات تترى من حوله بأنه الباب الذي يوصل إلى المهدي وحينما تمت الفكرة وتقبلها المغفلون من الشيعة الذين أحاطوه بهالة من التعظيم، وزيَّنوا له سوء عمله انتقل نقلة أخرى فادعى أنه المهدي نفسه، وأنه سوف يبدأ من يومه قبل غده ليملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جورًا – ولم لا يكون المهدي نفسه في نظر الشيعة الاثنى عشرية خصوصًا والمهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري لم يمت ولن يموت إلا بإذنه، كما يزعمون، وقد شاء الخروج في وقتهم ممثلاً في هذه الشخصية الشيرازية.

ومن هنا تحول من كونه بابًا إلى المهدي فأغلق الباب، وصار هو المهدي نفسه بعد أن تمثلت روحه في روح الشيرازي في آخر الأمر. ومع هذه الدعوى العريضة فإنه لم يقف الطوفان عندها بل تعداها إلى ما هو أكبر وأعظم، فجاءت الأوامر الاستعمارية تحتم عليه دعوى النبوة وما يتبعها من نسخ الشرائع السابقة. فكانت الواقعة حيث أعلن نبوته، ونزل عليه بزعمه كتابه الذميم «البيان» ونسخ به الكثير من شعائر الإسلام في حياته، وأكمل أتباعه نسخ ما تبقى منه على يد كبار زعماء البابية مثل زرين تاج، أو قرة العين كما لقبها الشيرازي وغيره من عتاة الفجار مثل حسين علي المازندراني وصبح الأزل ومن معهم من حروف «حي»[1].

(١) لم يكن المازندراني ضمن حروف «حي» ولذلك حقدها على الشيرازي ولم يبدها لهم إلا حين اشتد ساعده.

كتاب البيان:

هذا هو الكنز الثمين، والجوهر المكنون الذي يفتخر به البابيون، ويعتبرونه كتابًا مقدسًا بينما هو لا يساوي المداد الذي كتب به، فأسلوبه ركيك تافه، وأفكاره خيالية وأحكامه حمقاء، وكلماته التي بالعربية هي إلى الأعجمية أقرب منها إلى العربية. وفيه مخازٍ يدركها الشخص من مجرد قراءة عابرة، ولقد كان للشيخ إحسان إلهي - رحمه الله - الباع الطويل في فضح هذه الطائفة ودراستها في كتابه «البابية عرض ونقد» حيث يسَّر له الله الاطلاع على كتب القوم، ونقل كلامهم من كتبهم مباشرة وبلغتهم التي يجيدها، وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة مما جاء في كتاب البابية المسمى «البيان» سواء ما كان منه بالعربية أو بالفارسية ليتضح للقارئ مدى السخف الذي وصل إليه صاحب هذا الكتاب الذي يزعم أنه وحي.

تعاليم الباب:

أصدر الباب المزعوم علي محمد الشيرازي عدة قوانين لأحوال مختلفة، ثم أوجبها على كل من اعتنق دينه - لأنها كما يدعى من أمر الله تعالى - يجب التصديق بها، والإيمان بما فيها، وفي الواقع أنها تعاليم لا يسمعها شخص، أو تقرأ عليه إلا وقال دون أن يملك لسانه: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً» لأنها تعاليم تنمُّ عن حمق وجهل بأبسط أمور الحياة، وخيالات لا يمكن لأحد أن يحققها إلا إذا استطاع أن يتكلف فوق ما يطيق، وأن يلغي فكره ويعطل العمل به لتحقيق تلك التعاليم الرعناء الفارغة، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة ليحكم القارئ بنفسه على مدى ضحالة فكر قائلها الذي يزعم أنه وحي من الله تعالى.

١- **وجود الله تعالى:** ينكر الباب، ومن جاء بعده وجود الله عز وجل، ولكنهم ولأجل ألَّا يصطدموا مع الناس في خلاف وقتال جاؤوا بعبارات مزخرفة ظاهرها الإيمان بوجود الله وحقيقتها إنكاره إنكارًا تامًّا وإحلال كبرائهم محل خالق

السموات والأرض.

وذلك أن الله تعالى - كما قرر الباب الباطني الملحد -: «مدرك كل شيء وهو خارج عن حيز الإدراك ولا يعرفه أحد غيره» والمراد من معرفة الله معرفة مظهره - أي: ومظهره هنا هو الشيرازي السخيف - والمراد من لقاء الله لقاؤه؛ لأن العرض لا يتصور بالذات الإلهية الأقدس ولقاؤه لا يتصور. والذي ورد من ذكر اللقاء وغيره في الكتب السماوية فالمقصود منه لقاء الظاهر بمظهره»(١). ومن هنا فإن الله تعالى - عن إفكهم - صار في حكم المحجور عليه حيث أسند تدبير العالم وإيجاده إلى المظاهر فحسب التي اقتضتها مشيئة الله واقترن وجود المخلوقات بها اقتران العلة بالمعلول كضوء الشمس بالشمس، وهذا في قول الشيرازي. والتي تظهر في المظاهر هي المشيئة التي تخلق كل الأشياء، ونسبتها إلى الأشياء نسبة العلة إلى المعلول، والنار إلى الحرارة، وتظهر هذه المشيئة في الأكوار حسب تلك الأكوار»(٢).

ثم ادعى بعد ذلك أنه هو مظهر بل وحقيقة الأنبياء السابقين والأنبياء اللاحقين بعده إلى ما لا نهاية كما يقرر ذلك بقوله: «كنت في يوم نوح نوحًا، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى، وفي يوم محمد محمدًا وفي يوم علي قبل نبيل(٣) عليًّا ولأكونن في يوم من يظهره الله، إلى آخر الذي لا آخر له قبل أول الذي لا أول له كنت في كل ظهور حجة الله على العالمين» وعلى هذا فالشيرازي ليس هو آخر المظاهر بل سيأتي ظهورات عديدة إلى ما لا نهاية فلا بعث ولا قيامة ولا نهاية لهذه الحياة في دينهم.

ولهذا يتضح أن البابية لا يؤمنون بالله العظيم بل هم مشركون عباد أوثان قائلون بالتناسخ والحلول:

---

(١) البيان - الباب السابع من الواحد الثاني والواحد الثالث.

(٢) أي الأوقات.

(٣) كلمة غير واضحة.

فالله خالق السموات والأرض محجور عليه في دينهم – سبحانه وتعالى – والربُّ المباشر هو مظهر الله أو الحاجب الأول علي محمد الشيرازي.

٢- أن كل من لا يؤمن بالبابية: يجب قتله مهما كان إلا من كان في تجارة ينتفع بها البابيون. وهذا بخلاف شرع الله تعالى وحكمه من أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[١] ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾[٢] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[٣] إلى غير ذلك من الآيات التي نسخها الباب الشيرازي في دينه الجديد حين قال: «قد فرض على كل ملك يبعث في دين البيان أن لا يجعل أحدًا[٤] على أرض ممن لم يدن بذلك الدين وكذلك فرض على الناس كلهم أجمعين[٥] إلا من يتجر تجارة ينتفع[٦] به الناس»[٧].

وعلى هذا النَّصِّ فلا يحق بقاء أحد على دينه إلا التجار الذين ينتفع من ورائهم البابيون، ولعل هذا الاستثناء إكرامًا للتجار؛ لأن صاحب النَّصِّ نفسه كان قد عمل تاجرًا مع خاله فترة من الزمن فاستثناهم إكرامًا لتلك الأيام التجارية، ولما يتوقعه أيضًا من انتفاع أتباعه بأولئك التجار ثم قرر الباب أن من لم يؤمن بالبابية فإن ماله يكون غنيمة لا حرج في أخذه منه. وفي هذا يقول: فلتأخذن من لم يدخل في البيان ما ينسب إليهم – أي ما يملكون – ثم إن آمنوا لتردون إلا في الأرض التي أنتم عليها لا تقدرون[٨]. فهو يتشبث هنا بالأرض وسمحت نفسه أن يرد على من دخل في دينه ما وراء ذلك من المال الذي اغتصبوه منه ظلمًا وعدوانًا.

٣- يحرم النظر في غير الشريعة البابية: النظر في أي كتاب أو تدريسه أو تداوله غير

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٦ .

(٢) سورة يونس آية: ٩٩ .

(٣) سورة الكهف: آية: ٢٩ .

(٤) (٥) (٦) كلمات فيها لحن لضعفه في العربية.

(٧) هذا النص مأخوذ عن البيان العربي الباب السادس عشر من الواحد السابع.

(٨) البيان الباب الخامس من الواحد الخامس.

البيان، والنص يقول: «لا يجوز التدريس في كتب غير البيان إلا إذا أنشئ فيه من علم الحروف وما يتفرع على علم البيان قل إن يا عبادي تتأدبون ولا تخترعون»[1].

ويريد من وراء هذا النص إغلاق باب التفكر والتدبر وإماتة العقل حيث سمى التعليم اختراعًا ممنوعًا منه، بل يجب محو كل الكتب غير البيان والنص «فلتمحون كلما كتبتم ولتستبدلن بالبيان وما أنتم في ظله تنشأون»، ولا شك أن هذا الحجر على العقول لا وجود له في أي ملة من الملل غير البابية الباطنية.

٤- **ومن عقائدهم عدم الإيمان:** بأن آدم هو أبو البشر وأولهم، وإنما هو آدميٌّ مثل سائر الأوادم التي لا نهاية لأولهم ولا لآخرهم[2]. وهو كفر بما جاء في القرآن الكريم في بيان نشأة آدم، وأن البشر لهم أول وسيكون لهم آخر كما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة.

٥- لا يؤمن الباب وأتباعه بيوم القيامة التي جاءت بها الشرائع، بل القيامة عندهم هو ظهور شخص جديد تنتهي به شريعة من سبقه، وقد وضَّح هذا بقوله عن القيامة: «إنها عبارة عن وقت ظهور شجرة الحقيقة في كل الأزمنة مثلاً إن بعثة عيسى كانت قيامة لموسى، وبعثة رسول الله قيامة لعيسى، وبعثته هو قيامة لرسول الله، وكل من كان على شريعة القرآن كان ناجيًا إلى ليلة القيامة أي من يوم الساعة، وهي الساعة الثمانية – هكذا – والدقيقة الحادية عشرة من غروب الشمس من اليوم الرابع وأول الليلة الخامسة من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ أي الوقت الذي أظهر فيه الباب دعوته.

٦- تسلط الباب على جميع ما ذكره الله في القرآن من يوم القيامة والبعث والحساب والصراط والميزان والصحف والجنة والنار وغير ذلك. ثم أوَّله بتأويلات باطنية لصالحه وصالح فرقته المشئومة.

---

(١) البيان الباب العاشر من الواحد الرابع.

(٢) البيان الباب الثالث عشر من الواحد الثالث.

وسأذكر هنا التأويلات دون ذكر النصوص من كلامه فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى كتاب «البابية عرض ونقد» للشيخ إحسان إلهي:

١- **البرزخ**: هو الوقت الذي يمر بين الظهورين – أي ظهور السابق واللاحق من مظاهر الله. وهو تأويل للبرزخ الذي ذكره الله تعالى ليتسنى له نفي الحياة البرزخية.

٢- **البعث**: هو قيام من يظهره الله مثل قيام الشيرازي نفسه.

٣- **الصراط**: هو السير على أوامر الشيرازي.

٤- **الميزان**: مرة فسَّره بقيام نفسه بالعدل. ومرة فسره بالبيان الذي لفقه.

٥- **الحساب**: يقصد به النفي والإثبات أي من آمن بالمظهر – أي الشيراز يحاسب بالفضل ويدخل في نور الإثبات ومن أنكر يحاسب بالعدل ويدخل في نار النفي، وعلى هذا فليس هناك جنة أو نار في الآخرة بل كل ذلك يتم في الدنيا فقط.

٦- **السماء والأرض**: أي سموات الأديان وأرض المعرفة والعلم.

٧- **الشمس والقمر والنجوم**: أي الأنبياء والأولياء وأصحابهم.

٨- **تمنع الديانة البابية**: الصلاة جماعة والوعظ، إلا والواعظ جالس على كرسيٍّ. قال الشيرازي: «أنتم بالجماعة لا تصلون وأنتم على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون»[1]. وقال: «ولتصلين كلكم مرة ولكنكم فرادى تقعدون»[2].

٩- **لا يصح السجود إلا على البلور**: قال الشيرازي: «فلا تسجدن إلا على البلور فيها من ذرات طين الأول والآخر ذكر من الله في الكتاب لعلكم شيء غير محبوب لا تشهدون»[3].

١٠- **أما الوضوء**: فقد جاء فيه قوله: «أنتم بالخلال والسواك بعدما تفرغون من رزقكم أفواهكم تلطفون ثم لترقدون ثم وجوهكم وأيديكم من حد الكف تغسلون

---

(١) البيان العربي الباب التاسع من الواحد التاسع.

(٢) البيان العربي الباب الثالث عشر من الواحد الثالث عشر.

(٣) البيان العربي الباب الثامن من الواحد العاشر.

إن تريدون أن تصلون ثم بمنديل تلطفن وجوهكم وأيديكم وإن في بيت الطهر تحفظن ما يشم كل ريح بمنديل لعلكم دون ما تحيون لا تشهدون ولتوضئن على هياكل الواحد بماء طيب مثل ورد لعلكم بين يدي يوم القيامة بماء الورد والعطر تدخلون وإن ريحكم لن يغير عملكم.... إلى آخره».

فانظر هذه الحماقة والتعنت فمن أين لكل واحد من الناس إيجاد هذه المطالب في الوضوء، ومن هنا قال إحسان إلهي رحمه الله: «ولا ندري لم كلف الناس والأكثرية منهم الفقراء والمساكين أن يتوضؤوا بماء الورد والعطر مع أن الأكثرية من الأغنياء والمتمولين لا يطيقون هذا»(١).

١١- أوجب الشيرازي النظر في المرآة ليلاً ونهارًا فقال: «ولتنظرن في المرآة بالليل والنهار لعلكم تشكرون»(٢). مع أن بعض الأطباء يذكر أن النظر في المرآة بالليل يورث اللقوة وكان بعض العرب يستحي أحدهم أن ينسب إليه النظر في المرآة.

١٢- جاء الشيرازي بالنسبة لأحكام الجنائز بغرائب الغرائب وأشق الأمور وذلك حسب تعليماته الآتية:

١- إذا مات الميِّت يبقى في البيت تسعة عشر يومًا وليلة.

٢- لا يبتعد عنه أحد من أهله.

٣- يكفن في خمسة أثواب حريرية أو قطنية.

٤- توقد المصابيح والسرج عنده طوال تلك المدة.

٥- يدفن في قبر من البلور أو المرمر المصقول.

٦- يوضع خاتم منقوش في يمينه.

٧- يغسل خمس مرات.

---

(١) البيان العربي الباب العاشر من الواحد الثامن.

(٢) البابية عرض ونقد صـ ٢٠٦ .

فهل تنطبق هذه التعاليم مع قول الحق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١]. وكيف يطيق أهل الميت بقاءه عندهم شهرًا كاملاً حسب شهور البابية ١٩ يومًا.

١٣- كل رجل ماتت زوجته يجب عليه أن يتزوج قبل مضى تسعين يومًا فإن تأخر وجب عليه أن ينفق تسعين مثقالاً من الذهب. وكل زوجة مات عنها زوجها فيجب أن تتزوج في خلال خمسة وتسعين يومًا فإن تأخرت وجب عليها أن تنفق خمسة وتسعين مثقالاً من الذهب هذه هي شريعة ثوران الرغائب الجنسية وإلا فما الحكمة من وراء هذه العجلة في التزويج.

١٤- إذا حبس شخص آخر حرمت على الحابس زوجته أبد الدهر، وسبب هذا التشريع إنما كان نتيجة لطول حبسه الذي ذاق منه الأمرين.

١٥- وإذا قتل شخص آخر حرمت زوجة القاتل عليه مدة تسعة عشر سنة والزوجة هنا لا يحق لها الانفكاك منه، ولا التزوج بغيره، وهذا منتهى التناقض والاضطراب وإلا فما الفرق بين هذه وبين من مات زوجها؟!!.

١٦- يجب أن تتزوج البنت في عمر إحدى عشرة سنة حتى ولو لم تبلغ وتنضج أنوثتها للزواج.

١٧- لا يجوز استعمال الأدوية!!! قال الشيرازي: «ثم أنتم الدواء لا تملكون ولا تبيعون ولا تشترون ولا تستعملون»[٢] ولو طبق الناس هذا التشريع العجيب لما وجدت وزارات الصحة ولا بنيت المستشفيات الحكومية أو الخاصة.

١٨- يجب أن يكون لكل معبد خمسة وتسعون بابًا.

١٩- يجب أن يكون لكل ملك بابي تاج فيه خمس وتسعون زاوية.

٢٠- القبلة التي يتوجه إليها البابيون هو المكان الذي فيه الباب الشيرازي أو داره التي كان يسكنها وقد أصبحت هذه الدار بعد ذلك حج البابيين.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٦ .

(٢) البيان العربي الباب السابع والثامن من الواحد التاسع.

تهديد من يركب البقرة بعدم الإيمان بالله.

٢٥- وبالنسبة للتعامل مع البيض وتحريم ضرب البيضة على شيء قبل الطبخ نزل عليه: «ولا تضربن البيضة على شيء يضع ما فيه قبل أن يطبخ هذا ما قد جعل الله رزق نقطة الأولى في أيام القيامة ومن عنده لعلكم تشكرون»[1].

٢٦- وعن تعاليم الأطفال قرر الشيرازي ما يلي:

١- لا يجوز ضرب الطفل قبل مضي خمس سنوات.

٢- لا يجوز ضرب الطفل أكثر من خمس ضربات ويكون بين الجلد والضرب حائل من الثياب.

٣- فإن ضرب بغير حائل تحرم عليه زوجته تسعة عشر يومًا فإن لم تكن له زوجة ينفق تسعة عشر مثقالاً ذهبًا.

٤- إن تعلم الصبايا على السرر أو الكراسي.

٥- أوجبوا تحسين الكتابة لأن الشيرازي كان خطَّاطًا.

٦- يجب تعلم الكتابة والإنشاء جيدًا.

٧- من كانت كتابته رديئة فعمله حابط مهما عمل من الحسنات والخيرات. قال الشيرازي: «لا تكتبن آثاري إلا أحسن خط على ما أنتم عليه لمقتدرون وإن يكن عند أحد دون أعظم خط يحبط عمله إلا الصبايا حين ما يتأدبون»[2].

٢٧- أوجب الشيرازي على صاحب البيت القادر أن يجدد أثاثه بعد مضي تسع عشرة سنة ولو كان جديدًا لم يستعمل حيث قال: «أنتم كل أسبابكم بعد أن يكمل تسعة عشر سنة إن تستطيعون لتجددون»[3]. وما أدري ما علاقة الوحي بأثاث البيت وما يوضع فيه من الأمتعة؟!

---

(١) البيان العربي الباب الخامس عشر من الواحد العاشر.

(٢) البيان العربي الباب السابع من الواحد الثالث.

(٣) البيان العربي الباب الرابع عشر من الواحد التاسع.

٢١- الشهر عند البابية تسعة عشر يومًا والسنة تسعة عشر شهرًا.

ثم اخترع فيما بعد أشهرًا غير الأشهر الإسلامية وأيامًا غير الأيام الإسلامية المعروفة ليبتعدوا بأتباعهم عن الدين الحنيف وهي:

* شهر البهاء * شهر الجلال * شهر الجمال
* شهر العظمة * شهر النور * شهر الرحمة
* شهر الكلمات * شهر الكمال * شهر الأسماء
* شهر العزة * شهر المشيئة * شهر العلم
* شهر القدرة * شهر القول * شهر المسائل
* شهر الشرف * شهر السلطان * شهر الملك * شهر العلاء

وأيام الأسبوع هي:

* يوم الجلال * يوم الجمال * يوم الكمال * يوم الفضال
* يوم العدال * يوم الاستجلال * يوم الاستقلال

٢٢- الحج هو زيارة البيت الذي ولد فيه الشيرازي أو البيت الذي عاش فيه أو بيوت أصحابه الثمانية عشر «حروف الحي». وهو على الرجال دون النساء وفي أي وقت شاء الحاج يأتي لتلك البيوت ويكون قد تم حجه وليس على من كان وراء البحار حجٌّ. ومن أراد الحج فعليه أن يأتي معه لحراس البيت بأربعة مثاقيل من الذهب مع ما معهم من النذور.

٢٣- من أراد أن يعظ ويخطب فلابد أن يكون على كرسيٍّ.

٢٤- ومن الوحي الذي نزل عليه قوله احترامًا للبقر: «لا تركبن البقر ولا تحملن عليه من شيء إن أنتم بالله وآياته مؤمنون ولا تركبن الحيوان إلا وأنتم اللجام والركاب لتركبون، ولا تركبن ما لا تستطعن أن تحفظن أنفسكم عليه فإن الله قد أنهاكم عن ذلك نهيًا عظيمًا»[1]. وهذه مجاملة بارعة للهندوس عباد البقر وكيف يصل

(١) البيان العربي الباب الخامس عشر من الواحد العاشر.

كما توجد تعاليم في هذه النحلة ذكرها العلماء عن الباب والبابية لم أذكرها هنا استثقالا لها ولتفاهتها، وكل تعليمات الباب تافهة كما أن النصوص التي أسلفت ذكرها مأخوذة عن البابية عرض ونقد لعدم تيسر اطلاعي على البيان للشيرازي. وقد ذكر كثير من العلماء تلك النصوص وغيرها، وفيما تقدم ما يكفي للحكم على رداءة هذه النحلة، والغريب حقًّا أنها انتشرت بين أناس يدَّعون العقل والمعرفة ولكنهم في حقيقتهم بهائم أو أضل سبيلاً إذ ليس فيها ما يغري باعتناقها غير الجانب المادي الذي كان هو المصيدة لكثير من الداخلين فيها حيث كان الاستعماريون يكيلون المال لهذا المتنبئ أو المتأله بعد ذلك لجلب قلوب الناس إليه والنفوس مفطورة على حبِّ من أحسن إليها، ومن أراد الزيادة في المعرفة بهذه الطائفة فإن كثيرًا من الكتب عنهم موجودة وقد انتشرت بعد خفاء طويل، سيأتي ذكرها إن شاء الله في آخر ترجمة الشيرازي والمازندراني.

نهاية الشيرازي:

لقد تطاول الشيرازي وادعى ما ليس له بحقٍّ ورقى نفسه من باب موصل إلى المهدي حسب زعمه إلى أن ادعى أنه الرب الخالق على طريقة الحلول والاتحاد ومن هنا عاجله الله بالعقوبة وحاق به سوء عمله ولقي نفس الجزاء الذي لقيه الطغاة من قبله.

لقد أشعل البابيون الحرب ضد حكومة إيران في ذلك الوقت في عهد الشاه ناصر الدين شاه القاجاري فأيقن الشاه أنه لا يمكن إخماد هذه الفتن إلا إذا قتل الشيرازي المحرك الرئيس لها فاستشار الشاه من يثق بهم فأشاروا عليه بمثل رأيه فكتب الشاه إلى عمه والي أذربيجان ويسمى حمزة بأن يجمع بين الشيرازي والعلماء للمناظرة والمناقشة ولكن العلماء كانوا قد تناظروا مع الشيرازي قبل ذلك واقتنعوا بكفره ووجوب قتله وحينما طلب إليهم حمزة امتنعوا وقالوا: إن الشيرازي لم يرجع بل ازداد عتوًّا وكفرًا وفعلا كان الشيرازي كذلك. واستشار حمزة أعيان حكومته فأشاروا

عليه بقتل الشيرازي وتنفيذ حكم العلماء فيه. ومن هنا صدر القرار بتنفيذ حكم الإعدام فيه رميًا بالرصاص وحينما علم الشيرازي بذلك خاف وارتعد وحاول التنصل من دعاوية الكاذبة وتلطف بشتى الوسائل فلم تنفعه شيئًا.

وفي صبيحة يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان عام ١٢٦٦هـ أخذ الشيرازي وطافوا به في شوارع تبريز فاحتشد الناس رجالاً ونساءً وملأوا الأمكنة لمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام وقد ربط الشيرازي بعمود كبير بذلك الميدان ثم جاءت فرقة عسكرية وأطلقوا عليه رصاص بنادقهم فسقط جثة ممزقة ملطخة بالدماء.

وقد اختلفت روايات البابيين في أمر جثة الشيرازي فمنهم من يقول: إنه دفن في قبر بعد أخذه من الخندق الذي وضع فيه بعد سقوطه ميتًا ومنهم من يقول بأن جثته أخذت إلى فلسطين في زمن البهاء المازندراني ودفنت فوق جبل الكرمل، والصحيح كما يذكر إحسان إلهي أن جسده أكلته الكلاب في الخندق الذي ألقي فيه بعد إطلاق الرصاص عليه[1].

وبعد قتل الشيرازي ازداد الشر وتطلع كبار المفلسين إلى دعوى النبوة فادعاها جماعة من البابيين، وأول من ادعاها صراحة بعد الشيرازي رجل اسمه أسد الله التبريزي الملقب بالديان - وكان كاتب وحي صبح الأزل فلما رأى جهل صبح الأزل وقلة معرفته ادعى لنفسه النبوة «فناظره المازندراني المرزا حسين علي البهاء وجادله وطلب منه أن يرجع عن دعواه ولكنه لم يرجع ولم يرض فقتله البابيون وأغرقوه في شط العرب بعد أن أوثقوا رجليه بحجر ثقيل»[2]. وكان أتباعه يسمون «الأسديون».

ثم ادعاها طفل في السابعة عشرة من العمر يسمى «ذبيح» وكان حلوانيًا ثم ادعاها رجل أعمى سماه المرزا يحيى «بصيرًا» واشتهر بعد ذلك باسم السيد بصير الهندي

---

(١) انظر البابية عرض ونقد صـ ٩٧ .

(٢) المذهب والفلاسفة في آسيا الوسطى «لكونت جوبينو نقلاً عن مقدمة الكاف».

ومكث طويلاً عنده وعند أخيه حسين علي. وأنزل فيه المرزا يحيى آيات «إني يا حبيب قد اصطفيناك بين الناس وأنزل آية باسمه الإبصر الأبصر فادعى النبوة وتبعه أناس من أصفهان وغيرها من المدن الأخرى بإيران.

ثم ادعاها رجال مثل المرزا عبد الله الغوغا وحسين الميلاني والسيد حسين الهندياني وأغا محمد الكردي والمرزا زرندي المعروف بالنبيل حتى قال الشيخ أحمد الكرماني البابي الملقب «بروحي أزلي»:

«وصل أمر الادعاءات إلى هذا الحد بأنه ما كان أحد يقوم صباحًا ويستيقظ من نومه إلا وقد زين نفسه بهذه الدعوي»[1]. وأهم هؤلاء وأبرزهم وأنكاهم في الإسلام والمسلمين حسين علي المازندراني، الشخصية التي كان لها دور هام في التاريخ والتي لا يزال لها آثارها إلى وقتنا الحاضر. كما سنشير إلى ذلك في هذه الدراسة.

٤- حسين بن علي المازندراني :

يعتبر حسين علي المازندراني من أكابر المجرمين، وفتنته لا تزال قوية بين الناس إلى اليوم وهو الزعيم الأول والمؤسس لفرقة البهائية التي هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه، جاء هذا الشخص خلفًا للشيرازي صاحب فرقة البابية التي أصبحت الدرجة الأولى لفتنة البهائية، وقد قدمنا نبذة عن البابية ونهاية الباب المزعوم علي محمد الشيرازي ثم قامت البهائية ومؤسسها المازندراني المذكور على أنقاض البابية. ولقد هزم المازندراني وأتباعه البابية شر هزيمة في مواجهات عنيفة وسفك دماء وجدال ومناظرات وخداع بين الفريقين البابية والبهائية، وكان من حظ البهائية العميلة أن وقفت معهم القوى البارعة في التخطيط والمكر وهي اليهودية العالمية حيث أيدوا البهائيين وهيئوا لهم الظروف لانتشارها وإماتة البابية الأزلية أتباع يحيى صبح الأزل الذي أخذ الزعامة بعد الباب الشيرازي بوصية من الشيرازي له فاختطفها منه أخوه حسين المازندراني لبراعته في

(١) انظر لهذه التفصيلات «البابية» لإحسان إلهي.

الاحتيال والمكر وجاء بكلام وسباب زعم أنه وحي من الله فيه التهكم بالأزلية وأن الحق كله للمازندراني وأنه هو المظهر الإلهي وصاحب نسخ الديانات كلها ثم زعم أن البيان الذي أشرنا إليه فيما مضى الذي ألفه الشيرازي وأكمله صبح الأزل إنما كان من وحيه هو وتوجيهه من خلف الستار وليس من أخيه وفسر هو وأتباعه وصية الشيرازي بأمر البابية بعده إلى يحيى صبح الأزل بأنها كانت خطة لتحويل أنظار الناس عن المازندراني لخوف الشيرازي عليه في ذلك الوقت فجعل يحيى صبح الأزل غطاء له ثم نشط البهاء المازندراني وأتباعه في بث هذه الأفكار وإلصاق التهم والدعايات السيئة ضد البابية كما كان الأزليون يسلكون نفس المسلك لكن دون جدوى فانطفأت البابية وحلت محلها البهائية نهائيًّا. وانتصر المازندراني وأصبح بعد ذلك زعيمًا ونبيًّا وإلهًا لهذه البهائية التي يعج بها العالم الإسلامي اليوم.

خطر البهائية:

تمهيد:

عرفنا أن البهائية هي إحدى الحركات الهدَّامة التي احتضنتها الصهيونية العالمية لهدم الأديان وخصوصًا الإسلام. وأنها وريثة البابية بعد هلاك الشيرازي بعد أن احتدمت بين البابية والبهائية تلك الخلافات على السلطة والزعامة الدينية حيث خرجت البهائية منها هي المنتصرة في النهاية.

وقد تسربت البهائية إلى أذهان كثير من الناس في أثواب براقة وأساليب مختلفة. ولقد كان لهم دور بارز في مصر ونشاط أقلق الرأي العام في سنة ١٩٧٢م. وكتب عنها حينذاك رجال الفكر في الصحف والمجلات وتمت محاكمة البهائيين واتضح أنهم فئة خارجة عن جميع الأديان السماوية تحت زعامة نبيهم المزعوم بهاء الله الذي حول الحج إلى المزارات البهائية في إسرائيل واخترع له شريعة من شتى الأفكار والمذاهب.

ولهم نشاط خفي ومنشورات تدعو إلى نبذ الإسلام في البلدان التي يخافون فيها بطش المسلمين بهم. ولهم شهور تخالف الشهور الإسلامية وعقائد تخالف العقائد

الإسلامية ومحافل وخلايا مندسة ومبثوثة بين صفوف المسلمين، ولقد حوربت البهائية واعتبرت عدوة الأديان جميعًا. وحظر نشاطها في كلٍّ من مصر وتركيا وإيران بعد اطلاع علماء هذه البلدان على نوايا هذه الطائفة المجرمة عميلة الصهيونية العالمية منذ أن تزعمها المازندراني، ونذكر فيما يلي ترجمة لهذا الرجل وكيف أسس هذه الطائفة حتى نمت وترعرعت.

زعيم البهائية:

مؤسس هذه الطائفة يسمى المرزا حسين علي، وأبوه يسمى المرزا عباس بزرك النوري المازندراني ولد المرزا حسين علي النووي المازندراني في قرية من قرى المازندران في إيران وتسمى نور وقيل: ولد في طهران في سنة ١٢٣٣هـ.

وحين ظهرت البابية لم يكن هذا الرجل معتبرًا من حروف «حي» التي نظمها الباب الشيرازي، ولا كان له ذكر مشهور في أول قيام البابية وقد اعتنق البابية سنة ١٢٦٠هـ وهو في السابعة والعشرين من عمره. وقد وجد في نفسه علي الباب الشيرازي إذ لم يجعله من حروف «حي» أي صفوة زعماء البابية بل جعل أخاه يحيى صبح الأزل منهم، ولكن المازندراني استطاع كظم غيظه وأسر ذلك في نفسه علي الباب كما تقدم إلا أنه ظل يتحين الفرص للظهور، ووجد الفرصة حينما عقد البابيون مؤتمرهم في صحراء بدشت حيث هيَّأ للمؤتمرين كل وسائل المتعة والترف، واستحوذ على قرة العين غانية البابيين واستحوذت هي الأخرى عليه. وكانا أساس المؤتمرين وأهم البارزين فيه إلا أن المازندراني كان يخفي نفسه في أول المؤتمر ليتحاشى الخصومة مع المؤتمرين. ولكنه ظهر في آخر المؤتمر ليقطف ثمرته حين كانت قرة العين -كما سماها الشيرازي- تصر على نسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة البابية. وحينما تأزمت الأمور بينهما وبين بقية المؤتمرين تدخل المازندراني لصالح قرة العين وأخذ يقرأ سورة الواقعة ويفسرها بتفسيرات باطنية. ويزعم لهم أن القرآن نفسه فيه إشارة قوية لنسخ شريعة الإسلام بشريعة الباب.

فاجتمعت الكلمة على طاعة قرة العين التي جعلت نفسها بعد ذلك طائعة للمازندراني تمام الطاعة ولقبته - على أحد الأقوال - بهاء الله أو لقب نفسه هو بهذا اللقب بعد أن تعاظم نفسه.

ثقافته:

تلقى المازندراني العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير، وتزعم كتب البهائية أنه كان يتكلم في أي موضوع ويحل أي معضلة تعرض له ويتباحث في المجامع مع العلماء ويفسر المسائل العويصة الدينية وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

وكان شَغوفًا بما يتعلق بالمهدي وأخبار المهدي وقراءة كتب الصوفية والفلاسفة والباطنية إلا أنه حينما عظم في نفسه وجاء بتخريفاته الإلحادية رغم أنه أمِّيٌّ لا يعرف شيئًا ولكن الله ألهمه العلوم والمعرفة جميعها [1] وكتب ما كتب في أقوال تعدُّ من أشنع الكذب - وكان يميل إلى أقوال الصوفية وشطحاتهم - وإلى أفكار البراهمة والبوذيين والباطنية وغير ذلك من المذاهب[2].

بحكم تلك الدراسة التي أجهد نفسه فيها، ومن الأمور المتفق عليها أن المازندراني المتنبئ والمتأله أيضًا كان من أخلص الناس للروس والبريطانيين واليهود الذين قام مجده بمساعدتهم وعلى أكتافهم.

تطور حركة البهاء المازندراني:

وقد تدرج المازندراني في دعواه فبدأ يبشر بأنه هو خليفة الباب الشيرازي وحده ثم ادعى أنه هو الباب ثم انتقل إلى دعوى أن الباب لم يأت إلا ليبشر به كما كان يوحنا مبشرًا بالمسيح ثم ادعى أنه هو نفسه المسيح الذي بشر عنه وأنه هو النبي والرسول إلى الناس كافة.

ولما وجد آذانًا صاغية لتلك الافتراءات لم يَكْتَفِ بما ادعاه سابقًا بل تاقت نفسه

(١) البابية عرض ونقد.

(٢) انظر حقيقة البابية والبهائية.

إلى دعوى الألوهية وأن الله ظهر في صورته – تعالى الله عما يقول الظالمون – على طريقة الحلول وكان إذا مشى في الطريق أسدل على وجهه برقعًا لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي في وجهه وقد نشرت صورته في بعض الكتب مبرقعًا وكتابه «الأقدس» مملوء بالدعوة إلى ألوهيته وتصرفه في هذا الكون كما يريد، وزعم أن الرسل من أولهم إلى آخرهم لم يبعثوا إلا مقدمة بين يدي ظهوره[1].

وفاة المازندراني :

بعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر أصابته الحمى. وقيل: إنه جن في آخر حياته وكان ابنه عباس – عبد البهاء – يعمل حاجبًا له فاستأثر بالأمر وأغدق على الجماعة الأموال فأحبوه، وحين اشتدت الحمى بهذا الإله الكبير جاءه القدر المحتوم فمات في سنة ١٣٠٩هـ ودفن قرب منزله، وكان قد زعم أن غروب شمسه – أي موته – لم يكن إلا لحكمة وأنه مع أتباعه يراهم ويؤيدهم بنصره وبالملائكة المقربين، وقد أوصى بالخلافة من بعده لأبنه الأكبر عباس، وبعده الأصغر منه المرزا محمد علي وكتب بذلك كتابًا وختمه بختمه إلا أن الأمور لم تسر على هذا الوجه فقد استولى عباس على الأمر كله ولم ينفذ وصية والده ونشبت بين الأخوين خلافات هائلة أعادت إلى الأذهان تلك الخيانة التي قام بها والدهما من قبل مع أخيه صبح الأزل وما حصل بينهما من المهاترات والنزاعات الشديدة.

فكان هذا خير خلف لتنفيذ خيانة سلفه بتمامها وهو أمر لا غرابة فيه ذلك؛ لأن أساس هذه الملة إنما قام على الخيانة والغدر والكذب من أول يوم أسست فيه البهائية.

عقيدة البهائية في الألوهية :

يصف البهائيون ربهم بصفات العدم في زخرف من القول ظاهره التنزيه وحقيقته الإلحاد، فقد زعموا أن الله تعالى حقيقة ربانية وكينونة صمدانية، وهو سرٌّ في ذاته

(١) البابية عرض ونقد، وانظر البهائية لمحب الدين الخطيب.

وكنز مخزون في صفاته مجرد بحت في حقيقته وهويته لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم لم تزل كانت ذاته ولا تزال تكون مقدسة عن كل اسم ومنزهة عن كل وصف ليس لجوهر الأسماء في ساحة قدسها طريق ولا للطائف الصفات في ملكوت عزها سبيل[١].

ومعنى هذه الأوصاف أن الله عدم محض؛ لأن المجرد الصرف والكلي البحت لا وجود له في الخارج. وهم يزيدون الطين بلة حيث يقولون: لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم فأي شيء له وجود ولا يوصف بوصف ولا يسمى باسم وكيف يكون كنزًا مخزونًا في صفاته ومجردًا بحتًا أليس هذا كفرًا بأسماء الله وصفاته؟

ثم زعموا أن الله -وهو مجرد صرف في زعمهم- لابد أن يكون ظهوره في هيكل يتعين ويتجسد فيه لكي يعرف ويرى وهذا الهيكل يسمى عندهم «بالنقطة» أو «النقطة الأولى» وقد تمثل ظهوره في زعماء البهائية الشيرازي والمازندراني تعالى الله عن قولهم في خلط يطول ذكره بدون فائدة؛ وهو فكر استقوه من ملاحدة الفلاسفة والهندوس والنصارى وغلاة الصوفية، وهذا هو السبب الذي جعل المازندراني «البهاء» إذا خرج من قصره المسمى «قصر البهجة» في عكا إلى حيفا وجبل الكرما أو تجول في الأماكن التي حوله أسدل برقعًا على وجهه؛ لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي كالمرآة على وجهه![٢].

عقيدة البهائية في اليوم الآخر:

لم يلتفت البهائيون إلى أمور الآخرة كما ذكرتها الأديان السماوية أصلاً فلا ذكر لعذاب القبر والبعث والحساب والجزاء والحشر والنشر والثواب والعقاب الأخروي والجنة والنار. مخالفين بذلك سائر ما ذكرته الأديان الصحيحة عن حقيقة وجود هذه الأمور والتي فصَّل الإسلام من أخبارها ما يشفي ويكفي.

---

(١) انظر البهائية لمحب الدين الخطيب.

(٢) انظر قراءة وثائق البهائية.

وقد أوغل البهائيون في الاعتقاد الباطن وفسروا تلك الأمور الأخروية بتفسيرات باطنية. فإن ما ذكروه في كتبهم من أخبار القيامة والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار فإنها تدل على ما وقع في هذه الحياة عند مجيء البهاء بزعمهم أنها أمور تقع في دار أخرى حسب ما فصلته الأديان السماوية فإن القيامة حسب مفهومهم الإلحادي هي بمعنى قيام البهاء وانتهاء الدور المحمدي ﷺ ومجيؤه هي الساعة الكبرى وقيامة القيامة والانتماء إليه الجنة ومخالفته هي النار إلى آخر ما ذكروه على طريقة أسلافهم عتاة الباطنية وملاحدتهم(١).

عقيدتهم في الجهاد:

لقد حرم البهاء الجهاد بكل أنواعه كما تقدم وحثَّ الناس على طاعة القادة والقائمين مهما كان حالهم، وحرم استعمال آلات الحرب مهما كان نوعها في مواجهتهم بل عليهم الخضوع لكل حاكم بغضِّ النظر عن مذهبه وعقيدته خصوصًا الحكومات اليهودية. ومعلوم أنه بهذا المسلك كان يمهد الطريق لأعداء الإسلام للسيطرة والاستعمار في مقابل جهود اليهودية العالمية وتمهيدهم الطرق الكثيرة لانتشار البهائية في أمريكا وفي غيرها من البلدان الشرقية والغربية إذ المصلحة بينه وبين اليهود مشتركة والهدف واحد(٢) تجاه محاربة الإسلام واستعلاء الاستعمار في كل ديار المسلمين.

عقيدة البهائية في العدد تسعة عشر:

يجهل كثير من المسلمين حقائق البهائية وتعاليمها؛ لأن البهائية وإن كانت نحلة ظاهرة لكنها تخفي حقائق كثيرة لا تعرف إلا بالتعمق في دراستها.

---

(١) الأقدس وانظر ما كتبه إحسان إلهي والدكتور محسن عبد الحميد عن تأويلات هؤلاء الملاحدة لأخبار اليوم الآخر.

(٢) حرم المازندراني الجهاد وملأ كتبه بذلك مثل الأقدس والبشارات والإيقان. معتبرًا ذلك من فضائل ظهوره وأنها نعمة على العباد ينبغي عليهم تقبلها وما هي في الحقيقة إلا من رذائل ظهوره ونقمة على المسلمين ونعمة على المستعمرين وأعداء الدين.

ولا غرابة بعد هذا أن ترى كثيرًا من المسلمين يرددون شعارات وأفكارًا بهائية دون أن يعرفوا من أين جاءتهم بل اجتهدوا في تردادها ونشرها بشتى الوسائل.

وكمثال على هذا العدد ١٩ والذي يعتبر رقمًا مقدسًا ودالاً على نبوة وألوهية البهاء حسب أفكار البهائية الخائبة فتجد أن كثيرًا من المسلمين انخدعوا بزخرف أقوال البهائية فتعلقوا بهذا الرقم ثم نظروا إلى بقية الأعداد بعين المتعمق المتفحص علهم يصلون إلى اكتشاف آخر مثل اكتشاف البهائية للعدد ١٩.

ولقد ألقى أحد دعاة البهائية محاضرات في الكويت عن العدد تسعة عشر وعناية القرآن الكريم به. بل وقيام أجزاء القرآن وجمله من هذا العدد أو من مضاعفاته. وذهب يدلل على أن القرآن من الله وأنه معجزة بدليل عنايته وقيامه على هذا العدد١٩ وهو العدد الذي اهتدى إليه المرزا الشيرازي ثم البهاء ومن جاء بعدهما. وقد قيل إنه حينما ألقى داعية البهائية في الكويت الدكتور محمد رشاد خليفة محاضرته عن العدد تسعة عشر بثت إذاعة الكويت تلك المحاضرة ونشرت في أماكن كثيرة في شكل كتيبات توزع وأشرطة تباع وتهدى. ولعل هؤلاء الذين فرحوا باكتشاف العدد١٩ وأنه دليل على معجزة القرآن ما علموا بأنهم يخدمون بهذا العمل شياطين البهائية.

ولم يقف هوس البهائية في العدد ١٩ عند حدٍّ فقد جرؤوا على الكذب على الله في القرآن الكريم إذ فسروا فواتح السور المشتملة على الحروف المقطعة بحسب ما يمليه مخططهم للدعاية لهذا الرقم الذي أحبوه كثيرًا وذهبوا يدللون به على صدق البهائية وزعموا هم واليهود من ورائهم أن آيات القرآن الكريم وكذلك التوراة دللت على ذلك......

ولقد كان للكمبيوتر مقام رفيع عندهم واهتمام بالغ به. فهو الذي أعانهم على تخريفاتهم في دلالات الأعداد، ويستدلون بنتائج ما يخبرهم به على أنها حقائق لا تقبل الجدل مع أنها مملوءة بالتناقض والاضطرابات والمغالطات المستورة حينا

والمكشوفة أحيانًا كثيرة.

وقضية هذا العدد والخوض فيه من المسائل الطويلة والغير نافعة، وما أشرنا إليه هنا يغني في التنبيه على عمق خرفات البهائية وخداعهم للناس والخطر الذي يمكن أن يجرَّه هؤلاء على العالم لو تحققت أهدافهم لا سمح الله(١).

التأويل عند البهائية:

لقد لعب التأويل دورًا خطيرًا في مفاهيم الناس وقد سبقت الإشارة إلى بعض أضراره العديدة على الإسلام والمسلمين.

والغرض هنا هو ذكر بعض الأمثلة التي تبين كيف جرأت البهائية على التلاعب بالنصوص وأوَّلتها على طريقتها الباطنية الملحدة، ومن ذلك:

١- ما ورد من ذكر القيامة في القرآن: قالوا: إن المقصود بها قيام البهاء بدعوته وانتهاء الرسالة المحمدية.

٢- النفخ في الصور: دعوة الناس إلى اتباع البهاء.

٣- البرزخ: هي المدة بين الرسولين. أي محمد والباب الشيرازي.

٤- البعث: هو خروج الناس من دينهم - الإسلام - إلى الدين الجديد البهائي.

٥- وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: أي تركت الإبل واستبدل عنها بالقاطرات والسيارات والطائرات.

---

(١) من كتبهم التي تحدثت عن فضل هذا العدد:

١- الأقدس.

٢- البيان.

٣- ما كتبه محمد رشاد خليفة في محاضراته بالكويت تحت عنوان تسعة عشر دلالات جديدة في إعجاز القرآن.

٤- ما كتبه مصطفى محمود «من أسرار القرآن - فهم عصري للقرآن».

٥- ما كتبه العلماء ردًّا على البهائية مثل كتابات الشيخ إحسان إلهي ومثل كتاب «قراءة في وثائق البهائية وكتاب «البهائية رأس الأفعى».

٦- ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾: أي جمعت في حدائق الحيوانات وفي المدن الكبيرة.

٧- ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾: أي اشتعلت فيها نيران البواخر البخارية.

٨- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾: أي صاروا أقسامًا، مؤمن بالبهاء، ومعاند له.

٩- ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾: أي أسقطت الأجنة من بطون الأمهات.

١٠- ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾: أي انتشرت الجرائد والمجلات.

١١- ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾: أي وصل بعضها ببعض عن طريق القنوات.

١٢- ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾: أي استخرجت الأشياء والتحف ذات القيمة.

١٣- ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾: الجبال هنا هم الملوك والوزراء أي دونوا لهم دساتير يسيرون بموجبها.

إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية الشنيعة لآيات القرآن الكريم والكذب على الله دون مبالاة أو خوف لا من الله ولا من انتقاد عقلاء بني آدم على هذا الصنيع الفاحش من هؤلاء السفهاء. وكما أوّلوا آيات القرآن الكريم أوّلوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا أن الأحاديث كلها - شأن القرآن - تدل على نهاية الشريعة المحمدية وظهور القيامة بمجيء البهاء. على قلة ما التفتوا إلى السنة، لأن البهاء في أنفسهم أعلى من الرسول محمد ﷺ وأخزى البهائية. ولأن السنة والحديث كما صرح البهائي الحاقد الدكتور محمد رشاد خليفة إنما هي بدع شيطانية والوقوف على ظاهرها دون تأويل لها بظهور البهاء يعتبر كفرًا بالرسول محمد ﷺ نفسه ويعتبر خروجًا بالأمة إلى الشرك والضلال». وهذه التصريحات أصدرها في سنة ١٩٨٢م وهو إمام مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية باسم رشاد خليفة وحذف اسمه محمدًا لأشياء في نفسه.

وقد أضاف إلى افتراءاته وإلحاده فزعم أن القرآن حذر المسلمين عن أخذ الدين عن الرسول ﷺ بل يأخذونه عن القرآن فقط وهذا القول يكفيه ردًّا قول الرسول ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**». ثم زعم أن المسلمين رجعوا إلى الوثنية حينما عظموا الرسول

ﷺ ومجدوه. وقد أمر الله أن يمجدوه ويعظموه هو وحده، ومما يجدر التنبيه إليه أن البهائيين المتأخرين قد اتخذوا مسلكًا أخبث وأمكر من مسلك أسلافهم، وذلك بظهورهم أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبي الإسلام وأن الإسلام حق والرسول محمدًا ﷺ حقٌّ. وأنه لا تنافي بين الإيمان بنبي الإسلام وبين الإيمان بنبي البهائية لأن الإسلام نفسه قد بشر بنبي البهائية كثيرًا في القرآن وفي السنة . فالذي لا يؤمن بالبهائية بعد أن قامت القيامة وانتهى الدور المحمدي بظهور البهاء لا يكون مؤمنًا لا بالإسلام ولا بالبهائية ولا بالله أيضًا، فإن الأساس للإيمان هو الإيمان بالبهاء المازندراني – الملحد -. وينتهي الإيمان بالبهاء عند البهائية بأن يتخذه الشخص إلهًا من دون الله وصدق الله العظيم: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[1].

٥- حسن غلام حسين دانا:

ادعى هذا الرجل النبوة في الشارقة إحدى دول الخليج العربي ويبلغ من العمر ٣٥ عامًا حين ادعى النبوة وقد أصدر في الدائرة الجنائية الثانية بمحكمة الشارقة الشرعية بعدما أدانته بتهمة الردة عن الإسلام حيث ادعى أنه رسول الله في سبتمبر ١٩٩٤م أثناء محاكمته مع رجلين آخرين أمام المحكمة ذاتها وقد منحت المحكمة دانا مدة عشرة أشهر لمراجعة نفسه والعودة إلى الحق فأكد أنه لو أعطي عشر سنوات فلن يتراجع عن كونه رسول الله، وقالت صحيفة الخليج: إن لجنة من ثلاثة أطباء أكدت سلامة المتهم العقلية لكنَّ القنصل الإيراني شدد على أن دانا المتزوج وله عدة

---

(١) من كتب البهائية في هذا الموضوع:

الحجج البهية – فضل الله الجرفادقاني. التبيان والبرهان – أحمد حمدي.

وممن رد عليهم من علماء المسلمين الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه «حقيقة البابية والبهائية» الذي استفدنا منه أهم المعلومات السابقة.

أولاد ليس في حال جيد من الناحية العقلية والروحية وأنه سبق أن تلقى علاجًا في إيران من مرض انفصام الشخصية ومن ثم طلب استئناف الحكم، والله أعلم بالحقيقة[1].

٦- حسين محمد علي حامد عشري:

جاء في جريدة «المسلمون» العدد ١١٣ في ٦/ ١٢/ ١٤٠٧هـ تحت عنوان «أصابع الصهيونية وراء مدعي النبوة» وفي أول ذلك المقال: «يخطئ البعض حين يتصور أن ظاهرة ادعاء النبوة تعود فقط إلى ظهور أفراد فقدوا عقولهم، ويخطئ هذا البعض حيث يتصورون أن علاج هذه الظاهرة يكمن في إيداع هؤلاء مستشفى الأمراض العقلية، القضية أكبر من ذلك بكثير إنها روافد تغذيها دول ومنظمات لتصب في مستنقع الماسونية والصهيونية العالمية». وفي أول الجريدة صورة للمذكور عشري يبدو عليه الهزال الشديد وتبدو من نظراته إلى مندوب الجريدة أثناء محادثته وكتابته عنه للجريدة تبدو على هذا المتنبئ نظرة المترقب الخائف لا الواثق من نفسه ومبدئه. وهذا أمر طبيعي جدًّا إذ كيف يثق بنفسه وبمبادئه وهو يعلم أنه كاذب على الله وأن مبادئه كلها من بنات أفكاره وخيالاته السقيمة استنتجها هو ومن وراء نبوته المزعومة.

وقد ذكر وكيل نيابة أمن الدولة العليا بمصر «علي الهواري» أسماء أبرز أتباع حسين عشري وعددهم ٢٠ رجلاً وثماني نساء وذكر عنهم أنهم «استعملوا الدين الإسلامي في الترويج والتحبيذ لأفكار متطرفة وذلك بالقول والكتابة وتداول التسجيلات الصوتية بأن ادعوا نبوة المتهم الأول فيهم باعتباره رسول الله محمدًا في دورته الخاتمة الموحى إليه من الله وكليمه».

١ – وهو قول يرجع إلى عقيدة التناسخ الباطنية.

٢ – وأن زوجاته هن أمهات المؤمنين.

٣– وأتباعه هم صحابة رسول الله في دورتهم الخاتمة.

---

(١) نقلاً عن إحدى المجلات السعودية الصادرة في ١٠/ ٤/ ١٤١٤هـ.

٤- وحرفوا آيات من القرآن الكريم عن مواضعها وقاموا بتأويلها تأويلاً فاسدًا.

٥- وعرضوا بالصحابة وعلماء الدين وعامة المسلمين بقصد إثارة الفتنة والازدراء بالدين الحنيف وبطائفة علمائه المنتمين إليه...... إلى آخر ما ذكره.

وقد تبجح العشري وهو يخلط بين دعوى أنه المهدي وأنه رسول الله بقوله: «كل معلومة فيما يتصل بالإمام المهدي مدلَّل عليها في الكتاب والسنة واستند نائبى[1] عليها من الكتاب والسنة معتمدًا على كل المراجع الكبرى المعتمدة من كبار علماء الأزهر».

ثم قال: «وأيضًا كل معلومة تتعلق بظاهرة كونية محيرة للبشر شرقًا وغربًا تكلمت عنها» وقد كذب على علماء الأزهر وعلى المراجع التي يدعي ركونه إليها كما كذب في تعليله للظواهر الكونية حيث فسرها بخرافات تدل على مدى جهله وغفلته.

وتظهر نزعته إلى القول بالتناسخ وتضلعه أيضًا من الأفكار الباطنية حين زعم أنه جاء في نهاية الدورة الإنسانية التي بدأت - كما يدعي - من آدم ثم نوح ثم إبراهيم فيوسف الصديق ثم هارون ثم داود ثم زكريا ثم عيسى ثم محمد خاتم الأنبياء ثم إليه هو نفسه الذي ابتدأ الدورة من جديد.

وقد سأله مندوب جريدة «المسلمون» من أنت؟؟ فأجابه بقوله: «أنا صاحب رسالة كلفت بها من الرسول ﷺ. وهذا من غرائبه التي تدل على جهله إذ كيف يكون نبيًّا ثم يدعي أن الرسول ﷺ أرسله فإن صاحب الرسالة هو الذي يرسله الله بها وربما قال هذا القول في بداية أمره لتخفيف دعواه وإظهارها بمظهر متواضع. ومن غرائبه أيضًا وكما هو معلوم لدى كافة المسلمين أن الرسول الذي يبعثه الله تكون دعوته شاملة لمن وجهه الله إليهم لا فرق بين غنِّيهم وفقيرهم، رئيسهم ومرؤوسيهم، ولكن بعثة العشري خالفت هذا المنهج الرباني فإذا به حسب كلامه يرسل إلى فئة من الناس وهم الوجهاء من سياسيين ودينيين وحينما سئل عن سر ذلك أجاب بجواب هو كما يقول الناس: «أقبح من الفعل» حيث قال: «رسالتي ليست

(١) يقصد بنائبه شخص يسمى أحمد عبد النبي كان نائبه ولسانه وقد أخذ يدافع عن فكرة العشري دفاعًا طويلاً.

للعامة الذين ستعم عليهم الرحمة والنعم بظهور المهدي. أما الخاصة فهم هؤلاء القيادات السياسية وعلماء الدين الذين سيحيق بهم الأذى والضرر من كل جانب. ذلك أنهم حسب الدورات الإنسانية كانوا في عهدهم السابق يمثلون رؤوس الكفر وقاموا بإيذاء الرسول عند نشر دعوته. وكذلك كبار اليهود بالمدينة وعلى ذلك فالجزء الأول من رسالتي خاص بتحذير الخاصة لكي يصلحوا من شأنهم قبل قوات الأوان».

ونقف قليلاً عند هذا الجواب لنرى مدى وضوح الرسالة الربانية فيه:

١ - قوله: إن رسالته ليست لعامة الناس؛ لأن عامتهم ستحل عليهم الرحمة كلهم بمجرد ظهوره كلام باطل لم يقل به أحد من الأنبياء ولم يحصل لأحد من البشر بل عكس ذلك هو الواقع لتكذيب العامة للأنبياء في البداية ولأن عامة الناس هم الذين يحتاجون إلى الإصلاح وبيان الحق لهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١) وعادة ما تكون زهرة الحياة الدنيا بين من زعم العشري أنه أرسل إليه ودعواه إن من خصائص رسالته أن العامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إنما هي أمانٍ وهوس فارغ فإن العامة قد يكونون هم سبب الضلال كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢).

٢ - زعمه أن رسالته خاصة بهذه الطبقات العليا من الناس لم يكن هذا هو منهج الأنبياء والرسل حيث بين الله في القرآن الكريم أن أكثر أتباع الأنبياء إنما هم من المستضعفين ثم يمكن الله لهم بعد ذلك في الأرض ويأخذ المستكبرين وسائر المعاندين كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾(٣). وقوله: إن علماء الدين سيحيق بهم الضرر تناقض منه إذ

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام آية: ١١٦ .

(٣) سورة القصص آية: ٥ .

ماداموا متمسكين بالدين وينسبون إليه فإن حربهم يعتبر حربًا للدين والله لا يرضى بمحاربة دينه، ومن حاربهم يعتبر محاربًا للدين، ومن حارب الدين فقد حارب الله تعالى فكيف يدعي بعد ذلك أنه رسوله.

٣- قوله: إن القيادات السياسية ورجال الدين الذين هم في عصره كانوا يمثلون في عهدهم السابق حسب الدورات الإنسانية رؤوس الكفر وأنهم قاموا بإيذاء الرسول عند نشر دعوته. هذه الفكرة المجوسية في القول بالتناسخ لم يستطع حبكها جيدًا.

أ- فمتى دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى القول بالتناسخ الذي هو الكفر بالله ومن أين له ما يثبته؟!.

ب- من أين له أن رجال السياسة في عصره كانوا هم أيضًا رجال السياسة في عصر الرسول محمد ﷺ.

جـ- قوله: رجال الدين هم الذين كانوا يؤذون الرسول ﷺ عند نشر دعوته هذا تعبير عن حمقه وجهله وحقده على علماء المسلمين إذ لم يستطع إخفاءه فكيف يكونون رجال الدين وهم كانوا يناوئون دعوة الرسول ﷺ ودينه على حسب معتقد العشري وأصحابه؟! هذا تناقض ظاهر وفهم سخيف.

د- قوله: إن الجزء الأول من رسالته خاصٌّ بتحذير الخاصة لكي يصلحوا من شأنهم قبل فوات الأوان كلام لا معنى له فما الذي قدمه العشري إليهم لكي يصلحوا من شأنهم قبل فوات الأوان؟! ولعله استعجلهم إلى الاستجابة لأهوائه قبل فوات الأوان عليه بانتقاله إلى السجن ثم محاكمته.

أما الجزء الثاني من رسالته: كما يدعي فهو تفسير ظواهر كونية يريد بذلك ظواهر حار فيها العلماء ولا تزال لغزًا غامضًا إلى أن يشاء الله إظهارها إن أراد وقد تكلف العشري إيضاحها وافترى الكذب ظنًّا منه أن الناس سيقبلون تلك التعليلات الخرافية التي جاء بها مع اعترافه بأنه كان جنديًا سريًّا لا يعرف شيئًا عن هذه العلوم.

ومن تلك الظواهر التي بعثه الله ليبينها للناس:

١ - زعم أنه يعرف سر مثلث برمودا الرهيب الذي لا تتجاوزه باخرة أو طائرة إلا وتختفي فيه فلا يعرف لها بعد ذلك خبر. ولا شك أن الناس يتلهفون إلى معرفة السر في ذلك ويتمنون لو عرفوه معرفة صحيحة وسيحترمون كل من يهتدي لمعرفة ذلك ويخلدون اسمه في التاريخ إن صدق. فماذا قال العشري في سر ذلك المثلث الذي يسمى: «مثلث الرعب»؟! قال عنه حسب تخريفاته:

«قد عرفت السر وراء ذلك فالمنطقة هي بقايا مملكة الملك ذي القرنين وتضم قصور مملكة بقارة أطلنطا القديمة، ولهذا فهو يدافع عن بقايا مملكته ولعل أقوى شاهد على ذلك الأطباق الطائرة التي تظهر بين الحين والحين.

هذه هي المعجزة الكبرى التي تشرف العشري ورسالته بها فماذا فيها؟ هذه المعجزة لم يتقدمه أحد إلى القول بها، ولا يمكن أن يسندها دليل إلى أن تقوم القيامة ثم هي لا تستقيم إلا إذا كان ذو القرنين حيًّا يدافع عن مملكته فهل يجرؤ على القول بحياته. وأما إذا كان يؤمن بموته فمن أين له القدرة على الدفاع عن نفسه فضلاً عن مملكته؟ فإن قال: إنه حيٌّ وله أتباع وصولة وجولة وصواريخ تسقط الطائرات العابرة ومدافع تغرق السفن فقد خرج عن عقله ويستحق كلامه أن يكون ضمن الفكاهات التي يتندر الناس بها. وإن قال: إنه ميت فبأيِّ قدرة يدافع وهو مخلوق مثل سائر المخلوقات وقد فني كغيره من سائر المخلوقات التي قد فنيت.

فهل يدعي أنه له قدرة إلهية في الكون؟ وهذا هو الكفر الصريح. وإذا كان الأمر كما ذكر من معرفته لذي القرنين وأنه السبب في سقوط الطائرات والبواخر في ذاك المثلث الرهيب. فلماذا لم يتقدم بوساطته إلى ذي القرنين ويصالح بينه وبين البشر الذين يشكل عليهم موقفه هذا خطرًا حقيقيًّا مخيفًا. لا شك أن تعليل العشري المذكور تعليل يشبه خرافات العجائز وأحاديثهن في سمرهن، وهو قول بلا علم.

ولقد ذكر بعض العلماء عن هذا المثلث أخبارًا كثيرة الله أعلم بصحتها ولا يهمنا

هنا إلا ما تعلق بأخبار العشري ليدلل به على نبوته.

٢- زعم أنه اكتشف مكان يأجوج ومأجوج الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم دون تحديد أماكنهم لحكمة أرادها الله وكانت سرًّا فجاء حسين العشري ليظهرها واضحة بزعمه لأنه مكتشف الغوامض بمساعدة الله الذي أسبغ عليه نعمة الرسالة – حسب زعمه – فأين مكان هؤلاء القوم؟؟

أجاب العشري بقوله: «والغموض الآخر – أي بعد غموض مثلث برمودا – الذي استطاع كشفه هو مكان قوم يأجوج ومأجوج الذين ذكرهم القرآن»(١) فهم محبوسون بمنطقة سيبيريا بالاتحاد السوفيتى(٢) وهي منطقة لا تدخلها الطائرات لتعطل أجهزة الملاحة بمجرد المرور فوقها. لقد زاد العشري الغموض غموضًا والطين بلة، ويأجوج ومأجوج الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن أبقى أمرهم غامضًا فلا أحد يتصل بهم ولا هم يتصلون بأحد إلى أن يأذن الله في خروجهم فيخرجون مثل الجراد المنتشر يأكلون ويشربون كل ما في طريقهم ويفسدون في الأرض حتى يجأر المسلمون بالدعاء إلى الله أن يخلصهم منهم فيرسل الله عليهم دودة مثل النغف تأخذهم في أعناقهم فيهلكون في وقت واحد وهي إحدى علامات القيامة الكبرى.

وإذا كانوا في سيبيريا فما هو موقف حكومة الإتحاد السوفيتي منهم؟ وهل هم تابعون للحكومة أم لا تراهم ولا يرونها؟!!. إن سيبيريا منطقة تابعة للإتحاد السوفيتي وهي منفًى لكثير من معارضي الحكومة، فإن كانت الحكومة تراهم فهم من جملة الشعب السوفيتي، وهل بلغ الشعب السوفيتي كله من الكثرة ما يبلغه يأجوج ومأجوج؟

الجواب: لا! وهل انطبقت صفات هؤلاء القوم على صفات يأجوج ومأجوج

---

(١) الأولى أن يقال ذكرهم الله في القرآن الكريم.

(٢) لقد كان الإتحاد السوفيتي القوة الضاربة الثانية في هذه الأرض فمزقهم الله شر ممزق ونرجو الله أن يتبعه بسائر الدول الكافرة العالية وما ذلك على الله بعزيز.

الثابتة في الحديث؟ كلَّا!!.

وإن قال: إن الحكومة لا تراهم ولا يرونها، فما الفائدة في كشفه هذا ما داموا بهذه الصفة لا يراهم الناس إن هذا هو اللعب بعقول البشر والاستخفاف بهم.

مستواه العلمي:

كان هذا الشخص جاهلاً بدأ حياته العملية «جنديًا سريًا» ولم يدخل أي مدرسة ولم يشهد له أحد بالعلم، وحين أريد له أن يتبجح بالرسالة اعتمد في تلقى العلم طريقة غلاة الصوفية الخرافية، ويظهر ذلك من سؤال مندوب مجلة «المسلمون» له حين زعم أنه يملك اكتشاف المجهولات الكونية فقال له المندوب: «كيف لك هذه المعرفة وتتحدى العلماء وأنت لم تدخل أي مدرسة؟ فأجابه العشري بقوله..... «أعرف ما تريد أن تقوله صحيح أنني كنت مخبرًا أو كما تقولون: «جنديًا سريًا» ولكن يجب أن تعرف أن علومي تختلف عن العلوم التي لديكم وهي العلوم المصنوعة بأيدي بشر، أما علومي فتلقيتها على مدار سنوات على أيدي الرسول محمد ﷺ.

إلى أن يقول: «فلقد عايشت الرسول سنوات طويلة سواءً في اليقظة أو في المنام وقد ظهر لي أول مرة عام ١٩٤٨م ليلة إعلان دولة إسرائيل، وقتها كنت أقطن في عابدين. وكانت هيئته حزينة وطلب مني التطهر والوضوء وكان عمري لا يتعدى سبعة عشر عامًا ويستمر يطلب مني الالتزام بمبادئ الإسلام لمدة خمس سنوات.

وبعد ذلك أوصى إليَّ بأمر الرسالة المكلف بها، وبدأ يكشف لي في اللوح المحفوظ عن أسلوب الكون وكنت أشاهده على الطبيعة أيضًا. وأطلعني على تفاصيل حياتي المقبلة وقال: إن هناك فترة صعبة سأمر بها أعتقد فترة السجن الحالية هي تلك الفترة الصعبة حيث سيعقبها نجاح دعوتي وانتشارها بين العامة والخاصة».

والحقيقة أنه أظهر إفلاسه العلمي في هذا الجواب، فلا هو تلقى العلوم البشرية، ولا هو تلقى على أيدي الرسول ﷺ - كما يزعم - وأنى له ذلك؟

فإن الرسول ﷺ قد مات والميت لا يرجع إلا في يوم القيامة كما هو الثابت بالضرورة من دين الإسلام ولا يتلقى أحد على أيدي الرسول ﷺ بعد وفاته إلا من قرأ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتعلم في مدارس المسلمين وعلى مشائخهم، إذا فعل ذلك فكأنه تلقى على الرسول ﷺ وهذا الظهور للنبي ﷺ الذي يزعمه العشري لا وجود له إلا في أذهان مجانين الصوفية وحمقهم الذي اشتهروا به حيث يزعم بعضهم أنه يرى الرسول ﷺ في المنام، وبعضهم يقول: في اليقظة بل وصلوا إلى حد أنهم يفرشون فراشًا أبيض في وسط حلقتهم يجلس فيه الرسول إذا حضر مجلسهم الخرافي ويضعون له إبريقًا من فخار يشرب منه إذا ظمئ بينهم وفي نهاية مجلسهم يتواثبون إلى ذلك الإبريق ليفوز أولهم بوضع فمه مكان فم الرسول ﷺ. هكذا سوَّل لهم الشيطان، والرسول ﷺ بريء من خرافاتهم.

ومن الجدير بالملاحظة أن الرسول ﷺ لم يظهر للعشري إلا ليلة إعلان دولة إسرائيل لتكتمل فرحته بقيام هذه الدولة الخبيثة العاتية. ولعل الحزن الذي زعمه للرسول ﷺ إنما هو تغطية لفرحه بقيام الدولة التي تشجعه هو ومن سار على طريقته في هدم الإسلام.

وكذلك زعمه أنه كلف الرسالة وعمره ١٩ عامًا هذا علي خلاف عادة الأنبياء فإنهم لا يتلقون الرسالة إلا بعد الأربعين من عمرهم فما هو السر في هذه العجلة التي تم بها اختيار العشري؟

ثم جاء بالطامة الكبرى والكذبة البلقاء حيث زعم أن الرسول أطلعه على اللوح المحفوظ وصار يشاهده على الطبيعة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾[1] وإن اللوح المحفوظ من الأمور الغيبية التي لم يطلع عليها إلا الله تعالى لا الرسول ولا غيره إلا من أراده الله من الملائكة ولم يذكر الرسول ﷺ في يوم من الأيام أنه رأى اللوح المحفوظ أو أحاط بكل ما فيه. فكيف يطلع عليه العشري وهو

(١) سورة الكهف جزء من آية: ٥ .

لا يملك ذلك؟! وكأن العشري لم يرض أن يكون تابعًا للرسول في نظره إلى اللوح المحفوظ بل أتم كذبته وقال بأنه يرى اللوح المحفوظ على الطبيعة مباشرة متى شاء. غريب جدًّا أن يجرؤ إنسان على الكذب إلى هذا الحد الفاحش. وقد تناقض من حيث لا يشعر فإنه ما دام وهو يطلع على اللوح المحفوظ على طبيعته فما حاجته إلى إخبار الرسول ﷺ له بأنه سيمر بأزمة لعلها فترة السجن - بل ولماذا يتشكك أليس كل شيء يمر به الإنسان مكتوبًا في اللوح المحفوظ منذ أن قال الله للقلم: اكتب كل ما هو كائن إلى أن تقوم القيامة؟...... إنها الغفلة التي هي عقاب من الله تعالى لمن بعد عنه.

وحين قدم للمحاكمة وعلم بأنه سيقف أمام صناديد الأزهر وعلمائه الأجلاء. رفض أن تكون لجنة البحث التي تناقشه من علماء الأزهر بعذر مثل بيت العنكبوت فقال: «علماء الأزهر لم يعرضوا لأفكاري بعمق ولذلك فأنا لا أطمئن إليهم وخاصة وأنهم في دورتهم الإنسانية السابقة كانوا يمثلون كفار مكة ويهود المدينة، وأنا أريد محاكمة علنية ولجنة بحث من عناصر محايدة».

انظر إلى هذا الافتراء والجرأة على اختلاق التهم الملفقة الساقطة فمن أين له أن علماء الأزهر كانوا يمثلون كفار مكة ويهود المدينة في دورتهم السابقة؟ أي التي حصلت بفعل التناسخ الذي هو عقيدة الهندوس عباد البقر والفروج. وأي لجنة محايدة يريد منها أن تحاكمه اللهم إلا لجنة من كبار الماسونية العالمية.

موقف علماء الأزهر من دعوى العشري:

عرفت فيما سبق أن العشري أخذ يتبرم ويرفض أن تباحثه لجنة من علماء الأزهر بالحجة الكاذبة التي صاغها ضدهم، ولكن هل تم له ذلك؟!.

الجواب: لا فقد باحثه علماء الأزهر رغم أنفه وذلك «عقب وصول خطاب من مكتب المحامي العام لنيابة أمن الدولة العليا إلى إدارة الأزهر حول هذه القضية. أصدر وكيل الأزهر قرارًا بتشكيل لجنة لتفنيد ادعاءات المهدي المزيف» وكان عدد

هؤلاء عشرة توجهوا إلى مقر نيابة أمن الدولة العليا، وانتهوا من تفنيد ادعاءات المدعي المزيف وتمكنوا من الوقوف على الروافد المغذية لمثل هذه الظواهر والحركات التي تهدف إلى ضرب الإسلام. هكذا ذكرت مجلة «المسلمون» عنه وعن ادعاءاته النبوة.

نشاط العشري:

تبين لعلماء الأزهر من خلال تباحثهم مع العشري أنه قام بنشاط هو وأتباعه يخدمون به دعوتهم الشريرة، وتمثل ذلك في أشرطة وخطابات مسجلة ورسائل وغير ذلك.

وقد بلغ عدد الأشرطة «١٤٩» شريطًا، منها ١٦ شريطًا باللغة الإنجليزية، والباقي باللغة العربية، وأنها مقسمة إلى مجموعات فبعضها يدور حول تفسير السور القرآنية أو بعض الآيات، وبعضها يدور حول بعض القصص الواردة في القرآن عن مواقف ومخاطبات يدَّعي المتحدث فيها أنها تمت بين النفري – أحد الصوفية – وبين المولى جل وعلا. ولقد غلا العشري في شخص النفري وأوصله إلى حد التقديس بل ومرتبه الألوهية وصدق عليه قول: «والخارب اللص يحب الخارب».

فمن مزاعم العشري في هذا النفري:

١- أنه يخاطب الله ويخاطبه الله، فجعله كليم الله مثل موسى عليه الصلاة والسلام.

٢- أنه أحاط بالعلم كله وأن معرفته تتناول المعارف كلها ما ظهر منها وما بطن.

٣- أنه حلَّ في جميع الأنبياء من لدن آدم حتى محمد ﷺ.

٤- أن الله – تعالى عن إفكه- حلَّ في النفري وأن ذاته هي ذات الله تعالى.

٥- أن جميع الأنبياء بعثوا من ذات المهدي الذي هو في النهاية شخص حسين العشري بعد أن صار هو ذات محمد ﷺ حسب تخريفه.

٦- لم يلتزم بالترتيب لآيات القرآن الكريم كما في المصحف فقد قرأ سورة

الأحزاب على ترتيب من عنده حيث بدأ بقراءة الآيات الثلاث الأول من السورة ثم انتقل إلى الآيتين ٧، ٨ ثم الآيات رقم ٥٠، ٥١ ، ٥٢ ثم الآيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ مسقطًا الآية ٣٧ ثم انتقل إلى الآيات ٥٦، ٥٧ ، ٥٨ وأسقط ما بعد ذلك من الآيات إلى الآية ٦٩ حيث قرأها مع الآيتين ٧٠ ، ٧١ . ولم يكتف بهذا التلاعب بالقرآن الكريم بل زعم أن ترتيبها على النحو الذي أورده هو الترتيب الصحيح عند ظهور المهدي – أي شخصه – وتظهر أصابع الصهيونية الماسونية واضحة حينما سمى هذه السورة: «سورة حزب الله الزبور».

٧- طعن في جميع المفسرين وخطئهم في فهمهم وتفسيرهم للآيات الثلاث الأولى من سورة الأحزاب ثم فسرها بما يتواءم مع ادعاءاته. ثم قرر أن هذه الآيات نزلت على رسول الله ﷺ لا ليعمل بها من وقت نزولها بل ليعمل بمقتضى أمرها ونهيها في زمن ختم الولاية عند ظهوره في صورة المهدي المزعوم ومردُّ هذه الفكرة تعود إلى غلام أحمد القادياني حينما ادعى بأنه شخص المسيح ابن مريم تمامًا.

٨- تطاول على جميع الأنبياء والمرسلين وادعى كرامات ومزاعم تفوق كرامات الأنبياء ومعجزاتهم.

٩- زعم أن الآيات رقم ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ من سورة الأحزاب لا يعرف أحد تفسيرها غير الرسول ﷺ في دورته النبوية والولائية ولكنه لم يبينها في دورته النبوية، بل تركها ليبينها في دورته الولائية في شخص المهدي، وهذا تناقض منه إذ كيف يزعم أنه نبي يوحى إليه بواسطة جبريل ثم بعد ذلك يقول: إنه وليٌّ؟! ولعله لا يفرق بين النبي والوليِّ.

١٠- قرر أن زوجات الأنبياء والمرسلين السابقين جميعًا سيجمعن في دورة الرسول الختامية الولائية ويكن له زوجات عند بعثه وظهوره في شخص المهدي الذي هو في النهاية حسين العشري. ولهذا كانت له عدة زوجات أو على الصحيح «خدينات».

١١- فسَّر قول الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ بما يتوافق مع ميوله الجنسية الجامحة حيث أباح لنفسه في تفسيرها كل المحرمات من الأمهات والأخوات والعمات والخالات على طريقة الباطنية والمجوسية.

١٢- ادعى بأن هذه التوسعة في إباحة كل النساء له إنما هي خاصة به دون من سواه من الناس.

١٣- أراد أن يغطي هذا الجموح الجنسي في إباحة هذا العدد الكثير من النساء له بأن زعم بأنهن سيكن بمثابة الدرع لوقاية الناس يتشفعن عند الله لأبنائهن وبناتهن بحكم انطباعهن على شفقة الأمومة.

١٤- فسَّر القرآن الكريم حسب مفاهيم اليهود في طعنهم في أنبيائهم فقد فسر الآيات الواردة في سورة (ص) في شأن داود عليه السلام بأن داود أعجب بجمال امرأة أوريا فواقعها وهذه تهمة نزّه الله عنها أنبياءه وهي من أكاذيب بني إسرائيل وسوء أدبهم مع أنبياء الله.

١٥- قرر في تفسيره للآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي على المهدي ختم ذات الولاية وسلبها عن النبي محمد ﷺ.

١٦- تحدث عن اليوم الآخر والساعة يوم القيامة فجاء بجهلٍ وتخليطٍ لم يسبق إليه فادعى أن هذه الأمور المراد بها وقت ظهور المهدي يعني «نفسه» وأن الله أذن له في نشر هذا المفهوم بعد أن كان سرًّا لعدم تقبل السابقين له لقصور مداركهم. وقد أخذ هذه الفكرة من ملاحدة الباطنية الذين يفسرون القيامة بمجيء السابع من الأئمة وابتداء الدور به فلا حساب ولا عقاب في دار أخرى غير هذه الدار الدنيا وذلك لعدم إيمانه بيوم القيامة الذي أخبرت به كل الرسل عليهم الصلاة والسلام.

١٧- زعم أن ذا القرنين له دورات نبوية كثيرة وصلت إلى أكثر من سبعين دورة معظمها في بني إسرائيل، وأنه شمشون الجبار، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين محمود قطز، وهو الآن في صفته الخاتمة لذات الولاية -

الصفة التي يطلقها على نفسه -.

وسنقف عند هذه المفاهيم لنرى ما تنطوي عليه من الجهل والكفر والإباحية ومحاولة إخراج المسلمين عن دينهم إلى التعلق بأذيال اليهود والمجوس وغلاة الباطنية وملاحدتهم، وتخبط النصارى والعودة إلى الوثنية عندما يتقبل الناس كل تلك الأفكار الشريرة ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

أما زعمه أن أحدًا من الناس يخاطب الله تعالى ويكلمه متى يشاء فإنه كذبٌ لم يقل به إلا العشري ومن شابهه في ضلاله، ولم يكن كذلك إلا لمن جاء في القرآن الكريم بإثباته له مثل موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾.

وقوله تعالى له: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ . وكل من أراد الله أن يكلمه من الأنبياء والرسل يثبته لاختيار الله لهم إما أن يكون الكلام لحلوليٍّ صوفيٍّ مثل النفري فمعاذ الله أن يقول به مسلمٌ وزعمه أن النفري أحاط علمًا بكل شيء إنما هو تعبير منه عن جهله بربه، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده ومن ادعاه فقد سفَّه نفسه وصار كذابًا فاجرًا.

وأما الحلول الذي يدين به العشري فهو ليس من عقائد المسلمين بل ولا عقائد أيِّ ملة من الملل التي تدين لله تعالى بالعبودية والطاعة، وأما جرأته على التلاعب بترتيب القرآن وطعنه على المفسرين من علماء السلف فهو ليس إلا واحدًا من الزنادقة الذين سبقوه إلى ذلك ولقوا جزاءهم في الدنيا قبل الآخرة.

وأما الكرامات التي تطاول بها على الأنبياء فإنه من الكذب الفارغ والذي يشعر بالنقص دائمًا يمدح نفسه بكل ما يحلو له أو يتخيله من الصفات وهو يعرف في قرارة نفسه أنه كاذب ولكن يؤمل أن الناس يصدقونه ويعظمونه.

وأما كذبه على الرسول ﷺ في أنه لم يبلغ كل ما أنزله الله عليه من القرآن، فإن الله قد أكذبه هو وكلَّ من قال بقوله وشهد للرسول ﷺ بالأمانة والصدق والنصح فكيف

نكذِّب الصادق ونصدِّق الكاذب.

وأما ما أباحه لنفسه من تعدد الزوجات فإنما هو دليلٌ على جموحه الجنسي وإباحيته التي لا تقف عند حدٍّ حيث شابه المجوس والشيوعيين في بهيمتهم الجنسية.

وأما الدورات التي يدعيها وتفسيره لأخبار القيامة فليس هو أول من نادى بها وإنما اتبع في ذلك عقائد الهند البوذية والمجوسية وغلاة الباطنية في تفسيرهم لموت الإنسان وانتقال روحه عن طريق التناسخ والتقمص ثم انتهى أمر العشري وبقي الحق كما هو؛ لأن للباطل صولة ثم يضمحل، وما العشري إلا محاولة من المحاولات الكثيرة للدخول على المسلمين في دينهم ولكن الله لهم بالمرصاد وفي هذا عظةٌ بالغة وتثبيت لقلوب المؤمنين بربهم ونبيهم محمد ﷺ.

٧- محمود محمد طه:

هذا أحد المتنبئين في عصرنا الحاضر، وهو رئيس الحزب الجمهوري بالسودان وتسمى جماعته «الإخوان الجمهوريون» وكان عمله مهندسًا في سكك حديد السودان ولد عام ١٩١٢م في قرية «الخجيلج» أنشأ حزبه سنة ١٩٤٥م وفي سنة ١٩٥١م بدأ خطواته لتغيير مفاهيم الإسلام فتعالت صيحات العالم الإسلامي به وبأتباعه وكفَّروهم وأصدروا القرارات المتلاحقة والنصائح المتوالية للتحذير منه ومن مسالكه وخداعه للناس بادعاءاته البراقة ونفاقه الذي كشف ضلاله في ثنايا كتبه وفي تصريحاته التي تشدق بها تحت شعار الدعوة إلى «الإسلام الجديد» وهذا الإسلام هو على طريقة الماركسية الملحدة - إذا جاز التعبير - وحاش الإسلام أن توجد به ماركسية ولكنها بلايا هذا العصر الذي أدلى كل مهووس وفاجر بدلوه عسى أن يهدم الإسلام ويخرج أهله منه أو يشككهم فيه، ومحمود طه من هؤلاء، ادعى النبوة وأوجد له المتربصون بالإسلام من يؤمن به ويأكل ويشرب على مائدته أصناف المأكولات ويصفق له إذا تكلم وينشر أخباره ودعاياته بسرعة عله أن يتحقق لهم أن يؤمن الناس - كما يتمنون - أو العالم الإسلامي بخصوصه بنبوة محمود وتكون

السودان هي محل الرسالة الجديدة ومنبع إيمان العالم ويتوجه الناس إليه بدلاً من مكة والمدينة التي أقلقت أعداء الإسلام على مرِّ العصور والدهور والتي لا تزداد مع الأيام إلا إشراقًا ونورًا إذ القرآن الكريم موجود وسنة المصطفى ﷺ موجودة كأنما أنزل القرآن في كل عصر على أهله جديدًا.

وكأنما تكلم الرسول ﷺ بسنته بالأمس القريب فامتلأت قلوب الناس بالإيمان وامتلأت المساجد بالمصلين وعلت أصوات علماء الإسلام من على المنابر وغير ذلك من النشاطات الظاهرة والخفية في العالم الإسلامي. وهذا الشيء يجعل أعداءه يغصون بريقهم ويتنفسون الصعداء غيظًا، ومن هنا فإن دعوة محمود طه ليست بغريبة أو شيء لم يخطر في البال فإن القافلة منذ بدأت تسير والكلاب تنبحها من كل جهة ولكن دون جدوى. ويظهر أنه كان عنده قابلية واستعداد لأن يقدم على دعوى النبوة الخطيرة منذ نشأته، ولهذا وجد فيه أعداء الإسلام ضالتهم المنشودة فرموا به كغيره من البلايا التي يرمون بها العالم الإسلامي عند كل فرصة تواتيهم، وهذا الرجل وغيره من أدعياء النبوة وصلوا إلى ارتكاب مثل تلك الجرائم لهوانهم على الله تعالى واستيلاء الشياطين عليهم -شياطين الإنس والجن- وقد اعتذر بعضهم لمحمود طه فيما أقدم عليه أنه لظروف طرأت عليه كما ذكر الأستاذ محمد محمود الصواف عن محمود طه قوله عنه[1]: «ويقال إنه كان رجلاً صالحًا ومهندسًا موفقًا ولكنه سجن مرتين وخرج من السجن المرة الثانية وهو أشبه بالمعتوه ولكنه أخذ يدعو ويغشى المجامع ومحافل الشباب ويعلن مبادئه الضالة ولم يترك قولاً لزنديق في القديم أو الجديد إلا انتحله لنفسه ودعا إليه بنفسه[2]، ويذكر شوقي عيد أن محمودًا سجن عام ١٩٤٨م إلى نهاية ١٩٥١م سجنه الإنجليز لنشاطه ضدهم».

وهكذا فقد تعدى طوره وأمَّل الوصول إلى ما لم ينل. ويغلب على هذا الفريق

(١) رحلاتي إلى الديار الإسلامية صـ ٤٠٠ .

(٢) فرقة الجمهوريين بالسودان صـ ٩٥ .

من الناس حب العلو والسيطرة وعدم الحياء والجرأة للوصول لذلك ويكذب على الله تعالى وعلى الناس دون مبالاة بمشاعرهم أو انكشاف كذبه وتسجيل التاريخ عليه كل أعماله وأكاذيبه.

كما أن هؤلاء يجدون الدعم الكافي من الدول الكافرة ويحصلون على الضمانات الكافية أيضًا لسلامة أزواجهم عند انكشاف لعبتهم إضافة إلى خلوهم عن الوازع الديني ومراقبة الله تعالى فلا يهتمون بعد ذلك بمعارضة أحد من الناس أو انتقاد العقلاء لهم وقد جعلوا نصب أعينهم توافد الناس عليهم بالهدايا وتقديم الطاعة والاحترام لهم ثم استحوذت عليهم هذه المنفعة العاجلة كليًّا فهي عندهم كل شيء في هذا الوجود.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدة بيانات وتقريرات من علماء السودان ومن غيرهم قد أوضحت حقيقة محمود طه وبينت مزاعمه كلها والحكم عليه بأنه مرتدٌّ عن الإسلام. كالبيان الذي أصدرته المحكمة الشرعية بالخرطوم في ١٧/ ١/ ١٩٦٨م والذي تقرر فيه ارتداد محمود طه عن الإسلام ومنها بيان مجمع البحوث بالأزهر إلى وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالسودان في ١٥/ ٦/ ١٩٧٢م بعد اطلاعهم على كتاب محمود طه «الرسالة الثانية» وما قرره فيه من الكفر يطالبون فيه وكيل وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالسودان اتخاذ ما يراه من العمل على إيقاف هذا الشر، ومنها البيان الذي أصدرته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة إلى وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالسودان في ٥/ ٣/ ١٣٩٥هـ يبينون فيه إجماع علماء الرابطة على ارتداد محمود طه وكفره ويطالبون بمصادرة فكره وكتبه وإنقاذ السودان خاصة والمسلمين عامة من شره.

كذلك وجه علماء السودان بيانًا إلى جميع الأئمة والوعاظ بالسودان تطالبهم فيه ببيان دعوة محمود طه للناس والتحذير منه في كل مناسبة وتحذر كل من يوافقه من حاكم أو محكوم بأنه مشارك له في الردة عن الإسلام. كما نشرت جريدة الأخبار

المصرية بتاريخ ٤/ ٦/ ١٩٧٦م جملة من المعلومات حول محمود طه وما قرره من كفر في كتبه التي أهمها «الرسالة الثانية». وكالبيان الصادر عن جماعة علماء السودان في ١/ ١٠/ ١٩٧٧م.

وكان الذي تولى إيصال هذه القضية إلى المحكمة العليا بالسودان هما فضيلة الشيخ الأمين داود محمد المحاضر الأول بجامعة أم درمان الإسلامية، والشيخ حسين محمد ذكي المدرس بمعهد أم درمان الثانوي حيث قدما دعوى إلى قاضي قضاة السودان ضد محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري بالسودان فيها كل التفاصيل عن هذه الحركة ومخاطرها الجمَّة على المسلمين بيَّنا فيها أثابهما الله ما يلي:

١- الأدلة على كفره وارتداده من واقع كتبه التي منها «رسالة الصلاة» و«الرسالة الثانية» حيث صرح فيها بجحده لوجوب الصلاة الشرعية عليه وسقوطها عنه، وكذا جحد الزكاة الشرعية ذات المقادير. وأنها لا تلائم العصر حسب زعمه، ودعواه أن للإسلام رسالتين؛ أولى وانتهت أيامها، وثانية تظهر في أيامه هو، وأنه هو المسيح في دعوته الثانية وهو محمد ﷺ في دعوته الثانية أيضًا. وكذا دعواه أن أمة البعث الأول - أي أتباع محمد ﷺ هم المؤمنون وأن أمة البعث الثاني - أمته هو - هم المسلمون ثم فضَّل نفسه على الرسول محمد ﷺ وفضل صحابته هو على صحابة النبي ﷺ رضوان الله عليهم.

ثم دعواه أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا على طريقة غلاة الباطنية الملاحدة. وقد تلاعب بآيات القرآن الكريم كثيرًا حيث فسره على وِفقِ مبادئه وقد أورد الدكتور شوقي بشير أمثلة كثيرة لذلك.

وقوله بأن الإسلام ظلم المرأة وتحريمه للجهاد والطلاق وإلغاء الشهادتين ومن هنا فقد كفَّره العلماء للأمور الآتية:

١- إنكاره ما علم من الدين بالضرورة، ومنه انتهاء النبوة بنبينا محمد ﷺ.

٢- خروجه على شريعة الإسلام.

٣- إضلال كثير من الناس الذين اتبعوه في تعاليمه المنافية.

٤- هدم أركان الإسلام واحدًا بعد الآخر وتدرجه في ذلك.

وقد طلب الشيخ الأمين داود والشيخ حسين محمد ذكي إلى قاضي قضاة السودان أن لا يتردد في:

١- الحكم بردَّة محمود طه.

٢- تنفيذ حكم الله فيه بعد ثبوت ردته.

٣- إغلاق دار حزبه ومصادرة كتبه.

٤- إعلان بيان للناس لتوضيح رأي الدين في مفترياته.

٥- مؤاخذة من يعتنق مذهبه بعد هذا الإعلان بإهدار دمه وتعقب نشاطه وفصله - إن كان موظفًا - ومحاربته إن كان غير موظف وتطليق زوجته المسلمة منه.

٦- الصفح عمَّن تاب وأناب وعاد إلى حظيرة الإسلام من المدعى عليه أو من أعضاء حزبه.

ثم قدماها وتمت إحالتها بعد ذلك إلى فضيلة الشيخ توفيق أحمد الصديق أحد أعضاء محكمة الاستئناف العليا لأهميتها. وقد انتهى النظر فيها في يوم ١٩/ ١١/ ١٩٦٨م وحكم عليه غيابيًّا حكمًا صارمًا يجزم بكفره وردته جاء فيه:

«حكمنا غيابيًّا - لأن محمود طه - لم يحضر للمدعين حشية الأستاذين الأمين داود هذا وحسين محمد ذكي هذا - وعلى المدعى عليه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري الغائب عن هذا المجلس بأنه مرتد عن الإسلام وأمرناه بالتوبة من جميع الأقوال والأفعال التي أدت إلى ردته كما قررنا صرف النظر عن البنود من رقم ٢ إلى ٦ من العريضة وهي من الأمور التي تتعلق وتترتب على الحكم بالردة وأفهم الحاضران بذلك» ونقول لهذه المحكمة: شكرًا لكم على هذه الجرأة المحمودة غضبًا لله ولدينه الحنيف مع أنها لم تحقق جميع المطالب التي تقدم بها

الشيخ الأمين والشيخ حسين ولكن هل تم تنفيذ ذلك. قال محمد محمود الصواف في بيانه للنتيجة التي آل إليها أمر المحكمة المذكورة: «وحدثوني أنه رفع بعض المسلمين الدعوى عليه - لعله يقصد من قدمنا ذكرهما - فحكمت المحكمة الشرعية بكفره وردته عن الإسلام ولكن مع الأسف الجهاز التنفيذي لم ينفذ شيئًا ولم يصنع شيئًا لهذا الضال الكافر بل ترك حبله على الغارب»[1].

إلى أن يقول: «ومن المؤسف أن هذا الرجل مضى عليه قرابة عشرين سنة وهو في هذه الدعوى المنكرة التي أبعدت الكثير من الشباب والرجال عن الإسلام»[2]. وهذا يصدق ما قدمنا ذكره من التفاف أعداء الإسلام على مثل هؤلاء الضلال وحنوهم عليهم. وأرى أنه يصدق على حكم المحكمة وموقف الجهاز التنفيذي ما قاله أحد الشعراء:

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وعدم تنفيذ القرارات هي السمة الغالبة في جبين الأمة الإسلامية إلا ما شاء الله. وعدم تنفيذ هذا الحكم إنما هو واحد من آلاف القرارات لصالح المسلمين والحركات الإسلامية التي لا يختلف مصيرها عن مصير هذا القرار الصادر من محكمة الاستئناف العليا بالخرطوم لا يختلف عنها.

إلا أن هذا القرار من محكمة في السودان وتلك القرارات من جهات أخرى ثم يلتقيان في الهواء ويعتلجان إلى قيام الساعة ليصدق عليها قول شوقي:

ولكن كلنا في الهم شرق

ويبقى المسلمون في فلسطين وفي كشمير وفي بلد النضال ضد الشيوعية أفغانستان وفي الهند وفي الفلبين وفي إريتريا وفي أكثر البلدان العربية ينتظرونه بفارغ الصبر ثم يفاجئون بقرار أحدث منه وأشد لهجة وحماسًا فإذا بلى جدد بآخر، وهكذا

---

(١) رحلاتي إلى الديار الإسلامية صـ ٤٠٠ .

(٢) فرقة الجمهوريين بالسودان صـ ٩٥ .

إلى أن يحكم الله، تسمع جعجعة ولا ترى طحنًا قرارات شديدة اللهجة وقرارات تلتهب حماسًا. ثم تجمد إلى أن يموت أصحابها أو ينتظرون ما لم يكن في الحسبان من تصفيتهم أو فصلهم أو غير ذلك.

ولا شك أن هذه الإهانات للمسلمين إنما هي بسبب تفرقهم وتخاذلهم عن دينهم واتجاههم يمينًا ويسارًا إلى غير الشريعة الإسلامية التي كانت مصدر سعادة كاملة لهم في العالم من شرق الأرض إلى غربها، وكانوا في منتهى السعادة بذلك الحكم، واليوم يعيش الكثير من العالم في منتهى الشقاء لتركهم ذلك وقيام الجهال من ثوريين اشتراكيين وشيوعيين وبعثيين وملاحدة أو شيعيين متعصبين الذين لم يسبق لهم أن تنعموا إلا في أحضان هذه المبادئ الهدامة والآراء الضالة وكبروا عليها.

أبرز الدعايات التي نسجها محمود طه لتحقيق دعوته:

للدعايات دور خطير في تحقيق المقاصد وخصوصًا في عصرنا الحاضر الذي أجاد الناس فيه فن الدعاية بأسلوب أخَّاذ يشد ذهن السامع ويلفت انتباهه لبريقه ولمعانه، وقد كان للإذاعة والتلفزيون والصحافة والمجلات وسائر وسائل الإعلام الدور القويُّ والوسيلة الفعَّالة لصرف أنظار العامة إليها وكيف لا يتم ذلك والعبارات بليغة والأسلوب جذاب والوعود مغرية وإذا كان هذا هو واقع الدعاية فما هي الدعايات التي سلكها محمود طه لنشر آرائه الضالة؟؟.

والجواب أن محمود طه قد نادى إلى نبوته وإلى الإسلام الذي يزعمه أنه سيتم على طريقته وطريقة من وراءه من المخططين له تحت أسماء مختلفة بعد أن كوَّن جمعيات، كل جمعية تهتم بجانب من النشاط لإسناد حركته ومن هذه الأسماء:

١- الإسلام الجديد في مستواه العلمي.

٢- الدعوة الإسلامية الجديدة القائمة على أصول القرآن.

٣- سنة النبي التي عمل بها في خاصة نفسه وعجز عن القيام بها أصحابه.

ومن أساليبهم كذلك إظهار أنهم أنصار الصوفية وأنهم من حماتها – لانتشار الصوفية في

السودان - بخزعبلاتها الضالة:

- ومنها إقامة المنابر الحرة، وإذكاء نار الخلافات بينهم وبين غيرهم.

- ومنها التركيز على مطالب الجسد اليومية وكيف يتم ذلك وبيان الوسائل التي يتمكن به الشخص للوصول إلى تلبية المطالب الجسدية.

- ومنها أيضًا استغلال ما وصل إليه العلم المادي التجريبي وادعاؤهم فهم ذلك وأنه يؤيد ما يذهبون إليه[1] ومما لا ريب فيه أن زعم هذا المتنبئ أن فيه إسلامًا جديدًا في مستواه العلمي إنما هو خروج عن الشريعة الإسلامية والإتيان بإسلام جديد غير الذي جاء به محمد بن عبد الله من عند رب العالمين. حتى وإن غطى ما يهدف إليه من الخروج عن الدين الإسلامي بدعوى أنه إسلام جديد قائم على أصول القرآن أو ما يسميه بإحياء سنة النبي ﷺ التي عمل بها في خاصة نفسه ولم يقم بها الصحابة لعجزهم عن فهمها فهمًا سليمًا بزعمه ويريد هو وأصحابه أن يقوموا بها؛ لأنهم فهموها في هذا الزمن. ولعل هذا الفهم إنما هو فهم خزعبلات الصوفية وخرافاتها التي تظاهر هو وأنصاره بنصرتها.

وأما المنابر الحرة التي دعا إليها فلا شك أن حريتها تتمثل في جانب واحد وهو إقامة فوضى فكرية لعلها تتمخض عن ترسيخ دعوته وانتشارها كما يتمنى إلى آخر أساليبه الثعلبية ودعاياته البراقة في زخرف من القول غرورًا.

الأمور التي نادى بها محمود طه:

١- زعم أن الشخص إذا وصل إلى معرفة الإسلام الجديد الذي جاء به هو تسقط عنه بعد ذلك جميع شعائر الإسلام في حالتها الآن ويؤدي تلك العبادات بما سماه - بالأصالة -[2] وهي تأويلات على طريقة الصوفية الغلاة والباطنية الملحدة.

---

(١) انظر صـ ٣٨٨ من رسالة شوقي بشير عبد المجيد «فرقة الجمهوريين بالسوان»، وانظر كتاب «دجال السودان».

(٢) يريد بـ«الأصالة» وصول الإنسان إلى الله مباشرة أصالة عن نفسه أمام الله حين يصل إلى ذلك باتباعه =

٢- الدعوة إلى الشيوعية بطريقة ماكرة.

٣- يدعو إلى الاختلاط ونبذ الحجاب.

٤- يدعو إلى المساواة الكاملة بين حقِّ الرجل والمرأة حتى في الطلاق ونسخ حق المهر للمرأة بحيث لا يدفع الرجل عند الزواج مهرًا كما ذكرت جريدة الأخبار المصرية في ٤/ ٦/ ١٩٧٦م.

٥- حاول – كغيره ممن سبقه – التحايل على النصوص فزعم أن الرسول كان خاتم النبيين ولم يكن خاتم المرسلين، ولهذا فهو رسول وليس نبيًّا. وقد خرج – حسب ظنه- عن مصادمته للآية الكريمة ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] بهذا الفهم السخيف.

٦- زعم أن الإسلام له رسالتان؛ الأولى إجمالية؛ والثانية تفصيلية.

٧- الدعوة إلى القضاء التام على جميع المؤسسات الإسلامية القائمة على خدمة الدين الإسلامي لمناهضتها له.

٨- الدعوة إلى إنصاف أهل الكتاب والوثنيين؛ لأن الإسلام القديم ظلمهم وقد أراد بهذا الإعلان التقرب إلى غير المسلمين بنفاقه لهم. وأفكار هذا الرجل مشوشة وملفقة من شتى المذاهب والأديان القديمة والجديدة إلا أن سمتها الظاهرة صوفية على طريقة ابن عربي وعبد الكريم الجيلي والحلاج وغيرهم. كما تظهر فيها كذلك أراء «فرويد» الجنسية وآراء داروين البدائية. كما أنها تعتمد في السياسة على الاشتراكية الماركسية. وفي دعوى النبوة والألوهية على طريقة البهائية والقاديانية وسائر الباطنية[2]. ثم غلف كل ذلك الإلحاد والردة بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية علها تروج – كما يتمنى – على المسلمين فيتقبلونها ولكن

= الشريعة الثانية – انظر فرقة الجمهوريين بالسودان صـ ١٠١١ .

(١) سورة الأحزاب آية: ٤٠ .

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ١٨٢ .

الله حافظٌ لدينه ومطهر كذب الكاذبين، والتاريخ مليء بالأمثلة لمن كان له قلب.

ومن الأمور الهامة التي اهتم بها محمود وأتباعه: القول بوحدة الوجود والتمسك بها بشدة وقد حاول إقناع المسلمين باعتناقها بشتى الأساليب. وقد ذكر شوقي بشير بعض الفوارق بين مفهوم الصوفية لوحدة الوجود وبين مفهوم محمود طه لها بدا الثاني أشد غلوًّا من سابقيه ولا خير في الجميع.

ومن المبادئ التي تميزهم أيضًا زعمهم أن الله يخلق الأشياء من عدم ويجعلون مراتب عديدة لكيفية نشأة الخلق من الله على طريقة التطور والترقي.

ومنها أنهم لا يؤمنون بصفات الله الواردة في القرآن والسنة على أنها صفات للخالق من جل وعلا وإنما هي حسب مفهومهم صفات للإنسان الكامل سواء أكان نبيًّا أو غير نبى[1] وهذا كفرٌ بمدلولاتها التي أراد الله عز وجل أن يفهمها الناس ويؤمنون بها على وفق ما أخبرنا به نبيُّه محمد ﷺ، وهو خروج كذلك على عقيدة السلف ومحاربة لها وردٌّ سافر لما أجمع عليه علماء المسلمين المعتبر قولهم قديمًا وحديثًا.

تلك هي أهم الأمور التي ذكرت عنه أنه نادى بها وطلب من المسلمين الإيمان بها، وأدار ظهره لجميع المبادئ التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ.

ولا شك أن تلك الأمور طافحة بالكفر والخروج عن الإسلام وتعاليمه مهما حاول أن يغطيها بالأساليب البراقة والانتساب إلى الإسلام.

أما بالنسبة للأمر الأول:

فإن دعوته إلى ترك شعائر الإسلام من صلاة وصوم وحج قد غطاها بتفسيرات باطنية بلهاء لا يقبلها شرع ولا لغة ذلك أنه قد ادعى على طريقة غلاة الصوفية أن الشخص إذا وصل إلى مرتبة معينة - بمثابة اليقين عند الصوفية ومرتبة الإسلام الجديد عنده - تسقط عنه التكاليف تلقائيًّا ويؤدي بالأصالة وهذه الأصالة الغريبة

(١) انظر فرقة الجمهوريين بالسودان صـ ٤٤٠ .

التي دعا إليها لم يعرفها أحد قبله ولن يقولها أحد بعده إن شاء الله. فقد نادى بأن الصلاة تكون بالأصالة والصوم بالأصالة وسائر التكاليف تقوم على هذه الأصالة في شرعه الجديد.

فمثلاً المراد بصيام الأصالة هو أن يأكل الإنسان في نهار رمضان ولكن لا يشبع، وهذا تفسير مضحك، ويدل على أنه لم يحكم لعبته لمحو الصوم الشرعي من أذهان المسلمين مع شدة رغبته في ذلك. فإن كل مسلم يعرف تمامًا بأنه إذا أكل في نهار رمضان من غير عذر بطل صومه سواء أكل كثيرًا أو قليلاً وقد ظن أن المسلمين من السذاجة بحيث يقبلون تخريفاته هذه.

وأما حج الأصالة: فليس المقصود بالحج الذهاب إلى مكة والطواف بالبيت العتيق؛ لأن الكعبة – في مفهومه – أحجار مثل سائر الأحجار!! وإنما المقصود بالحج – في الإسلام الجديد – أن القلب بيت الرب تعالى والطواف حوله هو طواف القلب به تعالى. ولم يسبقه إلى هذا الفهم الخارق إلا غثاء الباطنية وعتاتهم. وإلا فكيف يطوف الإنسان بقلبه حول ربه. وهكذا شرح بقية شعائر الإسلام على طريقة الأصالة هذه فاعتبروا يا أولي الألباب.

والأدهى من ذلك أنه زعم أن الإنسان قد يصل في وقت ما إلى سقوط التلفظ بالشهادتين اللتين هما أصل الإسلام وأساسه وإذا وصل إلى سقوط الشهادتين فأي إسلام يبقى له غير الشيوعية التي جاء بها التافه كارل ماركس. وفي هذا يقول محمود طه «فهو حين يدخل من مدخل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يجاهد ليرقى بتقليد المعصوم إلى مرتبة فاعلم أنه لا إله إلا الله ثم يجاهد بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة».

ومعنى هذا الهراء الصوفي الحلولي أن الإنسان حين يدخل في الإسلام على الطريقة التي أرادها الله تعالى مبتدئًا بالشهادتين يسمي محمود هذا المسلك مجاهدة في تقليد الرسول الذي يجاهد هو أيضًا ليصل إلى مرتبة فاعلم أنه لا إله إلا الله وهي

النهاية التي وصل إليها الرسول وكل من تبعه من المؤمنين. أي أن الله جعل للرسول محمد بن عبد الله ﷺ ولأتباعه غاية يصلون إليها ومرتبة لا يتعدونها هي معرفة التوحيد حسب افترائه على الله وعلى الإسلام الذي لم يعرف منه إلا الاسم ثم أضاف بأن من وصل إلى تلك المرتبة التي خص بها صاحب الرسالة الأولى – أي نبينا محمدًا ﷺ – ثم يأخذ في المجاهدة بإتقان هذا التقليد على الطريقة التي جاء بها محمود طه حتى يصل إلى درجة يسقط عندها لزوم ذكر الشهادة ويصبح مسلمًا تام الإسلام. – أي على مذهب كارل ماركس تمامًا – أو على مذهب ابن عربي في الحلول والاتحاد. أو مذهب القائلين من غلاة الصوفية:

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس السرائر والقلوب
فترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها مغيب

وأما الأمر الثاني:

فهو دعوة جادة إلى التمسك بالشيوعية، وذلك واضح في مزاعمه أن الرسول ﷺ عاش الشيوعية في قمتها، وأن الرسول ﷺ دعا أصحابه إلى الأخذ بها فلم يمتثلوا فعدل الرسول ﷺ إلى إلزامهم بالزكاة المعروفة في أموالهم أما هو فقد بقي على الالتزام بها – وحاشاه – في خاصة نفسه ثم استدل على هذا بما عرف عنه من الكرم وإنفاق الأموال بمجرد وصولها إلى يده زاعمًا أن هذا هو المبدأ الشيوعي وأنى للشيوعي أن يصل إلى كرم سيد البشر؟!! وهذا الزعم دليل على جهله المطبق بأصالة الكرم في نفوس العرب وخصوصًا أشرافهم فكيف لا يتصف الرسول ﷺ به؟!

وهل في الشيوعية دعوة إلى مثل هذا الكرم أم هي دعوات إلى الصراع الطبقي وأخذ الحكام لأموال الناس قهرًا، وقوله: إن الصحابة عجزوا عنها ولم يمتثلوا قول الرسول ﷺ فيها هذا دليل قويٌّ على أنه لم يدرس شيئًا عن سيرة الصحابة وحبهم لنبيهم وتقديمهم ما جاء به على هواهم طائعة بذلك نفوسهم مشتاقة إليه قلوبهم.

وأما الأمر الثالث:

وهو الدعوة إلى الاختلاط ونبذ الحجاب فإنه دعا كغيره من دعاة الضلال إلى نبذ الحجاب وقد قال: «والأصل في الإسلام: السفور» وقال أيضًا: «والأصل في الإسلام المجتمع المختلط رجاله بنسائه لا المجتمع المنعزل رجاله عن نسائه وحجته في هذا «أن آدم وحواء نزلا من الجنة عاريين ثم طفقا يخصفان على سوأتيهما من ورق التين فكان الحجاب طارئًا». وهذا الافتراء يعرف كذبه كل أطفال المسلمين فضلاً عن كبارهم وعلمائهم، والقرآن مملوء بالدعوة إلى الحجاب ونبذ التبرج، والسنة النبوية أكدته كذلك واعتنت به، وعلى هذا سار الصحابة قاطبة والمسلمون من بعدهم لم يترك أحد الحجاب والإلزام به مع قدرته عليه إلا من اتصف بعدم الغيرة ومال إلى الخلاعة والمجون، وهؤلاء يدعون إلى الخلاعة والمجون باسم الحرية فقد استغل هو ومن سار على طريقته مبدأ الحرية لهدم الإسلام، وقالوا: إن الأصل في الإسلام الحرية ونقول: نعم إن الإسلام يدعو إلى الحرية ولكن هل الاختلاط والتبرج والتسافد كما تتسافد الحيوانات البهيمية هي الحرية التي نادى بها الإسلام معاذ الله من ذلك وقوله: إنهما نزلا عاريين إلى الدنيا ليس له عليه دليل؛ لأن القرآن يوحي بأنهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة حال اقتراف المعصية -أي وهما في الجنة وليس في الدنيا – وتصوره السخيف أن الدنيا كانت مزروعة بالتين ليس له دليل عليه إلا محض خياله. وقد علل ما جاء في وجوب الحجاب في الإسلام – أي في الرسالة الأولى كما يسميه – بأنه من باب سد الذرائع. ولم يواجههم بطلب السفور والتعري لأنهم كانوا غير متحضرين لا يستطيعون النهوض بذلك كما استطاعته أمة البعث في الرسالة الثانية التي جاء بها هو وفي هذا يقول عن ذلك. «بأن الشارع أراد به إلى سد الذريعة من مسئولية باهظة وثقيلة لا ينهض بها المؤمنون – الرسول والصحابة – وإنما ينهض بها المسلمون – أي أتباعه – وما لهؤلاء شرع».

وهذا التعليل غامض جدًّا ومتناقض إذ كيف يراد بالتنويه بالحجاب سد الذرائع

عن الدعوة إلى الاختلاط، والسفور هو الأصل في الإسلام كما قرره.

ثم وصفه للتعري والسفور بأنه مسئولية باهظة وثقيلة لا يستطيع الصحابة النهوض بها بل يستطيع ذلك أصحابه، كلام تافه جدًّا لا معنى له، إذ يقال: أيهما مسئولية ويحتاج إلى من ينهض به. الحجاب أم السفور والتعري؟ والجواب - كما هو معلوم للقارئ الكريم - أن الذي يحتاج إلى الصبر والتحمل هو الحجاب وليس السفور. علمًا أن أمته التي قرر أنها تلهث إلى السفور والتعري ليس لهم شرع إذًا فهم بهائم بل هم أضل منها فكيف يصنفهم بعد ذلك بأنهم مسلمون؟! وهل يصح وصف البهائم بذلك؟!

وأما الأمر الرابع: من مبادئه الضالة:

فهو الدعوة إلى موضوع طالما احتدم عراك أصحابه لإبرازه وتقريره؛ ألا وهو زعم مساواة المرأة بالرجل في كل الحقوق التي منها الطلاق والشهادة أيضًا مضادة لما أراده رب العالمين، ومضادة كذلك لتكوين المرأة والرجل، ومضادة لما قررته الفِطَر السليمة وضد ما قرره عقلاء البشر كلهم، ذلك أن المساواة بين الرجل والمرأة من المستحيل أن تتحقق مهما كانت الظروف، وهم متأكدون من هذا الاختلاف الحاصل بين الجنسين في البنية وفي القيام بالتكاليف والواجبات وغير ذلك من المفارقات الظاهرة والخفية بين الرجل والمرأة. ولكن ينادون بهذا فقط من أجل أن تكون المرأة سهلة التناول في كلِّ مكان يريدونها فيه. إنهم خدعوها وأخرجوها من بيتها تاركة وراءها أطفالها وزوجها لتلهث خلف لقمة العيش الذي كان من واجبات الزوج، وهكذا زاحمت بمنكبها منكب الرجل ولم تحصل على طائل بل فقدت حياءها واحترامها ومملكتها في بيتها والود والألفة التي كانت قائمة في بيت الزوجية. وانتشرت الخيانات الزوجية والطلاق والاغتصاب وفضائح لا تعدُّ ولا تحصى.

وإذا تحقق لمحمود طه في نبوته الجديدة من أن الطلاق صار بيد المرأة مثل ما هو للرجل فكيف ستكون الحال في الأسر الزوجية وكيف سيجتازون الأيام

والليالي؟! وما هو الوجه الذي سيتم بموجبه العشرة الزوجية حينما تغضب المرأة لأدنى سبب؟! وإذا تحقق له كذلك - جعل شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل - فكيف سيكون الحال في المعاملات والقضايا الشرعية في الدماء والأموال. إنها مآسٍ ستحل بالناس وستختل الموازين والمفاهيم والقيم، وتباكيه على حق المرأة المهضوم في الإسلام حسب افترائه ليس هو الذي اخترع هذه الأكذوبة فما هو إلا صدى ردد ما قرره الملاحدة الكبار قبله الذين يجهلون أو يتجاهلون مكانة المرأة المرموقة في الإسلام، وكيف جعلها ملكة في بيتها وأمام رعيتها في البيت، وأعداء المرأة الحقيقيون الذين يتباكون على المرأة إنما يقصدون قسمًا خاصًا من النساء ألا وهن الغانيات اللاتي يتفنن في الإغراءات ويصلحن للرقص والمعاشرة بالفحشاء. لأن أحدهم يكتب عن حقوق المرأة المهضومة كتابًا كاملاً وصفحات في جريدة أو مجلة فإذا خرج ورأى عجوزًا أو امرأة فقيرة أو مشلولة فإن الرحمة لا تجد إلى قلبه مسلكًا نحوها بل يشمئز ويصعِّر لها خده المتكبر. لأنها أصبحت فاقدة لما يدعوه إليها وإلى مغازلة عواطفها ومبادلة كلام الهوى والغرام العارم حيث قصرت همتها عنه. وحيث أصبحت تشكو لحالها الأيام والسنون العابرة.

وأما المبدأ الخامس:

وهو تأويل نصوص النبوة، فإنه لم يأت فيه إلا بما قرره عتاة الفجار من قبله حين أرادوا التحايل على الناس في قلب معاني النصوص على طريقتهم الباطنية، وحين اصطدموا بالآية الكريمة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ اضطربت مفاهيمهم وتعددت أقوالهم وأكثروا من الاستدلال لتلك المفاهيم الهزيلة التي ظنوا أنهم سيفلحون في نقلها إلى المسلمين، وقد ذكرنا فيما سبق تلك الأقوال، وقد اختار منها محمود طه القول بالفرق بين ختم النبوة وختم الرسالة وهي مهزلة لا يتقبلها إلا عقله وعقول من اتبعوه، فإنه قد تقرر في أذهان المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وكل من شكَّ في هذا فإنه لا ينبغي

مجادلته فيه، وإنما يدعى إلى الإسلام والرجوع إليه إن كان يدعيه سابقًا لخروجه عنه فتكون القضية ليست هي الجدال في ختم النبوة والرسالة، وإنما هي قبول الإسلام أو عدم قبوله فإذا دخل في الإسلام علم بعد ذلك تلقائيًّا أن القول بنبوة فلان وفلان جريمة تخرج عن الدين وليس لها أيُّ مكان في صدر أحد من المسلمين.

وأما المبدأ السادس:

فإنه يتضمن إثبات رسالتين في الإسلام كل رسالة لها نبيُّها وطبيعتها الخاصة بها، وإن كانت الثانية أفضل كما قرر ذلك لنفسه. فزعم أن الرسالة الأولى هي التي كانت في زمن النبي ﷺ، وقد كانت مهمتها أن تقوم على مفهوم فروع القرآن الكريم وينقصها الشمولية والوضوح لتكتمل في الرسالة الثانية التي وجبت في عصر محمود طه حيث اختير هو لإكمال هذه الرسالة القائمة على مفهوم أصول القرآن حسب زعمه. والذي حمله على هذا التفصيل – كما ذكر الدكتور الأمين داود – هو أنانيته وخوفه أن يدعي أحدٌ من أتباعه النبوة أيضًا فيكون قد فقأ عينه بيده. فأراد قطع الطريق من أوله حيث حصر الرسالة في قسمين لا ثالث لهما؛ الرسالة الأولى التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ، والرسالة الثانية التي سيكملها محمود طه – لعدم كمال الأولى، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1] ينبغي أن لا يذكر؛ لئلا يتصادم وكلام المتنبئ محمود طه، ولا شك أن هذا المفهوم السخيف قد استفاده من غلام أحمد المتنبئ الهندى، وقد اعترض على الإسلام الذي جاء في الرسالة الأولى – أي رسالة محمد ﷺ – بأنه لا يصلح أن يطبق في هذا العصر أو في القرن العشرين الذي يعيشه فقد جاء في كتابه «الرسالة الثانية» قوله: «من الخطأ الشنيع أن يظن الإنسان أن الشريعة الإسلامية في القرن السابع تصلح بكل تفاصيلها للتطبيق في القرن العشرين» ثم أخذ يبين الفرق بين رسالته هو ورسالة نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ والتسمية لأتباع كل منهما فقال: «وأما أمة

---

(١) سورة المائدة آية: ٣ .

البعث الأول – أمة الرسالة الأولى – اسمها المؤمنون لدى الدقة. وإنما أخذت اسم المسلمين الذي ينطبق عليها عادة الإسلام الأول وليس على التحقيق من الإسلام الأخير، وأنت حين تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١) يجب أن تفهم أن المقصود الإسلام الأخير – أي إسلامه – وليس على التحقيق الإسلام الأول؛ لأن الإسلام الأول ليست به عبرة» هكذا وبهذا الأسلوب الجاف الركيك يريد هدم الإسلام. ومقصوده من هذا الكلام أن الرسول ﷺ وأصحابه ليسوا مسلمين وإنما هم مؤمنون؛ لأن صاحب الرسالة الأولى أي محمدًا ﷺ إنما بعث بالإيمان فقط وإنما قيل لهم: مسلمون تجاوزًا!!! وأما هو وأتباعه فهم المسلمون؛ لأنه بعث بالإسلام الجديد، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: أن الدين عند الله هو الإسلام الذي سيأتي به محمود طه في القرن العشرين!!! ثم فسر قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾(٢) في كتابه «الرسالة الثانية» بقوله: «فيه إشارة لطيفة جدًّا إلى أن المسلمين الذين يجيئون بعد المؤمنين يكونون خيرًا منهم» أي أنه هو وأتباعه خير من المؤمنين السابقين في الرسالة الأولى أي محمد ﷺ والصحابة من بعده إلى وقت ظهور دجال السودان بإسلامه الجديد.

أما المبدأ السابع:

فإنه أمر لابد منه لتحقيق مطامحه، إذ لا يمكن أن تسري دعوته وضلالاته دون أن تصطدم بالمؤسسات الإسلامية التي هي بطبيعة الحال الحارس الأمين لمواجهة كل التيارات المعادية للإسلام والمسلمين. فالعلماء – وهم ورثة الأنبياء – لا يمكن أن يسكتوا عن ضلالات محمود وعن تحذير المسلمين من شر فتنته. وبذلك يكون هؤلاء العلماء هم العدو الأول له والواقفين في طريقه، ومن هنا ناصبهم هو ومن على شاكلته العداء، وطالبوا بإلغاء كل المؤسسات الإسلامية؛ الأزهر والجامعة الإسلامية

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٩ .

(٢) سورة محمد الآية: ٣٨ .

ووزارة الشئون الدينية والقضاء والأوقاف وكل ما له صلة بالدين.. لأنه إذا زالت هذه المؤسسات عن طريقه فلن يقف أحد ضده. ومن المهم أن يعرف السبب في إيجابه القضاء عليهم وقد جاء بسبب أضاف إلى الحشف سوء كيله حيث يرى أن سبب وجوب القضاء عليهم هو أن هذه المؤسسات إنما قامت على الشرعية السلفية المتخلفة، هذا هو السبب الذي أدركه. فما رأي القارئ الكريم في هذه الحجة الغريبة لا شك أنها حجة تذكر القارئ بالمثل العربي المشهور: «رمتني بدائها وانسلت»[(١)].

وأما المبدأ الثامن:

وهو الدعوة إلى إنصاف أهل الكتاب والوثنيين وأن الإسلام ظلمهم، فربما يكون هذا المبدأ هو أهم ما أرسل به، لأن زبدة رسالته إنما تقوم على خدمة هذه الطوائف الذين أغدقوا عليه الأموال ووجهوا همته إلى دعوى النبوة وأمدوه بكل ما يحتاج إليه في ذلك، لقاء أن يبث في المسلمين مثل هذه الأفكار التي أكل عليها الدهر وشرب فلابد أن يرد الجميل لهم. إن أهل الكتاب والوثنيين في زمن عزة الإسلام كان لهم وضع واليوم لهم وضع آخر فبالنسبة للقول بأنهم ظلموا في عصرنا الحاضر كلام لا يصدقه أحد إذ هم اليوم سادة العالم وفرسانه والكلمة الأولى والأخيرة لهم، وحق «الفيتو» خاص بهم، وينبغي النظر بعين العطف والرحمة إلى الغثاء من المسلمين الذين هم غثاء كغثاء السيل الذين يتلقون الإهانات والذل في كل لحظة من لحظات حياتهم وفي كل مكان من أمكنة سكناهم؛ إذًا نترك وضع أهل الكتاب والوثنيين في عصرنا الحاضر جانبًا ونرجع إلى الوراء أي إلى الأيام الأولى التي كانت القوة فيها للإسلام والمسلمين. كل كتب التاريخ تذكر أنهم كانوا في أحسن حال؛ حقوقهم مصونة وحمايتهم مضمونة لم يجبر أحد منهم على ترك دينه. ولا يستطيع أحدٌ أن يتعدَّى عليهم بأي نوع من أنواع التعديات إذ يقف المسلمون دونهم إذا اعتدى عليهم، ولا تأخذ منهم الدولة الإسلامية من المال إلا تلك الجزية التي هي في مقدور

(١) مجمع الأمثال صـ ٢٨٦ جـ ١ .

كل واحد منهم تسديدها في مقابل خدمات المسلمين لهم وحمايتهم لبلدانهم والذَّود عنهم وتمكينهم من العيش بسلام. ثم لتحريضهم على الدخول في الإسلام من جانب آخر ولم يُجِز الإسلام الاعتداء ولا التنكيل بهم ولا حربهم إلا عندما يقفون في طريق المدِّ الإسلامي ويحجبون نور الله تعالى فهنا تستعمل معهم للإعذار إليهم ثلاثة أمور يخيرون فيها «الإسلام. أو الجزية. أو الحرب» فأي واحدة اختاروها فقد أنصفهم الإسلام إنصافًا كاملاً فأين الظلم الذي يشكوه له محمود طه ومن على شاكلته. وأما الوثنيين الذين هم أحطُّ الخلق فهذا هو الجزاء العادل لهم بل هو الرحمة العاجلة لهم لانتشالهم من حياتهم المتردية إلى قمة السعادة في الدارين فأيُّ ظلم وقع عليهم حسب تخرصات أعداء الإسلام؟!!.

عمالته للأجانب أعداء الإسلام:

لهذا الشخص صلات وثيقة بطوائف مختلفة من أعداء الإسلام كان لهم أثر بارز في تكوين دعوته والوقوف إلى جانبها ومساعدته ماديًّا ومعنويًّا.

فقد تسلم زمام الأمر منهم وأصبح نائبًا عنهم في مواجهة الإسلام والمسلمين وجهًا لوجه. وتظهر محاربته للإسلام رغم تظاهره به في لجوئه إلى أفكار الباطنية واستعمال طرقهم في تأويلات النصوص بمحض الهوى ثم محاكاته لمن سبقه من مدعي النبوة وسيره على منوالهم مما يدل صراحة على صلته بأعداء الإسلام تلك الاتصالات بالدبلوماسيين الأجانب والقسس والرهبان والراهبات البيض. كما شهد بذلك «الأخيار من سكان الحارة الأولى بمدينة الثورة بأم درمان وسجلوا شهاداتهم عند بوليس الخرطوم»[1].

ومما يدل على عمالته أيضًا ما يتمتع به من ثراء وأموال ضخمة ومطابع وأوراق وكتاب وعمال ومنازل دون أن يعرف أحد مصدرها ولا كيف يحصل عليها؟! لأن أتباعه فقراء يأخذون ولا يعطون وبعضهم في وظائف لا تكفي حاجاتهم فمن أين له

(١) ذكره الدكتور شوقي عبد المجيد.

تلك الأموال؟! لو لم تكن من مصادر مشبوهة.

مؤلفات محمود طه:

لهذا الشخص مؤلفات ونشرات ومقالات يوضح بها الرسالة الثانية التي كلف بتبليغها إلى الناس بزعمه، ومنها:

١- الرسالة الثانية من الإسلام.

٢- رسالة الصلاة.

٣- الدين ورجال الدين عبر السنين. كله سبابٌ وقذفٌ لعلماء المسلمين.

٤- رسالته المسماة «الغرابة في الدعوة الإسلامية الجديدة».

٥- وزارة الشئون الدينية ومحمود طه في الميزان.

٦- القضاة الشرعيون أكبر عقبة أمام عودة الدين.

وقد ذكر منها الدكتور شوقي عبد المجيد السوداني في رسالته «فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها» ما يقارب ١٧٥ كتيبًا ونشرات أغلبها من تأليف محمود طه والقليل من تأليف بعض أعضاء حزبه. وقد ذكر الباحث في رسالته – اسم المؤلف والناشر والطبعة والمطبعة ومكانها وتاريخ الطبع بتفصيل جيد[١]. ويرى أن الكتب التي ألفت وأسندت إلى «حزب الإخوان الجمهوريين» هي من تأليف محمود طه ولكن نسبت إليهم لئلا يتحمل زعيمهم تبعتها بمفرده.

الكتب التي ترد عليه:

وقد رد عليه بعض العلماء وبطبيعة الحال فإن علماء السودان في أول هؤلاء ومن تلك الكتب الجيدة التي أسهمت في الرد عليه:

١- «دجال السودان» تأليف الأمين داود بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٣٩٨هـ أول أبريل ١٩٧٨م.

٢- «رحلاتي إلى الديار الإسلامية» محمد محمود الصواف. القسم الأول –

---

(١) انظر صـ٢٤٣.

أفريقيا المسلمة – ط١ سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٣- «نقض مفتريات محمود محمد طه» عام ١٩٦٨م.

٤- «اتصالات مريبة لمحمود محمد طه» عام ١٩٧٥م.

وهذان الكتابان الأخيران (٣، ٤) أخذ اسمهما من ما نشرته جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ٤/ ٦/ ١٩٧٦م حسب ما دون في كتيب «دجال السودان» صـ٣٢ ولم يصرح بذكر اسم المؤلف ولكن في نهاية النقل كتب اسم – الأمين داود مما قد يفيد أنهما له. وجدير بالذكر أن الدكتور شوقي بشير عبد المجيد كانت رسالته في الدكتوراه بعنوان «فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها» من فرع العقيدة بإشراف عبد العزيز عبيد سنة ١٤٠٣، ١٤٠٤هـ وتقع في ١٤٣١ صفحة مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا جامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم ٨٩٩.

وقد ذكر الباحث في هذه الرسالة الجيدة عددًا من العلماء السودانيين الذين ألفوا في الرد علي محمود طه منهم:

١- عبد الباقي يوسف – «الرد على محمود طه».

٢- حسين محمد ذكي – «القول الفصل في الرد على محمود طه».

٣- محمد علي يوسف – «نبي آخر الزمان».

٤- النور محمد أحمد – «الفكر الجمهوري تحت المجهر».

وذكر علماء آخرين كثيرين من السودانيين لا يتسع المقام لذكرهم من ملاحظات الباحث في رسالته المذكورة.

ومن ملاحظات الباحث في رسالته المذكورة:

١- أن محمود طه وحزبه يطبعون كتبهم بكميات قليلة لتنفذ بسرعة ثم يعيدون طباعتها بعد أن يجعلوا لها مقدمة جديدة، وبعض الزيادات ليوحوا أن حركتهم مقبولة عند الناس بحجة نفاذ طبعتها وإعادتها بين فترة وأخرى.

٢- أن ما كتبه محمود طه وحزبه يقصد به القضاء على اللغة العربية واستبدالها

بالعامية حيث كتبوا مؤلفاتهم باللغة الدَّارجة.

٣- ومنها أيضًا أن محمودًا وحزبه لا يجيزون في كتبهم ذكر الصلاة على النبي محمد ﷺ خطًّا[(١)].

٤- ركزوا كل اهتمامهم في كتبهم على حقوق الإنسان أكثر من تركيزهم على حقوق الله، وحقوق الإنسان التي شغلتهم إنما هي الحقوق العرفية والجاهلية لا الحقوق الشرعية.

تفاخرتم بأوجهكم ووجه الله لم يذكر

مصطلحاتهم:

لهم مصطلحات كثيرة تشهد بانحراف أفكارهم وتخبطهم في ظلمات غلاة الصوفية، ومن تلك المصطلحات - وهي كثيرة-[(٢)].

١- العلم اللدني: ويقصدون به -حسب مفهومهم- ما يأخذونه عن الله تعالى بلا وساطة متبعين في هذا خرافات غلاة الصوفية.

٢- العلم اليقيني: ويقصدون به - حسب مفاهيمهم - شهود العبد لربه كشهود الرسول ﷺ له ليلة الإسراء.

٣- الشهود الذاتي: أي تجليات الذات في النفس.

٤- الشهود الأسمائي: أي شهود تجليات الذات في الخلق.

٥- الأمة الإسلامية المقبلة: يقصدون به أفراد فرقتهم.

٦- حق الحرية: أي الديمقراطية.

٧- حق الحياة: يقصدون بها الاشتراكية.

٨- تحقيق الأحدية: أي الوصول إلى الله - أو الوصول إلى علم النفس العليا.

٩- المقام المحمود: هو المقام الذي وصل إليه الرسول ليلة الإسراء ويمكن أن

---

(١) وما داموا لا يجيزونها خطًّا فالظن بهم أنهم لا يجيزونها نطقًا أيضًا.

(٢) انظر فرقة الجمهوريين بالسودان ص٦٧٠ .

يصل إليه كل أتباع محمود - كما يزعم - ويعرف القارئ أن الصحيح منه هو الشفاعة العظمى.

١٠- ليلة القدر: أي اللحظة الحاضرة للإنسان، وهو كذب، ونفيٌ لليلة القدر الحقيقية.

إلى آخر تلك المصطلحات التي اخترعوها لطريقتهم بتفسيرات باطنية وصوفية طافحة بالجهل والتخبطات.

نهايته:

في آخر حياته سجن مدةً ثم أفرج عنه فخرج من السجن غاضبًا ثائرًا من تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ومحرضًا الجنوبيين المسيحيين ضدها مما أدى إلى صدور حكم بالإعدام ضده مع أربعة من أنصاره وقد أمهل ثلاثة أيام ليتوب خلالها لكنه لم يتب فصدر حكمٌ بحقه أن يعدم شنقًا وأمام الناس وتم تنفيذ ذلك في يوم ٢٧/ ٤/ ١٤٠٥هـ، وقد أعدم أمام كبار أتباعه، وأولهم تاج الدين عبد الرزاق، وخالد بكير حمزة، ومحمد صالح بشير، وعبد اللطيف عمر، وقد وجه لهم إنذار بالتوبة أو المشنقة فأعلنوا توبتهم بعد يومين من إعدام محمود طه[1]، وذلك في عهد رئيس السودان جعفر النميري الذي كان ينادي بتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان وقد أخبرني بعض من اطلع على تلك الأحداث أن محمودًا قال لأتباعه حين قرب للمشنقة: لا تظنوا بأنني سأغيب عنكم انتظروني غدًا بعد العصر وفعلاً صدقه المغفلون منهم وأخذوا يظهرون السرور والفرح ويترقبون عودته في الوقت الذي حدده لهم حتى باؤوا بالخيبة واليأس، وقد بلغ عدد أتباعه عشرات الألوف ولكنهم في طريقهم إلى الاضمحلال والنسيان بعد إعدام زعيمهم ووجود الوعي التام لدى السودانيين بتفاهة أفكار هذا الحزب وزعيمه، وخطورة ما يدعو إليه وما يبيته لهم من محو دينهم الإسلامي، ولكن معظم السودانيين لم يعيروا حركته انتباهًا فكانت أشبه

(١) فرقة الجمهوريين بالسودان.

ما تكون بزوبعة من الأعاصير التي تظهر فجأة ثم تتلاشى.

والله عز وجل غيور على دينه، وقد تكفل بحفظ الإسلام وإفشال مخططات أعدائه إلى الأبد، ولولا لطف الله بالمؤمنين لانتشرت دعوة محمود طه ولتغير وجه الإسلام في السودان كافَّةً وفي أكثر البلدان كما كان يتوقع محمود طه، والله غالب على أمره، وهكذا انتهى أمر محمود طه كما انتهى أمر غيره من مدعي النبوة وقد عاجل الله أكثرهم بالعقوبة العاجلة ليكونوا عبرة لمن عنده عقل فيتعظ ويجتنب مسالكهم.

خطاب جامعة الإمام البخاري بعنوان «المتنبئ الجديد» مسيح الدين الصديقي.

٨- مسيح الدين الصديقي:

أرسل لي أحد الأصدقاء من جامعة «الإمام البخاري» التي هي تحت إشراف «جمعية التوحيد التعليمية في معهد أباد» في «كشن غنج» بولاية بهار بالهند. ملزمة من الأوراق حول دعوى مسيح الدين النبوة. واسمه حكيم مسيح الدين الصديقي واسم أبيه حكيم رياض الدين الصديقي. وقد ولد في حيدر أباد سنة ١٩٤٩م واستوطن ناغفور. نشأ في أسرة فقيرة.

بدأت شهرته في كتابة رسالة دعا فيها - كما يزعم - إلى الحق ونبذ الباطل. ولاقت لدى العامة قبولاً واسعًا كما ذكر. ثم عقد مؤتمر عموم الهند سنة ١٩٩٤م في مدينة زخير من ضواحي ناغفور وأنشئت حركة باسم «الحياة القرآني». «قرآني معاشرة» وانتخبت حكيم مسيح الدين رئيسًا لهذه الحركة باتفاق جميع الحضور واهتمت هذه الحركة في بدايتها بالقضاء على الخرافات والبدع وبدأ صيته ينتشر بين الناس وفي الإذاعات الغربية خصوصًا بي بي سي من لندن. ثم ترأس مؤتمر مسلمي العالم المنعقد في كلٍّ من لاهور باكستان وبرمنجهام في بريطانيا، ونشرت عنه برامج طويلة في الإذاعة والتلفزيون وقد بلغ أتباعه أكثر من عشرة آلاف شخص ثم ادعى النبوة وعين ثلاثين رجلاً من أتباعه سماهم رسلاً له.

ثم بدأ يغيِّر في الشريعة الإسلامية فزعم أن الله لم يأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة بل المأمور به ثلاث صلوات، وكل منها تشتمل على ركعتين وسجدة فقط. ثم زعم أن الصلوات ليس المراد بها الركوع والسجود، وإنما المقصود بها تعلم الانتظام والصرامة في تنفيذ النظام السياسي الإسلامى!!!.

وأنكر مشروعية الأذان والصلوات جماعة في الطرقات وإيذاء الآخرين وأن ذلك ليس من الإسلام وأنكر بناء المساجد الفخمة؛ لأنه تضييع لأموال المسلمين. وحينما وصل ذلك إلى أهل حيدر أباد غضبوا عليه غضبًا شديدًا، وفي يونيو سنة ١٩٩٤م هجم المسلمون على مكانه وأتلفوا كل ما فيه فهرب هو وعائلته بصعوبة وفرَّ إلى صديقه في زخير المسمى رئيس نور محمد فوجد عنده الأمان.

ومن الجدير بالذكر أن أشد مخالفيه هو أبوه وأخوه وأخته. وزعم أن هروبه إنما كان هجرة كهجرة النبي محمد ﷺ وأنها أقوى دليل على نبوته. وفي ناغفور أعلن إنكاره ختم النبوة بمحمد ﷺ كما فعل قبله القادياني، ولكن الصديقي استدل على بقاء النبوة بقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي اتبعوا واعملوا وفق أحكام الله وأحكام رسوله فالله يأمر المسلمين بإطاعة الرسول إلى قيام الساعة فلو لم يكن الرسول موجودًا فما معنى طاعته ولمن يطاع له حينئذ. وهذا الاستدلال منه دليل على جهله وحمقه إذ إن طاعة الرسول ﷺ باقية إلى قيام الساعة أي طاعته واتباعه في كل ما أخبر به أو أمر به وليس المقصود طاعة أي رسول يظهر على مر الزمن كما فسرتها عبقرية الصديقي.

ومن أدلته كذلك قوله: إنه قد ثبت في القرآن الكريم أن كل إنسان يسأل في القبر فيقال له: هل جاءكم النذير فلو سلمنا أنه انقطعت سلسلة النبوة بمحمد ﷺ فكيف يسأل الله عباده هذا السؤال بعد وفاة محمد ﷺ حتى الآن وإلى قيام الساعة والحال أنه لم يأتهم نذير؟.

وهذا الاستدلال أيضًا - كسابقه - دليل آخر على جهله وغبائه. إذ معنى السؤال

«هل جاء النذير» أي هل جاءكم محمد ﷺ بمعنى هل عرفتموه وآمنتم به أم لا؟ وليس المقصود أن الميت لابد أن يكون مؤمنًا بكل مدَّعٍ للنبوة ومنهم الصديقي.

ومن أدلته أيضًا قول الله تعالى حاكيًا عن المؤمنين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾ فلو لم يكن نبيٌّ في كل عصر ومصر فعلى دعوة من يؤمن الناس؟ هل هم يسمعون نداء محمد ﷺ؟ فثبت أنه نداء جديد مع كل نبي، ولا ريب أن الله تعالى يريد بهذا النداء نداء النبي محمد ﷺ الذي هو مستمرٌّ بعد وفاته إلى يوم القيامة حى متجدد طلبه من الناس.

ومن أدلته ما ورد في القرآن الكريم مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ومعلوم أن الرسول محمدًا ﷺ قد مات، والميت لا يخاطب فعلمنا أنه خطاب لنبي كلِّ عصر وإلا لقال الله: يا محمد وهذا دليل على عدم انقطاع النبوة والرسالة. وهذا الفهم العجيب منه يردُّه أن الله خاطب محمدًا ﷺ وهو حيٌّ وأمره بالتبليغ وهو حيٌّ ثم يقال له: كيف يخاطب الله شخصًا لم يظهر بعد ويكلفه ويأمره وينهاه وهو لم يرسله ولم يره الناس بل لم يولد؟!! ولكنه غلَّب جانب هواه في تفسير الآية الكريمة.

ومن أدلته أيضًا أن الله خاطب الناس وعنفهم عن تركهم الحق بينما الرسول موجود بينهم فلو قلنا: إنه انقطعت سلسلة النبوة بوفاة محمد ﷺ فمن هذا الرسول الذي قيل عنه: إنه موجود فيكم؟ إذا لم يكن رسول كل عصر.

ولعله جهل أن الله خاطب المؤمنين حينما كان الرسول حيًّا بينهم بأوامر ونواهٍ لا تنقطع بموته ﷺ لأنه موجودٌ بيننا بكتاب الله تعالى وبسنته ﷺ فالخطاب بذلك صالحٌ إلى يوم القيامة. ولم يكتف هذا المتنبئ بما أظهره سابقًا من الجهل الشنيع بل زعم أنه قد ورد في القرآن الكريم أكثر من خمسين موضعًا تدل على أن سلسلة النبوة والرسالة لم تنقطع إلى يوم القيامة بل تتجدد مع تجدد الأيام والليالي، وأن القرآن ليس هو آخر الكتب السماوية ولا محمد ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل.

وقد استدل المسلمون على عمالة الصديقي لأعداء الإسلام بأنه حينما فرَّ إلى

ناغفور لم تمض مدة قليلة إلا وهو يملك القصور والأثاث الفاخر مع أنه ليس له عمل يذكر فمن أين جاءته هذه الأموال؟! لولا أنه مدفوع إلى محاربة الإسلام شأنه في ذلك شأن غلام أحمد تمامًا وغيره من العملاء.

مقابلة شخصية مع مسيح الدين الصديقي:

أجرت مجلة «مايا» الهندية مقابلة مع هذا المتنبئ الجديد جاء فيها:

مجلة مايا: هل أعلنت أنك نبيٌّ؟

الصديقي: إن الشمس لا تعلن عن مجيئها، ولا القمر كذلك، والنبي كذلك لا يحتاج إلى إعلان نفسه بل كلما ذهب نبي جاء آخر وهكذا. إذا أرادت الإعلان فلا بأس بذلك.

مجلة مايا: هل هناك طريقة معينة يعرف بها النبي؟

الصديقي: نعم تكون له أصول أساسية مثل أن يكون كلامه كله عن الله، وحياته وأخلاقه تكون أسوة لعامة الناس، ويصدق التعاليم القديمة ويرشدهم إلى الحق ويأتي بكتاب جديد. وأنا ألّفت ستة كتب إلى الآن. ويهاجر لأجل الدين وأنا هاجرت. وأن يحلل ويحرم، وقد حرم العلماء الربا [1] والتأمين وشركة شراء الحصص وراتب التقاعد[2] وأنا أحل هذه الأشياء، وقد أحل العلماء نكاح بنات الأعمام والأخوال[3] وغيرها وأنا أحرم النكاح فهن.

مجلة مايا: هل أنت نبيٌّ.

الصديقي: نعم أنا نبيٌّ.

مجلة مايا: ولكن في الإسلام قد انقطعت النبوة.

الصديقي: في الحقيقة عقيدة خاتم النبيين وخاتم الكتب وآخر الأديان وخاتم

---

(١) حرمه الله، وليس العلماء كما قال ذلك عن جهل.

(٢) لم يحرم راتب التقاعد أحد من العلماء المعتبر كلامهم.

(٣) الذي أحل ذلك هو الله تعالى وليس العلماء وتحريمه لذلك محادَّة لله تعالى.

الوحي هذه كلها كذب وزور، وأثيرت هذه الفتن بين المسلمين ليكونوا متخلفين في جميع الميادين حتى قيام الساعة وليس في القرآن أن محمدًا آخر الأنبياء وأنه لا يأتي نبي بعده إلى قيام الساعة، وأن القرآن آخر الكتب المنزلة من عند الله والعقيدة بأن القرآن آخر كتاب من عند الله، وأن سلسلة الوحي قد انقطعت كذب وزور ودجل وخداع لا يساويه في العالم كذب آخر ولا خداع[١].

مجلة مايا: ولكن في القرآن مصرح بأن محمدًا خاتم النبيين وبه تنتهي سلسلة النبوة التي بدأت من نوح عليه السلام.

مسيح الدين: بهذا اللفظ الوحيد اتخذ الأحباب عقيدة خاتم النبيين وخاتم الكتب وخاتم الوحي، والظاهر أن جميع أنبياء العالم يكونون خاتم النبيين !! كل نبي يتصف بهذه الصفة ولا يختص هذا الوصف بمحمد ﷺ ويعني بالخاتم الإتمام أو الختم على الشيء، فإن القرآن يقول[٢]: إن محمدًا قد أتم دينه وصدق التعليمات القديمة وختم عليها بالصدق[٣].

مجلة مايا: ولو لم يكن في القرآن لفظ «خاتم النبيين» فقد ثبت بالدلائل أن محمدًا آخر الأنبياء والقرآن آخر كتاب، وقد تولى الله حفظ القرآن ثم بين أنه كامل بجميع نواحيه. ولما كان الوحي محفوظًا في صورته الحقيقية فلا تبقى حاجة إلى كتاب سماوي آخر ولما لم يأت كتاب فلا يتصور مجيء نبي جديد أيضًا؛ لأن النبي لابد أن يكون معه كتاب.

الصديقي: في الحقيقة الجدال الحقيقي في أن المسلمين قد اعتبروا الكتاب الذي دوَّنه محمد قرآنًا[٤]. ولو كان هذا القرآن سماويًا لما تسربت إليه الأباطيل من كل

---

(١) انظر إلى هذا الكذب والجرأة عليه.

(٢) هذا التعبير لا ينبغي إطلاقه؛ لأن القرآن كلام الله تعالى فلا يسند القول إلى القرآن.

(٣) هذه الفكرة لعله استفادها من القادياني، وهو تأويل باطني باطل.

(٤) هذه الفكرة هي من أفكار المستشرقين وأكاذيبهم.

جهة بواسطة التفاسير والتراجم.

مجلة مايا: فما هو كتاب الله القرآن إذًا؟.

الصديقي: القرآن الحقيقي والأصل هو هذا العالم، ويعني بالقرآن الحقائق والضوابط التي لا تبديل فيها لا في الماضي ولا في المستقبل ولا يستطيع أحد أن يبدله ولا تسري إليه الأباطيل إلى قيام الساعة(١) وكل نبيٍّ يستفيد من هذا العالم ويتدبر فيه ثم يؤلِّف كتابًا حسب الضرورة والحاجة وكذلك محمد (٢). والآن قد تغيرت الأحوال فلا يستفاد من كتاب محمد، فالآن العالم بحاجة إلى نبيٍّ جديد، وإلى كتاب جديد.

وليت المجلة سألته عن وحيه الجديد لنرى ماذا في جعبته من التخريفات!!.

مجلة مايا: إنك تقول: إن القرآن دوَّنه محمد فكيف جاءت فيه كثير من الأمور الغيبية وأخبار الأنبياء السابقين؟.

الصديقي: قد قلت لكم: إن كل نبي يصدق الأنبياء الذين سبقوه ويوجه الأمة حسب الضرورات الطارئة والنبي الذي يأتي بعدي هو يصدقني ويصدق تعليماتي.

مجلة مايا: متى يأتي نبي آخر بعدك؟.

الصديقي: بعد موتي مباشرة؛ لأن هذه الدنيا لا تخلو عن الأنبياء يموت نبيٌّ ويأتي آخر.

مجلة مايا: فمن الذين جاءوا بعد محمد حتى الآن؟ ما هي كتبهم ولماذا لا تصرح بهم؟.

الصديقي: يذكر النبي الذي له دور بارز وأثر كبير في المجتمع، وأنت تلاحظ هذا في القرآن بأن محمدًا ذكر موسى وعيسى كثيرًا ولم يذكر الأنبياء الذين بينهما.

---

(١) هذا الجواب إلحاد باطني جديد لا أعتقد أنه سبقه إليه أحد.

(٢) هذا منتهى الكفر والجحد للإسلام وهو كلام الملاحدة قبله الذين قالوا: القرآن الكريم من تأليف الرسول ﷺ؛ وتعبيره «يؤلف كتابًا» أراد الله أن يظهر كذبه ودجله فإن الأنبياء لم يدَّعوا تأليف ما أنزل إليهم.

وإلى هنا يتضح أن هذا الرجل الملحد ادعى النبوة ونفى أن يكون القرآن الكريم كلام الله وأن القرآن الكريم له معنى آخر غير معناه الذي يعرفه البشر ونفى ختم النبوة بمحمد ﷺ، وأوَّل النبوة والقرآن بتأويلات باطنية جديدة من محض فكره الهزيل، وجاء بأمور لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق.

أما عن تسلطه على محو تعاليم الشريعة الإسلامية فقد أكمل التقرير المشار إليه أول الكلام أن الصديقي أوَّل الصوم تأويلاً باطلاً إذ زعم أن القرآن الكريم لم يرد فيه الصوم بمعنى الإمساك عن الأكل والشرب؛ لأن الله لا يريد أن يؤذي عباده المؤمنين بالجوع!! ولكن معنى الصوم هو التدرب على النظام الإلهي الذي يريد تنفيذه لهداية الناس وهذا التدرب يمكن حصوله في شهر ما، ولا يختص شهر رمضان بهذا الأمر وهذا تفسير باطني جديد، ومخالف لتأويلات الباطنيين قبله. وأما الحج الحقيقي عنده فهو مؤتمر مسلمي العالم ولا علاقة له بطواف البيت والذهاب إلى عرفات والمبيت بمنى ورمي الجمرات وذبح الهدي، وهذا المؤتمر ينعقد في العام مرة ليقدم كل مسلم ظروفه الراهنة أمام نبيِّه سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية أو بيئية، والنبي يجيبهم ويوضح لهم على ضوء كتابه ووحيه. ولا يوجد في القرآن أن الحج لا يكون إلا بمكة. والحج يكون في الموضع الذي يسكن فيه النبي. وأنا نبي هذا العصر وأسكن في بلدة «ناغفور» لذا تكون ناغفور مركزًا إسلاميًّا وكذلك تكون قبلة المسلمين والحج أيضًا يكون في بلدة ناغفور.

والواقع أنه يرد عليه هنا أنه زعم سابقًا أن كلَّ نبي يصدق الذي قبله ويعمل بمثل عمله فكيف جاز له الخروج عن شريعة محمد ﷺ؟!. فأوجب الحج إلى ناغفور مع أن الرسول ﷺ لم يوجب الحج إلى المدينة بل سافر إلى مكة وحج بيت الله الحرام وقد أخذ هذا التأويل الباطني للحج عن حسين المازندراني متنبئ البهائية.

وأما الصلاة فقد تقدم رأيه فيها، وأنها حسب صحيحه ليست هي الصلاة التي يصليها المسلمون بهيئتها المعروفة بل المقصود بها تعليم النظام السياسي إلى آخر

ترَّهاته.

وأخيرًا أحب التنويه إلى أن هذه المعلومات كلها مأخوذة عن التقرير الذي أرسل لي من جامعة الإمام البخاري في «كشن غنج» إذ لم أتمكن من الحصول على معلومات أخرى عن هذا الرجل وأرجو إن شاء الله أن يتيسر لي الاطلاع على مزيد من المعلومات في القريب العاجل خصوصًا وأن الرجل قد شهر أمره من ناحيته.

كما أن الفلاسفة الذين يصفهم بعضهم بالإسلاميين حسب تفسيراتهم السقيمة للنبوة قد شجع أصحاب النفوس المريضة على ادعاء النبوة، ومن ذلك ما يذكره الدكتور إبراهيم جلال في كتابه «نظر المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة». فقد ذكر المؤلف بعض الشبهات التي يتعلق بها الفلاسفة وعلماء الكلام في طريقة إثبات النبوة، وهي شبهات واهية غير مقبولة فمن ذلك قوله: «إن الفكر الإسلامي في جانبه الفلسفي الصرف الصوفي والشيعي قد تأثر إلى درجة كبيرة بالفلسفة اليونانية وبالفلسفة الشرقية الأخرى من فارسية وهندية........ إلى أن يقول: «كما لاحظت أيضًا أثر هاتين الفلسفتين الأجنبيتين في نظرة هؤلاء المفكرين إلى النبوة ورأيتهم يستخدمون هذه النظريات الفلسفية الوافدة في تثبيت النبوة في نظر منكريها وفي تقريب حقيقة الوحي إلى الأذهان إلى أن قال عن الفلاسفة الذين وصفهم بالإسلام وأنهم يعتمدون في إثبات النبوة على العقل الهيولاني أصحاب المعرفة الإشرافية الكاذبة: وبطول التأمل فيما كتب فلاسفتنا المسلمون وجدت أنهم قد أقاموا آراءهم في النبوة والوحي على نظريتهم في المعرفة وهي التي تقوم على تدرج العارف في مقامات أو درجات سموها بالعقول. يبدأ العارف فيها بالعقل الهيولاني – أي العقل الخالي من المعلومات والمعارف– وينتهي بالعقل المستفاد الذي يكون فيه الإنسان قد تشبع بالمعارف وأشرق في نفسه نور العقل الفعال – أي العقل العاشر – آخر العقول التي تحكم الكون في نظرتهم.

ويطلقون عليه جبريل وهذه هي نظرية المعرفة الإشراقية ..... إلى أن يقول عن

هؤلاء الفلاسفة المذكورين...: «وتبين لي أيضًا أن هذا اجتهاد منهم وأنهم قصدوا إقامة النبوة على نظريات عقلية يؤمن بها الفلاسفة الملحدون فأرادوا إقناعهم بأدلة عقلية من جنس ما يعتقدون ورأوا أن هذا قد يكون أبلغ في تثبيت النبوة في نظر هؤلاء الملحدين»[(١)].

وقد بين المؤلف في هذا الكتاب في الجزء الأول والثاني نظرة الصوفية والشيعة إلى النظرية الإشراقية ومواقفهم من النبوة وتأثرهم فيها بالنظرية الأفلاطونية والأفلوطنيين والهرمسية، وبيَّن الكثير بالنسبة للصوفية والشيعة في مقام النبوة وفيما يأتي سيكون الكلام عن خرافات الشيعة في النبوات.

٩- **ومنهم «إمام الله تياو** - اليوفي الدكاري السنغالي هذا الرجل أحد الصوفية الذين ادعوا النبوة. وقبل البداية عن الكلام حوله أود الإشارة إلى أمر له أهميته بالنسبة لي ذلك أنَّني كنت قد تم اختياري عضوًا في إحدى دورات الجامعة الإسلامية المباركة إلى السنغال للتدريس والدعوة إلى الله تعالى، وفي أثناء تدريسي لطلاب الدورة لمست من بعضهم ذكاءً جيدًا ومعرفة طيبة في مادتي «العقيدة» وكان بيني وبينه اتصالٌ وثيقٌ ومدارسة حول وجود الفرق الخرافية في السنغال وفي غيره من بلدان المسلمين، وكان على جانب من معرفة تلك الفرق وحين لمس مني شغفي بمعرفة الفرق وأخطارها على المسلمين أهداني - وفقه الله - دفترًا من تأليفه حول الفرق الموجودة في السنغال ولقصر المدة لم أتمكن من الاطلاع على مراجعهم وقد ابتدأ مذكرته بعد الاستفتاح بقوله:

«الطرق المشهورة في السنغال أربع:

أولاً: الطريقة القادرية.

ثانيًا: الطريقة التيجانية.

---

(١) انظر صـ ٤ من كتابه هذا وقذفاته أن غسل البول بالبول لا يطهر لأن إقامة النبوة بنظريات فلسفية يتدرجون فيها كلام غير صحيح.

رابعًا: الطريقة اللهينية.

والفرق الثلاث الأولى أمرها معروف إلا أن الفرقة الأخيرة التي هي اللهينية لم يكن لدى تصور عنها لعدم عثوري على مؤلفاتهم وقد ذكر أنها طريقة حديثة بالنسبة للطريقتين؛ التيجانية والقادرية.

أما بالنسبة لزعيمهم ومؤسس هذه الطريقة فاسمه ما أشرنا إليه سابقًا وكان أحد صيادي السمك في السنغال وقد أوصله طموحه إلى ادعاء النبوة وإقناع الآخرين بذلك محاولاً شتى الأساليب والاحتيال لفكرته ونجاحها.

أهم عقائد اللهينية:

لا تخرج هذه الطائفة عن الدائرة الكبيرة التي تاه فيها مختلف الطوائف الضالة الخارجة عن النهج الإسلامي الحنيف والذي يظهر أن أهم عقائدهم تتمثل فيما يلي:

١ - ادعاء نبوة إمامهم «تياو» وقد سلكوا لإثبات نبوتهم طريقة تعسفية خليطة من تأولات الباطنية وعقائد الهندوس في التناسخ فزعم أن شخصه هو شخص الرسول محمد ﷺ في حياته الثانية حينما صار «تياو» الأفريقي بعد انتهاء دوره العربي في شخص محمد ﷺ. وقد تسلط على سورة الضحى وجعلها متكئه في دعوى النبوة بتفسيره العجيب المضحك المبكي لها على النحو الآتي:

والضحي: أي أقسم الله سبحانه وتعالى بالنبي محمد ﷺ حين كان عربيًّا في نبوته الأولى بمكة لأنه كان أبيضَ.

والليل: أي أقسم الله سبحانه وتعالى بالنبي محمد ﷺ حينما صار أسودَ في نبوته الثانية بـ«داكاريوف» وهو إمام الله تياو.

وللآخرة: أي ولمجيؤك الأخير بـ«دا كاريوف» عندما تكون أسود خير لك من الأولى من مجيئك الأول بمكة.

ومن زيادة الغرائب أنه كان يتعمم بعمامتين بيضاء وسوداء؛ لتكون كل عمامة شعارًا لنبوته الأولى والثانية، وقد سار على طريقته هذه خلفاؤه من بعده إلى الوقت

الحاضر.

٢- ومن عقائدهم تحريم الإشارة بالسبابة في التشهد زاعمين أنه ليس من الأدب أن تخاطب ربك ومالكك وتشير إليه لأنهم مشبهة مجسمة.

٣- بعضهم ذهب إلى القول بأن تياو هو المهدي المنتظر ولكن هذا القول ضعيف جدًّا وأكثرهم على القول الأول وهو القول بنبوته. وفي هذا يلح خطيبهم المسمى عبد الله تياو قرابة هذا الشيخ ويعيد ويبدئ في تثبيت نبوة إمام الله[1].

١٠- أحمد بمب أمبكي السنغالي:

وهذا هو الشخص الثاني ممن ادعوا النبوة في السنغال كما يذكر صاحب الطرق المشهورة في السنغال[2].

وطريقته حديثة بالنسبة إلى الطريقتين القادرية والتيجانية ظهرت في حدود سنة ١٩٠٠م. ولد مؤسس هذه الطريقة سنة ١٨٥٢م وتوفي سنة ١٩٢٧م، ويسمى أحمد وأيضًا خادم الرسول أو سرين طوبي أو بروم طوبي وهو ابن إمام مورانت سلي أمبكي ابن مام بال أمبكي.

حياته الاجتماعية:

جرى بينه وبين المستعمرين الفرنسيين خصومات كثيرة واعتقلوه في أماكن كثيرة من أفريقيا وحصل له مشاقٌّ كثيرة معهم إلى أن سمحوا له بالرجوع إلى بلده بعد غياب دام سبع سنين وسبعة أشهر وحين وصل إلى بلده وقد ظن أهل بلده أنه مات فأعجبوا به كيف نجا من الفرنسيين وأحبوه، وبعد رجوعه أخذ ينشر طريقته وانضم إليه أتباع كثيرون وانتشروا في أماكن كثيرة في السنغال وفي غيره من أفريقيا الغربية وهم الآن أكثر من غيرهم في السنغال وأقوى عند الحكومة، ولا يستبعد أن تكون فرنسا هي التي شجعته وأمدَّته بالمال لنشر هذه الفكرة لتجهز بها على وحدة المسلمين

---

(١) الطرق المشهورة في السنغال صـ ٢٠١ مخطوط.

(٢) صـ ٢ .

وتمكين أقدامهم في السنغال بعد أن لمسوا منه ذكاء وجرأة.

أهم عقائدهم:

من الأمور المقررة في مذهبهم:

١- منعوا مريديهم من تفسير القرآن لئلا ينتبه الناس إلى بدعهم وإلحادهم.

٢- إنه ليس عليهم ذنب، ويوم القيامة لا يحاسبون ولا يعاقبون لأن الشيخ شفيعهم.

٣- انقسموا إلى فريقين في نظرتهم إلى الشيخ:

- فريق يقول بألوهيته.
- وفريق يقول بنبوته فقط.

وقد روي الذين يؤلهونه حكاية مفادها أنه جاء جماعة من الموريتانين ودخلوا عليه فقالوا له: جئنا نسألك عن أمرين:

فأجابهم على الفور قائلاً:

فكل ما تسألني فلي جواب عنه ولا تجادلوا أهل كتاب

فقالوا: سمعناك يقال لك: أنت الله فلم تنكر لماذا؟

فقال لأحدهم: مدَّ يدك فمدها فأراد الشيخ أن يصب عليها ماءً حارًّا فقالوا له: لاتحرق يده فقال: أصل الماء لا يحرق وإنما مكث في النار مدة فتغيرت حاله فبدأ يحرق وأنا مثل ذلك أصلي إنسان وإنما مكثت عند الله مدة طويلة حتى تغيرت حالي وصرت كهو. ولعل هذه الحكاية إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه يرى الجلوس الذي مكثه في فرنسا أنه جلوس مع الله تعالى عن قوله.

وتمام تلك الحكاية قالوا:

فأخبرنا عن سبب إقرارك لمريديك في قولهم: إنك نبي ولم تنكره عليهم فقال: قد درستم السيرة؟ فقالوا: نعم فقال: قد درستم أن النبي ﷺ كان ليس له ظل؟ قالوا: نعم قال: فكيف يمكن لإنسان أن لا يوجد له ظل؟ قالوا: عجيب قال: «النبي ظلي

والظل لا يوجد الظل وأنا العين الحقيقي» وهذا تطاول منه على النبي ﷺ خير البشر حيث جعله ظلًّا لشخصه المهين حاشا رسول الله ﷺ من تنقص الملحدين له.

٤- ومن عقائدهم تعظيم الحلف بالشيخ واعتقاد أن مشيئته أعظم من مشيئة الله.

٥- ومنها تفضيلهم تلاوة قصائد الشيخ على تلاوة القرآن الكريم حتى إنهم يقولون: من حفظ بيتًا واحدًا من قصيدة الشيخ المعروفة باسم «جاورت» كان حفظه لذلك جوازًا له إلى الجنة، ومن حفظها كلها وهي ثلاثون بيتًا يكون شفيعًا لتسعة وعشرين شخصًا يوم القيامة، ولهذا فإن من أهم شروطهم على الداخل في طريقتهم أن يقول أمام شيخه وكبار مشائخ الطريقة: «أسلمت نفسي إليك دنيا وآخرة».

٦- زعموا أن أول من يدخل الجنة النبي والشيخ في وقت واحد، لا يسبق أحدهما الآخر.

٧- ومنها اعتقادهم أن الشيخ خدم النبي ﷺ ومدحه حتى أعطاه كل ما كان عنده من المعارف والكنوز حتى لم يبق مع النبي ﷺ شيء ثم ذهب هو والنبي ﷺ إلى الله فسأله الله عز وجل لقد أعطاك النبي كل ما عنده من الخيرات حتى لم يبق معه شيء فماذا تريد الآن؟.

فقال: أريد أن تعطيني جميع مفاتيح الجنة منذ الآن فإذا أخذتها وكانت في حوزتي أدخلت من شئت وتركت من شئت ممن هم خارجون عن أصحابي فأعطاه الله المفاتيح كلها، وهي الآن عنده لا يدخل الجنة من لم يؤمن بالشيخ وإن جبريل كان يبشره بذلك ولذلك قال:

شقاء من لم يهوني قد كتبا ... إلى السماء من هنا إلى غدا[1]

٨- من أشنع المزاعم التي جاء بها الشيخ المذكور وهو زعم يدل على مهارته في الدجل وغفالة أتباعه وبدائيتهم. حيث زعم لهم أن الله -تعالى عما يقول- أوحى إلى

(١) بهذا اللحن والشعر الرَّكيك.

محمد ﷺ أن أخبر أمتك أنه إذا كان آخر الزمان سأخرج إلى الدنيا وأكون إنسانًا أحتاج إلى ما يحتاج إليه الإنسان من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك من عادات الإنسان إلى أجل غير طويل ثم أرجع إلى أفق السماء كما كنت، وقد تحقق ذلك بخروجه في شخص الشيخ المذكور في هذا الزمن.

٩- ومن عقائدهم أيضًا أن مدينتهم «طوبي» مثل مكة في الفضل، فمن ذهب إلى طوبى يكفيه عن الذهاب إلى مكة، ولذلك تجد أكثرهم لا يحج ولهم ملايين المال بل زعموا أن الكعبة المشرفة ترفعها الملائكة إلى طوبى وفيها محمد ﷺ وأصحابه وجبريل وميكائيل.

ولهذا حينما أراد الشيخ أن يحج منعه النبي ﷺ عن الحج؛ لأنه لو حج لزار قبر النبي ﷺ وإذا زاره لابد وأن يخرج النبي ﷺ لمصافحته، وهنا تنتهي الحياة وتقوم القيامة فأخَّر الحج ولم يحج لأجل هذا السبب!!!.

١٠- ومن عقائدهم أنه لا يجوز دفن الميت منهم في غير طوبى بل يجب نقله إليها تبركًا بتربتها وليكون قريبًا من مرقد الشيخ ليصحبه عند المحشر إلى الجنة. كما أن من عاداتهم دفن من مات من زعمائهم في المساجد لاسيما مسجدهم الأكبر في طوبى الذي فيه قبر الشيخ مما يلي المحراب في جهة الشمال يتجه نحوه كل من عدا الإمام، وفي جهة القبلة من المسجد قبور أربعة أو خمسة من أبناء الشيخ.

١١- كما بلغ من استعبادهم للناس أن أوجبوا على المريد إذا رأى أحدًا من آل الشيخ ولو من مسافة بعيدة أن يخلع نعليه وقلنسوته ويحبو حتى يصل إليه ويقبل يديه تعظيمًا له بعد أن سلم نفسه وماله للشيخ أو لأبنائه من بعده ولذلك صار هؤلاء من أغنى الناس في السنغال لنهبهم أموال المغفلين من أتباعهم.

وقد شيد هؤلاء أكبر مسجد في أفريقيا كلها وقصرًا فخمًا مملوءًا بالزينة مما جعله أحسن من قصر رئيس الجمهورية. وتلك الأموال كلها تأتيهم من مريديهم مقابل ضمان الجنة لهم.

١٢- ومن عقائدهم استحباب الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة وصرف أهم أنواع العبادة لشيوخهم. بل ووضعوا شروطًا لإجابة الشيخ دعوتهم. ويعظمون قبر الشيخ وسائر قبور آل الشيخ ويرمون فيها آلاف النقود.

١٣- ومن عقائدهم التفاؤل بكلمة «ترك سرين طوبي» بدلاً عن التسمية بسم الله في كل أحوالهم حتى عند الذبح يذكرونها ولو بدأوا بالتسمية.

- تلك المعلومات السابقة وجدتها في مذكرة الأخ المجد التي أهداها إليَّ زاده الله توفيقًا وأكرر ما قلته سابقًا إنني إلى الوقت الحاضر لم أتمكن من العثور على أيِّ مرجع عن هذين الشخصين سوى المذكرة السابقة، وما سمعته من بعض الطلاب والمشائخ الفضلاء هناك، ويسرني أن أختم الكلام بما جاء في المذكرة حيث قال بنص كلامه. «هذا وليعلم أني كنت نشأت على هذه الطريقة وكنت أعتقد بعقائد القوم كلها وسميت بابن الشيخ وخليفته الثالث وكنت من المقربين إليهم لأجل أبيات كتبتها إليه مسلمًا نفسي وهي أبيات شركية رفعته فيها إلى مرتبة الربوبية. ثم هداني الله فقرأت كتابًا يسمى «تيسير العزيز الحميد» فقرأته وتدبرت وتأملت ما فيه فأنقذني الله من حبالهم، واستغفرت الله سبحانه وتعالى مما مضى إنه تواب رحيم، وهو حسبي ونعم الوكيل»(١).

ومن هنا أقول: إن هذه الكثرة الهائلة من المسلمين الذين أصبحوا ضحايا أولئك الدجاجلة هم في أعناق حكام المسلمين أولاً، ثم في أعناق علمائهم على حسب مستوياتهم، ولو وجد التنظيم الدقيق والبذل السخي والإيعاز إلى كل قادر على مقارعة شياطين الإنس لتغير وجه العالم ولأزيلت عنه هذه الظلمة الحالكة ولعرف الناس ربهم ودينهم ونبذوا الخرفات والخزعبلات التي جعلتهم أضل من الأنعام، ولأحرقت تلك الكتب المفسدة بدلاً من طباعتها بماء الذهب وزخرفتها واشتراط الطهارة لقراءتها هي التي أخرجت المسلمين عن دينهم من حيث لا يشعرون ومكنت

(١) صـ ٧ مخطوط.

للمستعمرين والطامعين في إخراج المسلمين عن دينهم زرافات ووحدانًا أشبه ما يكونون بقطعان البهائم وإلقائهم في أحضان اليهودية أو النصرانية أو مسخ أفكارهم وتركهم لا دين لهم لتقتطعهم الشيوعية القذرة ثم يموتون كما تموت الحشرات والبهائم، وأغنياء المسلمين وحكامهم وعلماؤهم متجاهلون لهم إلا من شاء الله توفيقه منهم، وهم قليل، حتى أصبح الداعية المسلم يتمثل بقول الشاعر:

تكاثرت الضباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

ومع هذه الظلمات كلها فإننا نرى الإسلام وهو يشق طريقه هنا وهناك ويسري كسريان النور في الظلام.

١١- مدام مودي نجاي غيراندو السنغالية:

امرأة سنغالية ادعت النبوة أيضًا ففي إحدى الدورات التي ذهبت فيها إلى السنغال أخبرني بعض الأفاضل الذين كنا نلتقي بهم بأن امرأة عندهم ادعت النبوة وأعطاني بعض المنشورات عنها وشريطًا مسجلاً.

وهذه المرأة تسمى مدام مودي نجاي غيراندو ادعت النبوة بتاريخ ١٠/ ٦/ ١٩٨٩م. وزعمت أن الوحي نزل عليها في الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة قبل الفجر، ومن خطبها التي أعلنت فيها نبوتها قولها:

«إن الله صاحب العرش ينزل الوحي على من يشاء من عباده لينذر الناس عند البداية بهداية الله أحييكم أسمى تحية وأزكاها من الله إخواني وأصدقائي الذين آمنوا والذين يطبقون أشهد الله وملائكته وأنبياءه وعباده الصالحين كأمثالكم أحلف بالله على أن ما أقوله أعتمد فيه على كلام الله بناءً على ذلك أبدأ برحمة الله ونوره الذي أهتدي به. الحمد لله على ما علمنا إياه وأظهر لنا لقد جاءتنا الرسالة في ١٠/ ٦/ ١٩٨٩م في الساعة السادسة والربع صباحًا وهي رسالة جاءت برضًى من الله ورحمة منه وهذا الاتصال لتجديد قوة الدين، لقد أرسلنا الله إلى المخلوقيْن لهدايتهم وبيان هذه الأوامر المبنية على الإلهام والوحي والعلم الشرعي المتعلق بالكتاب والسنة.

أولها: الرجوع إلى الله والعلم بأنه الرب المطلق والخضوع لوحدانيته التي لا شريك له فيها.

ثانيها: إنشاء جمعية المسلمين حيث تختفي الاختلافات والتعصبات والتفرقات الدينية بذلك وإعادتهم إلى الاتحاد وتوجيههم إلى ربوبية الله على العالمين بطريق السنة النبوية، وكل من كان في هذه الجمعية يسمى «الإسلامي».

والمراد بالإسلامي هو المجاهد في سبيل الله المؤمن الحقيقي وهو عبد الله وهو المسلم الذي يسلم نفسه لله، ويمتثل جميع أوامر الله، ويجتنب نواهيه ويكون عمله في الأمة على درجة إسلامه وخشوعه. أرجو من كل واحد أن يشاركنا ونفعل «بيعة الرضوان» مع الله عن طريق رسول الله مع النطق بالشهادتين يعني أن نمتنع عن الهوى لأجل أن نجعل أنفسنا خاضعة لله.

أرجو من الله أن ينزل رحمته على الإسلاميين الذين نحن منهم لأجل أن تنتشر هذه الرسالة المبنية على الإلهام التي كلفنا بها. وهذه الرسالة هي نفس الرسالة جددها الله ليذكر الإنسانية عن طريقي ما دام أن الرسالة الأصلية قد تغيرت عن مكانتها فلابد من إعادتها إلى مكانتها وفي آخر هذه الرسالة كتب.

الإمام المرشد.

مادام جى انجاي مودي انغراندو. وعليها هذا الطلب «لا تغرق هذه الورقة ولا ترم وإنما تعطى لشخص آخر أو تحتفظ بها».

وفي منشور آخر قالت: «الحمد لله الذي علمنا أولاً وأوحي إلينا هذه المهمة بفضله ونعمته لإحياء الدين والنهوض بهذه الأمة.

إنه في العاشر من يونيو ١٩٨٦م في الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة وبعد صلاة الصبح بالضبط كنت واقفة على عتبة الباب سمعت صوتًا غير عاديٍّ يناديني بهذه العبارة «يا جاي مودي» أجيبي محمدًا ﷺ فالتفتُّ فرأيت النبي ﷺ فقال لي محمد ﷺ: «يا جاي مودي» أجيبي جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال لي جبريل

اسمعي أوامر الرب يا جاي مودي وأنا جبريل أتكلم معك هنا في البيت المعمور.

فأعطاني جبريل مشافهة هذه الأوامر الإلهية الدقيقة وهذه الأوامر هي:

١- يجب على الناس أن يرجعوا إلى الله بالإيمان بأنه سبحانه الرب الأعلى والخضوع دائمًا لوحدانيته الخالق الذي لا شريك له.

٢- يجب إفراد الله في عبادته وتنزيهه عن كل نقص.

٣- يجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وخاصة محمد ﷺ. إلى أن قالت «وما زلنا نتلقى من الله بواسطة جبريل وبموافقة النبي ﷺ الأذكار والأوراد والتوصيات في اجتماعاتنا يجب على المسلم المجاهد في الله المؤمن العابد لله أن يلبس لباسًا أزرق ويقدس ويمجد الله الواحد الأحد.

قالت الملائكة: أي شعب كذب بهذه الأوامر الإلهية سيهلكه الله حذو ما أهلك قوم عاد وثمود ومدين اقرأ (سورة العنكبوت والنحل وطه). وهذا الكلام ليس بكلامي؛ لأن هذه الحقيقة لا يمكن أن تصدر من إنسان بسيط مثلي، وإنه لدليل على أنني لا أتبع إلا الأوامر الإلهية وهو المستعان على ما أقول من طاعات وأوامر رب العالمين ونشرها.

واعلموا بأني لست بنبية لا أدعيها بالمرة لأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء وأما إعدادي لهذه المهمة فقد استغرق أكثر من عشرين سنة والله على ما أقول وكيل وشهيد. وفي حديث رواه البخاري: «**لا نبي بعدي ولكن سيكون لي خلفاء كثيرون**». وأنا من أولئك السفراء المجددين الذين يقال لهم المجاهدون والمجاهدات يرسلون في كل قرن لتذكير العباد وحماية رسالة الرسول محمد ﷺ.

لقد اختارني فيجب علي نشر أوامره في كل القارات وتعليم التوحيد والإخلاص في عبادة الله وحماية القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ إلى أن قالت آخر المنشور:

خادمة الرافع: السيدة جي انجاي مودي غراندوا.

المرشدة الروحية للإسلاميين – ٥٥ أشليم جبرالتار.

التليفون: ٢١٦٩٦١ دكار .

ولا شك أن القارئ قد لاحظ مدى التخبط والاضطراب في الكلام السابق والتناقض المشين فيه وما فيه من التلاعب بالألفاظ والأفكار وهي حيلٌ غير خافية إلا عليها وعلى من اتبع دعوتها ممن هم في عداد البهائم.

وفي أحد المنشورات التي أهديت لي سماها سوخن انجاي مودي غيراندوا ساكنة في جبل طارق رقم البيت ٥٥ في دكار وأنها كانت عاملة في إذاعة السنغال في دكار ولكنها عندما تقاعدت ادعت بأن جبريل نزل عليها.

وأخيرًا أحب أن أنبه القارئ إلى أن هذه المعلومات التي ذكرتها فيما تقدم هي من نشرات أهديت لي من بعض الإخوة الذين كنا نلتقي بهم في دكار أثناء الدورات التي تقيمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لتعليم أبناء المسلمين.

ولم يتسير لي الاطلاع على أكثر منها لعدم معرفتي بلغتهم والتحذير من الوقوع في الشرِّ خير من تجاهله.

وقد أردت بنقل ذلك الكلام الركيك والعبارات المتناقضة في الوقت الذي أرسلت فيه والمهمة التي ادعتها والتي فيها إثبات أنها نبية وإثبات أنها مجددة وأيضًا أرادت بذلك مجرد التنبيه سواء صحَّ ذلك الكلام كله أم لا وهي في دعاويها لا تخرج عن من سبقها من الدجاجلة أدعياء النبوة.

١٢- المتنبيء إليجا محمد :

«منظمة أمة الإسلام في أمريكا».

قبل الدخول في تفاصيل هذه المنظمة يجب أن يعرف القارئ أمرًا هامًّا كان موجودًا في أوربا وفي أمريكا على صورة وحشية غاية في القبح واللؤم ألا وهو ما كان يلاقيه السود من اضطهاد واستعباد على أيدي البيض الذين كانوا يعتبرونهم في منزلة أقلّ ربما من منزلة الحيوانات يكبلونهم بالحديد في أعناقهم وأرجلهم وأيديهم بل يربطون مجموعة منهم بسلاسل في أعناقهم ليرموا بهم في البحر لا يعبأون بصراخهم

ولا يرحمون أنينهم فظهر بعض المتحمسين من السود تحت عدة أقنعة علهم ينتصفون من خصومهم البيض أو يحدون من طغيانهم وجبروتهم اللذين كانا لا حد لهما.

وقد شاهدت بنفسي في السنغال مكانًا «يسمى جزية قوري» في بطن المحيط الأطلسي ورأينا أماكن تعذيب السود فيها وهو هول لا يكاد يصدق العقل أن الإنسان قد صنع لأخيه الإنسان سلاسل وأغلالاً وسعيرًا. لقد كان تجار الرقيق من فرنسا وغيرها يجمعون أولئك المساكين كيفما اتفق لا يبالون بتفريق الأخ عن أخيه أو الوالدة عن ابنها فيجمعونهم في تلك الجزيرة وهناك ميزان كبير يوزن فيه الشخص فإن وصل وزنه إلى الحد الذي يطلبونه وضعوه في السفينة مكيلاً لبيعه في المكان الذي يريدونه وإن لم يبلغ وزنه المطلوب فإنه يرمي في البحر كما حدثنا بعض الإخوة هناك وهو مثال واحد لطغيان البيض في ذلك الزمن. ولتلك الظروف ظهرت منظمات كثيرة تدعو إلى تحرير العبيد وإلى إشعار السود بأنهم عنصر طيب يفوق البيض الذين كانوا يطلقون عليهم «الشياطين» وغلوا في ذلك غلوًّا فاحشًا كما سيأتي. ونتيجة لذلك الظلم الشنيع ظهرت منظمات للسود. وأول هذه المنظمات منظمة تسمى «منظمة الموريش» حيث قام بتأسيسها زنجي أمريكي يسمى تيموثي دور علي عام ١٩١٣م.

أسَّس معبدًا سماه معبد المورشيين في «نيوجرسي» بأمريكا ثم افتتح معابد أخرى في عدة مدن. كانت له ميول قوية إلى ربط الزنوج بالآسيويين حيث عرف أن ديانتهم لا تعترف بالتمييز العنصري وجعل شعاره النجمة والهلال، وهؤلاء يعتقدون أن زعيمهم «تيموثي» نبيٌّ، والعبادة عندهم هي الدعاء برفع الأكف متوجهين بها إلى مكة ويؤدونها يوميًّا مع شروق الشمس وعند الظهر ولدى غروب الشمس مع اعتبار منظمتهم منظمة إسلامية رغم تقديسهم المسيحية. إلى أن توفى متنبؤهم «دور علي» سنة ١٩٢٠م فتفرقوا فرقًا صغيرة إلا أنه لا يزال لهم نشاطهم في المدن الصناعية في

الشمال الأمريكي. وقد جمعوا تعاليم زعيمهم وسموها القرآن المقدس، ويؤمنون بالتناسخ.

ثم قامت منظمة أخرى تسمى منظمة «ماركوس جارفي» أسسها سنة ١٩١٦م وقد دخل عدد كثير من الزنوج وأسس زعيمها «ماركوس جارفي» جريدة ناطقة باسم الزنوج الأمريكيين بعنوان «عالم الزنوج».

ومن تعاليمه:

١- ما دام أن الرجل الأبيض لا يمكن أن يعمل لصالح الأسود فالإله الأبيض لا يمكن أن يكون إلهًا لغير الأبيض؟!!!

٢- إله السود لا بد أن يكون مثلهم أسود.

٣- الإله يخلق الإنسان في صورته «أي على شكله ولونه وكان له نشاط قويٌّ لتحرير الزنوج إذ أزعج الحكومة الأمريكية فأرغمته على المغادرة وبذلك ضعف أمر المنظمة وتضاءل سريعًا. ومع نهاية عام ١٩٢٠م ضعفت منظمة الموريش بسبب وفاة زعيمهم دور على نبي الموريش كما ضعفت أيضًا منظمة ماركوس جارفي بعد إبعاد زعيم المنظمة عن أمريكا. فوجد فراغ كبير لدى السود. ومن هنا نشأت منظمة جديدة هي منظمة «المسلمين السود» أو «أمة الإسلام» والتي عرفت أخيرًا بمنظمة «إليجا محمد».

ظهور منظمة «أمة الإسلام»:

بعد نهاية منظمة «الموريش» و«جارفي» وجد فراغ كبير لدى الزنوج فتلهفوا إلى من يقودهم فظهر رجل يسمى «والاس فارد محمد» واشتهر أمره بأنه نبي مبعوث إلى السود وتبعه الكثير منهم وبنى معابد لهم وكان شديد الحقد على البيض.

فقام بالدعوة ضد تسمية السود بالزنوج وقال: إنه من اختراع الرجل الأبيض المستبد لإبعاد السود عن أصلهم الآسيوي حسب ما قرره في نسبته الزنوج وسبب ميله إلى الشرقيين أو المسلمين.

«وهو معرفته بأن الإسلام ليس فيه عنصرية، وأنه هو دين السود، وأن موطنهم الأساسي هو مكة المكرمة حيث أخرجهم منها الرجل الأبيض في غابر الأزمان وعليهم إذا أرادوا العودة إليها أن يسيروا على قانون الله يبلغه «والاس» لهم والذي قرر فيه أن البيض هم الذين فقدوا لونهم الأصلي وهو السواد فلهذا يجب أن يقال لهم: «الملونون»، وأما السود فإنهم على الأصل في الخلقة ولا يصح تسميتهم زنوجًا أو ملونين.

وقد جاء النبي والاس ليعيد لهم الحياة الأساسية في المدينة المقدسة مكة المكرمة وقد افتتح عدة مدارس للذكور والإناث وشرطة خاصة بالمنظمة. ادعى فارد النبوة وزعم أن روح نوبل دور على السابق ذكره قد حلت فيه ثم اختفى فجأة في صورة غامضة فانقسم أتباعه إلى فريقين:

- قسم منهم اعتقدوا ألوهيته وأن الله قد حلَّ فيه.
- وقسم لم يعتقدوا ألوهيته.
- والقسم الأول يمثلهم إليجا بول محمد الذي زعم أن الله قد حل في سلفه والاس فارد وأنه قد أخبره بذلك لولا أنه طلب إليه أن يكتم خبره.

الأسماء التي أطلقت على هذه المنظمة:

عند تأسيس هذه المنظمة على يد «والاس فارد» أطلق عليها اسم «أمة الإسلام» كما أطلق عليها أيضًا اسم «أمة الإسلام المفقودة المكتشفة» والمقصود بالمفقودة أن الزنوج في أمريكا فقدوا بلادهم وأهلهم ودينهم في أفريقيا على يد الرجل الأبيض في عشرات السنين أما المكتشفة: فيقصد أن أولئك الزنوج قد اكتشفتهم هذه المنظمة لكي تعيدهم إلى أصولهم القديمة الآسيوية وإلى دينهم وأهليهم على يد «فارد» ومنظمته. ثم نشأت تسمية أخرى لهم مع أن المنظمة لم تكن راضية عنه حيث أطلق عليهم «منظمة المسلمين السود» وحينما تولى «والاس محمد بن إليجا محمد» غيَّر التسمية لأهل المنظمة إلى «البلاليين» وذكر لهم تعليلاً طريفًا لذلك فقال: «نظرًا

للتبرم الشديد وعدم الارتياح النفسي بين أصحابنا فيما يتصل بتسميتهم وتحقيق شخصيتهم فإنه يسعدني أن أعلن لكافة السود في الغرب أني اخترت تسمية نفسي «بلاليًّا» وإنِّي أدعوكم جميعًا حالاً للتسمي بهذا الاسم لأن بلالاً كان عبدًا حبشيًّا أسود وكان علمًا من أعلام التاريخ الإسلامي وهو أول مؤذن للرسول ﷺ وكان مخلصًا وكان طاهر القلب وكان الرسول محمد وقادة المسلمين يدعونه السيد بلال وكان ترتيله للقرآن وإعلانه الأذان موضع ثناء.

ويعتبر أحسن من يؤدي هذا العمل خلال حياته بل وبعد ذلك أيضًا. ولإخلاصه وطهارة قلبه أصبح علمًا من أعلام التاريخ الإسلامي، بلال شخصية محببة في العالم الإسلامي بصرف النظر عن لونه أو جنسيته. بلال كان جميلاً ومعروفًا وهو جدُّنا في أمريكا وأنه يمثل سلفنا من الأفريقيين في الزمن القديم وأن العلاقة بيننا وبينه قوية ومضاعفة لأنه كان مسلمًا وأفريقيًّا في نفس الوقت ولا يوجد أي سبب للتردد في التعريف بشخصيتك وجنسيتك فنحن «البلاليين» من الآن فصاعدًا»[1].

إليجا محمد «كريم» أو اليجا بول:

هوالاسم الأصلي لعائلته حال العبودية ولد حوالي ١٨٩٨م من أب مسيحيٍّ مبشر ويلقب «كريم»، هذا الشخص كان أحد أعضاء حركة السود في أمريكا والتي تسمى «أمة الإسلام» عند ظهورها على يد مؤسسها «والاس فارد محمد» سنة ١٩٣٠م حين أقامها لملء الفراغ الذي خلفه نهاية الموريش ومنظمته جارفي واشتهر بأنه مبعوث للسود. وقد نشط إليجا محمد في تكامل هذه الحركة التي تنادي بإعلاء السود الذين يمثلون الخير عند مجيء ظهور الله في شخصه سنة ١٩٢٣م واحتقار البيض الذين يمثلون الشياطين حسب مفهومه، وهو ردُّ فعل لما رأوه من احتقار البيض للسود على طريقة الجاهلية البغيضة. وبعد نهاية مؤسس الحركة «فارد» تولى زعامتهم إليجا محمد، وقد كان كثير التجول في البلدان الإسلامية لاجتذاب الناس

(١) منظمة إليجا محمد صـ ١٠ .

لحركته والدعاية لها مظهرًا الإسلام وقد عهد «والاس فارد» بزعامة المنظمة إلى إليجا محمد لما لاحظه من نشاطه وإخلاصه لها.

وقرر عقيدة أن «والاس» يمثِّل الله تعالى وأن إليجا محمد هو نبيه ورسوله وظل قويًّا في أمره إلى أن توفي سنة ١٩٧٥م ودفن في حشد رهيب من المشيعين وكان يعيش في حياته عيشة البذخ حيث بني له ولكبار أتباعه قصرًا فخمًا كلفه مليوني دولار مما جعل الكثير من أتباعه وعلى رأسهم ابنه والاس وابنه الآخر محمد - الزعيم الحالي للمنظمة يتبرمون من ذلك الصنيع، وأعلن محمد الانفصال عن والده احتجاجًا على ذلك الإسراف. وقد كان إليجا محمد الحاكم العام والمشرف على كل أمور منظمته صغيرها وكبيرها ويليه في المرتبة وزراؤه في تنظيم دقيق.

منهج حركة إليجا محمد:

لقد مرَّت الحركة التي يديرها إليجا محمد بعدة مراحل وتطورات واتخذت لها عدة أسماء منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر ففي بدء ظهورها على يد مؤسسها الأول فارد كانت تسمى - كما سبق - «أمة الإسلام» ثم سميت بعد ذلك «أمة الإسلام المفقودة المكتشفة» ثم تطورت بعد ذلك وأصبحت تسمى في عهد «وريث الدين محمد» ابن إليجا محمد «البلاليون» نسبة إلى الصحابي بلال الحبشي ﵁ مؤذن النبي ﷺ. وقد تمثل منهج هذه الحركة عند تأسيسها في أمور كثيرة كلها تهدف إلى إعطاء الرجل الأسود حقه وخلاصه من سيطرة الرجل الأبيض كما تتمثل في:

١- الدعوة الجادة إلى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية بينهم وبين سائر الشعب من البيض في ظلِّ قوانين تكفل ذلك.

٢- العمل الجاد للنهوض بمستوى هذه الحركة لتصبح عالمية في دولة خاصة بالسود.

٣- التأكيد على تفوق العنصر الأسود وأصالته واحتقار العنصر الأبيض الذي استرَّق الأسود أربعمائة سنة.

٤- الدعوة إلى الالتزام بالإسلام، وإحلاله محل اليهودية والنصرانية «التوراة والإنجيل» حسب زعمهم.

٥- الاعتقاد بوجود إله واحد اسمه الله تعالى، ولكنه في صورة رجل، ولهذا تمثل في «والاس فارد» محاكيًا بذلك ما قاله النصارى في المسيح ﷺ والوثنيون في آلهتهم.

٦- العمل على إيجاد أتباع وأنصار ليكوِّنوا جيشًا قويًّا يحمي الحركة.

٧- وقد تطورت أفكار الحركة في عهد إليجا محمد لتدخل في أشدِّ أنواع الغلو الباطني حيث زعم أن الله عز وجل لابد وأن يكون مشاهدًا مرئيًّا يتجسد في من يشاء. وقد تجسد أخيرًا في رئيس حركتهم «فارد» فأصبح في معنى الألوهية يجب دعاؤه وعبادته للعنصر الإلهي المشتمل عليه ومن هنا زعموا أن الله أسود والأنبياء سودٌ خصوصًا حينما تزعمهم «لويس فرخان»، ومن هذا المنطلق الشنيع زعم أنه هو رسول الله، وأن الرسالات ختمت به لا بمحمد بن عبد الله ﷺ، وحجته في ذلك أنه ما من رسول إلا ويأتي بلسان قومه، وقد أرسل هو بلسان قومه السود!!!، والأعجب أن الذي أرسله ليس هو إله الخلق بل الذي أرسله هو إلهه «فارد». ومن هنا أخذ في تلفيق أفكاره الخاطئة والتي تمثلت في الأمور الآتية إضافة إلى ما سبق:

١- إنكار الملائكة وكلِّ ما يتعلق بالأمور الغيبية الخارجة عن الحسِّ بحجة أن الله يرى ويتجسد فكيف يقال بوجود ملائكة أرواح لا ترى ولا تحس؟.

٢- إنكار البعث الجسماني في يوم القيامة وأول ما جاء في الأديان السماوية في إثباته تأويلاً باطنيًّا بأن المراد به بعثٌ عقليٌّ للسود الأمريكيين عند نشأة فارد وقيام حركتهم.

٣- زعم أن كتابًا سينزل على قومه السود من السماء يكون هو خاتمة الكتب السماوية المنزَّلة على البشر، وأن على السود وجوبًا الإيمان بالقرآن الكريم إلى أن يأتيهم ذلك الكتاب. ولعله استفاد هذه الفكرة عن الرافضة.

٤- لا ذكر للحج والزكاة في تعاليم إليجا محمد بل يدفع كل فرد عشر دخله

للمنظمة وأن يذهبوا إلى شيكاغو لتقديس زعيمهم وقد حج بعضهم إلى مكة منهم «محمد علي كلاي».

٥- أمر أتباعه أن يؤدوا الصلوات خمس مرات في اليوم في معابدهم التي تختلف عن المساجد؛ لأن الصلاة عندهم دعاءٌ فالمعبد فيه كرسيٌّ للجلوس فقط واستماع الوعظ بطريقة فيها خلط ووثنية فهي عبارة عن قراءة الفاتحة أو آيات أخرى ودعاء مأثور. مع وجوب التوجه إلى مكة المكرمة لأجل المستر «فارد» الذي أصله منها واستحضار صورة فارد في الأذهان على طريقة الصوفية ابتداء مسلك المريد عند خلوته، وهم لا يسمحون لأحد غير السود الأمريكيين بدخول أيِّ معبدٍ من معابدهم إلا بعد تفتيشهم تفتيشًا دقيقًا جدًّا.

٦- وكذلك الصوم حوَّله من شهر رمضان إلى شهر ديسمبر من كل عام وأنه ليس بواجب صومه على السود؛ لأنهم في مرحلة لم يتمَّ الخلاص فيها من الرجل الأبيض.

٧- إيمانه بالنبي محمد ﷺ غير واضح بل ينكره. وما يذكره من الإسلام باسم محمد فإنه يقصد به نفسه، وأنه هو المقصود بمحمد في القرآن الكريم. وليس محمد ابن عبد الله الذي ولد في الجزيرة العربية.

٨- وبصفته رسولاً إلى قومه فقد أحلَّ وحرَّم أشياء بمقتضى هواه حسب ما يراه من المصلحة فحرم على أتباعه شرب الخمور والتدخين والتخمة في الطعام والزنا ومنع اختلاط المرأة برجل أجنبيٍّ عنها وقصر حلية الزواج على من كان داخل حركته ومنع من ارتياد أماكن اللهو والمقاهي العامة. ولا شك أن بعض هذه الأشياء أصاب في تحريمها، وبعضها جاء على حسب شريعة الباطل فاستبدل بالزكاة الشرعية بأن كلَّف كلَّ فرد بدفع عشر دخله للحركة ضريبة.

وقد اتفق مع مؤسس الحركة «فارد» على اعتبار العنصر الأسود هو العنصر الطيب الرفيع واعتبار العنصر الأبيض هو العنصر الشيطاني الخبيث. وهذا الموقف

يذكره في قصة خرافية هي أن يعقوب هو الذي زاوج بين أفراد السود إلى أن جاء الأبيض الذي هو الشيطان وهو موقف عنصري أملته الحالة الاجتماعية التي يعيشها العنصر الأسود في تلك المجتمعات الجاهلية كما سبق.

٩- شنَّع إليجا محمد على كل من لم يؤمن بنبوته سواءً كان من المسلمين السنيين أو من النصارى لأنهم لم يفهموا القرآن الكريم الذي أرشد إلى إليجا محمد وليس إلى محمد العربي.

وهكذا فقد أصبح إليجا محمد يحقد حقدًا شديدًا على البيض حقدًا لا نظير له ويسميهم شياطين بل لا ينسب خلقهم إلى الله تعالى بل ينسبه - حسب خرافاته - إلى يعقوب وأنه أوجد البيض - الشياطين - بطريقه ماكرة إذ أوعز إلى الممرضات بقتل الأولاد السود بمجرد ولادتهم ويقلن لأم المولود: إنَّك ولدت ملكًا وقد رفع إلى السماء وسيكون في استقبالك في الجنة بينما يتركن البيض ليتم التزاوج بينهم بعد ذلك لينشأ منهم جيل الشياطين البيض وبعد ٢٠٠ من السنين أصبح الأطفال كلهم بيضًا، وبعد ٤٠٠ سنة أصبح لديه ألوان متعددة من البشر الأصفر والأحمر، وبعد ٢٠٠ سنة نجح يعقوب في إيجاد الجنس الأبيض ونجح في توزيعهم إلا ما كان من بلاد السود الذين استطاعوا أن يمنعوا شياطين يعقوب من دخولها واستوطن شياطين يعقوب أوربا وبقوا ٢٠٠٠ سنة متوحشين بلا رسول ولا كتاب، وبعض البيض الأوربيين حاول أن يرجع إلى لونه الأصلي السواد فمسخ قردًا فالقردة من نسل البيض الأوربيين، وبعد تلك الألفين من السنين بعث الله إليهم موسى ليعيدهم إلى الجنس البشري الأصلي ولكنهم كذبوه وقاوموه.

وقد أرادوا في الوقت الحاضر أن يعودوا فدخلوا في الإسلام ولكنه أغلق دونهم بسبب ماضيهم الخبيث وزعم أن كل ذلك كان بإخبار الله له عن طريق الوحي. إلى آخر ما أملاه حقده على البيض في خطبه هو ووزراؤه ولكنه بعد هذا الغلو تناقض فزعم أن الجنس الأسود هو الذي خلق الجنس الأبيض لأنه يحمل صفة الله تعالى

وأن السود هم آباء بني آدم كلهم على اختلاف ألوانهم حسب ما أوحى الله إليه بذلك أيضًا. وأن الجنس الأسود هم شعب الله المختار وإن كان البيض هم أعداء الله تعالى وهم أساس الشر بينما السود هم أساس الخير وأصحاب السلام وقد أخبره الله – كما يزعم – أن سبب تجعد شعر السود يعود إلى خمسين ألف سنة حين سخط أحد علمائهم إذ أراد أن يجعل من السود كلهم أشداء خشنين ليتغلبوا على المشاق ولكنه أخفق إذ لم يوافقه غيره معه فأخذ عائلته وعاش في الغابة متغلبًا على كل الوحوش إلى آخر ما جاء به في هذا الخلط ممن تفاصيل عجيبة خرافية وطويلة تصلح في سمر العجائز وحكاياتهن.

وقد يحار الشخص حينما يعلم أن إليجا محمد يدَّعي الإسلام ويدافع عنه ويشهد الشهادتين فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ويحث على احترام القرآن الكريم وأن الله أنزله للسود. ثم يتظاهر بتعاليم شرائع الإسلام ويهاجم المسيحية أشد هجوم ثم هو بعد ذلك ليس له من الإسلام إلا اسمه.

ولكن يزول العجب إذا عرف القارئ أن إليجا محمد وأتباعه حينما يشهدون أن لا إله إلا الله إنما يقصدون به «والاس فارد» وحينما يشهدون أن محمدًا رسول الله يقصدون به «إليجا محمد» وهذا ما فسره موقف الدكتور إبراهيم عبد الوهاب أبو سليمان مع أحد أعضاء تلك المنظمة حيث جرى بينهما الحديث الآتي:

«عندما قابلت أحد أفراد المنظمة واسمه فرقان محمد وهو يدرس بجامعة كولومبيا وجرت مناقشة بيني وبينه حول مبادئ إليجا محمد فقال: إننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فنقولها كما تقولونها. فأجبته ولكن المقصود بها لديكم مختلفٌ تمامًا عما نقصده منها فالله عندكم هو «والاس فارد» ومحمد هو «إليجا محمد» الفرق بين المقصودين شاسع فردَّ علي بقوله: «لم لا أعتقد في رسالة إليجا محمد وهو الذي أنقذني مما كنت فيه من جهل وتخبط وحياة تعيسة وهو الذي

علَّمني العربية وليس محمدًا الذي تؤمنون به»[(١)].

وهذه الطريقة الماكرة في تظاهر المنظمة بالإسلام تذكرنا بطريقة القادياني والقاديانية في زعمهم أن القادياني رسول الله، ومع ذلك لم يغير الأذان، وحينما سئل خلفه عن ذلك أجاب بأنهم ليسوا في حاجة إلى تغييره؛ لأن غلام أحمد يوافق اسمه اسم الرسول محمد ﷺ فهو أحمد ومحمد فالقائل: أشهد أن محمدًا رسول الله كأنه يقول: أشهد أن أحمد رسول الله، وهذا غاية في المكر والخداع والتمويه.

اختيار والاس محمد – وريث الدين – بن إليجا محمد لقيادة المنظمة:

ولد «والاس محمد» في شيكاغو سنة ١٩٣٣م وكان لموت إليجا محمد صدًى كبيرٌ خصوصًا وقد خلَّف منظمة أفرادها يعدون بالآلاف كما خلف تركة مالية ضخمة، وحينما بدأ التنافس حول قيادة المنظمة بعد هلاك إليجا محمد نسجت حكايات كثيرة حول تمجيد «والاس محمد» وأنه الأحق بقيادة المنظمة بعد والده من بين إخوته وقد تم ذلك. لم يكن والاس محمد على رضىً تامٍّ عن سير المنظمة وقد سبق أنه اعتزل المنظمة احتجاجًا على طريقة الحياة المترفة التي يعيشها زعماؤها على حساب الكادحين الفقراء. وكان «والاس محمد» على جانب طيِّب من الذكاء والانفتاح على المشرق الإسلامي والرغبة في تغيير بعض الجوانب في عقيدة منظمته وخصوصًا ما يتعلق منها بالجانب العنصري الانطوائي الذي كان يسير عليه والده نحو البيض والذي لم يرق في نظر «والاس محمد» الذي أعلن أنه بإمكان الرجل الأبيض أن يكون مسلمًا بل وفسر الرجل الأبيض بأنه الكذب سواء صدر من الأبيض أو من غيره وهو تفسير يبعد العنصرية؛ وقال لأتباعه: إنه ليس المقصود بالأبيض البشرة البيضاء بل المقصود به حقيقة الكذب والخداع.

ومما أدخل من التعليمات الجديدة إعادة عقيدة المنظمة إلى اعتقاد أن القرآن الكريم هو آخر الكتب، وأنه لا كتابَ بعده وفسر ما قاله والده من أن كتابًا مقدسًا

(١) منظمة إليجا محمد صـ ١٢ .

سينزل على السود إنما هو عودتهم لفهم القرآن الكريم فهمًا حقيقيًّا.

كما أعاد مفهوم المنظمة لقضية نبوة محمد ﷺ التي كان والده يتجاهلها فأصبحوا يذكرونها ويعتزون بها.

كما أحيا فيهم صلاة الجمعة التي كان والده لا يقيمها، وجعلها لكل مسلم من أيِّ لون، ولا يمنع من دخول المسجد أي شخص يريد الصلاة وهو ما لم يكن في عهد والده.

كما أحيا حقيقة الصوم وأنه لشهر رمضان وأن المسلمين يحتفلون به ويصومونه حقيقة طاعة وتقربًا إلى الله بعد أن حرموا من فهم حقيقته طوال حياة والده.

وظل «والاس محمد» يتبع الطرق الأقرب لتغيير المفاهيم الخاطئة عن الإسلام بين أفراد منظمته شيئًا فشيئًا ووصل التغيير إلى الصحيفة الوحيدة الناطقة باسمهم وهي صحيفة «محمد يتكلم» فغيرها إلى اسم صحيفة «أخبار البلاليين» مبديًا الأسباب التي دعته إلى هذا التغيير بقوله الجميل: «إن بلالاً الصحابي الجليل رضي الله عنه عبد حبشي كان علمًا من أعلام التاريخ الإسلامي، وكان أوَّل مؤذِّن للنبي محمد ﷺ وكان مخلصًا وصاحب قلب نقي؛ وكان النبي وقادة المسلمين يدعونه بالسيد بلال، كان ترتيله للقرآن وإعلان الأذان موضع ثناء ويعتبر أحسن أداء من أي شخص آخر خلال حياة الرسول»، وبعد ذلك بلال شخصية محببة من جميع المسلمين في جميع أقطار الدنيا بصرف النظر عن لونه أو جنسيته!! بلال كان جميلاً وذا شخصية معروفة وهو جد الأفريقيين في القارة الأمريكية وممثل لهم في الماضي لنا ارتباط قوي مضاعف مع بلال، فإنه كان مسلمًا وكان أفريقيًّا أيضًا ولمطابقة تبنينا لاسم[1] بلال لتمييز الأفريقيين المنحدرين من سلالات أفريقية والمقيمين في الغرب فإننا نعلن بسرور تام أن صحيفة «محمد يتكلم» يعاد تسميتها إلى عنوان «أخبار البلاليين» وستكون اللسان الناطق باسم البلاليين في الغرب وصوتًا للحقيقة لكافة الناس في

(١) هكذا في الأصل.

جميع أنحاء العالم.

صحيفة محمد يتكلم تحملت عملاً تقليديًّا هو سياسة المطالبة بالحق والعدالة للزنوج الأمريكيين منذ سنين طويلة، وإن «أخبار البلاليين» سوف تزيد وتتوسع في هذه الدعوة والمطالبة بالحق والعدالة لكافة الناس على وجه الأرض»[(١)].

ولا شك أن لهذا التغيير مغزاه في تطور فكر منظمة إليجا محمد كما أعادهم إلى الإيمان باليوم الآخر على حقيقته. ولقد لقي في ذلك تحديات كثيرة إلا أنه سايرهم لردهم وصبر على ذلك، فأما كبار السن وأصحاب المناصب العالية في المنظمة فإنه صعب رجوعهم إلا القليل ممن وفقه الله، ولكنَّ الشباب والداخلين في المنظمة كانوا هم أكثر استجابة وتأثرًا بما يدعوهم إليه.

ونتيجة طبيعية للدعوة الجديدة واقترابها من الإسلام الصحيح فقد كوفئ والاس محمد بدعوته إلى تمثيل منظمته في عدة مؤتمرات وتجمعات، ووجدت منظمته من يقف إلى جانبهم من المسلمين السنيين. نرجو من الله عز وجل أن يثبت قادتها وأن يردهم إلى الإسلام ردًّا جميلاً، وما ذلك على الله بعزيز.

وأعتقد -حسب رأيي الشخصي- أن دعوة «فارد» و«جارفي» و«إليجا محمد» إلى ما دعوا إليه كان توطئة من الله عز وجل لإدخال أولئك الأتباع في الإسلام الصحيح إذ لو أن أولئك الزعماء دعوا إلى الدين الصحيح. لما وجدت تلك الاستجابة الهائلة من الناس للتسمي باسم الإسلام فإن المشاهد أن الدعوة إلى الباطل يكون الناس أسرع إلى تقبلها بخلاف الدعوة إلى الحق فإنها قد تجد في طريقها عقبات ومشكلات جمة. ولهذا كان اعتراف أولئك الزعماء بالإسلام حتى وإن كان مجرد تسمية كانت له آثار إيجابية فيما بعد على حقيقته لا كما جاء به أولئك الزعماء من تأليه غير الله ووصف المبطلين بالنبوة وغير ذلك من الآراء التي لا تمتُّ إلى الإسلام بأدنى صلة.

(١) منظمة إليجا محمد الأمريكية صـ ١٨٢ .

هذا وقد انتقد الشيخ حمود الشميمري رئيس مكتب توعية الجاليات بجدة انتقد «والاس محمد» – وريث الدين محمد بأنه ما زال يؤمن بكثير من آراء والده وعليه كثير من الملاحظات في عقيدته على سبيل المثال لا الحصر:

- لا يرى مانعًا من زواج المسلمة بالنصراني.
- إن حجاب المرأة الحقيقي هو شعرها وليس عليها أن تتحجب إلا في الصلاة.
- لا يرى بأسًا في اختلاط الرجال بالنساء.
- يجيز انخراط المسلمين في جيش الكفار.
- جميع الأديان المعاصرة في نظره صحيحة وأنهم جميعًا سيدخلون الجنة[1].

مهما كان فإن والاس محمد الذي سمى نفسه «وريث الدين محمد» كان على جانب من فهم أخطاء والده بل وترك الانضمام إلى تلك الحركة سنة ١٩٦٤هـ كما تقدم ولكنه رأى أن بعده عنها قد لا يكون حلاً ناجحًا لأخطائهم فعاد إليها على أمل أن يغيِّرها إلى أحسن ويقضي على المبادئ التي تخرج معتنقها من الإسلام وفعلاً بدأ في التغيير على الخطوات التي تقدمت الإشارة إليها:

١- غير اسم الحركة من أمة الإسلام إلى الاسم الجديد: «البلاليون».
٢- أصدر قرارًا بضرورة صوم رمضان، وكذا الاحتفال بعيد الفطر.
٣- اهتم بأماكن الصلاة.
٤- أمر بأن تؤدى الصلوات خمس مرَّات كما هي عند المسلمين.
٥- شدد الأمر على حشمة المرأة.
٦- وزع الدعاة على السجون لإصلاح حال المساجين ودعوتهم إلى الإسلام.
٧- صحح كثيرًا من المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة في عصر «فارد» وعصر والده.

---

(١) جريدة المدينة المنورة السبت ٢٧/ ٥/ ١٤١٦هـ العدد ١١٨٨٦ تحت عنوان حقائق عن قادة بعض الحركات الإسلامية في أمريكا.

ومن الأمور الملاحظة:

١- إن حركة البلاليين حتى بعد تصحيح وريث الدين لها في حاجة شديدة إلى المزيد من التصحيح لكثير من المعتقدات التي لا تزال عالقة فيهم.

٢- وقوع الاضطرابات الكثيرة بين قادة الحركة مما اضطر وريث الدين إلى حلها سنة ١٩٨٥م وترك كل شعبة من شعبها تعمل بشكل منفرد مما ينذر بأنها ستتبدد فيما بعد وقد عرفت تلك الاضطرابات رغم السرية التامة إلا أن وريث الدين استطاع لَمَّ شملهم.

٣- للقذافي وإيران تسابقٌ ملحوظٌ لاحتواء تلك الحركة لصالح كلٍّ منهم.

٤- يبلغ عدد السود في أمريكا ٣٥ مليون نسمة منهم حوالي مليون مسلم.

٥- يسمون مساجدهم معابد.

٦- لهم ثمانون شعبة في مختلف المدن الأمريكية.

٧- بلغت مدارسهم أكثر من ٦٠ معهدًا وتخصص الحصة الأولى لتعليم العقيدة الإسلامية.

٨- تتعاطف هذه الحركة مع كل السود في العالم.

٩- أماكن تجمعهم في ديترويت، وشيكاغو، وواشنطن.

١٠- يطمعون دائمًا في قيام دولة مستقلة باسمهم إلا أن «والاس محمد» كان غير طامع كثيرًا في ذلك.

أشهر رجال حركة «البلاليين»:

١- مؤسس هذه الحركة «والاس د. فارد» من السود لم يعرف نسبه ظهر فجأة في ديترويت عام ١٩٣٠م واختفى بصورة غامضة سنة ١٩٣٤م وفي رأيي الشخصي إما أن يكون هذا الكلام مبالغًا فيه أو كان خداعه لأتباعه ليبقوا على تأليهه.

٢- إليجا بول – أو إليجا محمد الذي قاد الحركة بعد فارد.

٣- والاس محمد زعيم الحركة بعد أبيه وقد سمى نفسه مجددًا.

٤- مالكم إكس «مالك شياز» خطيب ومفكر حج عام ١٩٦٣م ولما عاد تنكر لمبادئ الحركة العنصرية وخرج عليها وشكل فرقة تسمى «جماعة أهل السنة» وقد اغتيل سنة ١٩٦٥م ووجهت التهمة إلى المنظمة وأخرى إلى الاستخبارات الحكومية الأمريكية. إلا أن الشيخ حمود الشميمري يذكر أن مالكوم بعد أن رجع من الحج أخذ يدعو إلى منهج أهل السنة والجماعة وغير اسمه إلى «مالك شياز» وأن الذي دبر اغتياله هو لويس فرخان(١).

٤- لويس فرخان أسلم سنة ١٩٥٠م وهو خطيب وكاتب ومحاضر له صلة قوية بالقذافي ويدعو إلى قيام حكومة مستقلة بالسود ما لم يصلوا إلى حقوقهم كاملة وقد ظل على معتقدات إليجا محمد يدعو إليها ويتعصب لها وهو ابن سبأ هذا القرن(٢).

وهناك الكثير من أعضاء الحركة مثل:

كريم عبد العزيز، دكتور نعيم أكبر، عبد الحليم فرخان، عبد العليم شياز، فاطمة علي، جون عبد الملك، فهيمة سلطان، جون عبد الحق، ريموند شريف، أمينة رسول، مايكل رمضان، ثيرون مهدى، إبراهيم كمال، سلطان محمد، محمد علي كلاي وغيرهم ممن كانوا يسمون وزراء في عهد إليجا محمد.

هذا وإني أشكر - بعد الله تعالى - الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سابقًا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة - جامعة أم القرى حاليًا - على ما بذله من الدراسة لهذه المنظمة - ووقوفه عن كثب على ما فيها وما كتبه عنهم باسم «منظمة إليجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل» وكذلك ما جمعه أصحاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وكل من كتب عن تلك الحركة من تقارير ونشرات متفرقة هنا وهناك حتى

---

(١) انظر جريدة المدينة العدد ١١٨٨٦ في ٢٧/ ٥/ ١٤١٦ هـ.

(٢) المرجع السابق.

أصبحت تلك الحركة التي كان يلفها الغموض واضحة في كثير من جوانبها.

الكتب الصادرة عن الحركة:

ألف إليجا بول عددًا من الكتب منها:

١- رسالة إلى الرجل الأسود في أمريكا.

٢- منقذنا قد وصل - ويقصد بهذا المنقذ مؤسس المنظمة «والاس فارد محمد».

٣- كتاب الحكمة العليا - وهو كتاب المنظمة المقدس عندهم.

٤- سقوط أمريكا.

٥- كيف تأكل وكيف تعيش - ويعتبره إليجا محمد كتابًا مقدسًا موحًى به من «والاس فارد».

٦- إنشاء صحيفة تنطق باسمهم سماها «محمد يتكلم» وقد غيرها وريث الدين محمد إلى اسم «بلاليان نيوز» أو «أخبار البلاليين».

ومن مراجع هذه الحركة:

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض. وقد ذكرت هذه الموسوعة بعض المراجع لأقطاب حركة البلاليين مثل كتاب:

- رسالة إلى الرجل الأسود في أمريكا تأليف إليجا بول.

- صحيفة «بلاليان نيوز».

- منقذنا قد وصل، وغيرها.

- وممن أسهم في بيان هذه الحركة أصحاب الكتب الآتية:

- «المسلمون في أمريكا» ترجمة عمر الدبراوي.

- «الإسلام في أمريكا» محمد يوسف الشواربي ١٣٧٩هـ.

- «منظمة إليجا محمد الأمريكية» د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ١٣٩٩هـ.

- «الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية» عبد الله أحمد الديراوي ١٤٠٣هـ.

- «الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة» - بلال فليس رسالة ماجستير ١٤٠٥هـ.

وقد اهتمت بعض المجلات بالكتابة عنهم مثل:

- مجلة المستقبل عدد ٤٢٢ في ٢٣ آذار ١٩٨٥م.

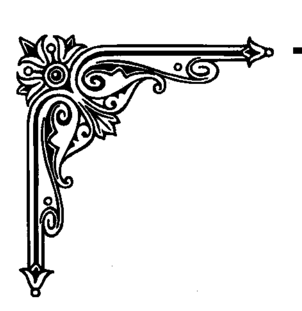
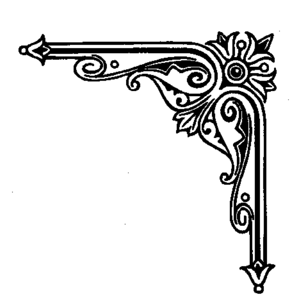
- مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٢٨ في ٢٨/ ٣/ ١٣٩٩هـ.

وبعض الجرائد أيضًا مثل:

- جريدة الجزيرة السعودية عدد ١٦٨٣ في ١٢/ ١/ ١٣٩٧هـ.

- جريدة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٤٧٠ في ٢٣/ ٣/ ١٣٩٦هـ، وكذا العدد ٥١٠ في ٢٠/ ١/ ١٣٩٧هـ بمكة المكرمة.

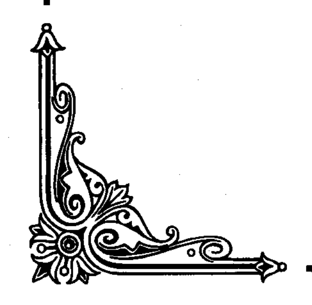
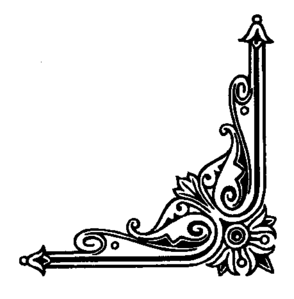
* * *

الباب التاسع..

أشخاص ملحقون بالبحث وفيه الفصول الآتية:

* الفصل الأول: المحدثون.
* الفصل الثاني: المجددون.
* الفصل الثالث: المهدي المنتظر.
* الفصل الرابع: الخضر.

الفصل الأول..

المحدثـــــون

المحـدثــون...

تمهيد:

هذا الموضوع له صلة بما نحن بصدده من بحث المتنبئين ولا يتبادر إلى ذهنك أن هؤلاء ادّعوا النبوة بل هم أتقياء من خيرة الناس ولكن شوهت صورتهم الناصعة وذلك لاستغلال بعض الدجاجلة لما ورد في شأن المحدثين من نصوص في مدحهم والثناء عليهم فأخذ أُولئك الكاذبون يدعون أنهم محدثون ثم رقوا أنفسهم بعد ذلك إلى مرتبة النبوة في الخطوات الثانية بعد أن تتم حيلتهم على الناس الذين يقعون في حبائلهم.

ونريد هنا أن نبين هذه القضية بما يزيل الشبهة ويقطع وساوس الطامعين المدعين ما ليس لهم بحق. ليأخذ المسلم حذره من أمثال هؤلاء وقبل أن نذكر النصوص الواردة في المحدثين وفضائلهم نذكر تعريف العلماء للمحدث. من هو؟ وما هي منزلته في الصلاح والتقوي؟ وهل هي رتبة يصل إليها الإنسان كما يتصور البعض أم أنها نتيجة لقوة إيمان الشخص؟ ومن هم أشهر المحدثين في التاريخ الإسلامي الذين أحبهم الله فأوصلهم إلى هذه الدرجة الرفيعة؟

يأتي تفصيل ذلك فيما يلي:

المبحث الأول

التعريف بالمحدثين وفيه:

١ - التعريف اللغوي بالمحدث:

يطلق علماء اللغة هذه التسمية «محدَّث» بتشديد حرف الدال المفتوحة بمعنى صدق الظن، والفراسة القوية بحيث يكاد كأنه يحدثه غيره بما يتوقعه فيأتي الأمر على وفق ما توقعه فكأنه يلهم الأمر إلهامًا. قال الأزهري: «ألهم الله فلانًا الرشد إلهامًا إذا ألقاه في روعه متلقاة بفهمه»[(١)].

ويقول الرازي: «كان عمر رضي الله عنه محدثًا» أي: صادق الحدس كأنما حدث بما ظن[(٢)].

ويقول الفيروزابادي: «والمحدث كمحمد – الصادق»[(٣)].

ويقول الجوهري: «ويقال للرجال الصادق الظن: محدَّث بفتح الدال مشددة»[(٤)].

وهكذا فإن علماء اللغة تتوافق تعريفاتهم على أن المحدث وصف حسن لشخص له رجاحة العقل وصدق الفراسة ما يتوقع بهما الأمر قبل ظهوره فيكون كما توقع لصفاء ذهنه ورجاحة عقله وحزمه في الأمور واستقامته في الدين والصلاح.

٢ - التعريف الشرعي بالمحدث:

اختلفت ألفاظ العلماء في الصفة التي تكون في المحدَّث إلا أنه رغم اختلافاتهم فإنهم يتفقون في مجموع الأقوال المختارة كما اتفق أهل اللغة على أن الشخص المحدث هو المصيب في ظنه الصادق في فراسته الذي يجري الصواب على لسانه.

---

(١) تهذيب اللغة جـ٦ صـ٣١٩.

(٢) أساس البلاغة صـ٧٦.

(٣) القاموس المحيط جـ١ صـ١٧٠.

(٤) الصحاح جـ١ صـ٢٧٩.

ونذكر -فيما يلى- بعض أقوال العلماء في التعريف بالمحدث.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في تفسير «محدَّثون»: هو بفتح الدال جمع محدث واختلف في تأويله:

١- فقيل: ملهم قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به وبهذا جزم أبو أحمد العسكري.

٢- وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

٣- وقيل: مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة.

٤- وقال الطيبي: المراد بالمحدث الملهم البالغ في ذلك مبلغ النبي ﷺ في الصدق[1].

ولم يرتض بعض العلماء القول بأن المحدث هو الذي تخبره الملائكة، وفي صحيح مسلم قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون»[2].

وقد ذكر الإمام النووي في شرحه لحديث عائشة في فضائل عمر ﷺ الذي فيه التصريح بأن عمر من المحدثين ذكر خلاف العلماء في معنى محدث إلى أن قال: فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا وقيل: تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية: مكلمون، وقال البخاري: «يجري الصواب على ألسنتهم»[3].

والذي يهمنا من بيان حال هؤلاء هو صحة وجودهم وأنهم على صفة لا تصل إلى الاشتباه بالنبوَّة بأي حال. وإنما هي فراسة قوية تصدر منهم ويكونون على الصواب فيما قالوه وفعلوه ودون أن يدَّعوا أية ميزة لأنفسهم بل هم متواضعون أصحاب صدق ودين وأخلاق حسنة كافأهم الله على صلاحهم بأن أوجد فيهم تلك الصفة.

---

(١) فتح الباري بتصرف وزيادة الترقيم للأقوال جـ٦ صـ٥٠.

(٢) صحيح مسلم جـ٥ صـ٢٥٩.

(٣) صحيح مسلم جـ٥ صـ٢٥٩.

المبحث الثاني...

أدلة القول بوجود المحدثين وفيه المسائل الآتية:

١ - المسألة الأولى: ذكر الأدلة من القرآن الكريم.

لم يرد في القرآن الكريم التصريح باسم «المحدث» إلا ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنه كان يقرأ الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾[١] كان يقرأها بزيادة «ولا محدث» قال ابن حجر: «وإسناده إلى ابن عباس صحيح»[٢].

قال الشوكاني: «وقد أخرج عبد بن حميد وابن الأنباري في «المصاحف» عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث» وأخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فنسخت «محدث»[٣].

٢ - المسألة الثانية: ذكر الأدلة من السنة النبوية:

فقد ورد ذكر المحدث مرادًا به الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»**. زاد زكريا بن أبي زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر»**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من نبي ولا محدث»[٤]. وقد أخرج هذا الحديث الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها[٥]. وفيه روايات أخرى في غير الصحيحين. وهذه إحدى

(١) سورة الحج آية ٥٢.

(٢) فتح الباري جـ٦ صـ٥١.

(٣) فتح القدير جـ٣ صـ٤٦٣.

(٤) صحيح البخاري جـ٧ صـ٤٢.

(٥) صحيح مسلم جـ٥ صـ٢٥٩.

فضائل عمر رضي الله عنه، ومنقبة جليلة وهنا ملاحظة في قول الرسول ﷺ: «**فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر**» هل كان الرسول ﷺ متردداً في إثبات ذلك قال ابن حجر: «قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء. وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم[1] في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي، واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي»[2] إلخ ما ذكره.

ويتبادر إلى الذهن سؤال آخر... هو ما هو السبب في تخصيص عمر رضي الله عنه بهذه الفضيلة؟

والجواب ذكره ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات»[3].

وهذه الموافقات التي أشار إليها ابن حجر رحمه الله منها ما ذكره عمر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم عن نافع عن ابن عمر قال: « قال عمر: وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»[4]. ومنها موافقة عمر لربه حينما اجتمع نساء رسول الله ﷺ في الغيرة.

فقال لهن عمر: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ» فنزلت الآية بذلك[5]. وكذا منعه الصلاة على المنافقين ونزول الآية بذلك[6].

---

(١) أي: المحدثون.

(٢) فتح الباري جـ٧ صـ٥١.

(٣) فتح الباري جـ١ صـ٥١.

(٤) شرح النووي على مسلم جـ٥ صـ٢٥٩.

(٥) سورة التحريم الآية ٥.

(٦) سورة التوبة الآية ٨٤.

وكذا موافقته في تحريم الخمر، فهذه ستُّ خصال قال النووي: «وليس في لفظه ما ينفي زيادة الموافقة»[١].

وهل للمحدثين عدد مخصوص؟

الذي يتبادر إلى الذهن أنه ليس لهم عدد مخصوص غير أن الشَّوكانيَّ فيما ينقله عن ابن أبي حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «المحدثون صاحب يس، ولقمان، ومؤمن آل فرعون، وصاحب موسى»[٢].

ويبدو أن هذا التحديد اجتهادٌ منه كما أن هؤلاء الذين ذكرهم يدخلون ضمن المحدثين، وفضل الله تعالى واسع، وأمة محمد ﷺ هي الأمة المرحومة والمشرَّفة بكل الخصال ولا محذور في القول بزيادة المحدثين - والله أعلم - إلا ما يستغله بعض الكذابين المتهورين من ادعاء ذلك والإلهام والنبوة بعد ذلك بل والألوهية في نهاية المطاف إذا وجد من يستجيب له في كل ترهاته ولكن ليس من المحتم قفل الباب من أجل هؤلاء، والله أعلم.

٣- المسألة الثالثة: بيان منزلة المحدثين.

لم تؤكد النصوص الواردة في المحدثين على وجودهم في هذه الأمة غير ما مرَّ في الأحاديث من أحقية عمر رضي الله عنه بها لو كانت موجودة وغير ما قرأ ابن عباس ولم تبن النصوص على وجودهم أي شيء في الشرع، وغاية ما فيها هو الإخبار بأن في الأمم قبل أمة محمد ﷺ وخصوصًا بني إسرائيل كان فيهم محدثون لشدة حاجتهم إليهم فإن كان الأمر لا يزال في بقاء المحدثين فإنه في هذه الأمة يصدق على عمر رضي الله عنه[٣] حقيقة كما تقول: إن كان لي صديق فهو فلان تريد التأكيد، ولا شك أنها منقبة عظيمة لعمر رضي الله عنه حتى ولو لم يرد النص بالتأكيد على وجودها في عمر رضي الله عنه على القول الآخر، وهو أن

---

(١) شرح النووي على مسلم جـ٥ صـ ٢٦٠.

(٢) فتح القدير جـ٣ صـ ٤٦٢.

(٣) وينبغي ملاحظة معنى قول الرسول: «فإن يكن في أمتي» وقد سبق نفى ابن حجر أن يكون قاله الرسول للتردد.

الرسول ﷺ لم يؤكد وجودها في أحد من أمته لاستغنائهم بالقرآن عن حدوث نبي كما تقدم أي: ولو كانت أمة محمد في حاجة إلى وجودهم لكان عمر رضي الله عنه في أولهم. ومهما كان الحال – أي: اعتبار وجود المحدثين في هذه الأمة أو عدم وجودهم فإن منزلة المحدث أقل بكثير من منزلة النبي . بل ولا مقارنة بينهما فالبون بينهما شاسع، إذ النبي يوحى إليه ويأخذ عن الله مباشرة أو بواسطة ملك، وأما المحدث فإنه يمتاز بفضل صدق ظنه لا غير، وقد يخطئ وقد يصيب. إلا أن كثيرًا من أصحاب القلوب المريضة والأمزجة الفاسدة استغل مسألة «المحدث» - كما تقدم – فأخذ يدعو لنفسه ويضخم من منزلته ووصوله إلى مرتبة تقريب الله له والوحي إليه، وبعضهم يدَّعي أنه بطريق مباشر، وبعضهم يدَّعي أنه عن طريق روعه وخاطره ثم يتخذها صفة ملازمة له في كل أحواله ويمتلأ خياله ووساوسه بمثل تلك الأحلام التي جاءته في يقظته فإذا أقبل الناس عليه وتوسَّموا فيه الخير منخدعين بزخارفه سرعان ما ينقل نفسه نقلة أخرى يصل فيها إلى دعوى النبوة فيفتتن به من سبق في علم الله شقاوته ممن قلت معرفته واستحوذت عليه شياطين الإنس والجن فأصبح ضالاً مضلًّا يخرج عن دينه من حيث يشعر أو لا يشعر ويزين له سوء عمله فيرى الكذب صدقًا والسراب ماءً. ولقد وجد متنبئون كثيرون كانت خطواتهم الأولى هي دعوى وحي الله له عن طريق روعه وأنه ملهمٌ ومحدَّث وأن الملائكة تخبره بما تلقيه في نفسه من الأمور المغيبة، وهكذا يبدأ السير في الطريق الخاطئ. ولجهل هؤلاء وإسرافهم على أنفسهم يعتقد الشخص منهم أحيانًا بأنه ألقى في روعه أمور. مع أنها لا تتفق مع الشرع الحنيف ومع ذلك يعتقد أنها من إلهام الله إليه.

المسألة الرابعة: الفرق بين المحدثين وبين الأنبياء والرسل:

لقد تبيَّن مما سبق ذكره الفرق بين المحدث وبين النبي، فإن المحدث هو شخص صالح يمتاز برجاحة العقل وصدق الفراسة، وقد تكون تلك الصفات موهبة من الله تعالى، وقد تكون مكتسبة كما أن المحدث لا يتحدى بفراسته أحدًا ولا يدعي الصواب في كل أموره، يظهر عليه التواضع ولين الجانب والصدق في الكلام، ومعلوم

أنه لا يلقى في روعه إلا ما يوافق الشرع ورضى الله تعالى، فهو غير مشرع وليس ما يقوله حجة على الشرع بل الشرع حجة عليه.

أما النبي ﷺ فله صفات أخرى عالية ومستوى لا يصل إليه أحد من الناس مهما كان صلاحه وتقواه فالنبوة اصطفاء من الله تعالى وليست مكتسبة. النبي مؤيَّد من الله تعالى يتحدى بمعجزاته خصومه؛ لأنها ليست من صنع البشر، كلامه تشريع والوحي إليه صادق لا ينطق عن الهوى. لا تناقض في أفعاله أو سلوكه أو أخباره يكاد ينطق لسان حاله بصدقه وبراءته ولا يشتبه المحدث بالنبي عند أهل العقول السليمة.

المسألة الخامسة: سبب ذكر هؤلاء في مبحث المتنبئين.

وفي ختام هذه الكلمة الموجزة عن المحدثين أكرر القول أن السبب الذي دعاني إلى الحديث عن المحدثين إنما هو التنبيه والتحذير من حبائل الشيطان ومكايده ولئلا يغتر الناس بكل شخص تظهر عليه الاستقامة ثم يدعي لنفسه نوعًا ما من هذه الأمور التي إذا انساق معها أخرجته عن دينه من حيث يشعر أو لا يشعر.

مع أن المؤمن المتقي حقيقة هو الذي لا يتبجح بشيء من هذه الإلهامات أو صدق الفراسة في كل شيء فضلاً عن كونه يتطاول بها مغتراً بما حصل له من صدق المواقف في بعض أموره. ذلك أن من شأن المؤمن دائمًا مراقبة نفسه متخوفًا أن يكون ذلك استدراجًا ومكرًا به؛ لأنه يعلم أن التمدح بذلك أقل ما يخاف عليه منه الغرور والرياء، وهو الشرك الخفي الذي خاف الرسول ﷺ على أمته وحذر منه.

يقول شيخ الإسلام عن المحدثين: «فهؤلاء المحدثون المسلمون المخاطبون يوحي إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطاب وإلهام وليسوا بأنبياء معصومين مصدقين في كل ما يقع لهم فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيحاء الرب بل من إيحاء الشياطين، وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحي الرحمن ووحي الشيطان فإن الشياطين أعداؤهم وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء»(١).

(١) انظر النبوات جـ ٢ صـ ٨٣٣.

وهنا أود التنبيه إلى موقف الرافضة من المحدثين من هم وما هي منزلتهم عندهم؟ وإذا رجعت إلى أصول الكليني من «الكافي» فستجد عجائب الأمور من المبالغات الجوفاء والقول على الله كذبًا وزورًا، وأول ما يطالعك في هذا الكتاب بالنسبة لهذه المسألة قوله: «باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون» ثم ساق رواية إلى أبي جعفر أنه أرسل زرارة بن أعين أن يعلم الحكم بن عتيبة أن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدثون ثم ساق رواية أخرى عن الحكم بن عتيبة عن علي بن الحسين «أن عليًا رضي الله عنه كان يعرف الأمور العظام بسبب أنه كان محدثًا» ثم أورد رواية عن أبي الحسن – ولعله عليٌّ رضي الله عنه – أنه قال: «الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون» ثم يبلغ الكذب نهايته بجعله عليًّا رضي الله عنه نبيًّا أو قريبًا من النبوة حين زعم أن أبا جعفر قال لحمران بن أعين – في رواية طويلة – إن عليًّا كان يحدثه ملك فقال له حمران: تقول: إنه نبي قال محركًا بيده هكذا: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أو ما بلغكم أنه ﷺ قال: «**وفيكم مثله**»[(١)].

وقد بدد هذا التواضع هنا حيث رفع عليًّا والأئمة فوق منزلة النبوة في عدة أبواب منها « باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام»[(٢)]. «باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا»[(٣)]. «باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم»[(٤)]. «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء عليهم السلام»[(٥)]. «باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه»[(٦)].

---

(١) انظر كتاب الأصول من الكافي جـ ١ صـ ٢١٢-٢١٣.

(٢) جـ١ صـ١٩٩.

(٣) جـ١ صـ٢٠٢.

(٤) جـ١ صـ٢٠٢.

(٥) جـ١ صـ٢٠٣.

(٦) جـ١ صـ٢٠٧.

الفصل الثاني ...

المجـــــــــــــددون

المجددون...

المجددون هم علماء هذه الأمة الإسلامية، يجدد الله بهم ما غفل الناس عنه من أمور الدين ويعيدون الحقوق إلى نصابها.

وقد وردت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ أنه في كل مائة سنة يبعث الله من يشاؤه لتجديد أمور الدين لا يدعون النبوة ولا المعجزات بل لا يحبون أن يشار إليهم أو يظهرون أنفسهم يؤثرون العمل لله بصمت.

وقد ذكرتهم في هذا البحث المخصص للمتنبئين بعد محمد ﷺ لئلا يخفى أمرهم على من لا يعرف حقيقتهم فيلتبس عليه أمر هؤلاء الأتقياء بأولئك الأشقياء فإن كثيرًا من الدجاجلة ومدعي النبوة أول ما ينتحل صفة التجديد فإذا وجد آذانًا صاغية انتقل إلى المراحل الأخرى، وقد يقف عند دعوى النبوة وقد يستمر إلى أن يدعي الألوهية حسب إقبال الناس عليه وقبولهم لأفكاره والمجددون برءاء منهم ومن إلحادهم.

وقد جاء ذكر هؤلاء المجددين فيما رواه أئمة الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يبعث لهذه الأئمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح»[١]. واستطرد في ذكر العلماء الذين رووا الحديث وأخذوا به والروايات المختلفة للحديث وأسماء العلماء الذين قيل: إنهم كانوا مجددين في زمنهم، وكتّيبه مخصصٌ كله لبحث هذه الأمور فليرجع إليه من أراد الزيادة فإنَّ بحثنا لا يتعلق بكل التفاصيل التي قيلت عن المجددين، وإنما هي إشارة إلى التفريق بين هذه المصطلحات، مُلْهم، ومجدِّد، ومحدَّث . والله أعلم.

(١) التنبه من يبعثه الله على رأس كل مائة صـ١٩.

الفصل الثالث...

المهـدي المنتظـــر

المهدي المنتظر...

لقد كثر كلام العلماء حول هذه الشخصية بين مصدق ومكذب ومؤول ومتوقف كما كثرت أخباره في كتب الفرق والمؤرخين والمحدثين، وبعضهم خصصه بمؤلفات إضافة إلى كثرة من استغل أخباره لينفذ منها إلى دعوى النبوة. ومما لا يخفى على القارئ أن ذكر المهدي وأخباره غير وراد في موضوع هذا البحث فهو ليس من المتنبئين الذين نحن بصدد دراستهم، وإنما أحببت الإشارة إليه هنا لهدف مهم وذلك أن كثيرًا من الناس استغلوا ما ورد عنه لتحقيق مآربهم وبعضهم اغتروا بأخباره فتصوروا خطأً إمكان ظهوره في كل زمن وعلى كلِّ قوم، والذي يهمنا أن دعوى المهدية كانت متكئًا لكثير من الدجاجلة الفجار الذين ادعوا لأنفسهم المهدية ثم لم يقفوا على دعواهم هذه بعد أن قبل منهم الذين هم على شاكلتهم . بل تجاوزوا إلى إدعاء النبوة ولهذا نجد كثيرًا من المتنبئين أول ما بدءوا دعوتهم بالإصلاح والرجوع إلى الدين وأنهم من المجددين ثم بعد ذلك ادعوا المهدية ثم النبوة. وهكذا تمت هذه الخدعة الإلحادية على طوائف لا يعلمهم إلا الله تعالى، وقد ترتب على دعواهم هذه فتن ومصائب اصطلى بنارها كثير من المسلمين نصرة لأولئك المتمهدين المتنبئين الذي لم يوجد لديهم من التقوى ما يردهم عن غيِّهم واستغلال هذه القضية لمآربهم المختلفة . ومن هنا فإني أرى أن الإشارة إلى المهدي بإيجاز دون تفصيل أمرهم في حدود ما قدمنا ذكره تتمة للفائدة ونفعًا لعامة المسلمين كما رغب في ذلك الشرع الشريف.

وإذا كان لأهل الباطل مهديُّون مختلفون ضالُّون مضلون، فإن لأهل السنة والجماعة مهديًّا واحدًا تضافرت النصوص بذكر اسمه ونسبه وصفاته ومكان ظهوره وأتباعه وإقامته للحق، والبركة التي تحصل في زمنه في وحدة المسلمين بعد تفرقهم وإقامة الشرع الإسلامي بعد تراجعه . وخروجه من علامات يوم القيامة القريبة.

إن المهدي عند أهل السنة والحق الذي تضافرت النصوص بذكره هو المهدي الوارد في السنة من أن اسمه واسم أبيه موافقٌ لاسم الرسول ﷺ واسم أبيه أي محمد ابن عبد الله – يبايع وعمره أربعون سنة تقريبًا مولده بالمدينة على الراجح من أقوال العلماء. ولقبه المهدي لأن الله هداه للحق. وهو من أهل بيت النبي ﷺ يبايع له الناس بين الركن والمقام بمكة المكرمة في البيت العتيق يجمع الله به شمل المسلمين في وقته ويعز الله به الإسلام وأهله قيل في صفاتة: إنه آدم [(١)] ضرب من الرجال [(٢)] ربعة[(٣)] أجلى الجبهة [(٤)] أقنى الأنف[(٥)] أشمه[(٦)] أزج[(٧)] أبلج[(٨)] أعين[(٩)] أكحل العين[(١٠)] براق الثنايا[(١١)] أفرقها[(١٢)] في خده الأيمن خال أسود كث اللحية إلى آخر ما جاء في صفاته.

يخرج فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتأمن المخلوقات ويكثر الخير ويفشو ويظهر العدل وينتهي الجور والظلم، يعيش ما بين سبع إلى تسع سنوات، وقد ورد أحاديث كثيرة في خروجه وصحت مرفوعة إلى النبي ﷺ حتى وإن لم يرد التصريح باسمه في الصحيحين إذ لم يلتزم البخاري أو مسلم رحمهما الله بإيراد كل ما صح من

---

(١) أي أسمر.

(٢) أي خفيف اللحم.

(٣) أي لا هو طويل ولا قصير.

(٤) أي واضح الجبهة لعدم كثافة الشعر عليها.

(٥) طويل الأنف مع دقة أرنبته.

(٦) رفيع العرنين.

(٧) حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده.

(٨) أي ظاهر عليه البشر والبلاجة.

(٩) عيناه واسعتان.

(١٠) سوداويتان من غير كحل.

(١١) أي لثناياه بريق ولمعان.

(١٢) ليست متلاصقة وبعض هذه المعاني مأخوذة عن «أهوال يوم القيامة وعلامتها الكبرى» صـ ٢٠.

الأحاديث.

على أنه توجد أحاديث ضعيفة وموضوعة إلى جانب وجود الأحاديث الصحيحة غربلها علماء السنة وبينوا الحق فيها والباطل خلفًا عن سلف، واتفق أهل الحق على الاعتقاد بظهور المهدي ومن ذكر عنهم خلافًا فلقلة اطلاعه على كتبهم أو عدم وقوفه على أقوالهم.

وقد انقسم الناس في تلقي أخبار المهدي إلى أقسام:

١- قسم من العلماء - وهم أهل السنة وهم الأسعد بالدليل والحق - ذهبوا إلى إثبات المهدي المنتظر الوارد اسمه وصفته في الأحاديث الصحيحة.

٢- وقسم ذهبوا إلى إنكاره بحجج واهية لعدم اطلاعهم على الأحاديث الثابتة في حقه.

٣- وقسم ذهبوا إلى القول بأن كل ما ورد عن المهدي فهو من الإسرائيليات ومن هؤلاء محيي الدين عبد الحميد كما في تعليقه على الحاوي للفتاوي للسيوطي[١].

٤- وقسم ذهبوا إلى تأويل ما جاء عن المهدي تأويلاً باطنًا، ومنهم محمد أبو عيبة المصري كما قال في مقدمته لكتاب «النهاية» لابن كثير: «إن ظهور المهدي ونزول عيسى ابن مريم هما رمزان لانتصار الخير على الشر وأن الدجال رمز لاستشراء الفتنة واستغلاء الضلال فترة من الزمن ثم تهد قوائمه وتدرك دعائمه بصولة الحق».

انظر الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي[٢]. أما الشيعة الاثنى عشرية فإن المهدي المزعوم عندهم هو محمد بن الحسن العسكري، ولبعض فرقهم مهديون حسب اختيارهم وأهوائهم في زعمائهم. ولهذا فقد كثر المهديون

---

(١) جـ١ صـ١٦٦.

(٢) صـ١٦٤.

عندهم كما أن المهدي عندهم هو من ولد نرجس زوجة الحسن العسكري.

وعن أهل السنة هو من ولد فاطمة بنت الرسول الله ﷺ، وعند الشيعة يخرج من سرداب دار أبيه في «سر من رأى» وعند أهل السنة يظهر الله أمره من مكة من البيت الحرام... إلخ ما بينهم من الفروق الكثيرة جدًّا في شأن المهدي.

ولقد استفاضت المثبتة للمهدي في كتب أهل السنة بما لا يدع مجالاً للشك فيه أو تأويل ما جاء في حقه ونأخذ من ذلك ما يلي:

١ - وردت في الصحيحين أحاديث تدل على المهدي بخصوصه وإن لم يذكر فيها اسمه مثل ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتم إذا انزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**[1]. أي الإمام المهدي، وجاء في صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعالَ صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»**[2].

وهذان الحديثان وإن كان ليس فيهما التصريح باسم المهدي غير وصفه بالإمام للمسلمين أو الأمير لهم لكن وردت أخبار كثيرة تدل على أن هذا الإمام أو الأمير إنما هو المهدي كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي تعالَ صلِّ لنا فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة»**[3].

قال ابن القيم في المنار المنيف: «وهذا إسناد جيد»[4]. قال الشيخ صديق حسن

(١) صحيح البخاري جـ٦ صـ٤٩١، ومسلم جـ١ صـ٣٧٣.

(٢) صحيح مسلم جـ١ صـ٣٧٤.

(٣) صحيح مسلم جـ١ صـ١٣٧ رقم ١٥٦.

(٤) المنار المنيف صـ١٤٨.

خان بعد أن ذكر عدة أحاديث عن المهدي آخرها حديث جابر عند مسلم قال معلقًا عليه: «وليس فيه ذكر المهدي ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة»(١).

ورد في صفة خروجه من الأحاديث النبوية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحًا»** فقال له رجل: ما صحاحًا؟ قال: **«بالسوية بين الناس»** قال: **«ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنًى ويعم عدله حتى يأمر مناديًا فينادي فيقول: من له في مال حاجة فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول: ائت السَّادن** - يعني: الخازن- **فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيقول له: احث حتى إذا جعله في حجره وائتزره ندم فيقول كنت أجشع أمة محمد نفسًا أو عجز هم عني ما وسعهم قال: فيرده فلا يقبل منه فيقال له: إنا لا نأخذ شيئًا أعطيناه فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده** - أو قال:- **ثم لا خير في الحياة بعده»**(٢).

ورد عن مدة إقامته ومكثه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها يرسل السماء عليهم مدرارًا ولا تدخر الأرض شيئًا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ»**(٣).

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

---

(١) الإذاعة صـ٥٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند جـ٣ صـ٣٧ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: «رواه أحمد بأسانيد مجمع الزوائد جـ٧ صـ٣١٣.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد جـ٧ صـ٣١٧ وورواه ابن ماجه جـ٢ صـ١٣٦٧.

وورد في وصفه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، ويملك سبع سنين»**. رواه أبو داود.

وقال ابن القيم في المنار المنيف: «رواه أبو داود بإسناد جيد. وقد أكثر العلماء من إيراد أخبار المهدي بحيث لا يتسع المقام لذكرها هنا، ولكني أحيل القارئ الكريم إلى ما كتبه هؤلاء في مؤلفاتهم الكثيرة نقلاً عن الصحابة رضوان الله عليهم وعن علماء أهل السنة الجهابذة.

وقد ذكر الشيخ عبد المحسن العبَّاد منهم ستة وعشرين صحابيًّا[١] ذكرهم بأسمائهم.

وذكر أن العلماء الذين خرَّجوا أحاديث المهدي يصل عددهم إلى ستة وثلاثين ذكرهم بأسمائهم[٢].

وأن الذين أفردوا هذه القضية بالتأليف كثيرون منهم أبو بكر ابن أبي خيثمة. والحافظ أبو نعيم، والسيوطي في كتابه: «العرف الوردي في أخبار المهدي»، وابن كثير في كتابه: «الفتن والملاحم» والفقيه ابن حجر المكي في كتابه «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»، ومنهم علي المتقي الهندي صاحب كنز العمال حيث أَلَّف في المهدي رسالة، ومنهم ملا علي قاري في كتابه: «المشرب الوردي في مذهب المهدي»، ومنهم مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه: «فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر» ومنهم القاضي محمد ابن علي الشوكاني في كتابه: «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح» ومنهم الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام. ويطول النقل لو أوردنا ذِكْرَ كلٍّ من ذكر المهدي أو روى فيه شيئًا.

---

(١) انظر كتابه «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» صـ١٦٦.

(٢) انظر السابق.

رد شبهة:

وبعد ما قدمنا ذكره عن المهدي الحق فإنه يجب التنبيه على ما يعتقده بعض الناس من نفي فكرة المهدي الذي بثت ذكره في السنة النبوية كما تقدم، وهؤلاء مخطئون سواء كانوا من العلماء أم من العامة، ومن اطلع على النصوص المثبتة للمهدي وردَّها فإنه يخاف عليه الزيغ باستكباره عن الحق ورفضه له وقد كتب بعض العلماء في نفي ثبوت وجود المهدي وادعى شبهات ونصوصًا غير صحيحة(١). ورد عليه بعض العلماء وفنَّد تلك الشبهات وبيَّن زيفها(٢).

ولعل الذي حمل هؤلاء النفاة على القول بعدم وجود المهدي أمران:

الأول: عدم اطلاعهم الكافي على النصوص الثابتة المثبتة له ووافق هوى في نفوسهم فنفوه.

والثاني: لعله يعود إلى ضيق صدورهم من قيام هؤلاء الدجاجلة على مدار التاريخ بادعاء هذه الشخصية ثم ادعاؤهم النبوة بعد ذلك ولكن ليس من الحق أن يغفل النظر عن الأحاديث الواردة في المهدي لأجل هذا الوضع الباطل، وفي هذا يقول الشيخ العباد: إن وجود متمهديين من المجانين وأشباه المجانين يخرجون في بعض الأزمان ويحصل بسببهم على المسلمين أضرار كبيرة لا يؤثر في التصديق بمن عناه الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة وهو المهدي الذي يصلي عيسى ابن مريم ﷺ

---

(١) مثل ما كتبه الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود بعنوان «لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر» فقد أعاد وأبدى وجاء بالنصوص والشبهات التي استدل بها على نفي وجود مهدي منتظر مخالفًا بذلك أهل الحق، وقد اعتمد على ما يظهر على نفي ابن خلدون له في مقدمته في التاريخ أو تردده في إثباته مع أن ابن خلدون ليس بحجة على المحدثين لأنه مؤرخ.

(٢) مثل الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه: «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» وكتابه «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»، وقد توسع واستعمل الرد على ما كتبه الشيخ آل محمود فليرجع من يهمه التوسع في أخبار المهدي إلى ما كتبه ابن خلدون وما كتبه آل محمود وردِّ الشيخ العباد على النفاة.

خلفه . فما ثبت عن رسول الله ﷺ وجب التصديق به، ويجب القضاء على كل متمهدٍ أو غير متمهدٍ يريد أن يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم. والواجب قبول الحق ورد الباطل لا أن يرد الحقُّ ويكذَّب بالنصوص من أجل أنه ادعى مقتضاها مدَّعون مبطلون دجَّالون»[1].

وسنذكر بالتفصيل إن شاء الله قسمًا كبيرًا من هؤلاء الذين ادعوا المهدية ثم النبوة بعد ذلك في أثناء هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى.

وعلى ضوء ما تقدم فإنه لا مهديَّ إلا محمد بن عبد الله وهو من ولد فاطمة يخرج في الزمان الذي يشاؤه الله تعالى على وفق ما أخبر به الصادق المصدوق وكما أننا نؤمن بأنه لا نبيَّ بعد محمد ﷺ يكون في هذه الأرض؛ لأن الله ختم به النبوة فمن ادعاها بعده فهو كاذب، مع إيماننا الراسخ بوجود المهدي المنتظر الذي سيجدد الدين في هذه الأرض بعد محمد ﷺ قبل يوم القيامة نؤمن بذلك إيمانًا تامًّا ولا نحيد عنه إن شاء الله تعالى أبدًا، كما نؤمن إيمانًا جازمًا بنزول نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى الأرض قبل يوم القيامة وهذا ثابتٌ لا جدال فيه بين أهل الحق ومن أنكر رجوعه فإما لجهله أو لزيغ في اعتقاده ولم ينتحل أحد شخص المسيح - كما حصل لشخص المهدي اللهم إلا ما حصل من غلام أحمد القادياني المتنبيء الكذاب الذي سندرس أفكاره بالتفصيل فإنه تجرأ على شخص المسيح فبدأ دعواه بأنه شبيه بالمسيح تمامًا ثم إنه ظل المسيح وصورته ثم إنه هو نفسه المسيح ابن مريم في أقوال فارغة يستحي العاقل من نسبتها إلى نفسه.

وهنا ملاحظة في ختام هذه الإشارة إلى المهدي جديرة بالاهتمام وهي وجود بعض الروايات التي تنفي ظهور المهدي مثل الحديث المروي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارًا ولا الناس إلا شحًّا ولا تقوم**

---

(١) الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي صـ ١٢.

الساعة إلا على شرار الناس ولا مهديَّ إلا عيسى ابن مريم»[١]. والحقيقة أن هذه الرواية لا ينبغي أن يعارض بها الأحاديث الصحيحة في شأن المهدي لأمرين:

١- الأمر الأول: لضعف هذا الحديث.

٢- لإمكان الجمع بينهما لو صح الحديث بها.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن أورد عدة أحاديث عن المهدي فقوله: «**ولا مهديَّ إلا عيسى**» يعارض أحاديث الباب فقيل: إن هذا الحديث لا يصح لأنه انفرد بروايته محمد بن خالد الجندي، قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: «الجندي هذا مجهول واختلف عليه في إسناده إلى قتادة يرويه عن أبان بن صالح عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً مع ضعف أبان، وتارة يرويه عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بطوله فهو منفرد به مجهول عن أبان وهو متروك عن الحسن منقطع، والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث والحكم لها دونه»[٢].

وبهذا يتضح أن الحديث ضعيف ولا يقارن بالأحاديث والأخبار المتواترة بمجيء المهدي قبل نزول عيسى ﷺ وأنه من ولد فاطمة هذا بالنسبة للأمر الأول وهو ضعف هذا الحديث عن معارضة الأحاديث الأخرى الثابتة.

أما بالنسبة للأمر الثاني: وهو على افتراض أن الحديث صحيح فقد جمع القرطبي - رحمه الله - بينه وبين الأحاديث الأخرى بقوله: قلت: «ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا مهديَّ إلا عيسى**» أي: لا مهديَّ كاملاً معصومًا إلا عيسى وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض»[٣].

وهذا الجمع على اعتبار أن الحديث صحيح، وأما على القول بضعفه فالأمر

---

(١) أخرجه ابن ماجه جـ ٢ صـ ١٣٤١.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صـ ٧٢٢.

(٣) التذكرة صـ ٧٢٣.

واضح. وهنا تنبيه آخر يتعلق بالقول بعصمة المهدي ذلك أن الشيعة لا يستثنون عصمة أحد من أهل البيت فالكل له العصمة الكاملة في معتقدهم، وأهل السنة بخلاف هذا الاعتقاد فإنهم لا يقولون بعصمة أحد غير الأنبياء فيما من شأنه وجوب التبليغ، والمهدي الذي جاءت به الأحاديث في ميزان أهل السنة «لا يعدو كونه إمامًا من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل ويطبقون شريعة الإسلام يولد في آخر الزمان ويتولى إمرة المسلمين ويكون خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء في زمانه وهو غير معصوم، ومستندهم في ذلك أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ مدوَّنة في دواوين أهل السنة قال بصحتها وثبوتها جهابذة أهل العلم المعتدُّ بهم مثل البيهقي والعقيلي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم»[١].

وبعد إيراد ما تقدم من أخبار المهدي هناك شخصية أخرى نفذ منها كثير من أهل الباطل وزخرفوا فيها الأقاويل ليتقبلها الجهال ظانين أنها حقائق، وهذه الشخصية هي شخصية الخضر فيا ترى من هو الخضر وما هي أخباره؟! سنذكر ذلك فيما يلي:

(١) انظر الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الورادة في المهدي صـ٨.

الفصل الرابع...

الخـــضـــــــــــر

الخضـــــــر..

الخضر عبد من عباد الله الصالحين لم يرد اسمه في القرآن الكريم بل وصفه بالعبودية، وأن الله أعطاه رحمة وعلمًا من الله عز وجل. وللعلماء في ذكر اسمه اختلافات كثيرة وهي:

١- إن اسم الخضر إيليا.

٢- إن اسمه المعمر بن مالك.

٣- أرميا بن خلقيا.

٤- خضرون بن قابيل بن آدم وقيل: خضرون بن عمايين.

٥- إيليان بن ملكان.

٦- وقيل: اسمه ملكان.

٧- وقيل: بليا.

وقد لا يكون هناك حاجة إلى ذكر اسمه بقدر معرفة نعم الله عليه وموقف موسى معه، ولهذا لم يذكر الله في القرآن الكريم اسمه صراحة وقد ذكره الرسول ﷺ بلقبه خضر. ويذكر العلماء أن كنية الخضر «أبو العباس» والله أعلم بحقيقته، وقد ثبت لقبه الخضر كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»**[1].

نبوة الخضر:

اختلفت العلماء في القول بنبوة الخضر هل كان نبيًّا أم كان وليًّا صالحًا:

١- فذهب بعضهم إلى القول بأنه كان نبيًّا.

٢- وذهب آخرون إلى أنه كان وليًّا صالحًا، وعلى القول الأول عدد من العلماء

(١) رواه البخارى جـ٦ صـ٤٣٣ «أحاديث الأنبياء ٢٧» والفروة قال ابن كثير عن عبد الرزاق: هي الأرض البيضاء التي لا نبات فيها وقال غيره: هو الهشيم اليابس شبهه بالفروة. البداية والنهاية جـ١ صـ٣٢٧.

منهم ابن كثير - رحمه الله - إلا أنه قد ذكر أقوالاً أخرى أيضًا في حقيقة الخضر فقال: «فهو نبي وقيل: رسول وقيل: ولي، وأغرب من هذا من قال: كان ملكًا. قلت: وقد أغرب جدًّا من قال: هو ابن فرعون وقيل: إنه ابن ضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة... وقيل: إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل»(١).

ثم ذكر ابن كثير أيضًا قولاً حكاه عن الحافظ ابن عساكر أنه يقال: إن الخضر ابن آدم عليه السلام لصلبه، ورواية عن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال قال ابن كثير: وهذا منقطع وغريب... وقيل: كان نبيًّا في زمن بشتاسب بن لهراسب ومن الذين قالوا بنبوته ابن حجر كما قرره في رسالته: «الزهر النضر»(٢). والآلوسي كما في كتابه «روح المعاني»(٣) وكذا القرطبي(٤).

واستدل هؤلاء الذين قالوا بنبوته بأدلة هي:

١ - قول الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾(٥). قالوا: هذا دليل على أنه كان نبيًّا وأنه ما فعل شيئًا من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبيٌّ.

وقد استدل ابن كثير على نبوة الخضر من وجوه قال فيها: «وقد دلَّ سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾(٦).

الثاني: قول موسى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ

(١) انظر البداية والنهاية جـ١ صـ٢٩٩.

(٢) هكذا قيل، ولكن ابن حجر في فتح الباري جـ٦ صـ٤٩٩ لم يجزم بنبوته كما أفاده نقله عن العلماء في القول بنبوته أو عدمها.

(٣) روح المعاني جـ٥ صـ٩٢-٩٣.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ١ صـ٢٦.

(٥) سورة الكهف آية ٨٢.

(٦) سورة الكهف آية ٦٥.

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾[(١)].

وقد بيَّن ابن كثير وجه استدلاله بهذه الآية على نبوة الخضر بقوله: «فلو كان وليًّا وليس نبيًّا لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يردَّ على موسى هذا الرَّدَّ بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غيرَ نبي لم يكن معصومًا ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم وليٍّ غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضى حقبًا من الزمان قيل: ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظَّمه واتبعه في صورة المستفيد منه دلَّ على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد أحصى من العلوم الدينية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم وقد احتج بها المسلك بعينه الرومانى على نبوة الخضر عليه السلام.

الثالث: أن الخضر أَقْدَمَ على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا لوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقلٌّ على نبوته... وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصحته وحكى الاحتجاج عليه الروماني أيضًا.

الرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقته أمره وجلى قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ﴾ يعني: ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأوحي إلي فيه فدلت هذه الوجوه على نبوَّته»[(٢)].

٢- وأما أصحاب القول الآخر أي أن الخضر وليٌّ فأكثرهم من علماء التصوف، وحجتهم أن الله لم يذكر الخضر بالنبوة وإنما ذكره بأنه عبدٌ أعطي من العلم كثيرًا فلو

---

(١) سورة الكهف آية ٦٦-٧٠.

(٢) البداية جـ١ صـ٣٢٨.

كان نبيًّا لبدأ بذكر النبوة وردوا على الذين استدلوا لنبوته من قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ فقالوا: إن هذا كان عن طريق الإلهام كما أوحي إلى النحل وأم موسى هكذا وجهوا الآية ومهما كان فإن أدلة القائلين بنبوته أعم وأشمل وأقوى، ومن الغريب جدًّا أن ينفي المتصوفة نبوة الخضر - بغضِّ النظر عن كونه نبيًّا أو وليًّا - ثم ينقلون عنه من الأقوال والتصرفات ما يفوق فعل الأنبياء وتصرفهم ويبدو لي أن الذي حملهم على هذا التناقض هو رغبتهم أيضًا في ادعاء تلك المراتب التي يزعمونها إذ لو صحت للوليِّ لصحت لغيره في نظرهم، ومن هنا استسهلوا تلك الشطحات والخزعبلات التي اقتحموها. ويرد ابن كثير على الذين يقولون بأن الخضر وليٌّ من الأولياء وأن الله أعطاه من معرفة المغيبات ما قصه الله فقال ابن كثير بعد أن أثبت نبوة الخضر وأن الله يوحي إليه: «وإذا أثبت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته - وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر - مستند يستندون إليه ولا معتمد يعتمدون عليه»[١].

ولقد ذكر ابن كثير أحاديث كثيرة مكذوبة على الرسول ﷺ وعلى غيره من الصحابة حول الخضر وأبطلها كلها وهي طويلة لا لزوم لذكرها هنا[٢] فارجع إن شئت الزيادة إلى كتاب «البداية» لابن كثير رحمه الله.

ومما أحب تنبيه القارئ عليه أن الملا علي الهروي أبعد فذكر رواية أن الخضر كان أصله من الملائكة وذكر أشياء أخرى كثيرة حول حياة الخضر وإلياس واجتماعهما ومجيء الخضر للرسول ﷺ وللصحابة من بعده وتكليمه كثيرًا من الناس ورؤيتهم له وتفاصيل كثيرة توافق أذواق الصوفية الغلاة وكلها تفتقر إلى إقامة الحجة والدليل[٣] بل هي خيالات محضة.

---

(١) البداية جـ١ صـ٣٢٨.

(٢) انظر البداية جـ١ صـ٣٢٩-٣٣٤.

(٣) انظر كتابه «الحذر في أمر الخضر» الملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي.

سبب ذكر الخضر في هذه الدراسة:

شأن الخضر كشأن المهدي الذي تقدم الكلام عنه أي إنَّنا لم نذكر الخضر هنا على أساس أنه ادعى النبوة فإنه مبرأٌ من ذلك وإنما ذكرناه هنا للردِّ على كثير من الناس الذي يرون الخرافات حقيقة والكذب صدقًا حيث يتناقلون في أحاديثهم وجود شخصية الخضر النبي في كل زمان ومكان وأعان العامة على هذه الخرافات أكاذيب الصوفية الذين جعلوا من مثل هذه التلفيقات شركًا ومعيشة لهم وزعامة دينية تبوؤا بها المكانة العليا في قلوب من هم على شاكلتهم من العوام.

وإذا كان القول بوجود الخضر في كل وقت وأنه يمشي في الطرقات ويحضر أماكن لهو الصوفية ويحادثهم ويحادثونه على الدوام ويلقي إليهم الأوامر والنواهي والأدعية والأذكار ويشرع لهم بعض التشريعات ويوجبون العمل بها إذا كان الأمر كذلك فإنه يعني الاعتقاد بوجود نبي في الأرض بعد محمد ﷺ وأن الرسالة والنبوة لم تختم بمحمد ﷺ.

قال أبو محمد بن حزم بعد أن أشار إلى اعتقاد الصوفية في الخضر وردَّ عليهم بدليل عقلي قال: «ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقًا وكلمناهم، منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيرة وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية، ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب وأخبرني أنه جالس الخضر وكلَّمه مرارًا وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقول رسول الله ﷺ: **«لا نبي بعدي»** فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيًّا في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان»[1].

وفيما يلي سأذكر إشارة موجزة عن الخضر الذي ضل بسبب أخباره المتداولة بين الخاصة والعامة خلقٌ كثيرٌ ووجدت الخرافات فيها مرتعًا خصبًا أدَّت إلى عبادة القبور والطواف بها والاستغاثة بها وتقديم الذبائح والنذور لها والتشريع للناس

---

(١) الفصل جـ ٤ صـ ١٨٠.

والإيمان بالأوهام والخرافات.

ومما أحبُّ التنبيه عليه أنني قد تتبعت أخبار الخضر وأقوال العلماء فيه فوجدتها كثيرة جدًّا تحتاج إلى دراسة مستقلَّة بالإضافة إلى أنها تخرج بنا عن دراسة المتنبئين ففترت الهمة عن التعمق في ذلك، ومن أراد أن يقف على أخباره فعليه بكتب التاريخ مثل تاريخ الطبري، وابن كثير، وابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ، وعليه كذلك بالاطلاع على أقوال المفسرين عند شرحهم للآيات الواردة بشأنه في سورة الكهف مثل تفسير الطبري، وابن كثير، والشوكاني، والقرطبي، والرازي، وغيرهم من علماء التفسير، وعليه كذلك بكتب الحديث، الصحيحين، والسنن، وعليه كذلك أن يطلع على كتب العلماء في الردِّ على الأحاديث الموضوعة مثل كتاب «المنار المنيف» لابن القيم، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» و«المقاصد الحسنة» و«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» و«الفوائد المجموعة» وغير ذلك من كتب علماء الحديث، كذلك كتب التراجم وفي أولها: «الإصابة» – و«كتاب الأعلام» وغيرهما من كتب التراجم.

وكذلك كتب العقيدة وخصوصًا ما وجد في فتاوى شيخ الإسلام وكذلك «لوامع الأنوار» و«شرح الطحاوية» وغيرها من كتب التوحيد وكذا ما أُلِّف في الخضر بخصوصه من مؤلفات العلماء. مثل كتاب «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر»[1].

وكذا ما أَلَّفه في وفاته أبو الحسين بن المناوي. وما ألفه عبد المغيث بن زهير الحربي الحنبلي البغدادي حول حياة الخضر وما ردَّ عليه ابن الجوزي في كتابه المذكور سابقًا.

والجزء الذي أَلَّفه ابن تيمية، وكذا كتاب: «كشف الحذر عن أمر الخضر» تأليف الشيخ علي القاري [2] وكتيِّب: «الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة» للشيخ أحمد

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١ ص ٣٣٠-٣٣٦ ونقل عنه ابن حجر في الإصابة.

(٢) انظر المنار المنيف «تعليق» صـ ٦٩.

ابن عبد العزيز الحصين.

ودراسة كلِّ ما جاء في هذه المؤلفات تحتاج إلى وقت ودراسة مستقلة يكفينا منها ما أشرنا إليه هنا حول الخلاف في نبوة الخضر والقول بوفاته على الصحيح من أقوال العلماء، وتكذيب كلِّ من ادعى أنه رأى الخضر أو كلَّمه بعد زمان الخضر الذي مات فيه وبيان استغلال الدجاجلة من العتاة لشخصية الخضر ليأكلوا من ورائها أموال الناس بالباطل ولاستعباد عقول الناس أيضًا. وبطلان المشاهد والقباب التي بنيت باسمه وأنها شرك وعبادة لغير الله تعالى قال ابن حزم: «والخضر عليه السلام نبيٌّ قد مات، ومحمد ﷺ لا نبيَّ بعده»[1].

الإشارة إلى الخضر في القرآن الكريم:

لقد قصَّ الله في القرآن الكريم قصة هذا الرجل في عدة آيات من سورة الكهف[2] وكان سبب ذكره في القرآن الكريم – وإن لم يذكر الاسم – هو موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – وذلك أن سائلاً سأل موسى قال له: يا نبي الله هل يوجد – أو قال: هل تعلم – في الأرض أحدًا أعلم منك ؟ وكان موسى أعلم قومه كما هو الواقع – فأجاب لا، وكان هذا الجواب وبهذه الكيفية مما عتب الله عليه فيه حيث لم يقل – الله أعلم – فأراد الله أن يطلعه على من هو أعلم منه في أمور لا يعلمها موسى فأخبره بأمر الخضر وأنه في مجمع البحرين وهنا عزم موسى على اللقاء به فأذن الله له بملاقاته فذهب موسى وفتاه إلى مكان الخضر وجعل الله له آية في لقائه وهو نسيان الحوت الذي كان مخبَّئًا مع موسى وفتاه في المكان الذي عنده الخضر، وقد أخبر الله عن كيفية سفره وملاقاته للخضر وما جرى بينهما إلى أن افترقا وقد ذكر المؤرخون تفاصيل أخباره مع موسى وكيف تم اللقاء بينهما[3].

---

(١) المحلى جـ١ صـ٥٠.

(٢) من آية ٦٠ – ٨٢.

(٣) انظر تاريخ الطبري جـ١ صـ٣٦٥-٣٧٦، البداية والنهاية جـ١ ص ٢٩٩-٣٣٤، الكامل لابن الأثير

ذكر الخضر في السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية التصريح باسم الخضر وبيان سبب ملاقاة موسى له، وما جرى بينهما في حديثين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه:

١ – أولهما عن أبي شهاب أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا. فأوحي الله إلى موسى بل عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إليه فجعل له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فكان يتبع الحوت في البحر فقال موسى لفتاه: آمنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا. قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلّا الشيطان أن أذكره فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا فوجدا خضرًا فكان من شأنهما الذي قص الله في كتابه»** والغرض من هذه هو بيان ذكر الخضر في السنة النبوية.

٢– والرواية الأخرى –وهي أوسع من الرواية السابقة– عن عمرو بن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى نبي بني إسرائيل إنما هو موسى آخر فقال: كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: **«أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين**[1]**. هو أعلم منك قال: أي ربِّ ومن لي به؟**– وربما قال سفيان أي: رب وكيف لي به – **قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم** – وربما قال: فهو

جـ١ ص ١٦٠–١٦٤، كتب التفسير عند شرحهم للآيات المتعلقة به في سورة الكهف.

(١) اختلف العلماء في البحرين هذين على أقوال كثيرة، انظر تفسير القرطبي جـ ١١ صـ ٤٥.

ثمة -وأخذ حوتًا فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربًا فأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار مثل الطاق – فقال: هكذا مثل الطاق – فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا فكان للحوت سربًا[1] ولهما عجبا قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا – رجعا يقصان آثارهما- حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فرد عليه السلام فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيل قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال: يا موسى إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا إلى قوله: أمرا. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر.

فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة - أو نقرتين - قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر إذ أخذ الفأس فنزع لوحا قال فلم يفاجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدوم فقال له موسى: ما صنعت ؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرًا[2] قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا، قال: لا تؤاخذني بما

(١) أي: دخل في الماء واستتر به، والمراد أن الحوت اتخذ سربا في البحر لطريقه والسرب: الشق الطويل أوضح التفاسير صـ ٣٦٣.

(٢) أي: عظيمًا منكرًا أوضح التفاسير صـ ٣٦٤.

نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا.

فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا- وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئًا - فقال له موسى: أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا . قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض مائلًا أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر مائلًا إلا مرة قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجرًا . قال: هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا».

قال النبي ﷺ: «وددنا لو أن موسى كان صبر فقصَّ الله علينا من خبرهما» قال سفيان: قال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما».

وقرأ ابن عباس: (أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) . (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين).

ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان؟ فقال: ممن أتحفظه؟ ورواه أحد عن عمرو غيري سمعته منه[1] مرتين أو ثلاثا وحفظته منه».

تعقيب:

إن القول بوجود الخضر في كل زمن حتى في عصرنا الحاضر هو قول فيه ادعاء للنبوة بعد محمد ﷺ وهذا هو الذي يهمنا إبطاله بالنسبة لموضوع هذا البحث وقد تبين بما لا خفاء فيه أن الخضر وبغضِّ النظر عما قيل عن نبوته أو عدم نبوته فإن جمهور العلماء قد اتفقوا جميعًا على أن الخضر لا وجود له في عصرنا الحاضر ولا

(١) أخرجه البخاري جـ ٦ صـ ٤٣١ - ٤٣٣.

قبل عصرنا الحاضر غير الفترة التي عاشها في عصره فقط وأنه شمله الموت كما شمل غيره من عباد الله وأنه لا حجة مقبولة لمن قال بحياته دائمًا وقد ذكر ابن جرير عن أهل الكتاب «أنهم زعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق إلى الآن»[(١)] وتناقله كثير من علماء المسلمين، قال ابن كثير في استدلاله على موت الخضر وعدم لقائه بالنبي محمد ﷺ.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[(٢)] فأخذ الله ميثاق كل نبيٍّ على أن يؤمن بمن يجيء بعده من الأنبياء وينصره فلو كان الخضر حيًّا في زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيًّا - وهو الحق - أو رسولًا - كما قيل - أو ملكًا - فيما ذكر - وأيًّا ما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف من الخضر ولو كان حيًّا لوجب عليه الإيمان بمحمد ونصرته فكيف إن كان الخضر وليًّا كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل في عموم البعثة وأحرى، ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف يعتمد أنه جاء يومًا واحدًا إلى رسول الله ﷺ ولا اجتمع به»[(٣)]. وقد قال النبي ﷺ: «**والله لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»[(٤)].

وأما ما ورد من خرافات حول بقائه إلى أن يقتل الدجال وأنه شرب من ماء الحياة فلا يموت أو أن آدم دعا لمن دفنه بطول العمر فدفنه الخضر، وما جاء في ذلك

(١) تاريخ ابن جرير جـ ١ صـ ٣٦٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٨١.

(٣) البداية والنهاية جـ ١ صـ ٢٩٩.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣٨٧، الهيثمي مجمع الزوائد جـ ١ صـ ١٧٤، وحسنه الألباني بشواهده «إرواء العليل» ٦/ ٣٤-٣٨.

من روايات فقد أجاب عنها ابن كثير بقوله - نقلاً عن ابن الجوزي -: «وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه «عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر» للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد» ثم ذكر أسماء من قال بموت الخضر فقال: «وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات، ومنهم البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو الحسين بن المنادي، والشيخ أبو الفرج بن الجوزي، وقد ألَّف فيه كتابًا سماه «عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر» إلى آخر ما ذكر من أدلة هؤلاء الذين ذهبوا إلى القول بموته، أدلة من القرآن الكريم تشمل الخضر وغيره وأورد أحاديث استخلص منها القول بوفاة الخضر وأدلة أخرى عقلية تدل على وفاته، وإن كان بعض العلماء قد ذهب إلى القول بحياة الخضر مثل السهيلي حيث قال عنه ابن كثير: «ورجَّح السهيلي بقاءه وحكاه عن الأكثرين» قال: «وأما اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزيته لأهل البيت بعده فمرويٌّ من طرق صحاح ثم ذكر ما تقدم مما ضعفناه ولم يورد أسانيدها»[1]. وللقرطبي في تفسيره تفاصيل كثيرة واحتجاج على حياة الخضر[2].

والواقع أنه لا يوجد إنسان، ولا توجد طائفة من الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام تعلقت بالخضر وأصرَّت على القول بحياته أبدًا مثل طائفة الصوفية لأنهم بنوا على شخصيته جل أمور دينهم من أدعية وأذكار وأخبار وأحكام وخرافات لا حدَّ لها فهو يعيش في أذهانهم حياة حقيقية ملؤها النشاط وملازمة تسديد المشائخ وإمدادهم بكل ما يهمهم في رفع حركتهم ووصل هوسهم به إلى حد الاضطراب الفكري الشنيع وأكثر ما دخلوا على العوام إنما كان عن طريق التعلق بالخضر وغلوهم وزخرفهم في أخباره ولو نظرت إلى أهم كتبهم لرأيت الأخبار العجيبة التي

(١) انظر البداية والنهاية جـ١ صـ٣٢٥-٣٣٦.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ١١ صـ٤١-٤٤.

لفقوها عن الخضر، انظر لهذا الخلط الصوفي ما كتبه علي برادة في كتابه «جواهر المعاني» وما كتبه الفوتي في كتابه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم». وما كتبه الشعراني في كتابه «طبقات الأولياء» وغيرها من سائر كتبهم التي شغلوا بها أذهان العامة واحتكروا أوقاتهم بوظائفهم المتعددة والتي هي في حقيقتها سراب لا شيء وراءه ولا يزال أتباع هذه الطرق إلى يومنا هذا في غيهم يعمهون لا يستمعون لنصح ناصح ولا يبحثون بحث جادٍّ مسترشد طالب للحقيقة بل بقوا على نفرتهم من كل من يخالف أفكارهم عملًا بوصية مشائخهم لهم وتحذيراتهم لهم من كل علم أو شيخ لا يتفق مع آرائهم السقيمة.

وأما ما يتراءى لبعض الناس من وجود الخضر فقد أجاب عن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فذكر بعد تقريره وفاة الخضر وأن الذي يتراءى للناس إنما هو شيطان يلبس عليهم ولهذا لم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر أو اجتمع به وإنما ينقل مثل هذه الترهات من وجد فيهم الشيطان آذانًا صاغية وقلبًا غافلًا[1].

وفي «المنار المنيف» لابن القيم نقول كثيرة وحجج دامغة على أن الخضر كغيره من الناس عاش العمر الذي كتبه الله له ثم مات قال في أولها: «ومنها الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب لا يصح في حياته حديث واحد»[2].

وللعلماء ردود كثيرة جدًّا على من يقول بحياة الخضر الآن قد لا يلزم ذكرها هنا، ومن أراد التوسع فلينظر تلك الردود في كتب أصحابها التي أشرنا إليها . ولقد أورد الدجاجلة المتنفعون باسم الخضر وإلياس أيضًا أحاديث رفعوها إلى النبي وهي مختلقة من أكاذيبهم وتلفيقاتهم تدل على تفاهة تصورهم مثل ما يروونه عن ابن عباس مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام كل عام فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله

---

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ٢٧ صـ١٨، وانظر الرد على المنطقيين صـ ١٨٥، والنبوات ص ٢٩٠.

(٢) المنار المنيف صـ٦٧-٧٦.

لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

وفي بعضها أنه يلتقي هو وجبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يتفرقون على كلمات يعظمون بها الله عز وجل(٢).

وحتى الذين يقولون بموته وجد من علماء السوء والمنتفعين من أوهمهم بوجود آثار للخضر وأن الوقوف أمامها والطواف بها والنذور لها يقضي الحاجات على اختلافها، وقد شاهد كل هذه الأفعال الشيخ الحصين كما ذكر ذلك في كتابه «الخضر وآثاره بين الحقيقة والخيال» ومن قوله في ذلك:

«لقد أحدث أهل الدجل والشعوذة من الصوفية وغيرهم من أهل العقائد الزائفة في بعض الدول الإسلامية خرافات نسبوها زورًا وبهتانًا إلى الخضر عليه السلام وغيره وبنوا عليها قبابًا لكي يتسنى لهم بسببها ابتزاز أموال الناس وأكلها بالباطل مما جعل السفهاء وجهلة الناس يقصدون هذه الأوثان التي تعرف بآثار الخضر فيقفون تجاهها بخشوع ويطلبون من تلك الصخور شفاء مرضاهم وقدوم غائبهم وأن تحمل العواقر من نسائهم ثم ينذرون لها القرابين وينحرون لها الخراف ويتمسحون بأركانها ويعطرونها بالطيب زاعمين أنهم يؤدون واجبًا يحصل به المطلوب»(٣).

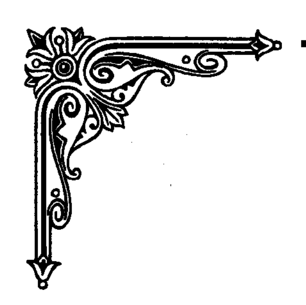
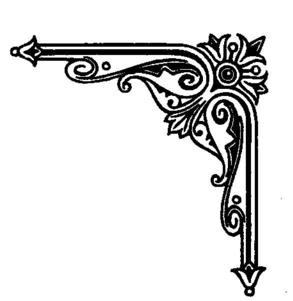
ومن هنا نجد أن شخصية الخضر التقت عليها مصالح أهل الباطل، وهو عليه السلام منهم بريء فالذين يقولون بحياته يزعمون أنهم يلتقون به ويراهم ويرونه ويفتيهم في كل شأن من شئون حياتهم الخاصة والعامة، والذين يقولون بموته يوجبون على السذج والعوامِّ الذهاب إلى قبره وآثاره لجلب الخير أو لدفع الضر وكلا الفريقين كاذب وضال استولت عليهم الشياطين ويحسبون أنهم على هدًى.

---

(١) انظر الإصابة جـ٢ صـ٣٠٥، وانظر كشف الخفا جـ١ صـ٤٩-٥٠.

(٢) انظر اللآلئ المصنوعة جـ١ صـ١٦٧.

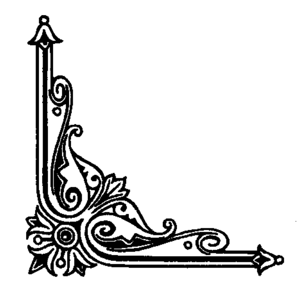
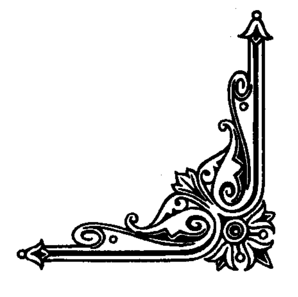
(٣) الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة صـ٣٣.

الباب العاشر...

النبوة في مفاهيم الفرق وفيه الفصول الآتية:

- الفصل الأول: النبوة في مفهوم الفرقة الناجية.
- الفصل الثاني: النبوة عند الجهمية والأشاعرة.
- الفصل الثالث: النبوة عند المعتزلة.
- الفصل الرابع: النبوة عند الفلاسفة.
- الفصل الخامس: النبوة عند الباطنية.
- الفصل السادس: النبوة عند المتكلمين.
- الفصل السابع: النبوة عند الشيعة.
- الفصل الثامن: النبوة عند غلاة الصوفية.
- الفصل التاسع: في بيان ما يتعلق بخوارق المتنبئين.

الفصل الأول

النبوة في مفهوم الفرقة الناجية

النبوة في مفهوم الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة)..

أما بالنسبة لأهل السنة والجماعة فإنهم لا يختلفون في أن النبوة نعمة من الله تعالى على عباده يتفضل بها على من يشاء من خلقه، يصطفيه لحمل رسالته، وإبلاغ الناس ما يوصلهم إلى رحمة ربهم، ويجنبهم غضبه، ولا يختلفون كذلك في أنها لا تنال بالاكتساب أو الحظ، وإنما هي هبة من الله تعالى لمن يرسله لا بالاكتساب، ولا بالأعمال.

نعم!! إن للأنبياء صفات تميزهم عن غيرهم، ميزهم الله بها لتبليغ الناس جعلتهم تلك الصفات محل عنايته سبحانه حيث قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(١). وهذا يدل على أن الرسالة ليست قابلة لكل أحد، ولا أن الناس كلهم على مختلف مستوياتهم وعقولهم يصلحون لها، وهذه قسمة من الله تعالى لا يجوز الاعتراض عليه فيها، قال تعالى عن المعترضين عليه في قسمته بين عباده: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾(٢) فما على المسلم إلا التسليم بأمر الله، وإرادته وحكمه بين عباده فقد كان المشركون في زمن النبي ﷺ يعترضون على الله في إرساله رسولاً ليس من كبار الأغنياء من أهل مكة أو أهل الطائف، ويرون أن النبي لا يصلح إلا أن يكون من الأغنياء الأثرياء، ولكن الله تعالى يعلم غير ذلك.

* * *

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٢) سورة الزخرف آية ٣١.

الفصل الثاني...

النبوة عند الجهمية والأشاعرة

النبوة عند الجهمية والأشاعرة

ذهبت الجهمية والأشاعرة حسب معتقداتهم في أفعال الله تعالى من أنه يفعل كل ممكن، وبالتالي فلا يمنع أن يكون كل إنسان صالحًا لها، ثم لا مزية لها إلا بما يسمعه من وحي الله تعالى، وبما أوجبه عليه من تبليغ هذا الوحي دون النظر إلى أي صفات أخرى.

ومن هنا وجد المتنبئون ضالتهم المنشودة، حيث كانت هذه الآراء دعمًا لهم، وقد أدى بهم هذا الاعتقاد إلى عدم التفريق بين معجزات الأنبياء، وبين خوارق السحرة والكهان مع بذلهم الجهد في التفريق بينهم فلم يجدوا فارقًا يذكر، وهذا بناء على معتقدهم السابق في النبوة، وزعموا أنه لو أراد الساحر والكاهن الإتيان بمعجزة فإن الله لا يمكنه منها، وهذا غير صحيح فقد يأتي الساحر بما يموِّه به على أعين الناس فتبدو أفعاله كأنها معجزة ودون أن يعارضه أحد[١] ويكون الفرق أن معجزات الأنبياء معجزات حقيقية، وما جاء به الساحر تمويه لاستعانته بالشياطين. على أن صفات الساحر أو المتنبئ لا تشتبه بصفات النبي عند أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة.

* * *

(١) انظر كتاب النبوات جـ ١ صـ ٥٩.

الفصل الثالث..

النبــــوة عنـــد المعتــــزلـــــة

النبوة عند المعتزلة..

من أصول المعتزلة أن الله يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لدلالة العقل على ذلك لا أن الله يختص بها شخصًا دون شخص. ثم أضافوا إلى هذا الفهم فهمًا آخر وهو أن النبوة إنما وجدت في شخص بسبب ما قدم من أعمال صالحة كافأه الله بها بأن جعل فيه النبوة، وهذا الاعتقاد كان دعمًا للمتنبئين، وتسهيلاً لهم لدعوى النبوة وهي عقيدة باطلة يريدون أن يدعموها بباطل أيضًا، وقولهم هذا يعارض قول الله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ولو لم يكن كذلك لما كان للأنبياء كبير تميز عن سائر الناس، وأما المكافأة التي يذكرونها فهو قول سخيف فمن أخبرهم بأن النبوة إنما كانت مكافأة؟ ومن سبقهم إلى هذا القول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؟

* * *

الفصل الرابع...

النبـوة عنـد الفلاسفـة

النبوة عند الفلاسفة..

الفلاسفة هم أبعد الناس عن الاعتقاد الصحيح في النبوة والأنبياء وأشدهم قولًا بالكذب في ذلك.

فقد زعموا أن النبوة عبارة عن فيض من السابق بواسطة التالي على شخص عنده استعداد وقابلية لأن ينتقش الوحي في ذهنه كما تنتقش الأحلام في ذهن النائم، بل ونفوا أن يكون جبريل - عليه السلام - هو الموكل بالوحي، وأن النبوة مكتسبة[1] حسب استعداد الشخص الذي يصل به الحال إلى أن يتصور أن الأوهام التي يسمعها أو يراها هي وحي وبالتالي يكون نبيًّا عند ذلك.

وحينئذٍ فإن مجال ادعاء النبوة سهل يسير إذا أغرق الشخص في الخيالات والأوهام الفاسدة، فإن الشياطين بعد ذلك يجدون في مثل هؤلاء ضالتهم المنشودة، فيستحوذون عليه ويزينون له كل ما يأتي ويذر من أقوال فاسدة وتخيلات فارغة.

* * *

(١) النبوات جـ٢ صـ٨٤٤.

الفصل الخامس..

النبــوة عنــد الباطنيــة

النبوة عند الباطنية

الباطنية هم من شرار الفرق وأبعدهم عن العقيدة الصحيحة حتى وإن كانوا يتظاهرون في بعض أمورهم بالإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام فإنما ذلك من باب «ذرِّ الرماد في العيون» فهم أعداء الأنبياء وأعداء العقائد الصحيحة. أصحاب تأويلات باطلة وحجج فلسفية خائبة يموِّهون بزخرف كلامهم وتأويلاتهم على من لا معرفة له بأمرهم، ولهذا يتواصون فيما بينهم بعبارتهم المشهورة «لا تتكلم في بيت فيه سراج» أي: عالم أو متعلم يميِّز بين الحقِّ والباطل، وبين الغثِّ والسمين.

ومن زخرف أقوالهم في إثبات النبوة أنهم يزعمون أن النبوة إنما هي أمور مصلحية يقصد بها الاستحواذ على العوام وتقريبهم إلى المصلحة العامة وتحقيقها في حياتهم ليسهل انقيادهم إلى العدالة والحق الذي يزعمونه فيجد الشخص في كلامهم ما قد يظهر أن فيه إيمانًا وصدقًا بينما الحقيقة هي خلاف ذلك تمامًا فالتبس أمرهم على كثير ممن لا معرفة لهم بعقائد الباطنية.

وسبب هذا الضلال الذي عليه الباطنية هو بعدهم عن هدي الله تعالى واستكبارهم عن الأخذ عن الأنبياء والمرسلين واتكالهم على كلام الملاحدة والفلاسفة الضلال.

* * *

الفصل السادس..

النبـــوة عنـــد المتكلميـــن

النبوة عند المتكلمين

للمتكلمين خبط واضطراب في حق النبوة والأنبياء يدل على شدة حقدهم على الأنبياء وعلى جهلهم كذلك، فقد جاؤوا بأخبار عنهم متناقضة ومفاهيم هابطة في نفاق علَّقوا به ضلالهم وخدعوا به من لم يعرف سيرهم فمن التهم التي وجهوها إلى أنبياء الله ورسله:

١ - أنهم لم يبينوا أمور العقيدة البيان الصحيح الذي يزيل الإشكال ويوضح المتشابه حسب زعمهم.

٢ - أن الأنبياء لم يعرفوا كثيرًا من المعاني التي وردت بها النصوص عن الله تعالى.

٣- وهؤلاء على نقيض من سبق حيث زعموا أن الرسل عرفت المعاني المرادة عن الله تعالى ولكنهم لم يبينوها بل أسندوا بيانها إلى العقول والتأويلات إلا أنهم زعموا أن الرسل لم يقصدوا تجهيل الناس.

٤ - قابلت هؤلاء طائفة الزنادقة والملاحدة منهم فزعموا أن الرسل تعمدت تجهيل الناس ليضطروهم إلى طلب التأويلات ومعرفة المراد من ظواهر الكلام.

ولا ريب أن هؤلاء كلهم ضُلَّال خارجون عن المعتقد الصحيح وليس عندهم أي اعتدال إلا في بعض الألفاظ ليخادعوا بها الناس، وقد انبرى لهم شيخ الإسلام رحمه الله فرد عليهم ردودًا مثل الصواعق تردي من تمر به خصوصًا في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» في عدة أمكنة منه.

* * *

الفصل السابع..

النبــــوة عنــد الشيعـــــة

النبوة عند الشيعة

من الأمور التي يلاحظها طالب العلم أن كثيرًا ممن ينتسب إلى الإسلام قد جرفه تيار الغلوِّ الذي يُخْرِجُ الشخص عن دينه من حيث لا يشعر، سواء كان ذلك الغلو في نفسه أو في غيره ممن يعظمهم ويظهر هذا الغلو واضحًا عند كل أصحاب البدع على اختلاف مستوياتهم فيه ممن أخذوا دينهم عن غير الطريق الصحيح فراحوا يتخبطون في أباطيلهم وترهاتهم - ويحسبون أنهم على شيء- مدعين النبوة حينًا والإلهام حينًا آخر والتلقِّي عن الله حينًا والتلقي عن القلب عن الله أحيانًا أخرى، ومزاعم كثيرة تزعمها رؤساء الفرق الضالة، ومنهم الشيعة - الرافضة- والصوفية الخرافية وبقية الفرق الغلاة الخارجة عن هدي الكتاب والسنة ممن اشتمل ضلالهم على دعوى النبوة أو الاتصال بالله أو الإلهام المباشر أو تفويض الكون وما فيه أو ختم الولاية، أو غير ذلك من أباطيلهم.

ولقد بلغ الشيعة في الغلو النهاية التي ما بعدها نهاية حيث كانوا النواة الأولى لكل الفرق الخارجة والمصدر الأساس لكل الفرق المنحرفة وسيتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال الأمثلة التي سنعتمد في ذكرها على كتبهم وما سجلوه فيها بأقلامهم.

وهي آراء كثيرة منثورة في كتبهم[1] المعتمدة لديهم كزعمهم بأن أحدًا يتلقى عن الله تعالى أو عن غيره وحيًا يعلم به الغيب مباشرة أو القول بوصاية أحد بعد الرسول ﷺ على المسلمين بأمر من الله تعالى أو من رسوله ﷺ وصاية شاملة لكل شيء، وهذا واضحٌ يلاحظه كل من قرأ عن الشيعة ومعتقداتهم تجاه أئمتهم وغلوهم الشنيع فيهم، وهو غلوٌّ يطول البحث لو أردنا استقصاء أخباره من كتبهم ولا تحتمله هذه الدراسة إذ لا يهمنا منه إلا جانب ادعاء النبوة لأحد بعد النبي ﷺ وما يتصل به من

(١) انظر لمزيد التفصيل كتابي «فرق معاصرة».

أفكار الشيعة ومبالغتهم في الأئمة التي وصلت إلى حد دعوى النبوة بل وأكثر حيث زعموا أن لأئمتهم مكانة لا يبلغها أحد من الخلق لا ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل، وهذه العبارة التي قالها الخميني لا تشعر بدعوى النبوة فحسب بل بما هو فوق النبوة مما هو من أخص الصفات لله تعالى. وهذا القول صرح به زعماؤهم وعلماؤهم، وكتبهم طافحة بذلك سواءً المتقدم منها أو المتأخر مثل الأوصاف التي أطلقوها على أئمتهم في غاية الغلو الفاحش والتي هي من صفات الله ﷻ ولا تليق إلا به أو من صفات أنبيائه ورسله أو لا تليق أن يوصف مخلوق بها أو ذلك مثل زعمهم:

١- أن للأئمة مكانة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل.

٢- أنهم خزان الله في أرضه.

٣- أن الأئمة لا يموتون إلا بمحض مشيئتهم واختيارهم.

٤- أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون في هذا الكون.

٥- أن الأئمة معصومون من الذنوب والخطايا منذ ولادتهم إلى وفاتهم.

٦- أن الله يوحي إليهم ويكلمهم ويكلمونه.

٧- أن الله لا يقبل عملًا لأحد ما لم يكن عن طريقهم.

٨- ادعوا أن لهم قرآنًا غير قرآننا الموجود بين أيدينا يسمى «مصحف فاطمة».

وقد مر بك ما قاله صاحب «دقائق التفسير» فيهم: ولهم مبالغات كثيرة يكفي صدور واحد منها لبيان بعدهم عن النهج الإسلامي الصحيح. وكل تلك الترهات وغيرها مما لم نذكره هي من صميم عقائدهم التي أودعوها كتبهم المعتمدة في الدين عندهم على أن تلك المبالغات في أئمتهم قد وردت على أشكال وآراء مختلفة وروايات متعددة فيما بينهم فإن في بعض الروايات إثبات أنهم يتلقون الوحي عن الله مباشرة وهذا لا شك أنه ادِّعاءٌ للنبوة وخروج عن عقيدة المسلمين في ختم النبوة بمحمد ﷺ، وفي بعضها أن الله أوكل الخلق إلى الأئمة، وفي بعضها التصريح بأن الحق لا يوجد إلا عن طريق الأئمة وما عداه خروج عن الدين ... إلخ.

وهكذا فإن الغلو عند الشيعة قد أصبح مصدرًا لشرور كثيرة وأخطار جسيمة في عقائد الأمة الإسلامية إذ كان سلوكًا متبعًا لكثير من المنحرفين وأصحاب العقائد الباطلة؛ لأن مذهبهم أصبح خليطًا فاسدًا من شتى الأفكار القديمة والجديدة فلقد كان لأشخاص كثيرين من هؤلاء القوم جرأة على اقتحام كل خرافة.

ولهذا فقد هان أمر النبوة في مفاهيم كثير منهم وأصبحت مركبًا سهلًا في أنظارهم ففشت دعوى النبوة لأهل البيت ولغيرهم من ذوي الطموح السياسي ومحبي الزعامة تنفيذًا لآراء ابن سبأ الذي غذى أفكارهم بتعاليمه اليهودية فكان سلفًا سيئًا لخلف متمرد وسنشير إلى أهم المواقف التي سجلها التاريخ حول مفاهيم الشيعة للنبوة فيما يلي:

١- يرى الإمامية أنه لا يخلو زمن من الأزمنة من وجود إمام نبيٍّ يبين للناس أمور دينهم مخالفين بذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[(١)]، وقوله تعالى في تقرير ختم النبوة بمحمد ﷺ ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾[(٢)]، وقولهم هذا مخالف لجميع من يعتد بكلامه ورأيه وعقيدته من المسلمين وهذه العقيدة الخاطئة في تجدد الأنبياء هي التي أدت بهم إلى قبول كلام دجاجلة الناس في دعواهم النبوة، وقد ذكر الدهولي ذلك بقوله: «واعلم أن الإمامية لا بد عندهم أن لا يخلو زمان من نبيٍّ أو وصيٍّ قائم مقامه»[(٣)].

٢- وجد من أقسام الشيعة من يعتقد حلول اللاهوت في الناسوت على طريقة النصارى وهو اعتقاد المفضلية من أقسامهم وفي مختصر التحفة الاثنى عشرية قوله: «المفضلية أصحاب المفضل الصيرفي وقد زادوا على السبئية بقولهم: إن نسبة الأمير - أي علي رضي الله عنه - لله تعالى كنسبة المسيح فمثله كمثله فقد وافقوا النصارى في قولهم

(١) سورة المائدة آية ١٩.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية صـ ٩٩.

باتحاد اللاهوت بالناسوت وفي زعمهم أن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي فإن دعا الناس إلى الهدى فهو رسول، ولذا ترى كثيرًا منهم ادعى النبوة والرسالة[1]. ومسألة اتحاد اللاهوت بالناسوت تعتبر من أكذب الكذب، وأفجر الفجور، وأحمق الحماقة. وهي عقيدة وثنية اخترعها الشيطان لأتباعه تعالى الله عنها وتقدس ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[2]، وكيف يتحد الخالق بالمخلوق بل هل يرضى الإنسان المخلوق أن يتحد بعبده مثلًا؟ فيقال له: أنت وعبدك في درجة واحدة.

وقد عرف القارئ أن كثيرًا من هؤلاء الحمقى الذين ادعوا النبوة -كما في كتب الفرق والتاريخ - أنه لم يكتف بعضهم بالوقوف عند دعوى النبوة بل قفزوا إلى دعوى الألوهية حينما وجدوا عند بعض الناس - الذين هم أضل من البهائم - من يتقبل أفكارهم ولقد أعرضت عن دراسة هؤلاء المتنبئين لأمرين:

١- الأمر الأول: أن ما يتطلبه البحث هو دراسة كل من ادعى النبوة وليس الألوهية.

٢- أن هؤلاء الذين ادعوا الألوهية أعتقد أنه يكفي أن يجاب عنهم بأنهم «مجانين» والمجنون من حقه أن يحبس حتى يعود إليه عقله وأن يحال بينه وبين إيذاء الناس.

وهذه الفرقة المفضلية حينما زعموا أن من اتحد به اللاهوت فهو نبيٌّ هذا تناقض منهم إذ كان مقتضى الحال أن يقال: هو إله - كما قالت الحلولية ذلك صراحة- لا أن يقال: هو نبي. وقولهم في تخريفاتهم: إنه إن دعا الناس إلى الهدى فهو رسول كلام باطل متناقض حيث يقررون أنه بعد أن يتحد به اللاهوت إن دعا الناس إلى الهدى فهو رسول وهذا مفهوم أحمق؛ لأنه على حسب كلامهم هذا يجب أن يكون بعد

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية صـ ١٠.

(٢) سورة الإخلاص آية ٤.

اتحاده باللاهوت إلهًا إذ صار فيه جزء من الألوهية أو هو الإله تمامًا فكيف بعد ذلك يقال له: رسول إذ يقال حينئذٍ من الذي أرسله وكلفه بدعوة الناس؟ وهو نفسه إله ثم اليس كل واحد من الناس - حسب هذه العقيدة- بإمكانه دعوى اتحاده بالألوهية. إذ لم يكن ذلك خاصًّا بفئة من الناس دون أخرى حسب اعتقادهم وإلا كان هذا التخصيص لا معنى له إلا مجرد التحكم الباطل ظلمات بعضها فوق بعض، وليت شعري هل يعلم الرافضة أن أهل البيت لم يملك أحد منهم ملكًا عامًّا لا عليٌّ رضي الله عنه ولا أولادهم فكيف يقولون: إن الأمر في عليٍّ فقط وذريته وأنهم الأوصياء على العباد في مختلف الأزمنة. مع أن هذه الوصاية كذبة حمقاء لم يدَّعها أحد من أهل البيت وأقرب مثال على كذبهم غائبهم المنتظر فكم له من السنين وهو محتجب عن الناس لا يرونه ولا يصدر عنه أي تعليم خوفًا من أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني حسب خرافاتهم.

٢- زعمهم نبوة أهل البيت وغيرهم:

أما بالنسبة لدعوى الشيعة نبوة أهل البيت فكانت نتيجة متوقعة للغلوِّ الفاحش الذي وصل إليه هؤلاء بالنسبة لأهل البيت وقد قسَّمهم ابن حزم أقسامًا كثيرة ذكر فيها أن:

١- بعض الشيعة ادعى أن عليًّا رضي الله عنه نبيٌّ بعد محمد ﷺ بخصوصه.

٢- وبعضهم توسع في باطله فزعم أن النبوة كانت في عليٍّ وفي أولاده وأحفاده وهم الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، والحسن بن محمد، والمنتظر ابن الحسن.

٣- وذهبت طوائفُ منهم إلى القول بنبوة جماعات كثيرة من غير أهل البيت.

«وأما الغالية من الشيعة فهم قسمان: قسم أوجب النبوة بعد محمد ﷺ لغيره - مثل لها بالعربية- والقسم الثاني أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود

وكفروا أشنع الكفر .. وفرقة قالت بنبوة عليٍّ . وفرقة قالت: بأن علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، والحسن بن محمد، والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم، وفرقة قالت: بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط، وهم طائفة من القرامطة، وفرقة قالت: بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، وهم طائفة من الكيسانية.

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة بالكوفة وهو الذي أحرقه خالد ابن عبد الله القسري بالنار، وفرقة قالت: بنبوة بيان بن سمعان التميمي، وقالت فرقة منهم: بنبوة منصور المستير العجلي وهو الملقب بالكسف، وقالت فرقة بنبوة: بزيع الحائك بالكوفة ... وقالت فرقة: بنبوة عمير التبان بالكوفة....

وقالت فرقة من أولئك شيعة بني العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري فقتله ...».

وبعد أن ذكر ابن حزم أسماء من قالت الشيعة بنبوتهم عاد وذكر أسماء من قالت الشيعة بألوهيتهم وهم عدد كثير، ثم قال في آخر كلامه عن الجميع: «واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية، فإن من الصوفية من يقول: إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم: واتصل بالله تعالى»... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومما لا يشك فيه مسلم أن النبوة ختمت بمحمد ﷺ وأنه لا نبيَّ بعده وأن أهل البيت برآء من دعوى النبوة، وبرآء من كذب من كذب عليهم، أو افترى أقوالًا لا حقيقة لها فمن ذكرهم الشيعة هنا هم أهل البيت.

١- أجل من أن يدَّعوا الكذب على الله تعالى ولا يحق لأحد ذكر هؤلاء في عداد المتنبئين وإنما ذكرناهم لبيان مفهوم النبوة عند الشيعة وتساهلهم وجهلهم بمنزلة النبوة إذ لم يقتصروا على ادعاء النبوة لأولئك الفجار ممن كذب على الله بادعاء

النبوة، بل ادعوا بنبوة غيرهم من الناس.

٢- وأما بالنسبة لاعتقاد بعض الشيعة بنبوة غير أهل البيت فمن هؤلاء:

- قولهم بنبوة المغيرة بن سعيد[١].

- وبيان بن سمعان[٢].

- والمختار بن أبي عبيد الثقفى[٣].

- وعبد الله بن عمران بن حرب الكندى[٤] زعيم فرقة الحربية.

- ومحمد بن نصير بن النميري زعيم فرقة النصيرية الذي زعم أنه مرسلٌ من قِبَلِ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه الذي اتخذه محمد بن نصير ربًّا له[٥].

ومن غير الممكن في هذا البحث استقصاء ما قاله الشيعة عن أئمتهم وغلوهم فيهم، فإن من ينظر - ولو في فهارس كتبهم - يعرف ذلك تمامًا مثل ما كتبه القمي في فرقه، أو الطبرسي في «فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب» - كما يزعم - أو الكليني في كتاب «الكافي» - الأصول- وكذا كتاب «الغيبة» - غيبة محمد بن الحسن العسكري الطوسي - أو ما كتبه علماؤهم المتأخرون مثل الخميني في كتابه «ولاية الفقيه والوصية الإلهية». وكتب أخرى كثيرة ولكن سنأخذ الأمثلة على غلوِّهم في أئمتهم من كتب كبار علمائهم وخصوصًا من تقدم منهم، ومن كلام آخر علمائهم في عصرنا الحاضر.

يقول القمي - وهو من علمائهم الكبار-: «ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجة من عقب الإمام، الإمام الماضي قبله ولو خلت ساعة لساخت الأرض ومن عليها»[٦].

---

(١) انظر ترجمته.

(٢) مقالات الإسلاميين صـ ١٥.

(٣) انظر الفصل جـ ٤ صـ ١٨٤، والفرق بين الفرق ص ٢٣٩.

(٤) الفرق بين الفرق صـ ٢٣٧.

(٥) انظر ترجمته.

(٦) كتاب المقالات والفرق صـ ١٠٢.

ويذكر محقق هذا الكتاب وهو الدكتور محمد جواد مشكور وهو أستاذ في دار المعلمين العليا بطهران بعض التعليقات على كلام القمي منها قوله في تعليقه على ما أورده القمي[(١)]: «ولو قام قائمنا علمتم القرآن جديدًا».

قال المحقق: «وقد جاءت في البرهان في تفسير القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هود: ١١٠]، وقد اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب الذي مع القائم لما يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيقدمهم ويضرب أعناقهم، وفي تفسير الصافي مثله، وفي الاحتجاج للطبرسي[(٢)]. وفي رواية أبي ذر أنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ: جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه فأخذه عليه السلام وانصرف فلما استخلف عمر سأل عليًّا أن يدفع إليهم القرآن.

فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه فقال عليه السلام: هيهات ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به ليقوم الحجة[(٣)] عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون[(٤)] والأوصياء من ولدي قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم فقال عليه السلام: «نعم، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فيتحرى السنة»[(٥)].

(١) كتاب المقالات والفرق صـ ٨٤.

(٢) ص ٨٢.

(٣) هكذا.

(٤) تعريض بالصحابة رضوان الله عليهم وأولهم أبو بكر.

(٥) مقالات القمي صـ ٢٢١ وانظر إلى هذا البهتان ما أقبحه وما أكذبه!! ولا شكر الله لمحمد جواد كلامه.

وقال بعد ذكر وصف الأئمة: «ومثله في وصف الإمام يرفع له في كل بلدة منار ينظر منه إلى أعمال العباد»(١)، قال: وروي عن الرضا عليه السلام قال: «إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة»(٢).

وأخيرًا قال: -وهو يذكر فضائل أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ومن فضائلها إيداع رسول الله ﷺ عندها الكتاب الذي كتبه-: «فقد روي أن الأئمة عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة وأهل النار»(٣).

وهكذا افترى الكذب القبيح محمد جواد مشكور، وهو مأزور غير مشكور وكذاب أحمق إذ لا يصدق ما ذكره هذا الرجل الأحمق والمجانين، وصدق وصدق عليه قول الرسول ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٤).

وفي «الكافي» يذكر الكليني تحت كتاب سماه كتاب «الحجة» فيه من الغلو في الأئمة ما لا يصدقه عقل له أدنى مسكة من المعرفة، والذي ينظر في فهارسه يرى ما يدهش العقل فضلًا عن محتوى ذلك الكتاب من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة من أهل البيت بل والكذب على الله عز وجل وتأويل النصوص وتحريفها عن معانيها تحريفًا شنيعًا والتلاعب بألفاظ الآيات دون خوف من الله عز وجل ولا حياء من العقول.

ومن تلك الأبواب الكثيرة في فضائل الأئمة قوله:

- باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.
- باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه.
- باب أن الأئمة نور الله.

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ قبح الله الكذابين.

(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٦٨.

(٤) بدأه من صـ١٢٨-٣٦٣.

- باب أن الأئمة هم أركان الأرض.

- باب عرض الأعمال على النبي والأئمة عليهم السلام.

- باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ﷻ وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.

- باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة صلى الله عليهم وسلم وأنهم يعلمون علمه كله.

- بابٌ فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام.

- باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.

- باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا «أي: علم الغيب».

- باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

- باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم.

- باب في أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار عليهم السلام.

- باب في أن الأرض كلها للإمام.

- باب في الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة عليهم السلام.

وهذه بعض الأبواب التي أوردها الكافي فما ظنك بالنصوص الكثيرة التي أوردها تحتها كذبًا وزورًا على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة مما يطول إيراده هنا وتثقل قراءته وتزداد به النفس أسًى وحسرة.

فقد زعم الكُليني فيما يروي عن عبد الله جعفر بن محمد الباقر[1] قال: «إن علمنا

(١) من أجلاء التابعين ومن علماء أهل السنة توفي سنة ١٤٨ بالمدينة، وقد ابتلي بأكاذيب الشيعة عليه.

غابر ومزبور، ونكت في القلوب؛ ونقر في الأسماع. فقال: أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك»(١).

وكذلك يروي الكليني: «أن الحسن بن العباس المعروفي كتب إلى الرضا: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: «الفرق بين الرسول النبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبريل عليه السلام فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص»(٢)، والنص كما ترى أيها القارئ العزيز إضافة إلى قبح السؤال والتكلف في الجواب فيه إثبات أن الإمام يوحى إليه بطريقة متواضعة حيث يسمع الوحي بدون أن يرى الموحي إليه، وما دام الحال هكذا فالأئمة أنبياء؛ لأن الوحي خاص بالأنبياء، وفي رواية صريحة في إثبات النبوة للأئمة يروي الكليني أيضًا عن المفضل - أحد رواتهم- أنه سأل أبا عبد الله قائلًا له: «جعلت فداك!!! يفرض الله طاعة عبد على العباد- لأن طاعة الأئمة عند الشيعة من الأمور المسلَّمة- ويحجب عنه خبر السماء؟ قال لا: الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحًا ومساءً»(٣).

ومن التطاول ما يرويه الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: «ورب الكعبة ورب البنية(٤)- ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما» وقد قال شارح الكافي معلقًا على هذا السخف بقوله: لأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن

---

(١) أصول الكافي جـ١ صـ٢٠٧ كتاب الحجة.

(٢) كتاب الحجة جـ١ صـ١٣٤.

(٣) أصول الكافي جـ١ صـ٢٠٤ كتاب الحجة.

(٤) يعني: الكعبة.

موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة»[(١)].

فانظر أيها المسلم أي دين وأي عقل لقائل هذا الفحش والزور المبين وأما بالنسبة لمصحف فاطمة الذي يزعمون كذبًا وبهتانًا أنه نزل به جبريل وأوحاه إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ بعد وفاة أبيها - وحاشا لفاطمة أن تدعي مثل هذا الكذب والفجور وليت شعري ما فائدة وحي ينزل علي امرأة ثم لا تبوح به ولا يطلع عليه الناس؟!.

فإن الكليني يروي عن أبي بصير أنه دخل على أبي عبيد الله وانفرد به عن أعين الناس فسأله قائلًا: «جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم عليًّا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب» فأجابه بجواب طويل ومنه قوله: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟!، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد؟!»[(٢)].

ثم بين ذلك وكيف فزعم أن الله أرسل إليها جبريل يسليها ويحدثها عن الله عز وجل وعلي بن أبي طالب يكتب تلك الأحاديث التي صارت هي مصحف فاطمة فيما بعد.

ونقول في الرد على هذا: «سبحانك هذا بهتان عظيم واحتقار لنبي الله محمد ﷺ حيث فاق ما نزل على فاطمة ما نزل على أبيها خير البشر».

فأي عقول لهؤلاء الذين لا يستحون من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الناس، وأين هذا المصحف المزعوم أخرجوه لنا إن كنتم صادقين!!! إنه لا وجود له إلا في خيال صاحب هذه الأكاذيب الملفقة.

وقد زعم الكليني في «الكافي» عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي

(١) الكافي جـ١ صـ٢٠٤.

(٢) أصول الكافي جـ١ صـ١٨٦ كتاب الحجة.

الحسن عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم»[١].

قال الكليني: «وعن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله وأنا أستمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كف عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله ﷻ على حده»[٢].

ومعنى هذا أن الشيعة إنما يتعبدون الله ﷻ بقراءة هذا القرآن الموجود بين أيديهم ريثما يأتي من يعلمهم مصحف فاطمة فيأخذون به ويتركون ما عداه. وليس هذا فقط، بل ويحكمون بحكم داود، وآل داود كما هو صريح رواياتهم المختلقة على بعض أهل البيت هو رجوع إلى اليهودية.

ويقول أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب «الغيبة»: «الزمان لا يخلو من إمام معصوم لا يجوز عليه الغلط[٣]»، وقد ملأ المؤلف المذكور عدة صفحات في كتابه هذا من إيراد قصص وحكايات طويلة في معرفة الأئمة للغيب حيث يخبرون كل شخص يأتي إليهم بكل ما حاك في صدره قبل أن يخبرهم ومنها هذه الحكاية وغيرها كثير، فروى جعفر بن محمد بن مالك عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب عن محمد ابن أبي عمير، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر - وهو من آل مهران-.

وكانوا يقولون بالوقف - وكان على رأيهم - فكاتب أبا الحسن الرضا عليه السلام وتعنت في المسائل فقال: كتبت إليه كتابًا وأضمرت في نفسي أني متى دخلت عليه أسأله عن ثلاث مسائل من القرآن وهي: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾،

(١) الكافي كتاب فضل القرآن جـ٢ صـ ٤٥٢، وقد شرح المحقق العبارة الأخيرة بقوله: «يعنى به الصاحب ع».

(٢) المصدر السابق جـ٢ صـ ٤٦٢.

(٣) كتاب الغيبة صـ ١٥.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، قال أحمد: فأجابني عن كتابي وكتب في آخره الآيات التي أضمرتها في نفسي أن أسأله عنها ولم أذكرها في كتابي إليه فلما وصل الجواب أنسيت ما كنت أضمرته فقلت: أي شيء هذا من جوابي ثم ذكرت أنه ما أضمرته»[1]. أي: أنه يعلم السر وأخفى، وقال أيضًا: «وروى سعد بن عبد الله عن داود بن قاسم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: «إذا قام القائم يهدم المنابر والمقاصر التي في المساجد فقلت في نفسي: لأي معنى هذا؟ فأقبل علي، فقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة»[2]، وهذه الحرب الشعواء على المساجد إنما تنبئ عما وراءها من الحقد على المساجد والمنابر. ولعل قائل هذا الكلام لم يقرأ تاريخ الرسول ﷺ وبناءه المساجد في عهده، ولم يقرأ القرآن والحث فيه على عمارة المساجد؛ لأنه لا يعرف الوثنية الضالة.

ويقول الطبرسي في «فصل الخطاب»: وهو الكتاب الذي ملأه بالإلحاد والتكذيب لكتاب الله ﷻ كما هو واضح من اسمه-: «فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب»، ونكتفي هنا بالإشارة إلى غلوه في الأئمة من فاتحة كتابه المذكور حيث قال في وقاحته المعهودة وضلاله المشهور: «الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابًا جعله شفاء لما في الصدور ومهيمنًا على التوراة والإنجيل والزبور، والصلاة والسلام على حامله نور النور والبيت الرفيع المعمور، ومحل تدبير الأمور، ومالك أزمة النشور، محمد المنتخب في عالم السرور، وآدم صلصال تهب عليه الشمال والدبور، وعلى آله والصحف الناطقة بكل غايب ومستور، والزبر المحتوي لما يكون أو مضى في سالفات الدهور، مصابيح الأنام في ظلمات عالم الغرور، ومفاتيح خزانة العلم المسطور في رق منشور خصوصًا على مختلف الملائكة في الآصال

---

(١) كتاب الغيبة صـ ٤٧.

(٢) كتاب الغيبة صـ ١٢٣.

والبكور القطب الذي على مداد وجوده الأفلاك تدور المشرق نوره في قلوب مواليه المحتجب عن أعين كل عديم الشعور إلى يوم ينفخ في الصور ويبعث من في القبور»(١).

وهذا الغلو الشنيع كله في مقدمة الكتاب ولا تسأل بعد ذلك عن التفاصيل الأخرى التي ملأ بها الكتاب فإنها أكثر مما تتصور وفيها من الإقدام على الافتراءات والكذب على الله وعلى رسوله وعلى آل البيت ما يدهش العقل.

ويقول الخميني من علمائهم المتأخرين: «مقام خلافة الله الكبرى التي حازها الأئمة الأطهار وقد جاءت في لسان الأخبار «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» خلقهم أنوارًا بعرشه محدقين إنهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافًا في قدم الخلق وفي التكوين وفي الوجود ولهم مع الرب تعالى مرتبة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل، إن لهم مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل أجل وإن أقرب ملائكة الله المقربين لم يستطع أن يعرج مع محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى قائلًا لو دنوت أنملة لاحترقت»(٢).

ولكن نرى الخميني وهو يصل إلى هذا الحد من الغلو في الأئمة نراه وهو يصور الرسول ﷺ صورة سيئة غير لائقة بالرسول ﷺ صوَّره على أنه لم يأت لتطبيق الشريعة الإسلامية فقط بل جاء ليأخذ زمام السلطة والخلافة على المسلمين في أنفسهم وأموالهم ومن ثم تولى زعامة المعارضة قال: «كان انطلاق مذهب التشيع من نقطة أولى غرسها النبي ﷺ وآله وجعل أساس هذا المذهب عليها منذ اليوم الأول وواجه استهزاء القوم حينما جمع عشيرته الأقربين وقال لهم: من آزرني على هذا الأمر يكون وصيي وخليفتي (الحديث غير صحيح كما يذكر المحققون) من بعدي فلم يجبه سوى علي بن أبي طالب ولم يبلغ الحلم لكنه بلغ مبلغه من قوة الإدراك وكان يملك روحًا واسعة أوسع من هذا العالم الفسيح فقام ملبيًا دعوة النبي

(١) فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب صـ ٢.

(٢) ولاية الفقيه صـ ٦١.

ﷺ ومن ثم قال بعضهم لأبي طالب مستهزئًا أصبحت تحت لواء ابنك. وكذلك اليوم الذي عرض فيه النبي ﷺ ولاية أمير المؤمنين على المسلمين بغدير خمٍّ يوم علت أصوات القوم لك يا علي بإمرة المؤمنين فكانت بذرة النفاق والخلاف تنمو من ذلك اليوم الرهيب واستمرت ولا تزال. فلو كان النبي ﷺ يقصد بهذا الأمر مجرد التصدي لبيان أحكام الشريعة لم يكن ليواجه تلك المخالفات والمعاكسات المقلقة نعم إنه قصد الخلافة والحكومة على المسلمين في نفوسهم وأموالهم والأخذ بأزمة أمور المسلمين عامة ومن ثم تلك المعارضات»(١).

ولا شك أن هذا الكلام مملوء بالمغالطات وقلب الحقائق وقد نخرج من موضوع دراستنا لو استفصلنا في الرد عليه ولكن يكفي هنا أن نشير إلى أنه اعتمد على الأحاديث الباطلة والغمز في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بأن الرسول ﷺ إنما جاء لطلب الملك والخلافة وهذا بعكس ما جاء في الكتاب والسنة بل وما حصل للرسول ﷺ من مواقف في أول دعوته حيث جاءه كفار قريش وعرضوا عليه عدة مغريات ومنها أنهم قالوا له: «وإذا كنت تريد ملكًا ملكناك»(٢). فرفض تلك العروض واحتقرها لأنها مغريات جاهلية دنيوية والله كلفه بما هو أسمى من ذلك فقول الخميني: إن الرسول ﷺ قصد الخلافة والحكومة على المسلمين في نفوسهم وأموالهم كلام لا يليق بالرسول ﷺ كما هو مبسوط في مواضعهم من كتب المسلمين.

والغرض إنما هو الإشارة إلى أن الشيعة لم يكن لهم طريق واضح تجاه أهل البيت فهم مرة يغالون في رفعهم، ومرة يغالون في هضم حقوقهم في روايات كثيرة ملئت بها كتبهم مثل ما جاء في تعليق الدكتور محمد جواد مشكور على القمي حين ذكر الفرقة الشيعية الذين مالوا إلى القول بإمامة جعفر بن علي بعد أبيه علي وتركوا أخاه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى وسماهم القمي «الجعفرية

(١) ولاية الفقيه صـ١٣٦.

(٢) انظر كتب التاريخ (انظر مختصر سيرة الرسول ﷺ) صـ ١١٥.

الخلص» قال الدكتور محمد جواد: «جعفر بن علي هذا هو الملقب عند الشيعة بالكذَّاب لادعائه الإمامة بعد أخيه الحسن ويكنى أبا عبد الله ويلقب كرين»[1].... إلخ. كلامه عنه ثم ذكر مراجع الشيعة في ذلك، والخلاصة أن مواقف الشيعة من آل البيت هي التي هيئت الجوَّ للمغامرين أن يدعوا النبوة فيهم أو في أهل البيت.

وإن من يتتبع كلام الشيعة يجد أنهم أعداء أهل البيت حقيقة وأن السبَّ والشَّتم الذي يلقونه جزافًا على بعض أهل البيت إنما هو في أكثره لأغراض سياسية لا شأن لها بالغيرة على الدين لا من قريب ولا من بعيد.

هذا ما أحببت الإشارة إليه مما يتعلق بموضوع هذه الدراسة، وهناك أخبار وطرائف في حماقة الشيعة ونظرتهم إلى أئمتهم نحتاج في دراستها إلى كتابات مستقلَّة ودحض حججهم وأقوالهم مما لا يصعب على طالب العلم إذ أن الشيعة بنوا تلك الخرافات والتهويلات لشأن الأئمة على أخبار ملفقة من نسج خيالات علمائهم الذين لا يتورعون عن إيراد النصوص على الله وعلى أئمتهم بأسانيد مكذوبة واهية عن كذابين يستحقون اللعن باعتراف علمائهم، ويكفي للرد عليهم أن الله تعالى قد أرسل نبيه محمدًا ﷺ وجعله خاتم الأنبياء وجعل دينه خير الأديان وأكملها فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فمن زعم أن الله يوحي إليه أو إلى غيره من الناس فقد زعم أن الدين لم يكمل ومن زعم ذلك فقد كذَّب الله وكفر بالقرآن الكريم، ومن زعم أن الله قد افترض طاعة أحد في كل ما يأتي أو أن أقواله وأفعاله تشريع للناس فقد ادعى له النبوة؛ لأن من كان كذلك فهو نبيٌّ، ومن ادعى نبوة أحد بعد الرسول ﷺ فلا شك في خروجه عن الإسلام.

* * *

(١) فرق القمي صـ ٢٤٩.

الفصل الثامن..

النبــوة عنــد غـــلاة الصوفيـــــة

النبوة عند غلاة الصوفية..

غلاة الصوفية متنبئون وإن لم يصرحوا بدعوى النبوة فإنهم قد غلوا في تقديس أشخاصهم حتى أوصلوا أنفسهم إلى درجات فوق النبوة، ومن الأمثلة على ذلك:

١- ما يذكره على حرازم عن مشائخه وعلى رأسهم التجاني فقد وصفه بعدة أوصاف لا تليق به فهو عنده خاتم الأولياء يعرف كل ما في اللوح المحفوظ وبيده مقاليد الأمور وأذكاره لها من الأجر ما لا يعرف إلا بالوحي إذ هي من الأمور الغيبية ويلتقي بالرسول ﷺ في أي وقت يريد يقظة لا منامًا، ويلتقي بموسى عليه السلام وسائر الأنبياء وله تصرفات لا تعرف إلا بمعرفة علم الغيب يدعيها له علي حرازم، وعلى كل حال فإن كتابه «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» الاسم نفسه ينبئ عن ما وراءه من مبالغات في تقديس هذا الشخص تدل دلالة واضحة على حمق وغباء هذا المؤلف وجهله المطبق فقد خصص الكتاب كله في الثناء على التجاني وعلى سائر الأولياء الذين ذكرهم.

٢- الفوتي: وهو من الغلاة الكبار فقد ملأ كتابه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم» بالغلو في تقديس مشائخه وعلى رأسهم التجاني والشيخ محمد الغالي وأمثالهم وقد تبين لك ذلك من خلال قراءة الفصول الآتية:

الفصل الثامن عشر في إعلامهم أن الشيخ - وهو الولي الكامل في قومه - كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائبًا عن النبي ﷺ[١].

الفصل السادس والعشرون في ذكر أصل تلقين الأذكار وأخذ العهد والبيعة والمصافحة والمشابكة[٢].

---

(١) الرماح حاشية جواهر المعاني جـ١ صـ١٢٦.

(٢) جـ١ صـ١٨٥، وانظر الفصل الذي بعده.

الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ...إلخ[١].

ففي الفصل الثامن عشر أشار إلى أن دائرة الولي من هذه الأمة أوسع من دوائر الأنبياء السابقين ثم استدل بشعر ابن الفارض في قوله:

فعالمنا منهن نبي ومن دعا   إلى الحق منا قام بالرسلية

ثم قال: «وقد صح في الأثر أو الولي في قومه كالنبي في أمته».

وأما الفصل الحادي والثلاثون فقد ذكر فيه روايات وأقوالًا منسوبة لمشائخه لا يجرؤ على ذكرها إلا أهل الإفك والسكارى فقد حشد فيه أقوالًا لا يصدقها من له أدنى مسكة من العقل في رؤية القوم للنبي ﷺ ومن كثرة ملازمة الرسول وظهوره لبعضهم مثل الشيخ خليفة النهرملكي بل وصل الأمر بالرسول ﷺ أن يعتذر إلى خليفة بأنه يخاف أنه أضجره بكثرة زياراته له!!!»[٢].

وقد حكى الفوتي عن شيخه التجاني أنه قال: «أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه إلا للأنبياء»[٣].

ويبلغ التجاني غاية الحمق والجهل حين يروي عنه الفوتي قوله: «وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحاب الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي». فأي نبي ضمن هذا الفوز بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، ولو بلغوا من المعاصي ما بلغوا غير التجاني المستهتر الذي يروي عن أبي يزيد البسطامي ما يدل على تنبئه حيث قال: «قيل: إن أبا يزيد باسطه الحق في بعض مباساطاته قال له: يا عبد السوء لو أخبرت الناس بمساوئك لرجموك بالحجارة فقال له: وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت

---

(١) جـ ١ صـ ٢١٠.

(٢) جـ ١ صـ ٢١٨.

(٣) جـ ٢ صـ ٣٣.

لي من سعة رحمتك لما عبدك أحد فقال له: لا تفعل فسكت»[١].

ثم استمع إلى الدجل والخداع المقيت في قول علي حرازم فيما يرويه من قول بعض الكبار: «إني أرى السموات السبع والأرضين السبع والعرش داخلًا في وسط ذاتي وكذا ما فوق العرش من سبعين حجابًا وفي كل حجاب سبعون ألف عام وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا - بتشديد الراء والقاف-[٢]. فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلًا عن جوارحهم إلا بإذن صاحب الوقت أعني به القطب انتهى»[٣]. ثم استمر في هذيانه فأورد أخبارًا لا يملك القارئ إزاءها إلا أن يقول: «الحمد لله على نعمة العقل».

ثم استمر في ضلالاته وخزعبلاته يروي أقوالًا ومناقب لبعض أئمته تفوق مراتب الأنبياء كلهم ولا يجرؤ على القول بها إلا كبار السكارى والمعتوهين مما يجعل مدعي النبوة يتصاغرون أمام هؤلاء الدجاجلة الكبار، وما يحير العقل ويشتد به قلق المسلم أن الصوفية فرقة كبيرة من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام ولهم شطحات وآراء مختلفة ومتناقضة لا نريد أن ندخل في تفاصيل دراسة أهل هذا المذهب فقد كتب العلماء عنهم كتابات عديدة ومؤلفات شهيرة، والذي يهمنا منها هنا الجانب الذي له مساس بدعوى النبوة وما شابهها، فقد لبس إبليس على عقول هؤلاء المتصوفة فأخرجهم عن دينهم ولعب بعقولهم إلى حد الغلو الفاحش حيث توج بعضهم تصوفه بالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووحدة الشهود والمكاشفة وتلقي الوحي والإلهام ومخاطبة النبي ﷺ يقظة لا منامًا. إلخ. ترهاتهم ثم اخترعوا

---

(١) جواهر المعاني جـ ٢ صـ ١٥٢.

(٢) ولك أن تعجب من هذا العالم الذي سماه الرَّقَّا متى خلق ومن خلقه ومن أخبره به ومن أن أحدًا من البشر لم يذكر عالم الرقا إلا علي حرازم وحده!!!.

(٣) جواهر المعاني جـ ٢ صـ ٨٠.

لأنفسهم ألقابًا لم تعرف عند سلف الأمة الإسلامية. فأحدثوا ألقاب الأقطاب، والغوث، والأبدال، والأوتاد، وخزعبلات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان وما ادعا إليها أي دين من الأديان، بل هي مجموعة من شتى الأفكار والخيالات السقيمة قصد بها أكل أموال الناس بالباطل والزعامة وارتقاء المناصب وقد تمَّ لأكثرهم ذلك في عصور الجهل والانحطاط الذي أصاب الأمة الإسلامية حينًا من الدهر فغفلوا عن دينهم في حين أن أعداء الإسلام لم يألوا جهدًا في تحويل المسلمين إلى خرافات الصوفية للقضاء على الشخصية الإسلامية والتمكين للمستعمرين على بسط نفوذهم وإحكام قبضتهم على أعناق المسلمين فغلب المسلمون بسبب ذلك على أمرهم وحلَّت الخرافات والبدع محل الاعتقاد السليم، وحلت عبادة المخلوق محل عبادة الخالق، وتوالت على المسلمين عصور رهيبة رجع كثير منهم فيها إلى الوثنية والنصرانية وسائر الملل من حيث يشعرون، أو لا يشعرون حتى قيض الله لأمة الإسلام من انتشلهم من حمأة الرذيلة إلى نور الفضيلة وحل قول المسلمين: اللهم انتشلني من الشرك إلى نور التوحيد بدل الدعاء الصوفي: «اللهم انشلني من أوحال التوحيد»[1]. الذي كان يدعو به جهال التصوف من الشاذلية ابن مشيش ومن اتبعه في ضلالاته وتبعًا لتلك الأحوال فقد برز من صفوف المتصوفة عتاة مجرمون ادعوا النبوة بل وادعوا الألوهية عن طريق الاعتقاد بالحلول والاتحاد وزعموا أنهم على اتصال مباشر بالله وأن الله يوحي إلى أحدهم متى شاء وأنه يتصرف في هذا الكون حسب إرادته التي هي إرادة الله - تعالى عن إفكهم - وأن الله لا يعذبهم بل لو بصق أحدهم على النار لأطفأها كما تشدق بذلك البسطامي[2].

والواقع أن هؤلاء الذين يعتقدون الحلول والاتحاد قد يظن البعض أنهم غير

---

(١) هذا الدعاء كان يردده ابن مشيش من الشاذلية وهو من أورادهم. انظر جواهر المنجاني لعلي حرازم صـ ٣٣٥، انظر الفكر الصوفي صـ ١٣٩.

(٢) انظر الفكر الصوفي صـ ١٤٨.

داخلين ضمن هذه الدراسة وهذا البعض محقٌّ من ناحية أن هذه الدراسة إنما تتعلق بالمتنبئين ولكن ينبغي ملاحظة أن سبب دراستنا لهم هنا إنما هو من ناحية أن هؤلاء لم يدعوا الحلول إلا بعد أن تجاوزوا مرحلة النبوة حسب عقائدهم الخبيثة بل ووصل كثير منهم إلى دعوى النبوة إما بطريق مباشر أو غير مباشر بما انتحل لنفسه من صفات النبوة، ومن هنا أحببت الإشارة إليهم لاستكمال الموضوع حيث أثبت أولًا دعواهم النبوة وأما بالنسبة للردود عليهم في اعتقادهم الحلول والاتحاد فهو أقل من أن يلتفت إليه أو يعنى بدراسته والانشغال به. فإنه ما من مسلم سليم الفطرة، سليم العقل إلا وهو يعرف كفر هذه المبالغة.

ومن الأمور البارزة في العقيدة الصوفية وتعلقهم بالوحي فيها ما يظهر واضحًا جليًّا في الأذكار التي اخترعها دهاة الصوفية ثم تلقفها أتباعهم عنهم بكل شغف دون أن يعملوا أفكارهم وعقولهم في تمحيص تلك الأذكار الكثيرة التي تضاربت فيها أقوالهم وادعاءاتهم فبعضهم يزعم أن الله أوحي بها إليهم، وبعضهم يزعم أن الرسول ﷺ هو الذي أوحاها، وبعضهم يزعم أن الخضر هو الذي أوحاها إليهم، وبعضهم يوردها على أنها من أولياء ماتوا قديمًا ... إلخ ما هنالك من خرافاتهم في أورادهم التي شغلوا بها أذهان المسلمين وأكلوا بها أوقاتهم وأموالهم وهم يترنمون بها ليلًا ونهارًا متخيلين أنهم على شيء.

لقد اخترع دهاة الصوفية أذكارًا وزعموا أنها جاءتهم عن طريق الوحي المباشر عن الله تعالى أو عن الرسول ﷺ أو عن الخضر وجاؤوا فيها بشطحات كفرية زعموا أنهم ألهموها في حال سكرهم بالله تعالى وهم كاذبون بل قالوها متعمدين مفترين على الله تعالى في حال فجورهم.

وكمثال على ذلك ما قاله أبو يزيد البسطامي عن الله ﷻ في قوله: «رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروني فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا:

رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك»[١].

وهذه المحادثة التي اختلقها البسطامي بينه وبين الله حيث خاطبه الله لابد عن طريق النبوة وما أشار به البسطامي على رب العالمين في تلك الحيلة لمشاهدة الله ﷻ في صورة البسطامي هي إحدى شطحات البسطامي الكثيرة، وهذه واحدة منها لدعوى النبوة وطلب الحلول والاتحاد. ثم تأتي خرافة الولاية التي أكملوا بها ثالثة الأثافي فإذا بالوليِّ مثل النبي تمامًا وله شريعة مثل النبي وقد تتوافق مع ما قاله النبي وقد تختلف. ثم ارتقت الولاية إلى الأعلى فإذا بالولي فوق منزلة النبي عنده العلم اللدني والاطلاع على اللوح المحفوظ ومخاطبة الله له متى أراد، بل ويتصرف في الكون بتفويض الله له كما يتصرف الوكيل المفوض له عن موكله خصوصًا حينما يصل القطب إلى ختم الولاية به فهنا يصبح لا حد لسلطته وكشفه واتصاله بالملأ الأعلى فيستطيع أن يحضر الأرواح ويقسم البركات ويغفر الذنوب ويأخذ أحدهم العلم غضًّا طريًا فيقول: حدثني قلبي عن ربي مباشرة دون واسطة لا جبريل ولا غيره وإذا أراد أن يحيي الموتى فله ذلك كما وقع لكثير منهم حيث أحيوا بعض الموتى من البشر ومن الحيوانات بل يحيون الفراخ المشوية وغير ذلك مما وصل إليه أقطاب التصوف في دعاويهم السخيفة التي ملأ بها الشعراني وعلي حرازم كتبهما الباطلة واقرا قولهم الآتي الذي ينقله عنهم علي حرازم في كتابه «جواهر المعاني»: «فإنه في وقت الأخذ عن الله ينمحق الآخذ محقًا كليًّا فلا يبقى له شعور بنفسه فضلًا عن غيره من الوجود فيسمع ما يسمع في تلك الحضرة من الإلقاءات وما ثم إلا الحق المتكلم والأخذ لا غير»[٢].

وينقل عن الشيخ الأكبر - كما يسميه- قوله: «لولا علماء الظاهر[٣] -أو كما قال-

---

(١) انظر اللمع صـ ٤٥٣.

(٢) المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٠٧.

(٣) يقصد علماء المسلمين.

لأتت الأولياء عن الله بما أتت به الأنبياء»(١).

بل وادعى أن الشيخ يعرف عدد أنفاس الإنسان وخواطر قلبه ولا شك أنه يرى نفسه فوق مرتبة النبوة حسب وصفه له إلى أن يقول علي حرازم عن سيده أحمد التجاني: «وسألته ﵁ عن عدد أنفاس الإنسان فأجاب ﵁ بقوله: عدد أنفاس الإنسان أربعة وعشرون ألفًا نصفها داخل ونصفها خارج، وأما الخواطر فعددها سبعون ألف خاطر تخطر كل يوم على القلب»(٢).

فهل بعد هذا الكذب والتطاول على معرفة الغيب كذب؟ وأين النبوة من هذه الأساطير؟ ثم استمر في تخريفاته مبينًا كيفية وحي الله إلى الولي وإلى النبي بما تتقزز منه النفوس وذكر أن الولي بعد أن يسمع كلام الله لا يستطيع سماع كلام الناس لمدة ثلاثة أيام. قال: «فإنه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحه بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق»(٣).

أما الفوتي الكدوي فإنه لا حد لجماع غلوه فقد ساوى بين الصحابة الذين هم في زمن الرسول ﷺ والصحابة الذين هم في زمن التيجاني وبعد أن مدح التيجاني قال: «قلت: ولهذا صار أهل طريقته صحابيين»(٤). ثم تبجح بأن المهدي الذي يأتي في آخر الزمان يكون على طريقة التيجاني بل ويتعلم من صحابة التيجاني الفاتحة وهذا تطاول واستكبار يدل على جهلهم وسفالتهم وقال التيجاني مفتخرًا حين سئل عن قول عبد القادر الجيلاني: قدمي هذا على رقبة كل ولي لله تعالى قال: -كما يرويه عن صاحب الرماح الفوتي يعني: أهل عصره.

وأما أنا فقدماي هاتان وجمعهما ﵁ وكان متكئًا فجلس وقال: علىٰ رقبة كل ولي

(١) صـ١٠٨.

(٢) نفس الصفحة جـ٢.

(٣) صـ١١.

(٤) حزب الرحيم جـ٤٩ صـ٢ مع جواهر المعاني.

لله تعالى من آدم إلى النفخ في الصور»[١].

وقال أحد الشعراء في مدحه من قصيدة:

وعمتـــه أنـــوار النبـــوة فاغتـــدى بهـا وارثًـا كـل الكمـال بـلا حـصر[٢]

وهناك عشرات الأمثلة من كلام علي حرازم والفوتي الكدوي في رماحه على دعوى النبوة وسماع كلام الله من قبل أقطاب الصوفية تركتها، ومن أراد الزيادة فعليه بهذين الكتابين الذميمين أو غيرهما من كتب الصوفية التيجانية مثل كتاب: «الهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية» وغيرها وقد جمعت أمثلة كثيرة منها في كتابي «فرق معاصرة».

أما الطاغية ابن عربي فقد سخر ممن لم يعرف معنى حديث: «لا نبي بعدي» الذي هو حسب فهمه، أي لا شرعة خاصة، لا أنه لا يكون بعده نبي[٣]، فهو هنا يطمئن الأولياء الذين يتطلعون إلى دعوى النبوة بأن النبوة التي ارتفعت إنما هي نبوة التشريع مطلق النبوة، وهذا القول إنما قاله مغالطة وإلا فقد أثبت لخاتم الأولياء - حسب زعم الصوفية- أن له تشريعًا خاصًّا به قد يتفق مع الرسالة المحمدية وقد يخالفها.

وقد علل ذلك بأن الولي -يقصد نفسه -: «أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه»[٤]. وهذا التشريع لا غرابة فيه ما دام وقد زعم أن كتابه «فصوص الحكم» «وحي من الله عليه فما ألقى إلا ما يلقى إلي ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي»[٥].

وقال أيضًا: «فوالله ما كتبت حرفًا إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني ونفث روحاني» إلى أن يقول: «فالتنزيل لا ينتهي بل هو دائم دنيا وآخرة».

(١) المصدر السابق جـ٢ صـ١٦.
(٢) جواهر المعاني جـ١ صـ٥٦.
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٥) صـ١٩٧ .

وقال أيضًا: «وإنما نورد في كتابنا وجميع ما كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق بالإخبار الإلهي المنفوث في الروح من الوجه الخاص هذا طريق القوم أخبر أبو يزيد عن نفسه عن أخذه عن الله فقال فيما رويناه عنه يخاطب علماء زمانه: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيِّ الذي لا يموت»(١). ومع أن هذا الكتاب في الواقع سيىء التراكيب غامض العبارات مما يؤكد أنه من وحي الشياطين زخرف القول غرورًا وقد يباهي ابن عربي بهذا النص عن البسطامي ظانًّا أن الناس بلغوا من الغفلة أن يقبلوا كلام المتنبئين الكذابين الذين يكذبون على الله بما يزعمون من مكالمتهم وإلهامهم والنفث في روعهم وغير ذلك مما هو من خصائص النبوة التي ليست لغيرهم.

وقد أراد ابن عربي أن يشابه النبي ﷺ في كونه لا نبيَّ بعده وابن عربي وليٌّ لا وليَّ بعده فقال: «فإني أنا الختم لا وليَّ بعدي، ولا حامل لعهدي، بفقدي تذهب الدول وتلتحق الأخريات بالأول»(٢). ولا أدري كيف تذهب الدول وتلتحق الأخريات بالأول بعد فقده. وقد هلك فهل حصل ذلك؟! وإذا كان هو خاتم الأولياء فما منزلة الوليِّ في نظره والجواب أنها بينها عند كلامه عن الحديث: «**مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»(٣). بينها في شرحه للحديث بأن كذب قول الرسول ﷺ بأن النقص كان لبنة واحدة وهي الرسول ﷺ نفسه فجعلها ابن عربي لبنتين ثم مايز بين الولي والنبي ﷺ في تلك اللبنتين فأجحف في حق الرسول ﷺ ورفع نفسه متطاولًا عليه فقال: «والولي يراها موضع لبنتين لبنة فضة وهو النبي ﷺ وأخرى ذهب وهو الولي»(٤). وعلى حسب

---

(١) الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي تأليف محمود محمد الغراب انظر صـ١٨٩، وانظرها في فصوص الحكم.

(٢) انظر الصلة بين التصوف والتشيع صـ ٤٧٢.

(٣) أخرجه البخاري جـ ٤ صـ ٢٢٦، ومسلم جـ ٤ صـ ١٧٩٠.

(٤) الفصوص صـ ٦٣.

هذه القسمة الضيزى يكون ابن عربي أعلى وأغلى من النبي ﷺ فقيمة الذهب أغلى من الفضة.

ولا شك أن الذي جرأه على هذه المفاضلة الظالمة الكاذبة هو عدم إيمانه بختم النبوة بمحمد ﷺ. ثم الاستكبار في نفسه وتطاوله وعتوه، وفي تعبير آخر له في بيانه للفرق بين الولاية والنبوة، يقرر ابن عربي أن الولاية أعم وأتم من النبوة والرسالة وعلل ذلك بأن الله لم يسم نفسه بالنبوة ولا بالرسالة وتسمى بالولي فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] انظر إلى الفهم العجب؟!

ومن هنا يقول ابن عربي: «إن الرسول عليه السلام من حيث هو وليٌّ أتم من حيث هو نبيٌّ ورسول»[١]. وما دام وهو نفسه خاتم الأولياء وأكملهم كما يزعم لنفسه فإنه يكون قد تجاوز ادعاء النبوة والرسالة، وكثيرون من عتاة التصوف قد قالوا بهذه الفرية أي: تفضيل الولي على النبي، كالدباغ، والجيلي، والبسطامي، وسعد الدين حمويه، والحكيم الترمذي وهو أصل الفساد وزعيم المقالة هذه فيما يذكره الباحثون عنه، قال شيخ الإسلام في بيانه لأهداف الملاحدة من المتصوفة وموقفهم من النبوة: «ولهذا كان الملاحدة من المتصوفة على طريقهم كابن عربي وابن سبعين وغيرهما قد سلكوا مسلك ملاحدة الشيعة كأصحاب رسائل إخوان الصفا واتبعوا ما وجدوه من كلام صاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها وهو الغزالي وغير ذلك مما يناسب ذلك فصار بعضهم يرى أن باب النبوة مفتوح لا يمكن إغلاقه».

فيقول -كما كان ابن سبعين يقول-: «لقد زرب ابن آمنة حيث قال: «**لا نبوة بعدي**» أو يرى لكونه أشد تعظيمًا للشريعة أن باب النبوة قد أغلق فيدعى أن الولاية أعظم من النبوة وأن خاتم الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأن خاتم الأنبياء بل وجميع الأنبياء إنما يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء، ويقول: إنه يوافق النبي في معرفة الشريعة العملية لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا

(١) فصوص الحكم «فص الحكمة القدرية في كلمة عزيزية» صـ ١٣٥.

وأنه أعلم من النبي بالحقائق العلمية لأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[1]، فمحمد عندهم يأخذ من الملك الذي هو عندهم خيال في نفسه، وذلك الخيال يأخذ عن العقل فمحمد عندهم يأخذ عن جبريل وجبريل يأخذ عن ما علمه من النفس الفلكية، فزعم ابن عربي أنه يأخذ من العقل وهو المعدن الذي يأخذ منه جبريل، فإن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة ويذمون طريق النظر والقياس وما يدعونه من الكشف والمشاهدة عامته خيالات أنفسهم ويسمونه حقيقة»[2] بل هؤلاء مرضى الوساوس الفارغة ومطايا لتلاعب الشيطان بهم حيث زين لهم سوء أعمالهم ووساوسهم فرأوها صحيحة ومن هنا فإن ابن عربي يزعم أن العلم إذا لم يكن عن طريق الفيض الإلهي فإنه لا يعتبر علمًا بل ظنون لا يجب الانقياد لها، جاء في كتاب الشيخ الأكبر: «فالعلم عن طريق الفيض الإلهي وعليه أصحابنا ... فما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم فإنما هي غلبة ظنٍّ أو مصادفة علم أو جزم على وهم وأما علم فلا»[3].

أي: أن ما علمه الصحابة ومن تبعهم بإحسان بل وكل علماء المسلمين إنما أخذوه بالظنون لا بالعلم اليقيني حسب هذا الافتراء الظاهر فعلم الصحابة كما يرى ظنون أو مصادفات أو أوهام خيالية؛ لأنهم لم يتتلمذوا على ابن عربي ورفاقه.

ولقد ذكر الدكتور كمال محمد عيسى[4] مقارنة جيدة بين ابن عربي وما زعمه لنفسه من خصائص النبوة والرسالة وبين الأنبياء كلهم على النحو الآتي:

١- الرسول خاتم النبوة .. فيزعم أنه خاتم الولاية.

---

(١) من سورة الفرقان آية ٢١.

(٢) الرد على المنطقيين صـ٤٨٦-٤٨٩.

(٣) الشيخ الأكبر صـ١٧٦.

(٤) نظرات في معتقدات ابن عربي صـ٨٨.

٢- الرسول لبنة في بناء الرسل ...فيزعم أنه لبنتان في بناء الكعبة[١].
٣- الرسول يتنزل عليه القرآن...فيزعم أن الله أملى عليه الفتوحات.
٤- الرسول يتلقى الوحي عن جبريل...فيزعم أنه يتلقى الوحي عن الله تعالى.
٥- الرسول أسرى به وعرج...فيزعم أنه أسرى به وعرج[٢].
٦- الرسول جمع الله له الأنبياء...فيزعم أنه التقى بجميع الأنبياء[٣].
٧- الرسول سمع تسبيح الحجر...فيزعم انه سمع تسبيح كل شيء[٤].
٨- الرسول واصل الصيام...فيزعم أنه يواصل فيطعمه ربه[٥].
٩- الرسول يرى من خلف ظهره...فيزعم أنه يرى من جميع جهاته[٦].
١٠- الملائكة تتأذى من الخبث...فيزعم أنه يشمُّ كل شيء طيبًا[٧].
١١- الملائكة تحمل عرش الله...فيزعم أنه من جملة حملته[٨].

وأبو يزيد البسطامي هو الآخر من المتطاولين على مرتبة النبوة فقد قال في افترائه في علوه ومفاخرًا الأنبياء ومبينًا منزلته هو وأتباعه الغلاة: «خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله».

ويقول أيضًا مشنِّعًا على أمة محمد ﷺ الذين لم يدعوا الوحي مثله قال لهم: «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أحدكم: حدثنا فلان عن فلان وأين فلان؟ قالوا: مات، وأما أحدنا فيقول: حدثني قلبي عن

(١) فصوص الحكم تحقيق الدكتور أبو العلا المتبقي أي: أنه حجران من أحجار البيت.
(٢) كتاب الشيخ الأكبر صـ١٢٦.
(٣) المصدر السابق صـ١٢٨ ولا أحد يدري أين التقى بهم؟!.
(٤) المصدر السابق صـ٩٨.
(٥) المصدر السابق صـ١٠٢.
(٦) المصدر السابق صـ١٢٦.
(٧) لعله لفساد حاسة الشم عنده.
(٨) بل من حمله حملة الأوزار العظام.

ربي»(١).

وما علم لجهله أن هذه الدعوى بإمكان كل كاذب مفترٍ أن يدعيها ظنًّا منه أن الناس كلهم سيصدقونه في هذه الأقوال الإجرامية وهيهات فإن العاقل يستحيي أن ينسب لنفسه هذه الشطحات الفارغة. ومنهم محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ الذي ادعى ختم الولاية به. والذي كان يردد قوله مفتخرًا بنفسه: «من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار، ولا حرج على في ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء»(٢).

وهذه المزية التي ادعاها لا توجد حتى في الأنبياء والرسل وهذا يعني أنه فوق مرتبتهم وصدق الذي قال: «الجنون فنون» وما دام وقد رفع الحرج عن نفسه فله أن يقول ما يشاء وسيجد ذلك في كتاب يلقاه منشورًا في يوم القيامة. ثم أيضًا ما الذي قدمه للبشرية حتى يختصه الله بهذه الرحمة العجيبة.

ومنهم ابن سبعين وهو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي ولد في مرسية عام ٦١٤ هـ وكان فيلسوفًا كثير الشطحات كان لا يؤمن بختم النبوة بحمد ﷺ كما يظهر من كلامه كما سبق فقد ضاق ذرعًا بذلك فقال بأسلوبه القبيح وسوء أدبه مع النبي ﷺ: لقد تحجر ابن آمنة واسعًا بقوله: «لا نبي بعدي» ولا شك أن هذا التشجيع على دعوى النبوة كان له صدى عند كثير من أصحاب النفوس المتعطشة للزعامة والعلو من غلاة الصوفية ومن غيرهم ولقد أساء الأدب مع النبي ﷺ بما لا يتطاول عليه مسلم في قلبه ذرة من الإيمان فقد نسب الرسول ﷺ إلى أمه تصغيرًا له وافترى في زعمه أن دعوى النبوة واسعة تصلح لكل من يريدها وهو كلام صادر عن استكبار وترفُّع كاذب.

ومنهم الجنيد الصوفي الشهير فيما يقوله عنه الشعراني حيث يذكر الشعراني عنه

---

(١) انظر الإنسان الكامل للجيلي صـ ٦٥- ٦٦ (عبد الكريم الجيلي).

(٢) تاج التفاسير صـ ٤ «لمحمد عثمان الميرغني».

أنه يكلم الله تعالى فقد روى عنه قوله: «لي ثلاثون سنة أتكلم مع الله تعالى»[(١)].

وقد روى مثل هذا الكلام عن متصوفة غيره مثل سهل بن عبد الله التستري الذي قال: «أنا منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يتوهمون أني أكلمهم»[(٢)]، ومثل هذا الكلام نقل أيضًا عن إبراهيم المتبولى[(٣)]. الذين زعموا أن الله يكلمهم ويكلمونه عن طريق الوحي من الصوفية أمة لا يحصون إلا بكلفة كما نقل عن إبراهيم الأعزب[(٤)] مرشد الرفاعية وأبو الحسن على الشاذلى[(٥)] مرشد الشاذلية وذي النون المصرى[(٦)] وغيرهم كثير ممن يذكرهم المتصوفة.

وفتح الله بوراس القيروانى[(٧)]، وإبراهيم الدسوقى[(٨)]، ثم إن الصوفية أصَّلوا قاعدة وحكمًا عامًّا وقالوا[(٩)]: «ما كان ولي متصل بالله تعالى إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه»[(١٠)].

ولم يقف جنون المتصوفة عند حدٍّ بل وصلوا في الجهل والتقول على الله والكذب الفاضح إلى حد يذكره «الكمشخانلي»[(١١)] في صورة منفرة تتقزز منها الأذواق الطاهرة حيث يقول في مدح الأولياء وخصوصًا جماعة منهم يسمون الرحمانيين فيقول: «والرحمانيون وهم ثلاثة أيضًا: وهم عند الوحي يجلسون عرايا

---

(١) طبقات الشعراني صـ ٢٠٠.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق محمود أمين النواوي صـ ١٧٢.

(٣) انظر أخلاق المتبولي للشعراني جـ ١ صـ ٤٨٢.

(٤) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر لسيد بن محمد ابن الهدى الرفاعي صـ ١٨٠.

(٥) المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود صـ ٣٤-٣٥.

(٦) تذكرة الأولياء للعطار صـ ٧٤.

(٧) الوصية الكبرى للشيخ عبد السلام الفيتوري صـ ٧٥.

(٨) الطبقات الكبرى للشعراني صـ ١٨٠ جـ ١.

(٩) التصوف تأليف إحسان إلهي صـ ١٧٥.

(١٠) أسنده إحسان إلهي في كتابه التصوف إلى الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ صـ ١٨٠.

(١١) انظر جامع الأصول في الأولياء صـ ١٣٣.

ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه[١].

وغريب جدًّا أن ينزل الوحي عليهم فقط في حال تعريهم لا شك أن ذلك وحي الشياطين هم الذين يتنزلون عليهم في تلك الحال التي تليق بوحيهم ومكانتهم الخرقاء وإلا فإن الملائكة - كما ورد في الحديث - يستحون أن يروا العريان.

* * *

(١) جامع الأصول في الأولياء صـ ١٣٣، انظر «هذه هي الصوفية» صـ ١٠٥.

الفصل التاسع..

في بيان ما يتعلق بخوارق المتنبئين

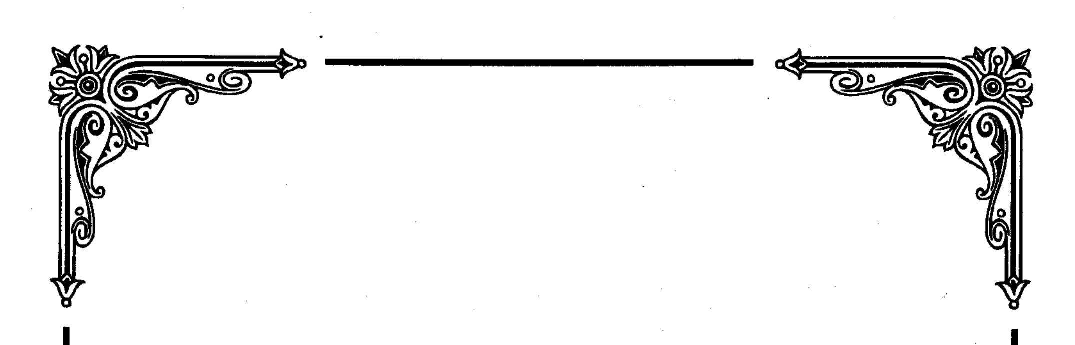
بيان ما يتعلق بخوارق المتنبئين

قد يظهر من المتنبئين أشياء تشبه معجزات الأنبياء وخوارق للعادة مختلفة وهذا أمر واقع، ولا عبرة بقول من نفي ذلك ومع ذلك فإن خوارق العادة للأنبياء تكون خوارق حقيقية دائمة يوقن بها حتى حذاق السحرة ومهرتهم كما حصل من سحرة قوم فرعون حينما رأوا عصا موسى وقد تحولت إلى حية تسعى تلقف ما يأفكون وأنه ليس في استطاعتهم الإتيان بمثلها؛ لأنه فوق قدرة البشر بخلاف ما جاؤوا به فإنه في مقدور البشر الذين يستطيعون التمويه والتلبيس على الناس عن طريق السحر والشعوذة بحيث تبدأ أعمالهم كأنها خارقة للعادة عند الذين لا يعرفون تلك الطرق مع أنها ليست خارقة للعادة عند أمثالهم من السحرة الذين يجيدون نفس تلك التمويهات. والسحرة يستعينون بالشياطين والشياطين يعينونهم فيما يقدرون عليه من الأمور. يقول شيخ الإسلام عن خدمة الشيطاين لأوليائهم: «وهم يصعدون بهم في الهواء ويدخلون المدن والحصون بالليل والأبواب مغلقة ويدخلون على كثير من رؤساء الناس ويظنون أن هؤلاء صالحون قد طاروا في الهواء ولا يعرف أن الجن طارت بهم»[(١)]. فكل ما يأتي به المتنبئون من خوارق العادات هو في حقيقته ليس خارقًا حقيقيًّا وإنما هو تمويه وخدع شيطانية يكشف الله أمرها ولو بعد حين.

* * *

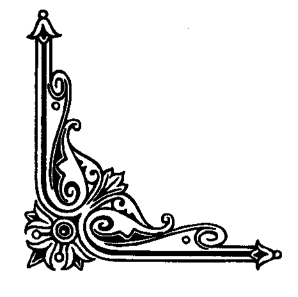
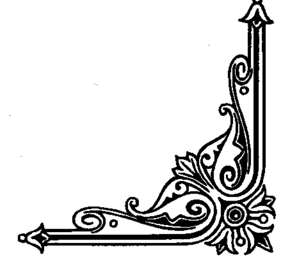
---

(١) النبوات جـ ٢ صـ ١٢٦٠ تحقيق عبد العزيز الطويان.



الباب الحادي عشر..

نماذج من كلام المتنبئين وزعمهم أنه وحي من الله تعالى وإيضاح الفوارق الفكرية بينهم

نماذج من كلام المتنبئين وزعمهم أنه وحي من الله تعالى وإيضاح الفوارق الفكرية بينهم...

تمهيد:

لقد أصبح المتنبئون مثار سخرية العقلاء من الناس يتندرون بمواقفهم ويضحكون منها، وقد يبدو لبعض الناس أن بعض المتنبئين كانوا مجانين أو مغفلين كما هو الظاهر من أحوالهم غير أن هذا ليس هو كل الحقيقة عنهم فلقد كان بعضهم من الذكاء بمكان عالٍ وإنما أراد بدعوته تلك أمورًا ما كان ليصل إليها لو لم يتخذ تلك الحيلة في دعوى النبوة ولهذا كان الحكام يعاملونهم بالرفق واللِّين ويعطونهم ما يحتاجونه من المال في أكثر الأحوال حينما يلمسون منهم أن الحامل لهم على دعوى النبوة حاجة يريدون الوصول إليها عن طريق لفت الأنظار وهؤلاء حسب ما يظهر لي أنهم أقسام:

١ – فمنهم من كان به مسٌّ من الخبال ونقص في العقل فتجده يهذي بكل ما يأتي على خاطره وقد يظهر في كلامه الجدية فيظنه الذي لا يعرفه أن وراءه دعوى نبوة.

٢ – ومنهم من أراد مجرد لفت الحاكم والناس عمومًا إليه بعد أن يئس من تحقيق ما يريد فادعاها ولسان حاله يقول: «وليكن ما يكون» وهو يريد من وراء ذلك الطمع في المال أو الجاه أو العلو أو الشهرة.

٣ – ومنهم من ادعاها لهوًى أو لمجون غير عابئ بالعواقب.

٤ – ومنهم من ادعاها تظرفًا وزهوًا وإظهارًا للمفاخرة.

٥ – وصنف ليس له علاقة بهؤلاء وهم من ادَّعوها بخبث وكانت لهم شوكة وكانت وراءهم قوة تمدهم بالعون المادي والمعنوي.

ومهما كان صحة هذه التقسيمات فمن المسلَّم به أن الذين ادعوا النبوة ليسوا على طريقة واحدة وهدف واحد بل هم مختلفون اختلافًا متباينًا فيما بينهم إلا أنهم

يجتمعون في نقطة واحدة وهي استحلال الكذب على الله والتلاعب بنصوص القرآن والسنة والرغبة في التفاف الناس حولهم بأي ثمن كان لقلة دينهم وورعهم ورغبتهم في أن يشار إليهم بالبنان مستخفين بما بعد قدومهم على الله ومجازاتهم بما يصنعون غلبت عليهم أنفسهم الأمارة بالسوء فأقدموا على ما ليس لهم بحقٍّ والذي يعنينا هنا هو الأمثلة التي سطرها هؤلاء على أنفسهم وصارت من الطرائف التي يتندر الناس بها وهؤلاء كثيرون تكفي الإشارة إلى بعض ما يذكره علماء التاريخ عنهم فيما يلي:

١ – ومن هذه الطرائف التي أوردها المؤرخون والأدباء عن أدعياء النبوة. ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي يقال عنك؟ قال: إني نبي كريم، قال: فأي شيء يدل على صدق دعواك؟ قال: سل عما شئت، قال: أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحي. فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة؟ وإنما أجعل أصحاب هذه اللحى مردًا في لحظة واحدة. فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة»[1]. وضحك الرشيد منه يدل على أنه فهم منه الظرف والميل إلى المداعبة وعدم الجدية في دعواه النبوة وإلا لعاقبه فورًا. فإن الرشيد كان من خيار الخلفاء طول حياته ما بين غازٍ أو حاجٍّ وما يرويه عنه أصحاب المجون من أنه كان لاهيًا لاعبًا محبًّا للأغاني ومداعبة النساء وغير ذلك من الأوصاف السيئة فهو كذب عليه لفقه أصحاب السمر واللهو كذبًا وزورًا.

٢ – وفي أيام المأمون ادعى رجل النبوة فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا: رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا: هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب، فقال: لستم أجل من فرعون. ولا أنا أعظم حكمة من موسى. ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانًا... فضحك المأمون

(١) انظر المستطرف في كل فن مستظرف جـ ٢ صـ ٥٢٢ .

وأجازه. وقد فهم المأمون أن هذا المتنبئ إنما هو ظرافة أو لفت نظر وليس بجدٍّ. وفي أيامه أيضًا تنبأ رجل وادعى أنه إبراهيم الخليل فقال له المأمون: إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين قال: وما براهينه؟ قال: أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليها بردًا وسلامًا ونحن نوقد لك نارًا ونطرحك فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال: أريد واحدة أخف من هذه قال: فبراهين موسى قال: وما براهينه؟ قال: ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال: وهذه عليَّ أصعب من الأولى قال: فبراهين عيسى قال: وما هي؟ قال: أحيا الموتى قال: مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى: أنا أول من آمن بك وصدق.

٣ – وتنبأ في زمنه رجل فقال المأمون: أريد منك بطيخًا في هذه الساعة قال: أمهلني ثلاثة أيام قال: ما أريده إلا الساعة قال: ما أنصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام. فضحك منه ووصله.

٤ – وتنبأ رجل يقال له أحمد فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا أحمد النبي قال: لقد ادعيت زورًا فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال: يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت؟ فضحك المأمون منه وخلى سبيله.

٥ – وأتي المأمون برجل ادعى النبوة فقال له: ألك علامة على نبوتك؟. قال علامتي أني أعلم ما في نفسك قال: وما في نفسي قال: في نفسك أني كاذب قال: صدقت ثم أمر به إلى السجن فأقام فيه أيامًا ثم أخرجه فقال: هل أوحي إليك بشيء قال: لا قال: ولم؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله.

٦ – وتنبأ رجل يسمى نوحًا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر بقتله فمر به

صديقه فقال له: يا نوح ما حصلت من السفينة إلا على الصارى[(١)].

ومن طرائفهم أن المأمون قال: ما أعياني إلا جواب ثلاثة أنفس قال: عن الثالث وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له: من أنت؟ قال: موسى بن عمران عليه السلام فقلت: ويحك إن موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره منها إنه ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها إخراجه يده من جيبه بيضاء وجعلت أعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام ومن دلائل النبوة وقلت له: إن أتيتني بشيء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك وإلا قتلتك. فقال: صدقت إلا أنه أتى بهذه العلامات لما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى. فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتى به[(٢)]. وفي «نهاية الأرب»[(٣)] أنه لما أحضرت المائدة قيل له: أكلت شيئًا؟! قال: ما أحسن العقل!! لو كان لي شيء آكله ما الذي كنت أعمل عندكم فأعجب به الخليفة وأحسن إليه.

وادعى رجل النبوة في أيامه فحمل إليه موثقًا بالحديد فمثل بين يديه فقال له: أنت نبي مرسل؟ قال: أما الساعة فأنا موثق قال: ويلك من غرك؟! قال: أبهذا تخاطب الأنبياء أما والله لولا أني موثق لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم قال المأمون: والموثق لا يجاب له دعوة؟! قال: الأنبياء خاصة إذا قيدت لا يرفع دعاؤها فضحك المأمون وقال: من قيدك؟ قال: هذا الذي بين يديك قال: فنحن نطلقك وتأمر جبريل أن يدمدمها فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك فقال: صدق الله إذ يقول: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ إن شئت فافعل فأمر بإطلاقه فلما وجد راحة والعافية قال: يا جبريل ومد بها صوته أبعثوا من شئتم فليس بيني وبينكم الآن عمل[(٤)].

---

(١) انظر لتلك الطرائف كتاب المستطرف جـ ٢ صـ ٥٢١ - ٥٢٣، وانظر نهاية الأرب جـ ٤ صـ ١٥٨٤.

(٢) مروج الذهب جـ ٤ صـ ١٨.

(٣) وانظر نهاية الأريب جـ ٤ صـ ١٥.

(٤) مروج الذهب صـ ٢٥.

وفي قصة الرجل الذي ادعى النبوة وزعم أنه إبراهيم الخليل عليه السلام حينما طلب منه المأمون أن يأتي ببراهين إبراهيم فعجز قال: فبراهين موسى فعجز قال: فبراهين عيسى، فعجز ثم قال الرجل: وقد قلت لجبريل إنكم توجهوني إلى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها وإلا لم أذهب فغضب جبريل عليه السلام علي وقال: جئت بالشر من ساعة اذهب أولًا فانظر ما يقول لك القوم فضحك المأمون وقال: هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة(١).

وفي زمن المهدي جيء إليه برجل فقال له: إلى من بعثت؟ فقال: ما تركتموني أذهب إلى من بعثت إليهم فإنني بعثت بالغداة وحبستموني بالعشي فضحك المهدي وأمر له بجائزة وخلى سبيله(٢).

وفي أيام المعتصم تنبأ رجل فلما أحضر بين يديه قال: أنت نبي؟ قال: نعم قال: وإلى من بعثت؟ قال: إليك قال: أشهد إنك لسفيه أحمق قال: إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء(٣).

وفي أيام المتوكل ادعى رجل النبوة فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي؟ قال: نعم قال: فما الدليل على صحة نبوتك؟ قال: القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وأنا أسمى نصر الله قال: فما معجزتك؟ قال: ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى: أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير: أما أنا فأشهد أنه نبي الله وإنما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه.

وتنبأت في أيامه امرأة فقال لها: أنت نبية؟! قالت: نعم قال: أتؤمنين بمحمد قالت: نعم قال: فإنه ﷺ قال: «لا نبيَّ بعدي» فقالت: فهل قال: لا نبية بعدي؟ فضحك

---

(١) مروج الذهب جـ ٤ صـ ٢٦.

(٢) نهاية الأريب جـ ٤ صـ ١٤ – ١٥.

(٣) المصدر السابق صـ ٥٢٢.

المتوكل وأطلقها[١].

ووقعت للمأمون نفس القضية حيث ادعت في زمنه امرأة النبوة فأحضرت إليه فقال لها: من أنت؟ قالت: فاطمة النبية فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ قالت: نعم كل ما جاء به فهو حق فقال لها المأمون: فقد قال محمد ﷺ: «لا نبي بعدي» قالت: صدق عليه الصلاة والسلام فهل قال: لا نبية بعدي، فقال المأمون لمن حضره: أما أنا فقد انقطعت من كانت عنده حجة فليأت بها وضحك حتى غطى على وجهه[٢].

وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به إلى خالد فقال له: ما تقول؟ قال: عارضت القرآن قال: بماذا قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الآية وقلت: إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر فلا تطع كل ساحر فأمر خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده الخشبة وقال: إنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود[٣].

أما الأمثلة من وحي المتنبئين المزعوم:

فإن ما زعموا من الوحي أمثلة كثيرة خاض غمارها المتنبئون محاكين القرآن الكريم في أواخر الآيات ولهم أسجاع نمقوها ظنًّا منهم أنها كالقرآن في جزالته وأسلوبه وكانت أسجاعهم محل سخرية العقلاء كما سترى في الأمثلة الآتية، فمما ورد عن مسيلمة قوله عن الضفدع ونقيقها في الماء: «يا ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين» وقوله: «والفيل وما أدراك ما الفيل له زلوم طويل إن ذلك من خلق ربنا الجليل»[٤].

(١) والمستطرف صـ ٥٢٣.

(٢) نهاية الأريب جـ ٤ صـ ١٤ – ١٥.

(٣) المصدر السابق صـ ٥٢٣.

(٤) انظر بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد جـ ١ صـ ٤٩٧.

وقال مضاهيًا القرآن: «لقم أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى». وقال حينما تنازع أهل اليمامة وبعض أفخاذ من قبيلة بني أسد فشكا أهل اليمامة بني أسيد إلى مسيلمة فقال لهم: أنتظر فيكم وفيهم ما يأتي من السماء ثم قال لهم: «والليل الأطحم(١) والذئب الأدلم(٢) والجذع(٣) الأزلم(٤) ما انتهكت أسيد من محرم» وقال أيضًا: «والليل الدامس(٥) والذئب الهامس(٦) ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس»، ومن الوحي الذي كان يزعمه أيضًا قوله عن بني تميم بخصوصهم: «إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا أتاوة نجاورهم ما حيينا بإحسان فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن».

ومنه ما جاء عن الشياة وألوانها وأيها أفضل: «والشاة وألوانها وأعجبها السواد وألبانها. والشاة السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق(٧) فما لكم لا تمجعون»(٨).

---

(١) قال الليث: طحمة السيل: دفاع معظمه. وطحمة الفتنة: جولة الناس عندها تهذيب اللغة جـ ٤ صـ ٤٠٤ أساس البلاغة صـ ٢٧٦ ومن المجاز: أشد من طحمة السيل تحت حطمة الليل وهي معظم سواده أساس البلاغة صـ ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) الأدلم يقال: رجل أدلم أي أسود طويل ويقال: ليل أدلم.

(٣) الجذع قيل: الثني من المواشي تقول منه لولد الشاة في السنة الثانية ولولد البقرة والحافر في السنة الثالثة وللإبل في السنة الخامسة مختار الصحاح صـ ٩٧.

(٤) الزَّلم: بفتحتين القدح. المصدر السابق صـ ٢٧٤ وعنز زلماء زيماء وزنماء في حلقها زلمة وفي أذنيها زنمة وقد زلمتها وزنمتها وهي هنة من جلدها تزلم أي تقطع وتترك معلقة كما علقت الزنمتان حلقة في حنك بعض المعزى وهما هنتان كالقرطين تنوسان، وهي من أكرم المعزى وأعزها. أساس البلاغة صـ ١٩٤.

(٥) الدامس: أي شديد السواد.

(٦) الهامس: الهمس هو الصوت الخفي ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

(٧) المذق: هو المزج ومنه مذق اللبن بالماء ومذق الشراب مزجه فأكثر ماءه. أساس البلاغة صـ ٤٢٣.

(٨) تمجعون: أي لماذا لا تأكلون التمر باللبن؟ أي أكلوا المجيع وهو التمر باللبن. المصدر السابق صـ ٤٢١.

ومنه قوله حين سئلته سجاح عن الوحي الذي أنزل عليه فأخبرها ثم تم الاتفاق بينهما فقال: «سمع الله لمن سمع وأطعمه بالخير إذا طمع ولا زال أمره في كل ما يسر نفسه يجتمع رآكم ربكم فحياكم ومن وحشته أخلاكم ويوم دينه أنجاكم فأحياكم علينا من صوات معشر أبرار لا أشقياء ولا فجار يقومون الليل ويصومون النهار لربكم الكبار رب الغيوم والأمطار» وقال أيضًا: «لما رأيت وجوههم حسنت وأبشارهم صفت وأيديهم طفلت قلت لهم: لا النساء تأتون ولا الخمر تشربون ولكنكم معشر أبرار تصومون يومًا وتكلفون يومًا فسبحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون وإلى ملك السماء كيف ترقون فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ولأكثر الناس فيها الثبور»(١). ومن قوله: «والباذرات زرعًا والحاصدات حصدًا والذاريات قمحًا والطاحنات طحنًا والخابزات خبزًا والثاردات ثردًا واللاقمات لقمًا إهالة وسمنًا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوئوه»(٢).

لقد أراد مسيلمة بهذه العبارات الملفقة محاكاة القرآن وأين كلام البشر من كلام الخالق العظيم؟!! وصدق الله العظيم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٣).

وقد عرف القوم كذب مسيلمة ولكن غلب عليهم الشقاء وتملكتهم العصبية البغيضة التي لا فرق فيها بين الحق والباطل والليل والنهار.

روى الطبري بسنده إلى عمير بن طلحة النمري عن أبيه أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مه رسول الله فقال: لا حتى أراه فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم قال: من يأتيك؟ قال: رحمن قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة فقال:

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٢٧٢ والبداية والنهاية جـ ٥ صـ ٣٢٠.

(٢) انظر كتب التاريخ. تاريخ الطبرى جـ ٣ صـ ٢٨٣ – ٢٨٤ والبداية والنهاية جـ ٦ صـ ٣٢٦.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٨.

أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر فقتل معه يوم عقرباء». قال الطبري: «وكتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن الكلبي مثله إلا أنه قال: كذَّاب ربيعة أحب إليَّ من صادق مضر»[١].

مما يذكر عنه -كما تقدم- أنه لما نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها فقالت له سجاح: انزل قال فنحِّي عنكِ أصحابكِ ففعلت: فقال مسيلمة: اضربوا لها قبة حمراء وجمروها لعلها تذكر الباه ففعلوا. فلما دخلت القبة نزل مسيلمة فقال: ليقف ها هنا عشرة وها هنا عشرة ثم دارسها فقال: ما أوحي إليك؟ فقالت: هل تكون النساء يبتدئن؟ ولكن أنت ما أوحي إليك؟ قال: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق[٢] وحشى[٣]» قالت: ماذا أيضًا؟ قال أوحي إلي: «أن الله خلق النساء أفواجًا وجعل الرجال لهن أزواجًا فنولج فيهن قعسًا إيلاجًا ثم نخرجها إذا نشاء إخراجًا فينتجن لنا سخالًا إنتاجًا» قالت: أشهد أنك نبيٌّ.

وكما حاكى القرآن الكريم أراد أيضًا مشابهة الرسول ﷺ في كراماته ولكن الله خيب أمله فجاءت كراماته وفق دعواه النبوة. فمن كراماته التعيسة التي كان يشير عليه بها نهار بن عنفوة الضال المضل[٤]. أنه أتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأم الهيثم فقالت: إن نخلنا لسحق[٥] وإن آبارنا لجرز[٦] فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان فقال: يا نهار ما تقول هذه؟ فقال: إن أهل هزمان أتوا محمدًا ﷺ فشكوا

---

(١) تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٨٦ والفرق واضح بين الروايتين السابقتين إذ في الرواية الأولى أنه كان يؤمن بصدق النبي ﷺ ورسالته ولكن غلبه التعصب، وفي الرواية الثانية تكذيب تام. وانظر الكامل جـ٢ صـ٣٦٢.

(٢) الصفاق: هو ما رق من البطن.

(٣) الحشاء: هو ما اضطلمت عليه الضلوع والجمع: أحشاء. مختار الصحاح صـ١٣٨.

(٤) انظر تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٨٥ – ٢٨٦، وانظر الكامل جـ٢ صـ٣٦٢.

(٥) السُّحق - بالضم- البعد.

(٦) الجرز أي: لا ماء بها ولا نبات.

بعد مائهم – وكانت آبارهم جرزًا – ونخلهم أنها سحق فدعا لهم فجاشت آبارهم وانحنت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها فحكت به الأرض حتى أنشبت به عروقًا ثم قطعت من دون ذلك فعادت فسيلًا[١] مكحمًا ينمي صاعدًا قال: وكيف صنع بالآبار؟! قال: دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض بفمه منه ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى أفرغوه في تلك الآبار ثم سقوه نخلهم ففعل النبي ما حدثتك وبقى الآخر إلى انتهائه. فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعا لهم فيه ثم تمضمض منه ثم مج فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم فغارت مياه تلك الآبار وخوى نخلهم، وإنما استبان ذلك بعد مهلكه». كما أراد أن يتشبه بالرسول ﷺ في التبريك على الأطفال فكان مسيلمة لا يؤتى إليه بصبي فحنكه[٢] ومسح رأسه إلا قرع[٣]ولثغ[٤] واستبان ذلك بعد مهلكه. ودعا لرجل أن تصلح أرضه السبخة فغرقت.

ومن خرافات طليحة في الوحي الذي يزعمه: قبل أن ينقذه الله بالرجوع إلى الإسلام الأمثلة الآتية: قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه وكان عارفًا بأمر طليحة: حدثنا عنه وعما يقول لكم من الوحي فقال: إنه كان يقول: «والحمام واليمام والصرد الصوام قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام»[٥].

ومنه أيضًا قوله الذي تقدم ذكره عند تردد عيينة بن حصن عليه حيث قال له: «إن لك رحا كرحاه وحديثًا لا تنساه». ومنه أيضًا قوله: «أمرت أن تصنعوا رحا ذات عرًا، يرمي الله بها من رمى، يهوي عليها من هوى»[٦].

---

(١) الفسيل: غراس النخل الصغير.

(٢) حنكه: الحنك ما تحت الذقن من الإنسان وغيره.

(٣) أقرع: هو من ذهب شعر رأسه من آفة.

(٤) لثغ: اللثغة في اللسان بالضم أن يصير الراء غينًا أو لامًا، والسين ثاء. مختار الصحاح صـ ٥٣٠.

(٥) تاريخ الطبري جـ٣ صـ ٢٦٠ البداية والنهاية جـ٦ صـ٣١٨.

(٦) تاريخ الطبري جـ٣ صـ ٢٦٠.

ومما لاشك فيه أنه من فصحاء العرب ولكن طلبه محاكاة القرآن هو الذي جعل كلامه بهذه الركاكة ظنًّا منه أنه بمحاكاته يصبح مثله وحاشا لكلام البشر أن يكون مثل كلام خالق البشر. مهما تقعر وتشدق في الألفاظ فإنه يصغر ويذل أن يداني ألفاظ القرآن ومعانيه.

ومن خرافات وأسجاع المختار: أنه حينما استولى على العراق وأعجبته نفسه بدأ بسجع على طريقة الكهان بألفاظ ركيكة وعبارات متكلفة فيها إشارات صريحة إلى طمعه في الوصول إلى النبوة، ومن ذلك قوله: أما والذي أنزل القرآن وبين الفرقان وشرع الأديان وكره العصيان لأقتلن البغاة من أزد عمان ومذحج وهمدان ونهد وخولان وبكر وهزان وثعل وبنهان وعبس وذبيان وقيس عيلان» وقوله: «وحق السميع العليم العلي العظيم العزيز الحكيم الرحمن الرحيم لأعركن عرك الأديم أشراف بني تميم» ومنه: «أما وممشى السحاب، الشديد العقاب، السريع الحساب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب، لأنبشن قبر ابن الشهاب، المفتري الكذاب، المجرم المرتاب، ثم ورب العالمين، ورب البلد الأمين، لأقتلن الشاعر المهين، وزاجر المارقين وأولياء الكافرين، وأعوان الظالمين، وإخوان الشياطين، والذين اجتمعوا على الأباطيل، وتقولوا عليَّ الأقاويل، وليس خطابي إلا لذوي الأخلاق الحميدة، والأفعال السديدة، والآراء العتيدة، والنفوس السعيدة».

ومن تكهناته أيضًا قوله يتحدث بنعم الله عليه ويهدد الخارجين عن طاعته: «الحمد لله الذي جعلني بصيرًا ونوَّر قلبي تنويرًا والله لأحرقن بالمصر دورًا ولأنبشن بها قبورًا ولأشفين منها صدورًا وكفى بالله هاديًا ونصيرًا» وقال في تحديد ملكه ومقسمًا على ذلك: «برب الحرم والبيت المحرم والركن المكرم والمسجد المعظم وحق ذي القلم ليرفعن لي علم من هنا إلى أضم ثم إلى أكناف ذي سلم».

وكان أحيانًا يتنبأ بأشياء ثم يعمل الحيلة في تحقيقها بشتى الوسائل فإنه إذا تنبأ بقتل أحد بعث من يغتاله وإن تنبأ بإحراق دار بعث من يحرقها لتتم نبوءته ومن ذلك

أنه تنبأ بأن نارًا ستنزل من السماء وتحرق دار رجل اسمه أسماء فلما سمع أسماء بذلك هرب وقال سجع بي أبو إسحاق ثم هرب منها وذلك في قوله: «وأما ورب السماء لتنزلن نار من السماء فلتحرقن دار أسماء» ثم أرسل إليها في الليل من يحرقها لتتم نبوءته[1].

ومنه قوله: «أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار أو مهند بتار في جمع الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى»[2].

ومما يروى عن المتنبي قوله فيما يقال عنه: «والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار امض على سنتك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله».

قال علي بن أبي حامد سمعت خلقًا بحلب يحكون أن له سورًا كثيرة نسخت منها سورة ضاعت وبقي أولها في حفظي ثم ذكر ما تقدم[3].

ومن وحي الأسود العنسي قوله: «والمائسات ميسًا والدارسات درسًا يحجون جمعًا وفرادى على قلائص بيض وصفر»[4].

أما تخريفات الشيرازي ووحيه المزعوم وهي كثيرة فمنها قوله: «إنا قد جعلناك جليلًا للجالين عظيمًا عظيمانًا للعاظمين وإنا قد جعلناك نورًا نورانًا للناورين وإنا قد

---

(١) انظر الفرق بين الفرق صـ ٤٦ – ٥٢ وسائر كتب التواريخ لم تخل من الإطناب في أخباره وذكر ترهاته.

(٢) يقصد «بثأر النبيين» أي: يأخذ بثأر الحسين.

(٣) انظر تاريخ بغداد جـ ٤ صـ ١٠٤.

(٤) عيون التواريخ نقلًا عن ختم النبوة لأحمد سعد حمدان صـ ٢١٢.

جعلناك رحمانًا رحيمًا للراحمين وإنا قد جعلناك تمامًا تميمًا للتامين، قل إنا جعلناك كمالًا كميلًا للكاملين، قل إنا قد جعلناك كبرانًا كبيرًا للكابرين، قل إنا قد جعلناك عزانًا عزيزًا للعازين، قل إنا قد جعلناك شرفانًا شريفًا للشارفين، قل إنا قد جعلناك سلطانًا سليطًا للسالطين، قل إنا قد جعلناك ملكانًا مليكًا للمالكين»[(١)].

وجاء في الواحد الأول في بيان المزايا التي حصل عليها: «ورزقتك وأمنتك وأجبتك وبعثتك وجعلتك مظهر نفسى[(٢)] لتتلون من عندي اياي ولتدعون كل من خلقته إلى ديني هذا صراط عز منيع وخلقت كل شيء لك وجعلتك من لدنا سلطانًا على العالمين وأذنت لمن يدخل في ديني بتوحيدي أقرنته بذكرك ثم ذكر من قد جعلته حرف الحق بأذني وما قد نزل في البيان من ديني فإن هذا ما يدخل به الرضوان عبادي المخلصين».

ثم قال أيضًا في بيان فضائله ما نزل عليه: «وإن فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبل[(٣)] كفضل القرآن على الإنجيل ذلك فضل محمد على عيسى قل إن عبادي ظهوري في أخراي تنتظرون»[(٤)].

ثم صرح بأن الكتاب الذي نزل عليه أفصح من القرآن وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن فقال - وبئس ما قال-: «ألم يأن لكم أيها العلماء أن تنبذوا الهوى وتتبعوا الهدى وتتركوا الضلال وتسمعوا أقوالي وتذعنوا لأوامري؟ إن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن، فهاكم كتابي البيان فاتلوه واقرءوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن»[(٥)].

(١) نقلًا عن البابية عرض ونقد لإحسان إلهي صـ ١٠١.

(٢) وفي هذه العبارة إشارة واضحة إلى تأثره بغلاة الصوفية من أهل الحلول والإلحاد.

(٣) وهذه إشارة أخرى إلى تخبطه وجهله فهو هنا يشير إلى اعتقاده بالتناسخ.

(٤) وهنا تصور أن ظهوره هو نفسه ظهور النبي محمد ﷺ في المرة الأخرى التي مثلها الشيرازي.

(٥) أي أنه لا يؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى بل يظن أن النبي ﷺ لفقه كما لفق هو كتابه البيان.

ثم يبلغ به جنون العظمة الفارغة أن يفضل نفسه صراحة على الرسول ﷺ فقال في وحيه المزعوم – المؤلف في الإلحاد والفجور: «إني أفضل من محمد كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني». ولاشك أن هذا الكلام يكفي وحده للدلالة على خفة عقل الشيرازي وعقول من اتبعه فأي عاقل يتحدى البشر كلهم أن يأتوا بحرف من حروف قرآنه فمن يعجز عن نطق الحروف إذا لم تكن به علة تمنعه من النطق إلا الجمادات – إذا لم يشأ الله لها النطق – ولو أنه تحدى تلك الجمادات لكان له وجهة أما البشر فهو يعلم قبل غيره أنه كاذب مفترٍ في ذلك وما قدمناه ذكره من تخبط الشيرازي في أفكاره حيث زعمه مرة أنه الباب إلى المهدي، ومرة قال: هو المهدي وأخيرًا هو نبيٌّ وليس هذا فقط بل ووصل بعد ذلك كله إلى أنه هو الرب عن طريق الظهور والتجليات كما قدمنا في النص السابق.

وكما في قوله أيضًا: «أنا قيوم الأسماء مضى في ظهوري ما مضى وصارت حتى يمحص الكل ولا يبقى إلا وجهي وأعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فإنه لا يرى في إلا الله»(1).

ولقد استفاد هذه الأفكار الخبيثة من الدراسة التي أكبَّ عليها في النجف من قراءته لكتب الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم من عتاة وحدة الوجود ولقد عاجله الله بالعقوبة لجرأته وتطاوله على ربه وعلى كلام الله عز وجل حيث جعل الشيرازي ذلك الغث المشين أفضل من القرآن الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(2).

وللعاقل أن يقارن بين أي آية في القرآن الكريم وبين ما جاء في غيٍّ الشيرازي الذي

(1) البيان نقلًا عن العقيدة والشريعة صـ ٢٤٢.

(2) سورة الإسراء الآية ٨٨.

سماه «البيان». أو ما جاء في تفسيره لسورة الكوثر حيث أورد عبارات لا معنى لها وأساليب لا يفهمها أحد تشدقًا بالفصاحة فيها «فانظر لطرف البدء إلى ما أردت أرشحناك من آيات الختم إن كنت سكنت في الأرض إلا هوث. وقرأت تلك السورة المباركة في البحر الأحدية. وراء قلزم الجبروت فأيقن كل حروفها حرف واحدة وكل يغاير ألفاظها ومعانيها ترجع إلى لفظة واحدة لأن هناك المقام والفؤاد ورتبه مشعر التوحيد وإن ذلك هو الأكسير الأحمر الذي ملكه يملك الآخرة والأولى فورب السماوات والأرض لم يعدل كلها كتب كاظم عليه السلام وقبل أحمد صلوات الله عليه في معارف الإلهية والشئونات القدسية والمكفرات الأفريدوسية بحرف إنا إذا ألقيت إليك بإذن الله فأعرف قدرها أكتمها بمثل عينيك على أرض الحيروت وتقرأ تلك السور المباركة فأعرف الكلمة الأولى من الألف ماء الإبداع ثم من النون هو الاختراع ثم من الألف الظاهر ماء الإنشاء ثم ركن المخزوم المقدم لظهور الأركان الثلاثة حرف الغيب بعنصر التراب... وإني لو أردت أن أفصل حرفًا من ذلك البحر المواج الزاخر الأجاج لنفد المداد وانكسر الأقلام لإنفاذ ما ألهمني الله في معناه»(١). إلى أن قال: «ثم الألف القائمة على كل نفس التي تعالت واستعالت ونطقت واستنطقت ودارت واستدارت وأضاءت فاستضاءت وأفادت واستفادت وأقامت واستقامت وأقالت واستقالت وسعرت واستسعرت وتشهقت واستشهقت وتصعقت واستصعقت وتبلبلت واستبلبلت وأن في الحين إذن الله لها فتجلت ثم استجلت وتلألأت ثم استلألأت وقالت بأعلى صوتها تلك شجرة مباركة طابت وطهرت وذكت وعلت نبتت بنفسها من نفسها لنفسها إلى نفسها»(٢).

هذا هو الوحي الذي ألقى على الشيرازي وفضله على كلام ربِّ البرية ويبقى السؤال الهام – من الذي ألقى إليه مثل هذا الكلام الذي ثورت قراءته الصداع

(١) استفاد هذا من الآية الكريمة ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ إلى آخر الآية من سورة الكهف الآية: ١٠٩.
(٢) انظر إلى هذا الغثاء الذي زعم بأنه كلامٌ مقدَّس وقارن بينه وبين القرآن الكريم.

والغثيان؟! والله لسماع نباح الكلام وأصوات الحمير والخنازير خير من قراءته أو سماعه لأنه ظلمات بعضها فوق بعض ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(١).

ولهذا الرجل كتاب سماه «الأقدس» وقد نقلت عنه في كتابي «فرق معاصرة» نصوصًا كثيرة وسأذكر بعضًا منها هنا ليقف القارئ على سخافات المتنبئين وجهلهم الفاضح سواء كان المازنداراني أو غيره ففي هذا الكتاب الأنجس الذي سماه «الأقدس» قوله: «إنا ما دخلنا المدارس وما طالعنا المباحث اسمعوا ما يدعوكم به هذا الأمي إلى الله الأبدي إنه خير لكم مما كنز في الأرض لو أنتم تفقهون». ليضاهي بهذا ما ثبت من أمية الرسول ﷺ وما زعمه من ثناء الله عليه قوله: «احمدوا الله بهذه الموهبة التي أحاطت السموات والأرضين اذكروا الله بهذه الرحمة التي سبقت العالمين قل قد جعل الله مفتاح الكنز في المكنون لو أنتم تعرفون لولا المفتاح لكان مكنونًا في أزل الآزال لو أنتم توقنون قل هذا مطلع الوحي ومشرق الإشراق الذي به أشرقت لو أنتم تعلمون». ويقول أيضًا: «إنا أمرناكم بكسر حدودات النفس والهوى لا ما رقم في القلم الأعلى أنه لروح الحيوان لمن في الإمكان قد ماجت بحور الحكمة والبيان بما هاجت نسمة الحيوان اغتنموا يا أولي الألباب... تحسبن أنا نزلنا لكم الأحكام بل فتحنا الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار» وارجع إلى كتابه «الأقدس» تجد هذا الغث ضمن كتاب «خفايا البهائية» للدكتور أحمد محمد عوف.

ومن خلال ما تقدم ذكره عنهم يتضح بجلاء تامٍّ أن وراء دعواهم النبوة مآرب شتى وأفكارًا مختلفة وأنهم درجاتٌ في الشر منهم من كان يطلب الزعامة، ومنهم من كان يطلب المال إلى حد أن بعضهم ادعاها من باب التظرف ولفت الأنظار إليه. ولقد كان بعضهم من الفصاحة بمكان وقد حمله إعجاب الناس بكلامه واستحسانهم له إلى أن يدعيها، ولكن الغريب في الأمر والمدهش حقًّا أنهم حينما أرادوا محاكاة القرآن

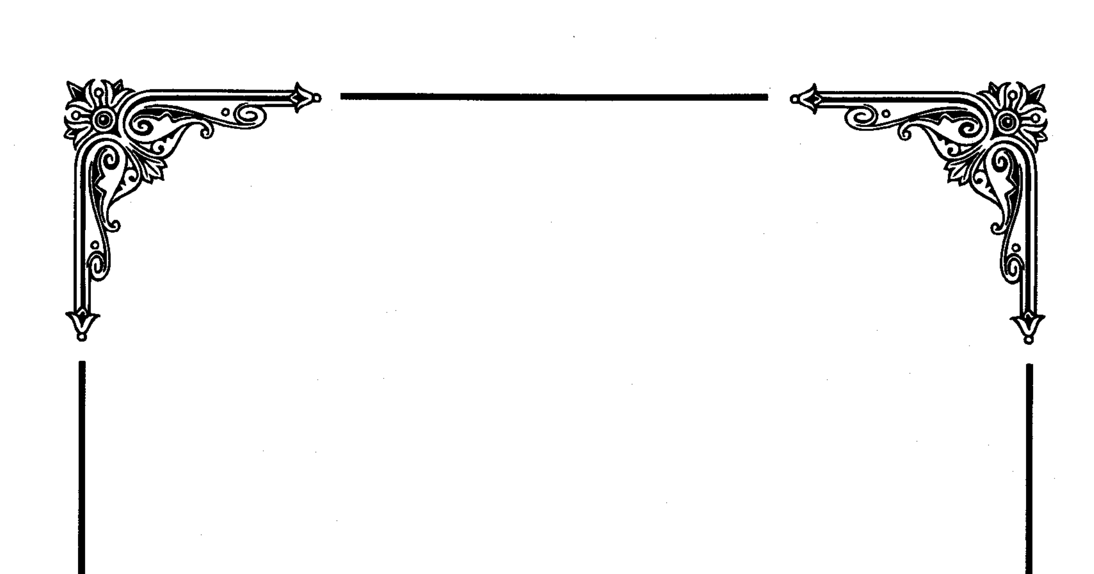
(١) سورة النور آية ٤٠.

الكريم في فواصله وطريقة عرضه للأمور انكشفت مخازيهم وبانت سخافة أفكارهم فلم يستطيعوا إلقاء الكلام بدقة وفصاحة لأنهم كانوا يهتمون بمظهر الكلام ومحاكاته للقرآن فلم يتمكنوا من الإتيان بالفصاحة فيه مع دقة المعاني وسبك الكلام الجيد. بل وكانت قدرة الله وخذلانه لهم وراء ذلك وقد قيل: إن الكلام البليغ هو الذي إذا سمعته ظننت أنك تقول مثله فإذا أردته استعصى عليك ولنا في أنواع المحاكاة للقرآن أكبر الأمثلة وأقواها على أن كلام رب العالمين لن يشتبه بكلام المخلوقين مهما كانت قوة أفكارهم وذكائهم فلقد كان كلام المتنبئين وما زعموه من الوحي مثار سخرية واضحة عليهم يتفكه به السمار في لهوهم وسمرهم. وقد أرادت الشياطين والعصبيات المختلفة أن تسندهم ولكن هيهات لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ولقد صرح المتنبئون في زمن النبي ﷺ بمآربهم فإن الأسود العنسي كان يطالب بإرجاع الأموال التي أخذها المسلمون وأن أتباعه أحق بها بزعمه وجاء مسليمة فإذا به يعرض على الرسول ﷺ أن يقاسمه غنائم الأرض.

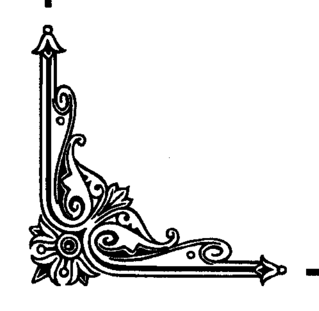
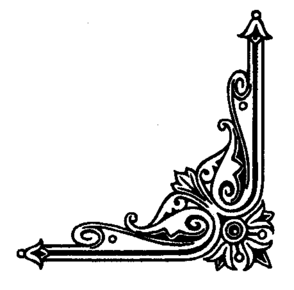
وجاء طليحة فإذا به يصرح بطلب الزعامة وجاء بعهدهم متنبئون لهم مطامع مختلفة إلى حد أن بعض طلباتهم كانت أمورًا جنسية إباحية وبعضها دعوى خفية إلى الفواحش فهذا حسين المازندراني يزعم أن الله أوحى إليه ببيان حكم معاشرة النساء ولكنه استحى أن يخبره بحكم اللواط؟؟!!

وقبله مسيلمة وسجاح فإن مسيلمة حين ذكرها بأمر الجماع بما هيئ لها في خيمة الاجتماع بينه وبينها من أنواع الرياحين والطيب وذكر لها الوحي الذي جاءه وفيه تفاصيل دقيقة عن طريقة الجماع وأشكاله فإذا بها تشهد أنه نبيٌّ حقيقة.



الباب الثاني عشر..

الأسباب التي أدت إلى ادعاء النبوة

الأسباب التي أدت إلى إدعاء النبوة..

الواقع أن أسبابًا كثيرة مجتمعة هي التي أثارت هذه الادعاءات الكاذبة وبعض هذه الأسباب قد يكون ظاهرًا معروفًا وبعضها قد لا يعرفه أحد بل لا يزال سرًّا غامضًا، وعلى هذا فإن الوصول إلى الأسباب كلها أو أي سبب دون آخر هو من الصعوبة بمكان ومهما قيل في أسباب ادعاء النبوة تهيئت لها ظروف ساعدت على انتشارها وتطاير شررها وإذا كان العلماء قد اختلفوا في التركيز على هذا السبب أو ذلك وأيها هو الأقوى فإن ذلك يدل على تشعب تلك الأسباب إلا أن الشيء الذي لا ينبغي الاختلاف فيه هو أنه من غير الصحيح الاقتصار على سبب وجعله هو الدَّاعي الوحيد لانتشار هذه الظاهرة الخطيرة دون النظر إلى الأسباب الأخرى لأن هناك أسبابًا أخرى كثيرة ولعل من أقوى الأسباب في ذلك حسبما يظهر هي:

١ - عدم تشبع أولئك الذين يدَّعون النبوة من الإيمان بالله ورسله بل عندهم بعض المعرفة والظن الكاذب بأنهم على شيء وأضعافها من الفجور والخروج عن الله تعالى فانعدم فيهم الوازع الديني ولاتباعهم أهواءهم فقد حسن لهم الشيطان عملهم فوصل بهم الغرور إلى ادعاء النبوة.

٢ - عدم معرفتهم بقدر النبوة ومزاياها التي لا توجد إلا فيمن اصطفاهم الله لحمل رسالته فاستهانوا بادعائها وظنوا أنهم قد وصلوا إليها بتزيين الشيطان لهم من أنها مكتسبة وتأتي لكل صاحب موهبة وذكاء بزعمهم.

٣ - وجود البطانة الفاسدة من حولهم تدفع بهم إلى ادعائها لتحقيق أغراض اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك.

٤ - وقوف أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والموتورين منهم إلى جانبهم في تخطيط رهيب ودفع قوي ومنظم.

٥ - وجود بعض السذج من المسلمين الجاهلين أمور دينهم ووقوفهم إلى

جانب الكاذبين من مدعي النبوة مما شجعهم على الاستمرار فكانوا هم بحكم سذاجتهم الوقود الأولى لأولئك الفجار لانحراف أفكارهم وأكثر هؤلاء كانوا من الشيعة والمتصوفة والعوام الغافلين.

٦ – حب العلو والظهور بأيِّ ثمن كان وأن سهولة الوصول إليه في نظر المتنبئين يكون عن طريق ادعاء النبوة لظنهم أنه الطريق الأقرب.

٧ – الرغبة في جمع الأموال وفي العيش الرغيد من أقصر الطرق، وقد رأيت في أدعية بعض المتصوفة: «اللهم ارزقني رزقًا واسعًا من غير تعب مني ولا جهد».

٨ – العصبيات القبلية والقومية والرغبة في بناء أمجاد جاهلية بين القبائل المتنافسة على الجاه والفخر والزعامة.

٩ – ظهور الأحوال والتقلبات السيئة في بعض المجتمعات الإسلامية وعدم انتظام أمور الدولة الإسلامية وضعف هيبتها في نفوس المغامرين من محبي الزعامة وإثارة الفتن.

١٠ – تقويض الإسلام أو تشكيك أهله فيه.

١١ – حيثما يشتد ظلم الحكام لشعوبهم ويصبح همُّ الحكام التشفي من محكوميهم وقهرهم وإذلالهم.

١٢ – كثرة انتشار التفرق بين المسلمين ودخول علماء السوء كحواجز بينهم وبين معرفة الآخرين أو الاطلاع على ما عندهم من الحق.

١٣ – دفعهم باتباعهم إلى المغالاة في تقديس زعمائهم بشتى الوسائل إلى حدِّ الاعتقاد بولايتهم وبمهديتهم وأخيرًا نبوتهم بل وألوهيتهم.

١٤ – استنادهم إلى ما جاء من أحاديث المهدي واستغلالهم لتلك النصوص وتأويلها لصالح دعوتهم في ادعاء النبوة.

هذه هي أهمُّ الأسباب حسب ما يتضح لي ولا يمنع كما قدمنا:

أن هناك أسبابًا أخرى قد تفوق تلك الأسباب الظاهرة كانت هي الأخرى حافزًا

قويًّا لدفع أولئك العتاة إلى ادعاء النبوة.

ومهما كانت قوة تلك الأسباب أو ضعفها فإن الإقدام على دعوى النبوة بعد ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ أقل ما يوصف به من ادعاها بأنه كاذب على الله وعلى محمد ﷺ وجرأة وقلة حياء وقليل الحياء قد جاء فيه أنه يصنع ما يشاء كما قال النبي ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[(١)] وما من فاجر ادعى النبوَّة على امتداد التاريخ إلا وقد أكذبه الله وأظهر فجوره في أقواله وأفعاله وسلوكه كله رحمة من الله بعباده وغيرة على دينه.

وتنفيذًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)] ولتقوم الحجة على كل ذي عقل وتفكير «**فإنه لا أحد أحبُّ إليه العذر من الله**»[(٣)]، وإذا دقَّقنا النظر في تلك الأسباب السابقة ظهر لنا ما يبرر اعتبارها أسبابًا فعلية لظهور المتنبئين.

فالسبب الأول:

يشير إلى أن أولئك الذين أوصلوا أنفسهم إلى مرتبة النبوة يوجد لديهم بعض المعرفة عن الله تعالى وأخبار الرسل لكنها لم تكن معرفة عميقة تورث الورع والخوف من الله تعالى ولهذا نجد أن بعضهم أول ما يبدأ ظهوره بالدعوة إلى الله تعالى وإلى التمسك بشرائعه والعمل بما يرضيه والبعد عن ما يسخطه فتبدو في الظاهر كأنها دعوة حقيقية إلى الحق والإصلاح، وأغلب ما تكون في الظاهر دعوة عامة مجملة على طريقة الرسل ولكن الشياطين تكمن في التفاصيل التي يظهر بها مقدار جهلهم وفجورهم، والأمثلة على ذلك كثيرة فكل واحد من هؤلاء مثال لجميعهم سواءً أكان في الزمن القديم مثل مسيلمة أو في العصور المتأخرة مثل

---

(١) أخرجه البخاري جـ٦ صـ٥١٥.

(٢) سورة الأنفال ٤٢.

(٣) طرف من حديث أخرجه البخاري في التوحيد جـ١٣ صـ٣٩٩ «الفتح».

القادياني. كل متنبئ منهم يبدأ بمحاكاة دعوة الرسل ثم باختلاق وحي ثم الإتيان بشرائع وأنظمة يتعامل بها الناس مملوءة بالجهل وكذلك مملوءة بالكفر والإلحاد فلا يبقى معهم إلا مجرد ذكر لفظ الجلالة للتمويه به على الأتباع والإيحاء إليهم بأنهم على شيء وقد وصل كثير منهم من فرط جهلهم وعدم معرفتهم بالشرائع والأديان السماوية أن جاءوا بما لا يمكن أن ينسب إلى دين أو يقبله عقل ومن هنا تبدو عوراتهم للناس ويظهر فشلهم وإفلاسهم ويفيق كل من له عقل وإدراك ورغبة في الخير ولا يبقى معهم إلا حثالة الأتباع، والأغراض خارجة عن التدين إما سياسية وإما اجتماعية وإما غير ذلك من المصالح التي تربطه بتلك الحركة.

وأما السبب الثاني:

فإنه يرجع إلى جهل تلك الزمرة الفاسدة من المتنبئين بمقدار منزلة النبوة والمزايا التي قرنها الله بها لعلو شأنها وهي أمور لا توجد مجتمعة في أي شخص كان إلا من سبقت له الحسنى من الله واصطفاه الله لحملها والقيام بها، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] ويقول لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[2] ولما كان هؤلاء الجهال ليس عندهم ما يؤهلهم من العلم والورع والتقوى لمعرفة تلك المزايا ظنوا أنه بإمكانهم ادعاء النبوة والنجاح فيها فأقدموا على ما لا يمكن أن ينجحوا فيه فباؤوا بالفشل والذريع وهو أمر طبيعي جدًّا أن يحصل ذلك، ولهذا نجد أن كثيرًا ممن ارتكبوا هذه الجريمة يعترفون فورًا بكذبهم عندما يحاط بهم ويرون أنه لا فكاك لهم من ورطتهم إلا الاعترافات بضعفهم أو تواطئهم مع آخرين أو الرغبة في المناصب والزعامة أو الرغبة في الانتقام من الآخرين أو لغير ذلك من الأسباب العديدة التي اتضحت من مواقف هؤلاء.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٢) سورة طه آية ٤١.

أما بالنسبة للسبب الثالث:

وهو وجود البطانة الفاسدة من حولهم فهو أمر ظاهر إذ لا يمكن أن يقوم الإنسان بمفرده على مثل هذه الدعوى الهائلة إلا إذا وجد من يشجعه على المضي ويساعده في حل المعضلات ونشر الدعاية له والتهويل من شأنه ونشر أفكاره وجلب الناس إليها بحيث تصبح تلك النبوة التي يدعيها الشخص أشبه ما تكون بقيام شركة همها جني الأرباح واقتسام الغنائم فيبدأ هؤلاء في الترويج لأحدهم واصطياد الداخلين في طريقتهم وحشو أذهانهم بأفكار وشبهات وأقاويل مختلفة فإذا تمكنوا منهم قاموا بدعوتهم إلى البذل بسخاء لنشر ما هم بصدده مع حرصهم على تثبيت وتزيين الاستمرار في دعوى النبوة واستجلاب من لم يقع في فخهم بعد.

وأوضح مثال على هذا ما وقع لغلام أحمد القادياني من تزيين الحكيم نور الدين البهيروي له في الإقدام على دعوى النبوة ثم مشاركته له بكل جدٍّ وإخلاص في حل كل ما وقع فيه الغلام أو لعله يقع في وقته وإيجاد الحلول لكل ذلك.

وما وقع فيه الغلام أيضًا من أخذ أموال الناس وإنفاقها في المتع والملذات وفي شراء الحلي والحلل لأهل بيته مما أغضب بعض كبار أتباعه عليه وعلى من جاء بعده لعدم مشاطرتهم تلك الأموال غضب القادياني عليهم في السؤال عن ذلك وهي أحداث مكشوفة أصبحت تتكلم بكذب القادياني في دعواه للنبوة هو ومن سار على طريقته.

أما السبب الرابع:

فحدث ولا حرج فقد انكشف المخطط وظهر المستور وهذا السبب يحمل طرفين: أي يحمل مخططًا ظاهرًا ومخططًا مستورًا، والمخطط الظاهر هو ما يتمثل في تلك الحروب والوقائع التي أشعلها أعداء الإسلام ضده منذ بزوغ فجره إلى وقتنا الحاضر وإلى ما يشاء الله من الأزمان ونحن على يقين أنهم مهما بذلوا من الجهود والحرص على محوه فإن الله حافظه وناصره على الدين كله ولو كره الكافرون، وهذا

لا يمنع أن يضعف في نفوس أهله مرة ويقوى أخرى ويضعف في بلد ويقوى في بلد آخر؛ لأن هذا هو الواقع وهي سنة الله في خلقه ولكن المتيقن منه هو عدم اندثاره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن طائفة ستبقى على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ومن أقوى الأدلة على وجود ذلك المخطط ما هو واضح من بذل أعداء الإسلام الأموال بسخاء لمواجهته، ومن الغريب أن يتحد على ذلك كل أعداء الإسلام سواء من كان على دين أو على غير دين وسواء اتحدوا في الدين أم اختلفوا فيه فإن الذي ظهر من صنع هؤلاء أنهم يمدون كل الحركات التي ينتظرون من وراءها هدم الإسلام أو تشكيك أهله فيه وما ذلك إلا لعلم الجميع أنه الصخرة التي سيتحطم عليها كل باطل وأنه السد المانع لجميع الخرافات، وأنه الحق القاهر لكل الطغاة على مختلف مفاهيمهم وميولهم وأزمانهم.

ومن هنا تظهر العلاقة واضحة بين المتنبئين في محاربتهم للمسلمين وفي تمويل هؤلاء لهم بالأموال والسلاح وكل ما يحتاجون إليه من دعم ماديٍّ ومعنويٍّ بدافع الحقد بين هؤلاء وهؤلاء على الإسلام، ومن هنا فإنه لا يخفى على من له أدنى إلمام بهذه الحركات الشريرة بأنهم مهما اختلفت أديانهم وأفكارهم ووجهات نظرهم فإنهم يتجاوزونها.

إذًا كانت الحرب موجهة ضد الإسلام والمسلمين كما يظهر جليًّا ما يتمتع به هؤلاء المتنبؤون من دعم ماديٍّ أصبحوا به من كبار الأثرياء ينفقون بسخاء على أنفسهم وعلى من يؤمن بضلالهم وأن مصدر تلك الأموال هم أولئك الأعداء الموجِّهون لعملائهم سرًّا وعلانية.

وأما الجانب الثاني - وهو المخطط المستور- فإنه رغم تستر أهله عليه فقد أظهره الله بعوامل كثيرة أخرجته رغم أنوفهم وانكشفت مؤامرات رهيبة ومخططات جهنمية - لولا لطف الله لقضي على الإسلام وأهله في أصغرها مخططًا -، وتاريخ

الفرق التي ظهرت في الخفاء بعد أن أحكمت فكرًا وتخطيطًا حافل بالأمثلة ولا تزال تلك المؤامرات تتجدد ويضاف إليها في كل مناسبة أمورٌ جديدة ولكن كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.

إن أكثر المتنبئين في عصرنا هم ممن نخرت فيهم جراثيم الباطنية والماسونية حيث ملأتهم حقدًا على الإسلام والمسلمين ليكوِّنوا منهم دعاة للضلال هم أكثر حيلًا ومكرًا ومعرفة بطرق الاستدراج والاحتيال لسلب عقول الناس وأفهامهم فبدأوا دعوتهم متظاهرين بالإيمان بالله تعالى ورسله ثم انتهت بالكفر بالله وبرسله وكل الأديان والأعراف الإنسانية من استحلال المحرمات ومحاربة العقيدة الإسلامية وإخفات أصوات المسلمين والحيلولة بينهم وبين التمسك بشعائرهم التي كتبها الله عيهم فقد اتفق المتنبؤون على اختلاف عصورهم على محاربة تلك الشعائر فلا حجَّ ولا صلاة ولا صوم ولا أذان ولا جهاد في سبيل الله؛ لأن نبوءاتهم الجديدة زعمهم منع ذلك، ولهذا كان أول ما نزل من الوحي على القادياني والشيرازي والبهاء وغيرهم من المتنبئين هو تحريم جهاد بريطانيا ومحو تلك الشعائر الإسلامية التي نسخت على أيديهم وبوحيهم حسب زعمهم.

إن تاريخ المسلمين مليء بالأمثلة التي تبين مدى تآمر أعداء الإسلام عليه ورغبتهم في الإجهاز على المتمسكين به ولكنهم كانوا كما قال الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

لقد ظهرت آلاف الجمعيات والمحافل والحركات والدعاة والمؤامرات والخطط الرهيبة على أيدي أعداء لداء من يهود ونصارى ووثنيين وشيوعيين رجالًا ونساءً في أكثر بقاع الأرض لاجتثاث الإسلام من قلوب أبنائه مستعملين في ذلك كل ما في وسعهم من ترغيب تارة وترهيب أخرى وحيل تفننوا فيها، ولكن الله عزَّ وجلَّ وحده كان لهم بالمرصاد فلم يتحقق لهم كل ما أرادوا وأملوا وردهم الله بغيظهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون، ولهذا فإن ما من ناعق بسوء ضد الإسلام والمسلمين

إلا وكانوا في الصفوف الأولى معه مؤيدين ومناصرين له ومما لاشك فيه أن الدعوة إلى قيام أنبياء وما يترتب على نجاحهم يعتبر بكل وضوح من أخطر الأمور للقضاء على الإسلام والمسلمين ومن البدهيِّ أن يميل هؤلاء الأعداء بكل ثقلهم لصالح أولئك الأدعياء علَّهم يحققون من ورائهم ولو بعض تلك الأحلام الطويلة العريضة التي بيتوها ضد العالم الإسلامي فما أن يظهر أحد الكذابين بدعوته التي صاغها بالتعاون مع أولئك الحاقدين حتى ينشروها بمختلف الدعاية وفنون الخداع ثم يبذلون كل ما في وسعهم ليحتدم النزاع ويقوى الخلاف الذي يفتعلون لإلهاء المسلمين عن النظر إلى أساس القضية وهو خطر التنبؤ والمخطط الذي ينفذونه خطوة بعد خطوة، ومن أبرز الأدلة على ذلك أن أولئك الدجاجلة من المتنبئين كلهم من المغمورين الذين يظهرون فجأة بدعوى النبوة دون أن يعلم الناس عنهم أي خبر أو ذِكْرٍ مثلهم في ذلك مثل هذه الثورات المشبوهة التي ابتلي بها العالم الإسلامي حيث تفاجأ الشعوب برؤساء دماء يخطط لهمْ بليل حالك الظلام ثم تعلن بعد ذلك أسماؤهم ولا يدري أحد كيف وصلوا إلى هذا المنصب، وما هي الجدارة التي أهَّلتهم غاية ما في الأمر أن لسان الحال يقول للناس: هذا نبيٌّ فاتبعوه وهذا رئيس فأطيعوه ثم تبدأ بعد ذلك عملية الإغراء وإسكات الأصوات بطرق لا يطلع عليها إلا الله ومن شاء من عباده، والحركات الهدامة التي يموج بها العالم الإسلامي من أقرب الأمثلة لصحة الاستدلال على ذلك.

وقد تمثل حقد أعداء الإسلام – وخصوصًا في الأزمان المتأخرة من تاريخ الإسلام – تمثل حقدهم في اللجوء إلى حبك الدسائس والمؤامرات الخفية وبث الأفكار المنحرفة وتزيينها واستخدام النساء شبكة صيد قوية بعد أن جربوا فشلهم في ميادين الحروب والنزال وجهًا لوجه، والحقيقة أن هذه الطريقة كانت من أنجح الوسائل وأشدها تأثيرًا وانخدع بها كثير من المسلمين الذين لم يفطنوا إلى ما يراد بهم فبدأت أفكارهم تنحرف وبدأت الشكوك تدب إلى قلوبهم وتبلبلت أفكارهم

وانحدروا إلى الهاوية وخدموا أعداء الإسلام أكثر مما لو كانوا هم الذين تولوه مباشرة وصدق فيهم ما أخبر به المصطفى ﷺ من أن قومًا من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا يكونون دعاة على أبواب جهنم(١) وهذا هو الغزو الفكري وهو أشد خطرًا من الغزو العسكري المسلَّح لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها كما أوصى بذلك زعماؤهم وهذا هو نفس الطريق الذي تمناه العدو اللدود للمسلمين القس زويمر حينما قال مخاطبًا زملاءه المنصرين فيما ينقله عنه الصواف: «إن تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها»(٢) ويقول المبشر «جب» في الحث على اصطياد البنات وجلبهن إلى المسيحية أو هو في الحقيقة إخراجهن عن الإسلام قال هذا المنصر الحقود: «إن مدارس البنات في بلاد الإسلام هي بؤبؤ عيني لقد شعرت دائمًا أن مستقبل الأمر في سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها»(٣) ويقول أحد منصريهم وهو نبروز: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية - الجامعة الأمريكية اليوم - من مبشري الإرساليات السورية»(٤).

وقد جاء في خطاب القس زويمر أمام حشد من المبشرين قوله لهم: «إنكم أعددتم نشئًا - في ديار المسلمين - لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلمين من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده له الاستعمار المسيحي»(٥) وآلاف التصريحات الأخرى التي تمد حوافرها

(١) الحديث رواه البخاري في الفتن جـ ١٣ صـ ٣٥.

(٢)، (٣) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام.

(٤) المصدر السابق صـ ٢٩٣.

(٥) المصدر السابق صـ ٢٩٧.

بضرب المسلمين بعضهم ببعض وتخريب مجتمعاتهم من داخلها والتركيز الجاد على اقتناص النساء والشباب والصغار من الأطفال ليكونوا منهم الصفوف الأولى للزحف على معاقل الإسلام، ولقد وجدوا مع الأسف الشديد آذانًا صاغية لهم من المأجورين والموتورين ومن قلت معرفته بدينه ممن هم في عداد البهائم ولكن الله سيخيِّب آمالهم كما خابت آمال من قبلهم، فإن العاقبة الحسنة دائمًا في جانب من تكفل لهم الله بحفظ دينهم ومصدر عزتهم وهم أهل القرآن وفيما أتصور - وأحسب أني على صواب إن شاء الله تعالى - أن المسلمين لو بذلوا أقل مما يبذله دعاة الأديان الأخرى لأديانهم الباطلة التي يتعصبون لها ويبذلون الغالي والرخيص لانتشارها لتغيَّرت الأوضاع وانقلبت الموازين ولطاردت المنائر كل مظاهر الجهل والتخلف الحاصل في البشرية ولسمع الأذان في كل بقعة من الأرض.

فإن النصرانية رجال بلا دين واليهودية أسوأ منها، والوثنيون أهلها أنعام سائمة والشيوعية قد كفنت في ثوب زفافها، والعرب قد نحرتهم الشهوات والأمراض التي لم تكن في أسلافهم وفقدوا طعم الحياة وملوا من حياتهم الجوفاء وقد عبر جميع عقلائهم ومقربهم عن عمق القلق واليأس الذي تعانيه مجتمعاتهم المنحطة في حمأة الرذائل ولهذه الأسباب وغيرها نرى أن الإسلام ينتشر في كثير من بقاع الأرض كما يستنشقون عبير الزهور رغم الجهود المتواضعة التي يبذلها أبناؤه على استحياء أحيانًا من أن يعيروا بالتخلف وأحيانًا أخرى على خوف من أن يوصفوا بالإرهابيين ومرات عديدة من داخل سجون حكامهم الذين كادوا لعلمائهم وخذلوهم وحالوا بينهم وبين عامة الناس خوفًا على كراسيهم أن تهتز أو تنفيذًا لمخططات أعداء الإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

وأما بالنسبة للسبب الخامس:

فإن وجود تلك الأصناف من الناس في أي ملة طبيعي جدًّا فإن الله خلق البشر

(١) سورة يوسف آية ٢١.

على أفهام وطبائع وأحوال مختلفة لحكم بين الله بعضها وأخفى البعض الآخر.

أما السُّذج من الناس والبسطاء في أفهامهم فلا شك أنهم طعمة أول قادم عليهم من شياطين الإنس وعتاتهم فهم لطيبة نفوسهم ثم لجهلهم بدينهم قد فقدوا الحصانة ضد أوبئة الأفكار الشريرة، وأكثر الدعوات الخطيرة إنما تبدو عن طريق هؤلاء وكل من ادعى النبوة إنما شجعه عليها مثل هذه الفئات من الناس وهؤلاء يتحمل تخلفهم حكام المسلمين وعلماؤهم وطلاب العلم وكل من آتاه الله فهمًا سليمًا لدينه وواجب هؤلاء يحتم عليهم بيان الحق للناس مهما وجدوا في طريقهم من الموانع والعقبات المعدَّة لهم سلفًا، لقد أسهم هؤلاء الجهال بأوفر نصيب لدعوى النبوَّة إذ من المستحيل أن تجد دعوى النبوة بعد محمد ﷺ مكانًا لانتشارها بين من نور الله قلوبهم بالإيمان والمعرفة، ولا يخفى على القارئ الكريم انحلال البيئات التي ظهرت منها هذه الدعوات الفاجرة وحظ أهلها من العلم والتمسك بدين الحق فإنه إذا ساد الجهل بين قوم سادت الخرافات وتلاعب الشيطان بهم وطلع قرنه بينهم وأصبحوا فريسة لكل مكَّار وأصبح المعروف بينهم منكرًا والمنكر معروفًا هكذا سنة الحياة إذ لا يجتمع النور والظلام في مكان واحد ودعوى النبوة لا يمكن أن تنبت إلا في الظلام والأمكنة المظلمة لأنها أذلُّ من أن تواجه النور الساطع فأهلها خفافيش لا يقوون على مواجهة النور، أما الغلو في الأشخاص - أحياء أو أمواتًا - فدوره بارز في الانحراف وقد حصل هذا الانحراف بين كثير من الطوائف والفرق كما يلاحظ وقوعه بكثرة بين صفوف الشيعة والصوفية وممن انتحل الانتساب إليهم من الزنادقة كما هو واضح من واقع عدد المتنبئين بين هؤلاء الغلاة فقد أوجد الشيعة من غلوهم في أئمتهم رافدًا قويًّا حمل عتاتهم على دعوى النبوة بسبب هذا الغلو الذي يدينون الله به في أئمتهم وفي علمائهم سواءً ادعوا النبوة ظاهرًا أم ادعوها بأفعالهم وتصرفاتهم فالنتيجة واحدة كما أن قضية المهدي المنتظر هي الأخرى صارت مطية سهلة لكثير من خبثائهم حيث أسهمت بحظٍّ وافر للتشجيع على دعوى النبوة فأول ما يبدأ

الشخص بدعوى النبوة بعد أن يجد له أتباعًا وأنصارًا على شاكلته وقد رأيت - أخي القارئ - ما ذكره صاحب «دقائق التفسير» عن الشيعة وانتشار دعوى التنبؤ بينهم، وقد ذكر صاحب «معجم البلدان» قومًا آخرين يشتركون مع الشيعة في تقبل الخزعبلات والأكاذيب كما في قوله الآتي عن البربر أنهم: «أجفى خلق الله وأكثرهم طيشًا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصفاهم لنمق الجهالة» إلى أن قال: «فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا»[1].

وهذا الغلوُّ الرافضي هو نفسه الغلو عند الصوفية - الحمقى منهم - بل هؤلاء لم يكتف الكثير منهم بدعوى النبوة بل تعدوها إلى دعوى الألوهية حينما قدسوا فكرة الحلول والاتحاد وصارت من أقوى معتقداتهم الحلول والاتحاد والكشف والاتصال فأصبح الأمر - كما قال كبراؤهم - «العبد رب والرب عبد» و«ما في الجبة إلا الله» وإلا فليس محققًا لتوحيد الخاصة ولا لمحبة الرب وعشقه كما يصفون أنفسهم بذلك.

أما لحب العلو والظهور فهو ظاهر من حال أولئك العتاة، فإن من أقوى الدوافع لهم على ارتكاب جريمة دعوى النبوة بعد محمد ﷺ إنما هو حب العلو والظهور والرغبة في أن يشار إليهم بالبنان؛ لأن رؤوسهم مملوءة كبرًا وأفكارهم قاصرة عن إدراك حقيقة طبيعتهم البشرية فهم يظنون السراب ماءً أو الخيالات حقائق ولم يكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]؛ لأنهم ليسوا أهلًا لهذه المنزلة التي ذكرها الله لعباده المتقين وحينما قصرت أفهامهم وازداد طبعهم في العلوِّ ظنوا أن الوصول إليه إنما هو في التعلق بدعوى النبوة وازدلاف الناس إلى حلقاتهم ومن ثم ترديد الناس لأسمائهم والثناء عليهم وما

(١) انظر معجم البلدان جـ ١ صـ ٣٦٩.

(٢) سورة القصص الآية ٨٣.

علموا أنهم في حقيقة الحال قد هووا إلى منتهى الهاوية وسقطوا السقطة التي لا تقال لهم على مدى التاريخ فكان نقصانهم وانحطاطهم من حيث ظنوا أنه طريق العلو والسؤدد، وهذا لاشك أنه من مكر الله بهم لهوانهم عليه.

وأما بالنسبة لرغبة أولئك الفجار في جمع الأموال وفي العيش الرغيد والحياة المترفة والإتيان إلى ذلك من أقصر الطرق فإنهم لحمقهم ظنوا أن أقصر الطرق إلى ذلك هي دعوى النبوة، ولهذا تجد أن المتنبئ سرعان ما يظهر عليه الثراء وعيشة القصور وقد يبقى مدة على ذلك قد تطول أو تقصر حسب ما يتهيأ له من العوامل المساعدة كما رأينا في تاريخ هؤلاء الذين هم أشبه ما يكونون بالسرَّاق الذين يدخلون أماكن غيرهم بغير إذن ثم يؤخذ عليهم بعد ذلك فيقعون في العقاب، إن هؤلاء حين ادعوا النبوة والتف بعض الناس المغفلين حولهم وأخذ هؤلاء العتاة في جمع الأموال من كل اتجاه لم تمض إلا فترة قليلة فإذا بهم في العراء وقد انكشفوا وبانت حقيقتهم وما يهدفون إليه، لأن العاقبة السيئة مقرونة بالأعمال السيئة دائمًا فاتضح للناس أن حرص هؤلاء على جمع الأموال والحياة الرغيدة من أكبر الأدلة على كذبهم فإن العقلاء يفرقون بين من يعبد المال ومن يعبد الله تعالى ومن كان سلوكه عن عقيدة أو على غير عقيدة ولا أدلَّ على صحة هذا من حال أولياء الله وأحبائه من النبيين والمرسلين كيف كانت حياتهم في الدنيا وزهدهم عنها حتى فارقوها غير ملتفتين إليها بل فارقوها وهم في عداد الفقراء ماديًّا ولم ينقصهم ذلك بل زادهم الله به رفعة وعلوًّا في الدنيا والآخرة بينما كانت حياة الذين ادعوا النبوة كلها تشير إلى حقيقتهم وما يهدفون إليه لأنهم ينقضُّون على الدنيا انقضاض الصقر على الفريسة.

فلا تمر فترة قليلة إلا وهم وأولادهم وزوجاتهم يلبسون أفخر الحلى والحلل ويسكنون في أفخم البيوت ويملكون أحسن البساتين والمزارع ويركبون أحدث المراكب غير عابئين بالتعساء من أتباعهم الذين سلبت أموالهم واستعبدت أذهانهم

ومنوا بالأماني الفارغة والوعود الكاذبة حتى استدل كثير من هؤلاء الأتباع على كذب سادتهم بالتناقض الفاحش بين أقوالهم وأفعالهم وهالهم الفارق الكبير بين حياتهم المعيشية وبين حياة سادتهم بما لا يقبله عقل ولا يستسيغه منطق ولا يدل أدنى دلالة على وجود الرحمة والعطف والاشتراك في السراء والضراء بين هؤلاء المتنبئين الكذابين وبين أتباعهم التعساء.

وأما بالنسبة للعصبيات القبلية والقومية:

فربما يكون هو أخطر الأسباب كلها وذلك بسبب ميل أكثر الناس إلى التعلق به وتمكنه في النفوس؛ لأنه يبعث فيها حب التفاخر والتطاول على الآخرين كما هي العادة السائدة في المجتمعات العربية قبل الإسلام وحينما جاء الإسلام قضى عليها وأماتها واعتبرها جيفة قذرة واعتبر من يدعو إليها جاهلًا سفيهًا إلا أن كل ذلك لم يقتلعها من قلوب الناس جميعًا إذ بقيت نفوس مريضة تتطلع إلى إحياء تلك الجاهليات بدعوى إعادة بناء الأمجاد السالفة وإحياء عادات الآباء والأجداد وهؤلاء كانوا ينظرون إلى الرسول محمد ﷺ على أنه أراد بناء أمجاد قومه وإعلاء شأنهم بين القبائل، ومن هنا غصوا بدعوته وآلمهم انصراف الناس عنهم وانضوائهم تحت راية الإسلام، ومن هنا نرى كثيرًا من المواقف لأولئك العتاة حينما انضموا إلى المتنبئين إنما كان انضمامهم بدافع من العصبية القبلية البحتة بل صرحوا بهذا دون خفاء ومن تلك المواقف – وهي كثيرة:

١ – موقف ربيعة من مضر عمومًا في موقفهم من مسيلمة فقد قدمنا ما ذكره بعض علماء الفرق عنهم كما في تعليل البغدادي لانضمام ربيعة إلى دعوى مسيلمة بقوله: «ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعًا في أن يكون في بني ربيعة كما كان من بني مضر نبيٌّ»[1] إن صح ذلك وهذا الموقف هو نفسه ما صرح به طلحة النمري في قوله لمسيلمة بعد أن سأله عن الذي يأتيه بالوحي وهل

(١) انظر الفرق بين الفرق صـ ٣٠١.

هو في نور أو في ظلمة وتبين له كذب مسيلمة فقال له رغم وضوح الحق له: «أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر»[(١)] بل إن أحد الربيعيين وهو عبد الله بن خازم السلمي يسجل على ربيعة هذا الموقف بقوله: إن ربيعة لم تزل غضابًا على الله منذ بعث نبيه من مضر[(٢)]، ومهما يكن من صحة هذا الكلام عن ربيعة فإن تغلب سلطان العصبية البغيضة على عقول بعض الناس هو الذي حملهم على أن يناصروا بعض زعماء عشائرهم في مختلف العصور وهو الذي حمل ربيعة أن يدخلوا في طاعة مسيلمة مع أنهم غير مقتنعين بصدقه ولكن ليحققوا غرضًا سياسيًّا واجتماعيًّا مهما كانت العواقب بعد ذلك، وقد أرادوا ذلك بالسيف فأذلهم الله ورجع من بقي منهم إلى الحق مذعنًا.

٢ - موقف كثير من قبائل أسد وغطفان وطيء من انضمامهم إلى طليحة الأسدي للغرض السياسي الذي قدمنا ذكره فقد كانوا على اقتناع بأن طليحة غير صادق في نبوته المزعومة وأن محمد بن عبد الله هو الذي اختاره الله لرسالته، ومع ذلك فقد كابروا عقولهم وزعموا أن صاحبهم نبيٌّ فوقفوا إلى جانبه كما أملته عليهم ظروف العصبية البغيضة ونلمس ذلك في تصريح عيينة بن حصن في حث قومه على الانضواء تحت راية طليحة ليمتاز بنو أسد بنبوته وليعلوا شأنهم بعد ذلك ومن هنا قال عيينة: «والله لنبيٌّ من بني أسد أحب إليَّ من نبيٍّ من بني هاشم وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه»[(٣)].

قال ابن الأثير: «... وتبعه - أي طليحة - كثير من العرب عصبية فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء»[(٤)] ويتضح عدم تصديق هؤلاء الأتباع لطليحة حينما

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٣ صـ ٢٨٦.
(٢) الفرق بين الفرق صـ ٣٠١.
(٣) انظر تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٢٨٦.
(٤) الكامل جـ ٢ صـ ٣٤٣.

ادعى النبوة تلك الهزائم الخاطفة التي حلت بهم على أيدي جنود محمد بن عبد الله ﷺ ليميز الله الخبيث من الطيب وهو دليل واضح لمن تأمله وشرح الله صدره للحق، هذا بالنسبة لحال العرب وكذلك صار الأمر عند غير العرب، فقد ظهر متنبئون بين الأعاجم بدافع قويٍّ من العصبية القومية البغيضة كما يظهر جليًّا من التفاف أولئك ووقوفهم إلى جانب زعمائهم والمدعين النبوة منهم في فترات كثيرة من تاريخ هذه الأمة؛ والأمثلة على ذلك لا تخفى على طلاب العلم حيث تمثل حركة الباب علي محمد الشيرازي وخلفه في قيادة البهائية حسين على المازندراني وحركة الغلام أحمد القادياني وإليجا محمد وإمام الله تياو وغيرهم أمثلة واقعية لما قدمنا ذكره من اشتداد سلطان العصبية البغيضة في قلوب أتباعها، وأما فيما يتعلق باضطرابات الحياة الاجتماعية وسوء الأنظمة فإن الأمر واضح فيه؛ ذلك أنه في زمن الفتن والشرور قد يصل الحال بالشخص إلى أن يرى حسنًا ما ليس بالحسن ويوجد فيه كما يقول الناس – من يصطاد في الماء العكر – والأشرار كما هو المعروف من سيرهم يعتبرون الفتن والمصائب التي تحل بأمتهم فرصًا ثمينة لظهورهم وخروجهم من جحورهم وبالتالي فإنهم يستغلون الضعف الذي تمر به الأمة فيتجهون إلى الجهة التي يمكن من خلالها النفاذ إلى قلوب الناس ليظهروا للناس بمظهر المنقذ لهم من أوضاعهم المتردية، وهذا عامٌّ في كل طبائع البشر أنهم يتطلعون إلى من يستطيع تغيير الأوضاع أو الوصول إلى تحقيق الآمال المنشودة.

ولهذا تجد أنه حينما يتولى قيادة الناس حكام طغاة يرون ظلم شعوبهم من شيم النفوس ونجد في المقابل أن رعايا تلك الشعوب مطايا سهلة يتعلقون بأي ناعق علهم يتنفسون الصعداء للخروج عن ظلم حكامهم لهم وجبروتهم إذ ينصب تفكير المظلومين على التخلص من ظالميهم بأي ثمن كان وهنا يقفز المنتهزون للفرص إلى مقام قيادتهم مستعملين أقصى درجات النفاق وأبرع الحيل لاجتذاب الناس إليهم والتأثير عليهم لاجتذابهم إلى صفوفهم.

وقد صور الشيخ أبو الحسن الندوي هذا الجانب ممثلًا بالقادياني وظهوره كرد فعل لما كان يعني منه المسلمون في القارة الهندية فقال رحمه الله: «استولى على المسلمين اليأس والتذمر والقلق ويئس الناس من إصلاح الأوضاع بالأساليب العادية الطبيعية وبدأوا يتطلعون إلى منقذ جديد غريب وكثر الحديث عن الفتن والعصر الأخير وكثرت التنبؤات والإلهامات وذاعت المنامات والتكهنات» إلى أن يقول: «واضطربت الأفكار والعقول والنفوس اضطرابًا عظيمًا وتهيأت لكل ثورة فكرية ودعوات متطرفة».

وقد ظهر المرزا غلام أحمد في أواخر القرن التاسع عشر فوجد محيطًا مناسبًا لفكرته ودعوته وطموحه ووجد من البيئة التي نشأ فيها والظروف والأوضاع التي عاصرته ورافقته كل مساعد ومشجع[1] وهذه الحال تنطبق تمامًا على كل الشعوب وعلى كل من يعرف من أين تؤكل الكتف. ذلك أن الظلم والقهر والإذلال واختلاف الكلمة والظروف السيئة وعدم الاستقرار كلها من العوامل التي تساعد بعض المغامرين على ادعاء مثل هذه الادعاءات الخطيرة؛ لأن كثرة الضغط يولد الانفجار، وتطلعات الشعوب والجماعات والأفراد إلى الخروج من أوضاعهم السيئة يجعلهم لقمة سائغة لكل طامع وهدفًا سهلًا لكل مخطط.

ولقد استغل أعداء الإسلام - خصوصًا المستعمرون - هذه الحال فافتعلوا المشكلات والعراقيل وأصناف الفتن والاضطرابات لتكون بمثابة تمهيد أمام عملائهم ومنفذي خططهم في تلك الشعوب.

أما بالنسبة لانتشار التفرق بين المسلمين فإن من الأمور المسلمة أن التفرق خذلان ومدعاة لاختلاف الأفكار والقلوب خصوصًا حينما يكون زعماء تلك الفرق محدودة أفهامهم، ضيقة نفوسهم، جهال بمعرفة الحق والإنصاف حيث تقوقعت كل طائفة على نفسها يمثلها شيخ مستغلٌّ متنهب لا يبالي كيفما أورد قومه، فاشتدت العزلة بين المسلمين وتفرقت أهواؤهم وولاءاتهم حتى أصبح حال المسلمين اليوم

(١) القادياني والقاديانية صـ١٨.

يوحي لكل مصلح باليأس التام أن تعود كلمة المسلمين واحدة وأن يكونوا تحت راية واحدة بل ويرى أن ذلك من المستحيلات إلا أن يشاء الله، والله عز وجل غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي مجلة «الوطن» أرجع الشيخ محمد البابطين أسباب ادعاء النبوة إلى نيل حظوة اجتماعية أو سياسية أو لسد نقص يشعر به مدعو النبوة أو بسبب اضطرابات عقلية أو أمراض نفسية أو بسبب التعمق في العبادة يصاحبها أحلام وأوهام ورؤى[١].

ويؤكد الطبيب د. سعيد وهاس استشاري الطب النفسي بكلية الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام أن ادعاء النبوة لا يخلو من أمرين إما أن يكون اضطرابًا عقليًّا أو نفسيًّا ثم شرع في شرحهما، وهو ما أكده الدكتور الفوزان والاختصاصي النفسي فهد ابن سعد العصيمي ويعيد الدكتور الاختصاصي بمجمع الأمل بالدمام أحمد الخلف يعيدها إلى سبب الانفصام الشخصي[٢].

وتذكر نفس الجريدة السابقة أنه بين عامي ١٩٩٣ م وحتى ١٩٩٨ م ادعى في مصر ٥٥ مصريًّا النبوة وكان أكثرهم يعاني أمراضًا نفسية وأودعوا مستشفى الأمراض النفسية. وبعضهم كان مثقفًا يعرف كيف يخادع الأغمار للتمويه عليهم إلى أن أوقعهم الله في ظلمات السجون.

وفي مصر أقدم عدد من المتنبئين على هذه الدعوى لأسباب مختلفة إلى حد أن أحد المتنبئين أمر أتباعه بصلاة الظهر والعصر ٣ ركعات، ولكن كان الثمن المقابل لهذا التكرم هو وجوب تقبيلهم حذاءه!! وبعض هؤلاء أول ما بدأ دعواه النبوة بأنه المهدي المنتظر ثم طور نفسه إلي حد الألوهية عند بعضهم ونص الكلام عنهم في تلك الجريدة هو ما يلي:

«أما أهم وقائع النبوة والألوهية فكانت في عام ١٩٨٦ م عندما ادعى طبيب نساء

(١) بتصرف عن جريدة الوطن ٣٠ رجب سنة ١٤٢٦ هـ العدد ١٨٠١ السنة الخامسة.

(٢) المصدر السابق.

وتوليد يدعى صلاح محمد بالإسكندرية أنه المهدي المنتظر الذي جاء ليخلص البشرية من مشكلاتها وآلامها وأنه يأتيه الوحي ليبلغه الرسالة الجديدة وأخذ بمساعدة زوجته في اجتذاب الأتباع وإقناعهم بدعوته الغريبة، إنه توجه بهذه الدعوة إلى شرائح على درجة عالية من التعليم والثقافة بعدما أقنعهم بأنه يمتلك لهم المغفرة والعفو ويضمن لهم الجنة بل ومنحهم صكوكًا لدخول الجنة وانضم إلى دعوته عدد كبير من الأتباع منهم طبيب أمراض نساء ومحامٍ وطبيب أسنان ومهندسة وعقيد بالمعاش غير أن المهدي المزعوم وأتباعه سقطوا في قبضة الأمن وانتهوا في ساحة محكمة أمن الدولة التي قضت بمعاقبة المتهم الأول بالحبس ٥ سنوات وقضت بحبس كلٍّ من زوجته وطبيب أمراض النساء والمحامي وطبيب الأسنان لمدة ٣ سنوات وقضت بحبس المهندسة لمدة سنة. وفي عام ١٩٩٢ ادعى كاتب بالحسابات بإدارة التعاون الزراعي بمركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة (شمال غرب القاهرة) بأن سيدنا الخضر أتاه وأخبره أنه سيكون المهدي المنتظر وبالفعل بدأ يمارس دعوته غير أنه ادعى أن المسيح الدجال يطارده ويهدده بالقتل وما كان منه إلا أن ذهب إلى سلطات الأمن المصرية لتحميه من بطش المسيح الدجال فما كان منها إلا أن أحالته إلى مستشفى الأمراض العقلية. ومن الحالات الغريبة في ادعاء النبوة ما فعله شاب مصريٌّ يدعى لطيف صبحي كان يعمل في بريطانيا لكنه عاد من هناك فجأة ليدَّعي النبوة في مصر في عام ١٩٩٥ م حيث قال: إن اسمه لطيف وفي الإنجليزية يكون Lateaf وفي الفرنسية يكون من مقطعين La Tea وهي من مقطعين أداة التعريف La و Tea والتي تعني شاي وبالتالي يصبح الاسم لا شيء ثم يذكر أنه هو المعنيُّ بقول القرآن الكريم في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ موضحًا أنه المقصود بـ «لشيء» وقد أحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية.

وفي عام ١٩٩٩ م ظهر مهندس بقرية شنشور بمحافظة المنوفية (شمال القاهرة) وادعى أنه المهدي المنتظر ونجح في استقطاب ١٥٠ من الأتباع والمريدين الذين آمنوا

بدعوته التي تقوم على الطعن في الفرائض التي جاء بها الإسلام وتسمح فقط للأتباع بصلاة الظهر والعصر ٣ ركعات بعد أن يقبلوا حذاءه وقد تم القبض عليه وعلى أتباعه الذين عوقبوا بالحبس لفترات تراوحت ما بين سنة و٥ سنوات. وفي العام نفسه ابتكر مواطن آخر يدعى عادل جاد بمنطقة المعادي بالقاهرة طريقة جديدة حيث ادعى أنه المهدي المنتظر وبعث برسالة إلى شيخ الأزهر يطالبه فيها بنشر دعوته مشيرًا إلى أن عددًا من مشايخ السعودية قد آمنوا بدعوته في الوقت نفسه بعث بفاكس إلى الأمين العام للجامعة العربية (وقتها) الدكتور عصمت عبد المجيد طالبه فيه بإبلاغ الملوك والأمراء والرؤساء للاعتراف به وما كان من السلطات المصرية إلا أن ألقت القبض عليه وأحيل للمحاكمة حيث حكم عليه بالحبس لمدة ٤ سنوات.

وفي عام ١٩٩٩ م أيضًا ادعى مدير أمن سابق بإحدى شركات الملاحة بالإسكندرية ويدعى محمد محفوظ النبوة وكون طريقة صوفية باسم الطريقة الروحية الشاذلية وادعى أن روح الذات الأهلية وروح الرسول قد حلتا في شخصه وأفتى بعدم جواز السجود باتجاه الكعبة وأباح لأتباعه ممارسة الجنس العشوائي وقد أحيل وأتباعه للمحاكمة حيث حكم عليه بالحبس لمدد تراوحت بين سنة و٧ سنوات. وفي عام ٢٠٠٠ م ألقت السلطات المصرية القبض على سيدة تدعى الشيخة منال وحيد مانع (٤١ سنة) بمنطقة السيدة زينب بوسط القاهرة ادعت الإلوهية والنبوَّة وانتسبت وأتباعها لطريقة عرفت باسم البيومية العمرية وأن مؤسس الطريقة يتجلى لها وهو التجلي الثاني للرسول محمد ﷺ وأسقطت عن نفسها وعن أتباعها الصلاة. وفي أغسطس عام ٢٠٠٤ م ادعى سائح أسترالي أنه المسيح عيسى ابن مريم وأن وحيًا نزل عليه وأمره بالبحث عن مفتاح الكون أسفل تمثال أبي الهول بمنطقة الأهرامات ليعرف سر الحياة.

وقد ألقت السلطات المصرية القبض عليه وتم ترحيله إلى بلاده بعد ما تبين إصابته بأمراض نفسية وتعرضه لهزات عاطفية وعصبية. وفي عام ٢٠٠٥ م ادعى تاجر مصري بمنطقة المعادي يدعى أحمد إبراهيم أبو شوشة ارتقاءه لمنزلة الأنبياء وامتلاكه حق الشفاعة

عند الله لأتباعه واستطاع تكوين خلية من الأتباع ضمت ١٢ شخصًا آمنوا بفكرته ودعوته حتى سقطوا في قبضة السلطات الأمنية وأحيلوا للمحاكمة التي قضت بحبسه ٣ سنوات وكفالة ٥ آلاف جنيه وسنة و٢٠٠٠ جنيه (٣٥٠ دولارًا) كفالة لأتباعه»[١].

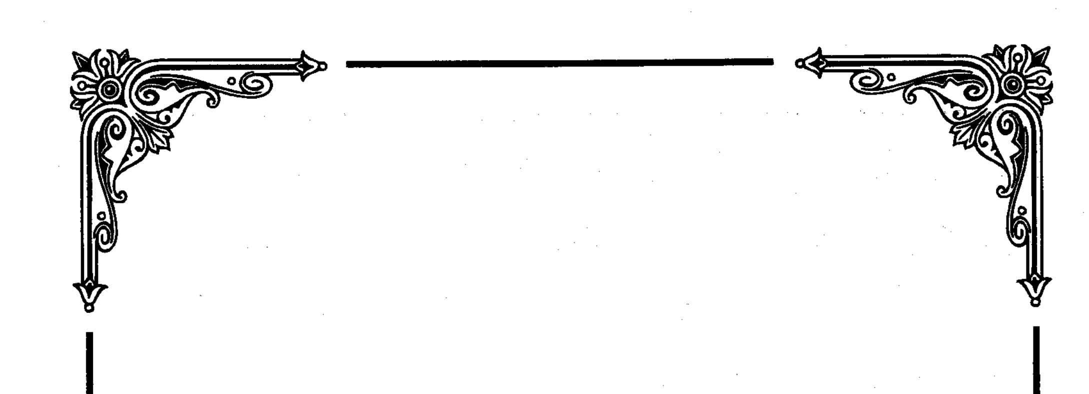
ومن الغريب جدًّا أن بعض المتنبئين يأتيه الوحي ويطلب منه أن يكثر من شرب المخدرات فهذا شخص في مصر يسمى جمال عبد العزيز ٤٥ سنة عامل ديكورات ادعى أنه على اتصال بالملأ العلى وأن الأرواح تخدمه، بدأ دعوته بأنه من أهل بيت النبي ﷺ ثم إنه المهدي المنتظر وأخيرًا جاءه الوحي بأن يكثر من شرب «البانجو» المخدر وأنه إذا استمر في تعاطيه فإنه سيحرر القدس من اليهود وقد سجن في مدينة ميلانو الإيطالية سنتين بتهمة حيازة الحشيش وسرقة السيارات وازدراء الأديان ثم أودع في سجن في القاهرة[٢].

إن تدنيس أمثال هؤلاء للنبوة وقداستها أمر مؤلم وقد شاء الله تعالى أن يقترن السلوك الشنيع مع دعوى النبوة لإظهار فجور وطغيان أولئك السفهاء ولله الحجة البالغة.

---

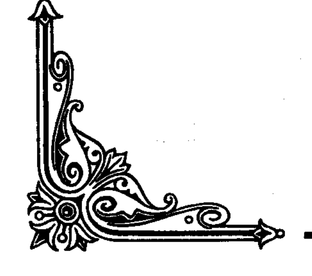
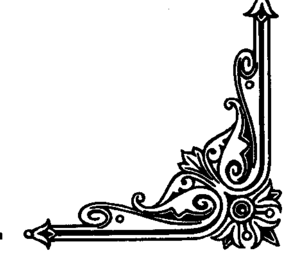
(١) الوطن ٣٠/ ٧/ ١٤٢٦ هـ العدد ١٨٠١ السنة الخامسة.

(٢) انظر جريدة الشرق الأوسط ٤/ ٨/ ١٤٢٣ هـ السنة ٢٥ العدد ٨٧١٧.



الباب الثالث عشر..

النتائج الفكرية والاجتماعية التي أحدثها المتنبئون

النتائج الفكرية والاجتماعية التي أحدثها المتنبئون..

لقد ابتلي العالم الإسلامي بكثرة المؤامرات عليه واتفاق أعداء الإسلام على حربه بكل حقد، وإحكام صنوف الخطط لإخراج أهله منه أو تشكيكهم فيه وبعض تلك المؤامرات والخطط نجح وبعضها فشل وبعضها لايزال في طور التنفيذ وفي مقابل ذلك فإن حال العالم الإسلامي في تفرقه وتحزبه وبغي بعضهم على بعض واستكبار كل مجموعة على الأخرى لهو من أكبر العوامل التي ساعدت أولئك الأعداء، وحال المسلمين أقوى شاهد وأحوالهم الاجتماعية أكبر شاهد على تصدعهم وخبث كثير من قادتهم وعلمائهم وعوامل أخرى أضافت إلى الحشف سوء كيله.

لأن هؤلاء القادة ما بين بعثيٍّ مستكبر أو شيوعيٍّ حاقد أو شيعيٍّ متربص أو جاهل بأمور الدين الإسلامي يجمع هؤلاء جميعًا الحقد الدفين على المسلمين خصوصًا أهل السنة وعلى الحركات الإسلامية التي اخترعوا لها عشرات الألقاب المنفرة وعشرات -بل مئات- التهم ليأخذوا لهم حجة في ضرب كل إصلاح إسلامي.

وتعاضدت قوى الشر الظاهرة والخفية على إحياء كل دعوة جاهلية ومساندة كل ناعق ضد الإسلام مهما كان في جهله وانحطاطه وجاءوا إلى كل شخص من حيث هواه فمن يرد الدنيا أعطوه منها، ومن يرد الزعامة السياسية ساعدوه، ومن يرد الزعامة الدينية على مفهومه ومفهومهم وقفوا إلى جانبه، ومن يرد النبوة أوجدوا له من يؤمن به ويصفق لخطاباته بل وحتى من يرد الألوهية آمنوا به[1].

وأوجدوا له من يقول له: يا إلهي وتردى العالم الإسلامي في مهازل يندى لها

---

(١) كما حصل لسلمان المرشد حينما ادعى الألوهية في سوريا أثناء الاستعمار الفرنسي فقد كان السفير الفرنسي يناديه باسم الألوهية لا باسم سلمان يقول له: يا إلهي فيجيبه!!! كما يذكر أبو الهيثم.

الجبين. والغرض من كل ذلك واحد هو الوصول إلى تحطيم تجمع المسلمين وإثارة الفتن والبلابل بين صفوفهم بأي ثمن كان ومن أي شخص كان ورفعوا الأقزام والدمى التي تسير حثيثًا في تنفيذ المخطط الموكل إليهم تنفيذه وأذلوا أهل العقول والأفهام ورموهم بأنواع السباب والتحقير لتنفير العامة منهم أو الاستماع إلى نصائحهم وتابعوا عليهم الغارات حتى شلوا قواهم وشغلوا أذهانهم ولقد آتت كل تلك البلايا ثمارها فوقع بين المسلمين ما نعيش مرارته ليلًا ونهارًا فكريًّا واجتماعيًّا فكثر دعاة الهدم مرة باسم التجديد، ومرة باسم الحرية، ومرة باسم التقدم، ومرة باسم النبوة، وكل تلك الأوضاع يجني ثمرتها المشئومة المتربصون بالإسلام ويكتوي بنارها الدهماء من المسلمين وطبيعي جدًّا وحال المسلمين بهذه الأوضاع أن تكون لها نتائج شاملة تظهر في أفكار المسلمين وفي سلوكهم العملي وقد ظهر الكثير منها والذي لم يظهر فإنه لم يؤخره إلا التوقيت فقط.

١ - النتائج الفكرية:

هذا هو الجانب الأول بعد الانتهاء من دراسة شخصيات المتنبئين، وهو ما يتعلق بالجانب الفكري وتأثير دعوى النبوة الخطيرة فيه، وهذا التأثير أمر لابد من وقوعه إذ ما من دعوة ضالة أو حركة هدامة إلا وكان لها صدًى في الفكر يتفاوت بقوة تلك الدعوات أو ضعفها فإنه كما يقال: لكل صائح صدى. ولكل بضاعة سوقًا سواءً أكان ذلك الصائح يصيح بخير أو بشرٍّ. فلقد أحدث المتنبئون بأكاذيبهم وتلفيقاتهم أمورًا كان أقل ما فيها إشغال المسلمين عن المخاطر التي تحيق بهم وإشغال علماء المسلمين بالخصام والردود وبالتالي إحداث اضطرابات فكرية ما كانت لتحدث أو تلقى اهتمامًا من المجتمع لولا وجود تلك الحركات الهدامة التي كانت تغذيها وتنفث فيها سمومها الخبيثة تحت شعارات ومظاهر مختلفة، بل هان أمر النبوة في أذهان الكثير من الطامعين فذهبوا يدَّعونها بكل جرأة ووقاحة ولفقوا كلامًا ركيكًا من الغث والسمين وزعموا أنه وحيٌ مقدَّس وحياة اجتماعية جديدة فكان أخطر هذه

النتائج ما وقع بين صفوف بعض المسلمين من خلخلة ووهن في عقائدهم وضعف إيمانهم لعدم وجود المعرفة التي تحصنهم من الانخداع بترهات هؤلاء الفجار الذين لبسوا عليهم وقلبوا لهم الأمور وملؤوا عقولهم بالشبهات التي عجزوا عن فهمها ومعرفة الحق فيها لقلة علمهم وعمق ورود الشبه عليهم ثم التخطيط البارع الذي سلكه مدعو النبوة في عرض بضاعتهم الخاسرة إلى جانب بذل الأموال وبناء المرافق الحيوية والإعانات السخية التي يتلقونها من بنوك الشرق والغرب لقاء تنفيذ خططهم في العالم الإسلامي وإخراج المسلمين عن دينهم إن استطاعوا – ولن يستطيعوا إن شاء الله – أو أقل ما يطلبونه وهو إدخال الشبه والشكوك في قلوبهم ومسخ العقيدة الصحيحة من نفوسهم وإحلال البدع والخرافات محلها وهو مطلب هام من مطالب الممولين والمستفيدين على حد سواء وخصوصًا أن الواجهة البارزة للمستفيدين هؤلاء هو أنهم على الإسلام الصحيح وعلى التمسك بتعاليمه ويستدلون بآيات وأحاديث لزيادة التمويه والمكر بالمسلمين، ويفسرون النصوص الثابتة في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ على حسب مخططهم معتمدين التأويلات الفاسدة والخداع الذكي في تحريف النصوص. ومن هنا وقع كثير من المسلمين في مصايدهم حيث يدخلون عليهم بالتظاهر بحب الإسلام والتمسك به ومعرفة نصوصه معرفة صحيحة بزعمهم وإظهار الزهد والعبادة وسيما الصالحين فافتتن بهم كثير من الناس وبلغ ضررهم أكثر من ضرر اليهود والنصارى بل وأكثر من فتنة المسيح الدجال كما يذكر علماء الإسلام(١) وكما يشهد بذلك واقع هذه الحركات الهدامة في البلاد الإسلامية(٢) وذلك بسبب غموض أمرهم عند كثير من العامة فيضرون أكثر مما لو كانوا على الكفر صراحة؛ لأنهم حينئذ يبقون في العراء أمرهم مكشوف ودينهم معروف فيحذرهم المسلم ويبتعد عن الاقتراب منهم فلا يقبل أفعالهم ولا يسمع أقوالهم

---

(١) انظر الفرق بين الفرق صـ ٢٨٢.

(٢) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

ويحكم على نفسه التحصن منهم فيقل تأثيرهم ولا يقع في أيديهم إلا من سبق عليه الشقاء. ولكن هؤلاء الأشقياء العتاة قد عرفوا أن مواجهة المسلمين بالدعوة إلى الكفر الصريح والخروج عن تعاليم الإسلام علانية سيفشل خططهم ويخيب آمالهم فجاءوهم من حيث لا يشعرون بهم ومن حيث لا يلفتون النظر إلى مآربهم ومطامعهم الهدامة ولا يكتشفون إلا بعد فوات الأوان أنهم سراق العقول والأفكار ولهم أحقُّ بالسجن من سراق المال كما قال ربيعة شيخ الإمام مالك، وقد وفق الله علماء المسلمين ففطنوا لهذا الدسائس والمكر الخفي فنبهوا إخوانهم عامة المسلمين إلى هذه الأخطار وكشفوا زيفها أقاموا الأدلة والبراهين على بطلان دعوى أولئك الفجار وأوضح الله بهم الحق وأنار بهم السبيل فاضمحلت كثير من هذه الدعوات الهدامة والمبادئ الملحدة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾[1].

ولا أدلَّ على هذا من كثرة هذه الحركات التي قامت بين المسلمين وتعد بالمئات والألوف ثم مات الكثير منها حتف أنفه رغم تلك الصولات والجولات لأصحابها وبقي الإسلام في النهاية هو الصرح الشامخ والملجأ لكل مسلم على مدى الدهور وبقيت تلك الدعوات والأفكار مثل الأوساخ والأتربة التي تعلق بالجسم ثم يتطهر منها وتزول.

إن أخطر الأمور والمصائب التي تحل بالأمة هو الاستهانة بدعوى النبوة كما عرف القارئ الكريم فإن كثيرًا من المغامرين والمتطلعين إلى بناء الأمجاد الزائفة والعلو في الأرض بغير الحق ظنوا أن دعوى النبوة هي أقصر الطرق لبناء الأمجاد الزائفة فسهل دعواها في نظرهم المعكوس إضافة إلى أن كثرة المتنبئين جعلت الأمر سهلًا في نظر هؤلاء فما أن تتوفر لأحدهم بعض الصفات من الجرأة أو الفصاحة أو بعض العلامات التي توفرت في مثل من ادعى النبوة قبله إلا ونجده يبادر إلى الاقتداء به والسير على طريقته وتكرار الشبهات التي خاضها سلفه لأن غاية ما في الأمر أن

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥.

المتنبئ يحتاج إلى معرفة الشبهات وحذق الجدل ليكون له بعد ذلك أتباع وأنصار يجعلهم في حظيرته كما حصل عند كثير من مدعي النبوة والذين استندوا إلى إثارة الشبهات وكثرة الجدال في إثبات نبوتهم وإلقاء الحجج مهما كانت سخافتها لفتح باب النبوة. وكمثال على هذا انظر إلى نجل القادياني وهو بشير محمود كيف يعرض الشبهات التي يتمسك بها هو وغيره لفتح باب النبوة على طريقة والده القادياني في أن النبوة لا يمكن أن تنقطع بحجة أن القول بانقطاع النبوة فيه جحد لفضل الله وكرمه حسب زعمه فهو يقول: «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت، ما قدروا الله حق قدره إنكم تتنازعون في نبي واحد – أي والده – وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ[(١)]». وعلى هذا النص فلا حدَّ ولا عد للأنبياء الذين سيأتون بعد محمد ﷺ وبعد القادياني أيضًا وذلك لدوام كرم الله وفضله – حسب استدلال بشير – وذكره للألف إنما هو لبيان الكثرة وإلا فهم ألوف حسبما يحاول إثباته.

ولهذا انطلقت الدعوات الكثيرة بعد وفاة القادياني من أتباعه كلٌّ يدعي أنه نبيٌّ يوحي إليه بعضهم بواسطة وبعضهم بغير واسطة فكان رد بشير عليهم ردًّا متناقضًا حيث زعم أنهم مجانين[(٢)] مع أنهم من كبار أتباع والده فلماذا هذا التناقض حسب ما قدره وأكده عن النبوة؟ لا مبرر لإنكار نبوة هؤلاء!! والذي أوقعه في هذا التناقض هو الرغبة في قصر الزعامة النبوية في والده ومجيء الألف نبي الذين ذكرهم يغني عنهم والده حسب هذا الموقف المتناقض منه.

وكل ذلك استهانة بالنبوة وبعقول الناس وليس ذلك بغريب على من جعل الكذب أحد وسائل الإقناع على طريقة أن ترداد الكذب كثيرًا قد يجعله مقبولًا في وقت ما. وهذه هي الطريقة التي سار عليها مدعو النبوة كما سار على هذا النهج «فرويد» عندما قرر ذم الحياء عند المرأة حتى يجعله هو العيب ثم بدأ فعلًا في

---

(١) انظر القادياني والقاديانية صـ ١٣٠.

(٢) انظر القاديانية لإحسان إلهي صـ ٢٦٥.

مهاجمة الحياء عند المرأة ووصفه بعدة صفات ذميمة وأعاد وأبدى حتى تم له ما أراد وصارت المرأة التي تشبعت بتعالميه تستحي أن تستر وجهها ونصف فخذيها أمام الرجال الأجانب. وإذا كانت تلك الشبهة التي قدمنا ذكرها عن بشير كاذبة فإن أكذب منها هي الشبهة التي جاء بها القادياني نفسه في استدلاله لفتح باب النبوة وسهولة الوصول إليها فهو يرى أن اتباع النبي محمد ﷺ يمنح الكمالات النبوية عن طريق الوراثة أو الانتقال الطبيعي، ويذكر أن العناية بالتزام أفعال النبي محمد ﷺ بدقة ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم!!![1].

وهذه هي المغالطة المفضوحة، وهذا هو المدخل إلى دعوى النبوة، وهذا هو التلاعب بأفكار الناس. أي أن الوصول إلى النبوة أمر سهل حيث يتطلب فقط تتبع سنة النبي محمد ﷺ والاقتداء به قولًا وفعلًا ليجعل من صاحبه نبيًّا بعد ذلك. غريب جدًّا أن يكون الاقتداء بالنبي ﷺ يوصل صاحبه إلى أن يكون نبيًّا فلماذا لم يدَّع أحد من الصحابة رضوان الله عليهم النبوة وهم من لا يدانيهم أحد في اتباع النبي ﷺ في محبتهم له وتقديم قوله وفعله على هواهم تحقيقًا لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[2].

وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3] أي أن متابعة النبي ﷺ دليل على الإيمان به وليس على الوثوب على دعوى النبوة وإلا لأصبح كل مؤمن بالنبي ﷺ نبيًّا والصحابة رضي الله عنهم كانوا يدركون أن النبوة مقام يختاره الله في من يشاء من عباده لتلقيها ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[4] وشبه الغلام هذه إنما هي من خرافات ضلال الصوفية الذين يزعمون أنهم يجتمعون

---

(١) القادياني والقاديانية صـ ٦٥.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة جـ ١ صـ ١٢ رقم ١٥، وانظر فتح الباري جـ ١٣ صـ ٢٨٩.

(٣) البخاري جـ ١ صـ ١٤ رقم ١٤، ١٥، ومسلم جـ ١ صـ ٦٧ رقم ٤٤.

(٤) سورة الأنعام ١٢٤.

بالرسول ﷺ يقظة لا منامًا كلما أرادوا ذلك ويجتمعون بغيره من الأنبياء والصحابة وسائر الأولياء بزعمهم الخرافي أنهم قد اضمحلوا في الرسول ﷺ فأمدهم وفاض عليهم، ولقد عبر الأستاذ الندوي عن جرأة من ادعوا النبوة وعن الأضرار الفكرية التي نشأت بعد تلك الدعاوى الكاذبة فقال: «وقد أحدث ذلك فوضى في النبوة»[(١)].

«وفقدت كلمة النبوة جلالتها وحرمتها وقداستها وأصبحت ألعوبة وعبثًا، وهان على الناس بصفة عامة بعد المرزا أن يتنبئوا»[(٢)].

وإذا كان هذا بالنسبة للنبوة فما بالك بالنسبة لتفسير كتاب الله تعالى والتلاعب بمعانيه بتأويلات باطلة في جرأة وعدم مبالاة؟!. كما أن من النتائج الخطيرة التي أوجدها دعاة التنبؤ في أفكار المسلمين إحكام الفرقة التامة بينهم.

فقد انطوت كل طائفة على نفسها مقتنعة بأفكار زعيمهم وأصبح حال المسلمين في تفرقهم كما قال عز وجل: ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[(٣)]، وإذا كانت العداوة قد استحكمت بينهم في أقل من قضية التنبأ فكيف بهذه القضية الهامة التي هي أهم قضايا الحياة كلها.

إن كل متنبئ يزعم لأتباعه أنه على الدين الصحيح والصراط المستقيم ثم يكفر كل من لم يدن بآرائه ومعتقداته وليس التكفير فقط وإنما التكفير واستحلال الدماء والأموال والأعراض واستحكام العداوة والنفر التامة فكلما قام متنبئ اقتطع من جسم الأمة الإسلامية جزءًا لا يلتقي مع الأجزاء الأخرى ولا يلتئم معها للتنافر المفروض عليهم. كما هو الواقع المعروف لكل منصف ومطلع على أوضاع المسلمين قديمًا وحديثًا.

كما كان من النتائج أيضًا حدوث مفاهيم جديدة للنصوص الشرعية في كتاب الله

---

(١) أي في مفهوم النبوة ومكانتها الحقيقية لا في ذاتها، فهي أشرف من أن تدنس بعبث هؤلاء.

(٢) القادياني والقاديانية صـ ١٣٠.

(٣) سورة الروم الآية ٣٢.

تعالى وسنة نبيه ﷺ بطريقة ماكرة.

وهذا الواقع البغيض أمر حتميٌّ لابد وأن يحصل في ظروف تغيير الواقع وطمس الحقيقة، ذلك أن أكبر العقبات التي يواجهها المتنبئ هي وجود النصوص المتضافرة من كتاب الله ومن سنة نبيه ترد مزاعم وتلبيسات كل المتنبئين، ومن هنا كانت محاربة المتنبئين للنصوص وتحريفها أمر لا بد منه لتنطلق دعوتهم ويتقبلها السذج والبسطاء تحت غطاء موافقة النصوص لمزاعمهم كلها بحيث ينسلخ المسلم عن دينه من حيث لا يشعر بسبب تلك المزاعم والأكاذيب فإذا تمكنت دعوة المتنبئ ومزاعمه من قلبه فإنه لا يبالي بعد ذلك أوافق الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ أم خالفه لأنه قد ران على قلبه فهو لا يفقه ولا يحب أن يفقه.

ومن النتائج الأخرى اختلاقهم نصوصًا جديدة مكذوبة تؤدي إلى مفاهيم جديدة للنصوص الشرعية أثمرت هي الأخرى ثمارها المشئومة حيث عملت على زيادة التدليس والتلبيس على العوام من المسلمين وجذبتهم إلى قبول الأفكار الجديدة بكل يسر وسهولة لعدم وجود حصانة لديهم ضد هذه الأوبئة الفكرية، ومن الطبيعي أن يضطر المتنبئ إلى اقتحام هذا الميدان إذ لابد من ذلك كي يتقبل الناس دعواه.

كما أن المتنبئين على مدار التاريخ أكثر ما يهتمون بترويج أفكارهم ونشر أكاذيبهم إلى من قلت معرفتهم بالنصوص وإلى الطبقات الحاكمة ويشبعونهم بتلك المفاهيم ليجعلوا منهم سندًا قويًا لانتشار دعوتهم كما حصل في بلدان كثيرة من أفريقيا حينما توجهت إليهم جحافل القاديانية والبهائية وغيرهم من الفرق، وأصبحت بالفعل فريسة لهؤلاء الدجاجلة وأخرجوهم عن دينهم بل ومن فطرهم إلى تلك المعتقدات الضالة التي أوصلتهم إلى اعتقاد نسخ الشريعة الإسلامية بكل صراحة على أيدي المتنبئين.

وكان من النتائج الفكرية السيئة لظهور المتنبئين دعوى الولايات الكاذبة وختم الولاية وتفضيل الولي على النبي والاتحاد بالله تعالى ومعرفة علم الغيب وغير ذلك.

ومن تلك النتائج كذلك نضوب الفكر الصافي الذي كان عينًا معينًا أثرى المكتبات الإسلامية وطرق باب المعرفة من جميع جوانبها حيث انكمش في تلك الزوايا بعد ذلك، ومنها ذلك الخمول والركود في طرق باب الفصاحة وجزالة الكلام بسبب ركاكة كلام المتنبئين وثقافتهم الضحلة وفكرهم الآسن وتأثيره على المصدقين بهم فركدت فصاحتهم وظهر العي المشين في كلامهم.

ومن تلك النتائج كذلك إحداث تشويش في مفاهيم غير المسلمين عن الإسلام. وذلك بسبب تأثرهم بآراء ومعتقدات هؤلاء الدجاجلة الذين يتظاهرون بالإسلام والغيرة عليه حيث يزعمون لهم أن دعوتهم هي لتصحيح العقيدة وتجديدها كما جاء بها الإسلام تمامًا. وأنها لا تخالفه إلا فيما أراد الله أن يقع فيه الخلاف بحكم ضرورة التجديد ثم يظهرونها على أنها مسائل قليلة اقتضتها حكمة الله، وأنها لا تؤثر في الإطار العام والمفاهيم المعروفة في مسار الإسلام وعلوه فافتتن بكلامهم من لا معرفة له بالحق المعرفة التي تحصنه عن الوقوع في شراكهم فنتج عن ذلك أن غير المسلمين حتى لو أرادوا أن يدخلوا الإسلام فإنهم يجدون دعوة إلى إسلام جديد ونبيٍّ جديد كما أن من كانت ثقافته محدودة فإنه سيجد أمامه أفكارًا متعارضة وأقوالًا متضادة تجعل الحليم منهم حيران في أمره ينظر إلى الإسلام على أنه معتقدات غير منتظمة وزعماء غير مثقفين كما أن من النتائج الخطيرة التي فرضتها دعوى النبوة أن من كانت معرفته بالإسلام محدودة فإنه سيجد أن كل طائفة تكفر الأخرى ويجد أحزابًا كل حزب يحذر من الآخر، فأصبح المعتقد الحق - معتقد أهل السنة والجماعة - نقطة خفية بين ثنايا آراء وأفكار تلك الفرق والتنبؤات الحاقدة مما يتطلب إقناعهم بالحق بعد ذلك جهودًا مضنية وأوقاتًا طويلة لاجتثاث ما علق بأفكارهم من شبهات المتنبئين.

النتائج الاجتماعية:

هذا هو القسم الثاني في دراسة هذا الموضوع وهو بيان ما أحدثه المتنبئون من

نتائج خطيرة في المجتمع .

بعد أن انتهينا من بيان ما أحدثه هؤلاء من نتائج خطيرة في الفكر العام بتلك الدعوات الضالة التي خطط لها أعداء الإسلام بدقة وراء الكواليس في محافل أعداء الإسلام المتربصين به وبأهله الدوائر عليهم هم دائرة السوء ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

لقد أريد للمجتمعات الإسلامية أن تتشتت كلمتهم وأن يتفرقوا إلى فرق وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون، وأن يكون بأسهم بينهم شديدًا وقلوبهم شتى وأن يجهلوا دينهم أو أكثر تعاليمه وأن يخرج الشخص عنه أو يتشكك فيه كله أو في بعضه ومشوا خطواتهم بدقة حتى تحقق لهم الكثير مما أرادوا في غفلة من المسلمين بمشكلاتهم الداخلية التي أكثرها أو كلها مفتعلة بدون مبرر حقيقي لها حيث انشغلوا بعدة أمور تافهة من أهمها الانشغال الداخلي بأمر هؤلاء - أدعياء النبوة - وموقفهم منهم سلبًا أو إيجابًا.

ولعل من أهم تلك الآثار – وهي كثيرة – ما هو واضح من حال الأمة الإسلامية في تفرقهم واختلاف أهوائهم ومعتقداتهم وبغي بعضهم على بعض لأتفه الأسباب بعد أن مهدتهم لهذا الموقف المشين دعوات المتنبئين، ومما هو معلوم أنه ما من خلاف ينشأ عن عقيدة إلا وصعب رقعه وعظم خطره وخصوصًا إذا كان للخلاف من يؤججه ويزيد النار ضرامًا كما يفعل هؤلاء - أدعياء النبوة - بحض أتباعهم على النفور عن غيرهم خصوصًا من المسلمين المتمسكين بهدي الكتاب والسنة لعلمهم أنه لا عدوَّ لهم أنكى من هؤلاء ولا أعرف بتخرصات أصحاب الدعاوى الكبيرة الكاذبة منهم.

فيقوم هؤلاء بتنفير كل من استجاب لهم فيحصل التفرق ثم يستحكم العداء وتعظم الفتنة ويشتد الخطر ويتسع الخلاف ويبغي بعضهم على بعض بدافع العصبيات البغيضة أو التوسع في النفوذ ثم لعدم وجود ذلك الرباط المتين الذي هو التمسك

(١) سورة التوبة الآية ٣٢.

بكتاب الله تعالى والانضواء تحت راية محمد بن عبد الله ﷺ التي وحّدت المسلمين وجعلتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وكل دعوى لقيادة الأمة تحت أي شعار سواء أكانت دعوى النبوة أو غيرها من الشعارات الفارغة إنما تضيف إلى فرقة المسلمين فرقة جديدة وتشتتًا جديدًا، وما من دعوى للنبوة إلا وأظهرت الخسارة بين صفوف المسلمين بكل وضوح حتى وإن كانت تلك الدعوى محجوبة بالتظاهر بالإسلام والرجوع إليه فإنه ما من داع إلى ضلال إلا ويحذر أتباعه من التمسك بغير ضلالته كما هو الحال في جميع الدعوات التي قامت في العالم الإسلامي مثل القاديانية والبابية والبهائية بل وحتى أصحاب الفرق الأخرى التي هي أقل زيغًا من هؤلاء تفعل نفس الموقف الذي يقفه أولئك كما هو الحال عند عباد القبور كالبريلوية أو الطرق الصوفية الكثيرة أو الرفض حيث قطع هؤلاء جسم الأمة الإسلامية إربًا إربًا وكلٌّ منهم يدعي نصرة الإسلام والحفاظ على تعاليمه مما كان له أسوأ الأثر في إرباك المسلمين فضلًا عن غيرهم وبلبلة أفكارهم وحيرتهم في مواقفهم بين هذا أو ذاك لأنهم يجدون جماعات متناحرة مختلفة المشارب كل جماعة تكفر ما عداها فيبقون في الظلمات إلى أن ينقذهم الله وينور بصيرتهم ويعرفون خروج هؤلاء جميعًا عن هدي الله تعالى.

فإن الله تعالى قد أخبر أنه له صراطًا مستقيمًا وأمرنا باتباعه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1] ويأبى العقل أن يصدق بأن كل هؤلاء الأحزاب المتناحرة المختلفين في الدين والاعتقاد أنهم كلهم على صراط الله المستقيم بل يعرف أنها ضلالات وفتنٌ الشقي من شقي فيها، والسعيد من أسعده الله بالابتعاد عنها وعدم الركون إليها بالتمسك بما أنزله الله على محمد ﷺ.

ثم النظر بعد ذلك إلى كل هذه الخلافات بهذا المنظار ثم عرض كل تلك الدعوات وأولها دعوى النبوة على ما جاء في كتاب ربه وسنة نبيه ثم يسأل الله بإخلاص أن يريه

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

الحق حقًّا ويرزقه أتباعه وأن يريه الباطل باطلًا ويرزقه اجتنابه وأصدق وصف لحالة تفرق الأمة الإسلامية حين تبتلى بمثل هؤلاء الفجار ما ذكره الأستاذ الندوي في بيانه لظهور أحد الكذابين المفرقين للأمة الإسلامية باسم الدعوة للإسلام وهو المشئوم غلام أحمد القادياني فقد قال هذا المتنبئ في ذم المخالفين له من المسلمين والتنفير منهم ومن كتبهم ومدح كتبه هو فقط قال: «تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويقبلني ويصدق دعوتي إلا ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون»(١).

ويقول الندوي عن خطر دعوى النبوات وتأثيرها على الأمة الإسلامية: «إن البلبلة الفكرية والاضطراب العظيم الذي تحدثه هذه النبوءات الكثيرة المزعومة وما يؤول ذلك إلى تفريق بين المسلمين وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية يبعث في كل قلب مسلم وحشة وقلقًا ولم يتعود الناس في هذا العصر الذي يتسم بسمة اللادينية والإلحاد أن ينسبوا إلى أنفسهم صفات «أنا النبي» و«أنا الحق» ولكنه إذا نشأ هنا في العالم الإسلامي ذوق التنبؤ بتأثير رسائل المرزا ودعاته المتحمسين وظهر رجال في مختلف أرجاء العالم الإسلامي يرفعون راية «النبوة» ويكفرون الذين لا يقبلون دعوتهم كنتيجة حتمية للنبوة فلا ينتج ذلك سوى بلبلة فكرية وفوضى دينية واصطدام بين الأفكار ويتوزع العالم الإسلامي بين جبهات مختلفة وتقع هذه الأمة التي جاءت لمحو كل عصبية من اللون والجنس والوطن وإنشاء الأخوة الإسلامية فريسة التفريق والتكفير والعصبيات الدينية»(٢).

ومن النتائج الاجتماعية أيضًا وقوع بأس المسلمين فيما بينهم وتهيئة الجو لأعدائهم للانقضاض عليهم، فمن المعلوم أنه خاض المسلمون فيما بينهم حروبًا طاحنة كان لأدعياء النبوة نصيب وافر فيها وذهبت ضحايا وأزهقت أرواح كان أحرى

(١) القادياني والقاديانية صـ١٠٦.

(٢) المصدر السابق صـ١٣١.

بها أن تكون في سبيل رفعة الإسلام وإعلاء شأن المسلمين الذين انتهكت أعراضهم وقتل شبابهم وذلوا في بلادهم وديارهم في كل بلد يوجدون فيه إلا ما شاء الله، لقد وقع الصراع بين المتنبئين وأتباعهم وبين جيش الإسلام وجنوده مبكرًا، وأمثلة هذا كثيرة ابتداءً بما وقع في زمن الصحابة وانتهاءً بعصرنا وربما يستمر بعد عصرنا إلى ما شاء الله تعالى.

فقد افتتح المرتدون بقيادة بعض المتنبئين أول المعارك في التاريخ الإسلامي مثل مسيلمة الكذاب وسجاح وما وقع من طليحة بن خويلد الأسدي قبل أن يتوب والأسود العنسي. وما وقع بعد ذلك من أحداث في الدولة الأموية وفي الدولة العباسية إلى أن أتى هذا العصر فإذا بالمسلمين يفاجئون بظهور متنبئين بعضهم كانت لهم شوكة وقوة مثل القادياني والباب الشيرازي والبهاء حسين علي المازندراني وما وقع بعدهم بالأمس القريب في السودان مثل محمد محمود طه وغير هؤلاء ممن أسهم في خذلان المسلمين وشغلهم بأمرهم بدلًا عن التفرغ لأعدائهم ورفع راية الإسلام خفاقة ونشر دين الله عز وجل.

فإن هذه الحركات التي قام بها المتنبئون كانت إسهامًا قويًّا منهم في بعثرة جهود المسلمين وعدم استطاعتهم لم شملهم، وتكثيف قوتهم لانشغالهم بمقاومة هذه الحركات وصدها وبالتالي زيادة ضعفهم وإفساح المجال لأعدائهم لتنفيذ مخططاتهم في هذه الأثناء التي تنهال فيها سهام هؤلاء المتنبئين على رؤوس الأمة الإسلامية لانشغالهم بهذه الأمور المستجدة وإلهائهم بها وظهرت العصبيات البغيضة لأنها نتاج حتميٌّ لكل اتجاه جاهلي بل إن أكثر الذين نصروا المتنبئين إنما كان الحامل لهم هو العصبية والرغبة في النكاية بالمسلمين.

كما انفتحت فتن أخرى كحب الظهور والتعالي وصرف الأنظار إلى شخص أو بلد لمطامع لا يعلم عددها إلا الله تعالى.

وهكذا فقد كانت دعوى النبوة إشغالًا لعلماء الإسلام عن الإسهام في خدمة

الدين بمحاولة التصدي والردود والمحاضرات والمناظرات وإهدار كثير من الأوقات والطاقات في سبيل وقف حركات التنبؤ وتحذير الناس منهم وعدم الانخداع بهم وبذلت في سبيل ذلك جهود كثيفة وكتبت كتب عديدة ونشرت مقالات متنوعة. كان بإمكان تلك الجهود المباركة أن تستثمر في إثراء الفكر الإسلامي بما هو أنفع من الانشغال بمقارعة هؤلاء الفجار أدعياء النبوة لو لم يوجدوا.

ومن النتائج الاجتماعية كذلك إضعاف الاقتصاد الإسلامي وبعثرة الأموال التي تذهب في بذخ المتنبئين أو حتى في الإنفاق على علماء المسلمين أو في شراء ضمائر فئات من الناس تستهلك في وقتها دون أن يجني المجتمع المسلم منها أية ثمرة يعم نفعها إذ لا يوجد لهؤلاء أدنى اهتمام بإنعاش الاقتصاد وإثراء البلاد الإسلامية وإنما همتهم وقتية ومنافعهم شخصية يجنون ثمارها على عجل وغفلة من الناس، وهذا العامل هو أحد العوامل الهامة جدًّا في دعوى النبوة بل يكاد أن يكون هو الواجهة الكبيرة وأكبر دليل على ذلك أن النبي الحقيقي يعيش كسائر أفراد قومه إلى أن يموت. بينما دجاجلة التنبؤ ينشأ فقيرًا فإذا ادعى النبوة ووجد حوله أتباعًا تراه ينتقل بين عشية وضحاها إلى حياة الترف والإسراف والتكاثر في الأموال والأولاد لأن هذه هو الهدف من وراء دعواه فما الذي يمنعه من هذا السلوك بعد ذلك إذا تيسر له وكان سبب ظهور أول متنبئ في حياة الرسول ﷺ - الأسود العنسي - هو الدافع الاقتصادي حيث طلب من الرسول ﷺ إعادة الأموال التي أخذها وكذا مسيلمة حيث زعم أنه يأخذ نصف الأرض وقريش تأخذ النصف الآخر ومثلهما سجاح حيث كانت تحث الناس على عدم دفع الزكاة للدولة الإسلامية في المدينة.

ومنها تسهيل المهمة لأعداء الإسلام باطلاعهم على ثغرات ومثالب يتهمون بها معتقدات المسلمين ناتجة عن الدفاع الذي يقوم به المتنبئون لدعواتهم والغض من كل معتقد يخالفهم بحبك الشبهات والافتراء وليّ أعناق النصوص لكي تتوافق مع معتقداتهم ورد ما يخالف فهمهم وانتحال الشبهات وإلصاقها بالمفاهيم التي

تخالفهم وإبرازها على أنها خارجة عن الحق فيهوِّنون أمر مخالفة المبادئ الإسلامية الصحيحة.

فأخذ المتربصون بالمسلمين تلك النصوص وتناقض المنتسبين إلى الإسلام في فهمها فجعلوها من أدلة بطلان العقيدة الإسلامية، وبهذا المسلك يتفق المتنبئون في أفهامهم مع أعداء الإسلام ومفاهيمهم عنه ثم يكوِّنون جبهة واحدة كما هو الواقع في العالم الإسلامي حيث تضافرت جهود المتنبئين مع جهود أعداء الإسلام في حرب من يمثلها من المصلحين وكيل التهم جزافًا لهم.

ومن الآثار التي تولدت بطبيعة الحال لدعوى النبوة وما صاحبها من اشتداد الجدل والخلاف والفرقة بين المسلمين أن تمكن أعداء الإسلام من الميل بكل ثقلهم إلى جانب أدعياء النبوة فقووهم وجعلوا لهم السلطة والقوة وفتحوا لهم ثغرة كبيرة للتدخل في شئون المسلمين الداخلية بأموالهم وجاههم ونفوذهم تدخلًا سافرًا طالما تمنوه، ومن هنا نجد البذل السَّخيَّ ممن يمد أولئك الدمى فمكنوهم وأغدقوا عليهم الأموال فجاءهم الغنى بعد الفقر والشبع بعد الجوع فكيف لا يكونون من أخلص الناس وأشدهم حبًّا لهم بعد هذا التمكين. ومن أشد النتائج سوءًا دعوة المتنبئين للمسلمين إلى محو فكرة الجهاد ومهادنة أعداء الله تعالى والرضى بهم وبكفرهم ولا أدلَّ على صدق هذا المفهوم من موقف القادياني والباب الشيرازي وحسين علي المازندراني وغيرهم ممن ابتلى بهم العالم الإسلامي. انظر كيف كان إخلاصهم وتفانيهم في خدمة المستعمرين والرغبة في تمكين استعمارهم على البلاد الإسلامية في فلسطين وفي غيرها من ديار المسلمين حتى صار من أول تعاليم المتنبئين وأول الوحي نزولًا عليهم هو محو فكرة الجهاد الإسلامي لأنه يضر بمصالح أوليائهم المستعمرين ويقلقهم.

فلهذا حاولوا جاهدين أن تمحى هذه الفكرة من أذهان المسلمين فيرضون بالاستعمار سواء كان فكريًّا أو اجتماعيًّا ويتقبلونه بكل سرور وطواعية تحت تأثير

هؤلاء الفجار من المتنبئين وتقولهم على الله تعالى وأنه أوصاهم بهذه الطاعة والرضى، ومن الأمثلة على هذا وهي كثيرة فرح القاديانيين بانتصارات بريطانيا على الدول الإسلامية الدولة تلو الأخرى لأن من عقائد القاديانية أن انتشار ديانتهم مرهون بانتشار سلطة بريطانيا وأن انحسار بريطانيا يعتبر انحسارًا لانتشار المد القادياني في العالم.

وقد جاء في صحيفة «الفضل» – لسان حال القاديانيين – نصوص كثيرة في بيان هذه المسألة نأخذ منها ما يلي:

قال الخليفة القادياني: «وعلاقة الفرقة الأحمدية بالحكومة البريطانية ليست كعلاقات غيرها من الجماعات بها فإن مقتضيات أحوالنا تختلف عن غيرنا فإننا نجد أن ما يفيد تلك الحكومة إنما هو فائدة لنا فمع تقدم الحكومة البريطانية تسنح لنا الفرصة للتقدم إلى الأمام وإذا أصابها أذى – لا سمح الله – فلا يمكننا أن نجتنبه ونعيش في أمان»[(١)].

ويقول مسئول قادياني: «نرجو أن يتسع لنا الميدان لنشر الإسلام مع اتساع الإمبراطورية البريطانية ونتمكن من إدخال المسلمين في الإسلام من جديد مع جعل غير المسلمين مسلمين»[(٢)] ولاحظ عبارته: «ونتمكن من إدخال المسلمين في الإسلام» وجاء فيها كذلك قولهم: «والواقع أن الحكومة البريطانية جنة لنا ولا تزال الجماعة الأحمدية تتقدم إلى الأمام تحت ظلها فإذا نحيتم هذه الجنة قليلًا إلى جانب فستعلمون كيف ينزل على رؤوسكم مطر مخيف من السهام المسمومة فلماذا إذن لا نكون شاكرين لهذه الحكومة. وقد اتحدت مصالحنا مع مصالحها وما هلاكها إلا هلاكنا وما رقيها إلا رقينا فحيثما تتسع رقعة هذه الحكومة يبرز لنا ميدان جديد من ميادين نشر الدعوة»[(٣)].

---

(١) جريدة الفضل العدد الصادر في ٢٧ يوليو ١٩١٨ م نقلًا عن «ما هي القاديانية؟» صـ ١٠٢

(٢) المصدر السابق العدد الصادر في ١١ فبراير ١٩١٠ م.

(٣) المصدر السابق العدد الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٥ م.

هذه الأمثلة تبين بجلاء مدى خدمة هؤلاء الأقزام أدعياء النبوة لأعداء المسلمين من المستعمرين الغربيين أو الشرقيين في حين أن المتنبئين وأتباعهم يعتبرون في الواقع باكورة الاستعمار والتمهيد له، فإن الهدف واحد والمصلحة مشتركة والعدو واحد وإن اختلفوا في إظهار تلك العداوة، وتلك الأمثلة التي سقناها ليست خاصة بالقاديانين وحدهم فإنها هي القاسم المشترك بين كلِّ من سار في هذا الدرب من المتقدمين والمتأخرين.

وهذا الارتباط القويُّ بين أدعياء النبوة وبين أعداء الإسلام وقوة التعاطف بين الفريقين في كل مجال سواء كان اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم ثقافيًّا لهو أكبر دليل على فجور المتنبئين فأي نبيٍّ حقيقيٍّ فعل هذا أو سلك في هداية الناس هذه المسالك؟!!.

وانظر كيف وصل التعاطف بين الهندوس والقاديانيين من جهة وبين القاديانيين وبريطانيا من جهة أخرى، وبين القاديانيين واليهود، وبين اليهود والبهائية وبين الماسونيين وجميع الحركات الجديدة المناوئة للإسلام وكيف أن بعضهم يخدم البعض الآخر ويمهد بعضهم لبعض سرًّا وجهرًا في جميع المحافل!! ولم يعد بين هذه الحركات التي تتظاهر بالإسلام وبين المسلمين أي ولاء ولا رابطة ولا عاطفة مهما نافق أولئك وحاولوا خداع المسلمين بزخرف أقاويلهم فما هذه النبوات الإلحادية الموالية لأعداء الله من المشركين والملاحدة إلا حجة أراد الله أن يقيمها على الناس يقطع الله بها ريب المرتابين وخداع الضالين.

ولا تسأل بعد ذلك عما تلاقيه المجتمعات الإسلامية من اضطهاد منظم على أيدي هؤلاء الجواسيس أدعياء النبوة هم ومن وراءهم ممن يمدهم في طغيانهم ويقويٍّ نشر أباطيلهم.

لقد عانى كثير من المسلمين اضطهادًا شديدًا من قبل هؤلاء تحت دعايات مضللة وتهم باطلة مختلقة قصد بها التبرير لذلك الاضطهاد.

ولقد انضاف على تلك السيئات سيئات أخرى نتجت عن دعوى النبوة وتدخلهم

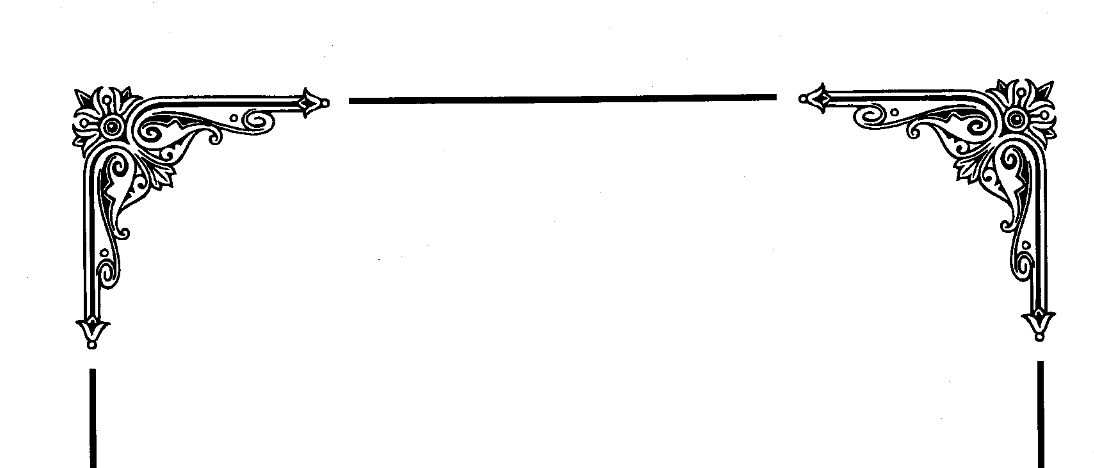
في أحكام الشريعة الإسلامية بالتأويل حينًا وبإسقاط بعض التكاليف أحيانًا أخرى. وتتمثل تلك السيئات بوضوح في استهانة المتنبئين وأتباعهم بالشعائر الإسلامية إذ أن بعض المتنبئين وصل إلى حد إسقاط بعض التكاليف الإسلامية لأتباعه إكرامًا لهم وتخفيفًا عنهم حسب مزاعمه. وذلك كما فعل مسيلمة حينما خطب سجاح بنت الحارث المتنبئة فزوجها قومها منه فأسقط عنهم صلاة الفجر وصلاة العشاء وقد شنع عليه المؤرخون وعليها وعلى قومها. ولكن جاء بعد ذلك من غطى على فعلة مسيلمة فأسقط كل الشعائر الإسلامية كما فعل الشيرازي والمازندراني والقادياني وغيرهم من المتنبئين، ومع الأسف فإنك لا تجد من يشنع على هؤلاء كما وجد من شنع على مسيلمة؛ لأن مسيلمة ظهر بين رجال نوَّر الله قلوبهم وجعل شعلة الإيمان تتقد في نفوسهم نورًا مبينًا وغيرة على دين الله وحبًّا لنبيهم ﷺ بينما التنبئون الجدد لم يقابلهم مثل ذلك الرعيل الأول من حماة الإسلام، ولهذا فإنه وجد للمتنبئين في عصرنا من القوة ما لم توجد لأسلافهم من المتنبئين في العصر الأول والأسباب واضحة.

ونتيجة لهذه المسالك للمتنبئين فقدت المجتمعات الإسلامية أماكن تواجدها فبدلًا من تواجدهم في المساجد صار تواجدهم إما في حفلات صاخبة أو زوايا مظلمة أو أوكار بنيت لتزاحم المساجد ولتكون بديلًا عنها.

لقد امتد ضرر المتنبئين على المجتمع المبتلى بهم فسبب لهم إرباكًا تامًّا في تفكيرهم وفي نفوسهم بل وفي كل شئونهم حتى تنافرت قلوبهم واستوحش بعضهم من بعض واختلفت كلمتهم تبعًا لاختلاف قلوبهم وتعددت اتجاهاتهم وولاءاتهم التي كانت قبل قيام أولئك الفتانين من المتنبئين لله ولرسوله وللمؤمنين فإذا بها تتجه لغير ذلك بعد ظهورهم منحدرة إلى الجاهلية مستلهمة منها الرشد وأنى يوجد للجاهلية رشد؟ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[(١)].

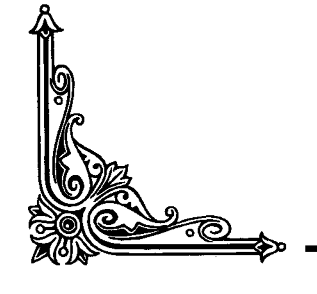
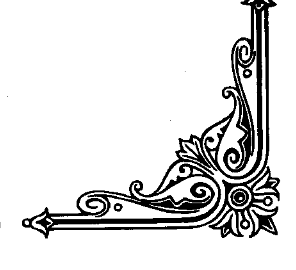
---

(١) سورة المائدة الآية ٥٠.



الباب الرابع عشر..

كيفية القضاء على دعاوى المتنبئين والمقاومة الناجحة لها

كيفية القضاء على دعاوى المتنبئين والمقاومة الناجحة لها..

من الأمور التي يجب أن نتيقنها أنه ما من دعوى تقوم على الكذب على الله تعالى إلا وأمرها سيكون نهايته الفشل؛ لأن الله تعالى لا يصلح عمل المفسدين. ومن أكبر الفساد في الأرض وأخطره دعوى النبوة وهي من أشد أنواع الظلم وقد أخبر الله عز وجل أن الكذب والافتراء على الله يعتبر من أظلم الظلم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾(١) وإذا كان الكذب على غير الله حرامًا ويعاقب الله صاحبه فما الظن إذا كان الكذب على الله وعلى الناس جميعًا؟!! حيث يتعلق به مصير الناس وبالتشريع لهم وما يترتب على ذلك من تحريم الحلال وتحليل الحرام، وإذا كنا على يقين من فشل أدعياء النبوة فإنه ينبغي كذلك أن نكون على يقين بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنه يجب علينا بذل الجهد في سبيل وقف هذه الدعوات الفاجرة وبيان بطلانها والتحذير منها ومن أخطار انتشارها وما الذي ينطوي عليه من إذلال المسلمين لأعدائهم المتربصين بهم الدوائر وكيف أنه لو نجحت مثل هذه الدعوات سيتحول الناس عن الإسلام وسيعودون إلى الجاهلية وكيف سيحل بهم بعد ذلك من عقاب الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين ولهذا يتحتم على كل مسلم أن يغار على دين الله فلا يسمح لنفسه بالرضى أو السكوت عما يعمله الظالمون.

وكل ذلك يحتاج إلى معرفة الطرق والوسائل التي ينبغي أن يلتزم بها أهل الحق في مقاومة الباطل وأن تحكم خطة للقضاء على تلك الدعوات بدقة بعيدين عن الشكليات والتناقض في الأحكام والمواقف واختلاف الكلمة فإن ذلك لا يفيد في مقاومة الأخطار المحدقة بالمسلمين بل يفيد أعداءهم كما سطره التاريخ في بيان

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣.

أحوال المسلمين فيما مضى ويجب أن نأخذ العبرة منهم، فإن العاقل من اتعظ بغيره.

ومما هو معلوم بالتأكيد أن المسلمين يحتاجون لمجابهة هذه الدعوات إلى أسباب كثيرة من أهمها:

١ – الإخلاص والصدق والعزم في القضاء على كل ما يمسُّ ديننا وخصوصًا دعوى التنبؤ إذ بدون ذلك لا يمكن الانتصار عليها ولا التأثير فيها بل يصبح العمل بدون إخلاص وصدق عديم البركة ضرره أكثر من نفعه، ومن هنا نرى كثرة الكلام في عصرنا الحاضر وكثرة الدعوات إلى اجتماع الكلمة وكثرة المؤتمرات والقرارات المتتالية لكنها سراب بقيعة وحبر على ورق «جعجعة لا ترى طحنًا» وليس لهذا تفسير إلا عدم الإخلاص والصدق مع الله.

٢ – احتساب ذلك عند الله واعتباره نوعًا من الجهاد لإعلاء كلمة الله والذب عن دينه فلا ينتظر فاعل ذلك جزاءً ولا شكورًا إلا من ربه فيوطن نفسه على الصبر ويتيقن أن الله عز وجل ناصرٌ دينه ومعلٍ لكلمته.

٣ – معرفة الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور تلك الحركات سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك فإن معرفة إصابة الدواء فرع عن تصور الداء، فإن كل الدعوات تكمن وراء أسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية لا يعلمها إلا الله ثم المطلعون المتتبعون لأخبارها المهتمون بها.

٤ – معرفة نفسيات ودخائل زعماء هذه الحركات ليسهل الوصول إلى التفاهم معهم بالتي هي أحسن فتقام عليهم الحجة ويبين لهم الحق ليحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

٥ – الإلحاح في دعوة زعماء هذه الحركات وأفرادها إلى المحاورة الصادقة والبحث الجاد لاستخلاص الحق بدليله.

٦ – بث الوعي بين الناس وإفهامهم بالخطر الذي يتهدد دينهم ويتهدد اتصالهم بربهم ونبيهم محمد ﷺ على أيدي أدعياء النبوة ومن يحرضهم.

٧ – التركيز على مفهوم ختم النبوة بمحمد ﷺ في كل مناسبة عامة أو خاصة وإسماع المسلمين أحاديث ختم النبوة وبيان معانيها الصحيحة ودفع الشبه التي تعلق بها من ادعى النبوة ودحضها بالأدلة النقلية والعقلية.

٨ – تضافر الجهود بين طلاب العلم والعلماء ورجال الإعلام من إذاعة مسموعة ومرئية وصحافة على إبراز هذه الحركات وإظهارها بالمظهر المخزي الحقير.

٩ – نشر ما يتفوَّه به أدعياء النبوة من أفكار وآراء وبيان مساوئها ومخالفتها لدين الله الحنيف وتحليلها تحليلًا دقيقًا وإظهار عوارها.

١٠ – محاربة الجهل الجاثم على كثير من ديار المسلمين ونشر الحق بينهم ومكافحة الأمية والقضاء عليها وإفهام عامة المسلمين بأن الله قد اختار لهم الإسلام واختار خير البشر محمدًا ﷺ وأن الدين كامل، ومن أراد أن يزيد فيه فإنه يطلب هدمه في الواقع، وأن الزيادة فيه بأي حجة كفر سواء كانت التطوير أو التقدم أو التجديد أو مسايرة العصر أو غير ذلك مما يتفوه به المغرضون الكاذبون لترويج بضاعتهم.

١١ – القضاء بكل الوسائل على أي نشاط يصدر عن هؤلاء بإتلاف كل ما يصدر عنهم من كتب ونشرات وإبطال دعايتهم وانتشارها بين المسلمين وعدم تمكين أي شيء من ذلك من الوصول إلى أيدي المسلمين لئلا يغتر بعض عوامهم بالآراء الملتوية والأساليب الخادعة التي يروجها أدعياء النبوة بزخرف أقوالهم الشيطانية.

١٢ – قيام الحكومات الإسلامية بعزل تلك الحركات التي تنتشر في مجتمعاتهم كالأوبئة وتسليط الأضواء عليها وإخفات أصوات أهلها قبل أن تقوى وتشكل خطرًا يصعب بعد ذلك القضاء عليه أو تأخذ وقتًا في كسر حدتها إذا استفحل أمرها فيعانون بعد ذلك الأمر وهو مدبر ولا يبرؤون أمام الله إلا ببذل الجهود الصادقة الحازمة في القضاء عليها، وهذه أمنية نتمنى أن يوفق الله حكام المسلمين لهذه المواقف النبيلة كما يمليه عليهم النصح لرعاياهم وحمل الأمانة بكل إخلاص وأن يفسحوا المجال

للعلماء للجهاد بأقلامهم وألسنتهم في سبيل الذود عن دينهم وعن نبيهم. ومن الإجحاف والظلم أن يبقى العلماء في وضع يتمنون فيه فقط النجاة بأنفسهم.

فإن القيام في وجوه أعداء الإسلام واجب على الحكام وعلى الشعوب جميعًا وعلى كل مسلم في أي مستوى كان لإحباط تلك الدعوات الضارة بالحكومات والشعوب على حد سواء وقد علم أن كثيرًا من الحكام ليس لديه الانشراح التام لنصرة الإسلام والقضاء على خصومه لأسباب لا يعلمها إلا الله تعالى من ضعف دينه في نفسه أو الضغوط التي تمارس عليه أو غير ذلك من الأسباب الكثيرة الظاهرة والباطنة. ولعل من أهمها أن هذا الصنف من الحكام يميلون بطبيعة حالهم إلى كل دعوى تحط من شأن المسلمين وعلمائهم إلا من رحم الله وذلك لرغبتهم في الحكم بهواهم وبالقوانين التي استحسنوها من شرقية أو غربية الموافقة الدعوات الضالة لهوى في نفوسهم فيكونون كما قيل في المثل: «والخارب اللص يحب الخارب» أو بسبب ما يمليه عليهم كذلك المخطط الذي وصلوا بسببه إلى سدة الحكم حيث تشبعوا بالأفكار الإلحادية بعد أن ابتلعتهم الماسونية الماكرة في محافلها الخبيثة والذين يحكمون العالم حكمًا خفيًّا حقيقيًّا وهؤلاء الذين جثموا على صدور المسلمين إنما هم في حقيقة الحال نواب عن أولئك بعد أن تدربوا هناك على معرفة حبك الدسائس واختلاق التهم وإلقاء بذور الفرقة بين المسلمين علماء وعوام على حد سواء وإذا أحسنا بهم الظن فإنهم قد يواجهون أنواعًا من الضغوط منهم من يتحملها ولا يبالي بها، ومنهم من يضعف أمامها.

١٣ - أن ينبه الوعاظ وأئمة المساجد والمدرسون على خطر قيام هؤلاء الدجاجلة الذين هم مثل النار تحت الرماد والذين يعملون ليلًا ونهارًا في ستار كثيف ليتمكنوا بسببه من تحقيق مآربهم على امتداد الزمن، وجانب آخر أيضًا وهو أن يولي المصلحون اهتمامهم بتحذير الرسول ﷺ من جميع فتن الدجاجلة سواء كانوا من الدجاجلة الكبار كالمسيح الدجال الذي كان الرسول ﷺ يهتم بالتحذير منه حتى بلغ

الأمر بالصحابة من ترقب ظهوره أنهم كانوا يتصورون أنه وراء النخل الذي كان أمامهم من شدة ومبالغة الرسول ﷺ في التحذير منه لأنه يخرج على حين غفلة وهؤلاء الدجاجلة الصغار إنما هم مقدمات له وإرهاصات لظهوره والمسلمون إلا القليل في غفلة تامة عن كل ذلك.

١٤ - عدم الاستهانة بأخبار هؤلاء الدجاجلة من المتنبئين مهما كانت صغيرة ومهما قلل المخططون من شأنها، فإنه سيأتي اليوم الذي تصبح فيه فتنة كبرى إذا لم يحسب لها الناس حسابًا قبل ذلك:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن من الحزم متابعة أخبار هؤلاء ومتابعة ما يقومون به من نشاط بدقة وإن صغر، فإن معظم النار تأتي من مستصغر الشرر وحتى لا ينشغل الناس بالأمور الجانبية التي يضعهم فيها هؤلاء بل ينبغي زيادة اليقظة من هذه المزالق وتبصير الجميع بذلك.

١٥ - نتمنى أن لو اشتملت كل مرحلة دراسية على موضوع خاصٍّ عن إبطال دعوى النبوة بعد محمد ﷺ في أي مادة كانت تلك الدراسة وخصوصًا مادة التوحيد في المرحلة النهائية لكل مستوى وعلى مستوى جميع أقطار المسلمين لتضافر الجهود وتشكل فكرًا عميقًا سميكًا يحول بين المسلمين ووصول الأفكار الضالة وانتشارها بينهم. فإن المدارس يجب أن تكون منابع خير وأن يكون الدارسون هم الضمانة والحصانة للأمة وبدون هذا تبقى الجهود مبعثرة والحذر غائبًا عنهم والأعمال فردية بل قد يهدم بعضها بعضًا لعدم التنظيم الجيد. ويجب أن يعامل مدعو النبوة أولًا باللين والحسنى وبيان الحق بكل صدق وإخلاص فإن لم ينفع ذلك فإن طرق التعزير والتنفيذ يكون بيد من ولاهم الله أمر المسلمين.

وأخيرًا فإن الطرق للقضاء عن المتنبئين وأصحاب الدعوات الضالة لا تكاد تخفى متى صلحت النيات وصح العزم والتوجه إلى الله تعالى ومعرفة أن قيام هؤلاء بدعوى النبوة إنما هو عقاب لذلك المجتمع الذي يخرج منه هذا البركان، وأن الله

أراد أن يمتحن المؤمنين ليرفع درجات من يشاء منهم ويخفض درجات من يشاء منهم ويظهر المخلص الصادق من غيره، وليتحقق قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1] ولنا فيما مضى من مواقف أسلافنا تجاه فتنة المتنبئين أسوة حسنة، والله عز وجل إذا أحب شيئًا يسر، وإذا كره شيئًا غير، وهو تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومن البشرى العاجلة أنه ما من شخص ادعى النبوة إلا وأحاط الله به ولقى جزاءه المعجل في الدنيا قبل الآخرة إلا القليل فمن أخر الله عقابهم وسيلاقون ربهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وليكن الدعاة إلى الله تعالى وكل من يتصدى لهؤلاء أن يكون على جانب كبير من معرفة طرق التغيير، شأنهم في ذلك شأن الطبيب الماهر الذي يتدرج بمريضه ويرِّوضه على تقبل الدواء مهما كانت مرارته واثقًا فيه فإن بعض الدعاة مثلهم كمثل فرس امرئ القيس الذي وصفه بقوله:

مكـــرٍّ مفــــرٍّ مـــدبر مقبـــل معًـــا ... كجلمود صخر حطَّه السيل من عَلِ

يكون الخراب على يديه أكثر من الصلاح.

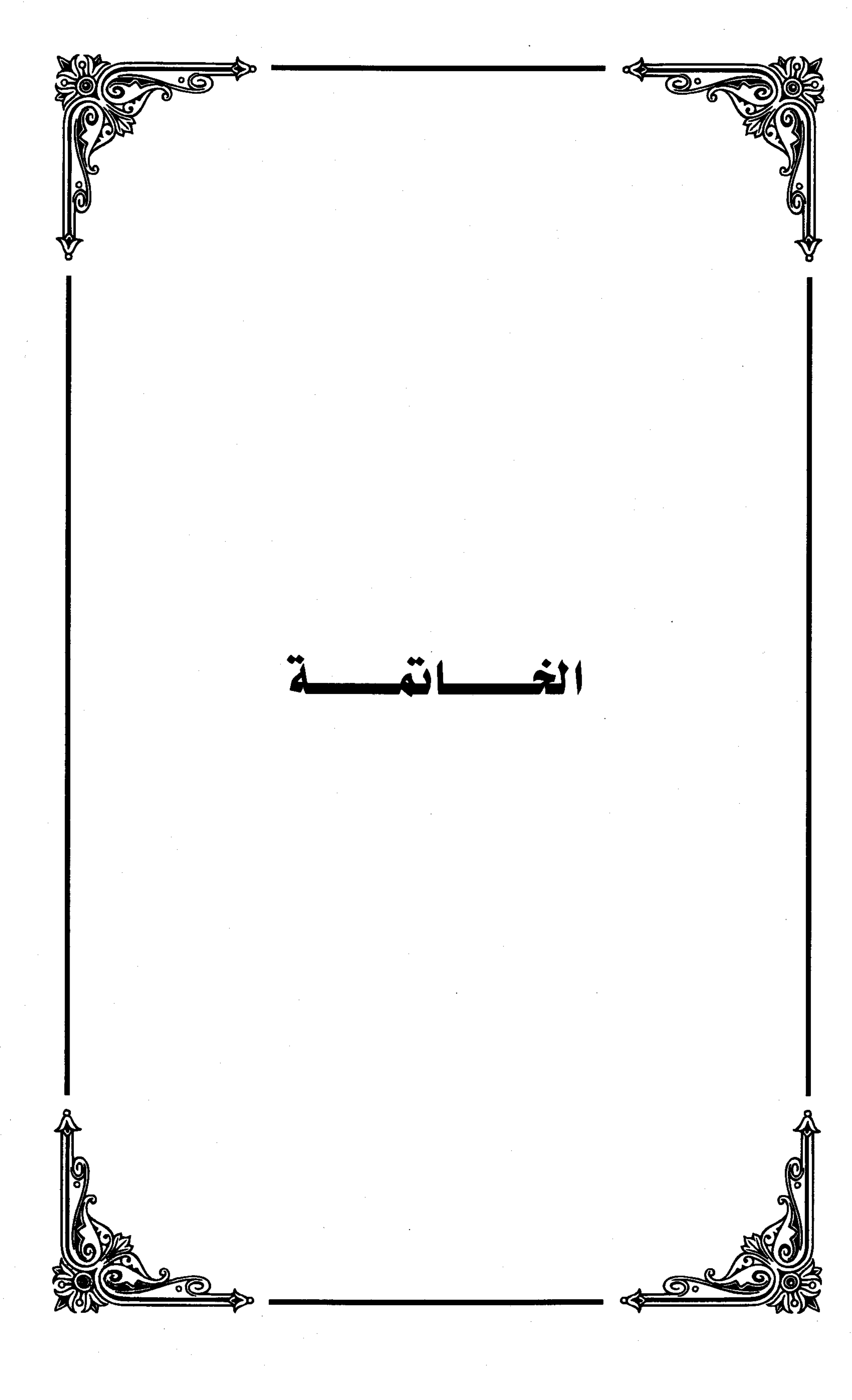
فإن المدعين النبوة هم في أمسِّ الحاجة إلى الرفق بهم وحسن عرض الحجج عليهم واستشعار الصبر في ذلك وعدم استعجال النتيجة بالفظاظة والغلظة وليس أي شخص يحرص على نقاء الإسلام ويغار عليه أكثر من الرسول ﷺ ومع ذلك كان يعامل الخارجين عليه بالعطف واللين.

قال الشاعر:

إذا لــم يكــن عــون مــن الله للفتــى ... فــأول مــا يجنــي عليــه اجتهــاده

---

(١) سورة العنكبوت آية ١، ٢.



الخـــاتمـــة

الخـــاتمـــة..

في ختام هذه الدراسة أسأل الله عز وجل أن يتجاوز عن التقصير ويعظم الأجر والثواب وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجد القارئ منه ما يبغيه ويعظم له الأجر في قراءته ويعفو عن الجميع.

وبعد،،،

في أثناء دراسة هذا الموضوع وبعد إكماله بهذه الصورة المتواضعة تبينت لي أمور كثيرة أذكر أهمها فيما يلي:

١ – تبين لي أن وراء دعوى النبوة أمورًا خطيرة وكثيرة بعضها كان موجهًا من قبل أعداء الإسلام يريدون بذلك:

أ – إشغال المسلمين بأنفسهم وبالخصام مع المتنبئين.

ب – تشكيك المسلمين في قداسة النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

جـ – إخراج المسلمين عن دينهم.

٢ – وبعضها كان موجهًا من قبل العصبيات البغيضة للاستقلال عن الحكومة الإسلامية.

٣ – وبعضها كان موجهًا من قبل الأطماع المختلفة:

أ – إما في الزعامة والعلو.

ب – وإما في جمع الأموال والعيش الرغيد.

٤ – وبعضها كان موجهًا من قبل التطرف ولفت الأنظار.

٥ – وبعضها كان نتيجة لاختلال في أعصاب أصحابها وهوس واضطراب في سلوكهم.

٦ – وبعضها كان يراد من ورائها الوصول إلى الحكام ومحادثتهم فكانت دعوى

النبوة حيلة وسلمًا للوصول إلى ذلك ومهما كانت الأسباب فقد كان لدعوى النبوة أثر سيئ في النفوس وسبب واضح في التشويش على حياة كثير من المسلمين الاجتماعية والثقافية.

٧ – لقد انشغل علماء المسلمين بمقارعة أدعياء النبوة وبذلت منهم جهود وأوقات كان الأحرى أن تستغل في نفع الناس وتعليمهم أمور دينهم ورفع راية الإسلام.

٨ – سفكت دماء كثيرة في تلك الدعاوى الباطلة تبين للناس أنها ذهبت هدرًا دون مقابل ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان.

٩ – أن المتنبئين لم يكونوا على درجة واحدة في الذكاء وفي الشوكة.

١٠ – أن بعض المتنبئين لم يكن لجموحه حدٌّ فقد رقى نفسه من مجتهد ضعيف إلى ملهم ثم فيه جزء من النبوة ثم نبي متمم ثم نبي مستقل ثم إله وكل ذلك يتم حسب تقبل من حوله من عصاباته وأتباعه واستخفافه بهم.

١١ – أن الله قد أقام الحجة على عباده بما أبداه من جهل وطيش أولئك المتنبئين وتناقضهم في أقوالهم وأفعالهم ليحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

١٢ – أن ما كان يأتي به المتنبئون من الخوارق وما يشبه الكرامات إنما كان بسبب استعانتهم بالشياطين وخدمة بعضهم لبعض وأنها لم تكن خوارق حقيقية وإنما هي تمويهات وضلالات.

١٣ – أن حكام الدولة الإسلامية كانوا يواجهون تلك الدعوات حسب ما يليق بها فبعض المتنبئين كانت الدولة تعاملهم بأقصى أنواع العقاب والشدة، وبعضهم تقابلهم باللين وإقامة الحجة، وبعضهم تقابلهم بما يشبه الدعابات والسخرية بل وتتخذ منهم جلساء وأصدقاء بعد ذلك لما يرونه من رجاحة عقولهم وحسن تصرفهم وتوبتهم الصادقة عن دعوى النبوة.

١٤ – أن في موت تلك الدعوات كلها دليلًا قويًّا على أن الله تعالى غيور على دينه

وأن رسالة محمد ﷺ كانت بعناية الله ولطفه حيث مكن لها في الأرض إلى أن تقوم القيامة إذ لو كانت دعوى مثل تلك الدعوات لانتهت كما انتهت تلك الدعوات.

١٥ – أن دعوى النبوة مستمرة إلى أن يشاء الله تعالى نهايتها وأن الواجب على كل مسلم أن يتصدى لها حسب قدرته وبكل ما لديه؛ لأن هذا من الجهاد في سبيل الله سواء بالسلاح أو القلم أو الفكر.

هذا ونسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذه النصيحة خالصة لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

* * *



قائمـــة المراجـــع

قائمة المراجع

اسم الكتاب	المؤلف
- أ -	
القرآن الكريم	
الإيمان بالأنبياء بجملتهم	عبد الله بن زيد آل محمود
الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب	أحمد بن حجر آل بوطامى
الإسلام في نظر أعلام الغرب	حسين باسلامة
الإسلام روح المدنية	مصطفى الغلابين
أصول الدين	البغدادى
إنجيل متى	متى
أضواء البيان	الشنقيطى
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلانى
الأغانى	أبو الفرج الأصفهانى
أبجد العلوم	صديق حسن خان
أشعة الأنوار	محمد البيجانى
أدعياء النبوة	ديب علي حسن
الاعتصام	الشاطبى
الأقدس	حسين المازندراني
أساس البلاغة	الزمخشرى

اسم الكتاب	المؤلف
الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة	محمد صديق خان القنوجى
أوضح التفاسير	ابن الخطيب
أصول الكافى	الكلينى
الإنسان الكامل	محمود الغراب
الأخلاق المتبولية	الشعرانى
أبجد العلوم	القنوجى

ب -

البداية والنهاية	ابن كثير
بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار	محمد باقر
بدائع الفوائد	ابن القيم
بيان مذهب الباطنية وبطلانه	الديلمى
الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامى	الجبهان
البيان	الشيرازي
البهائية نقد وتحليل	إحسان إلهى
البهائية	محب الدين الخطيب
البهائية رأس الأفعى	مجموعة من الكُتَّاب
بغية المرتاد في الرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد	ابن تيمية – تحقيق موسى الدويش

اسم الكتاب	المؤلف
البابية عرض ونقد	إحسان إلهي ظهير
ج -	
الجامع لأحكام القرآن	القرطبى
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	شيخ الإسلام ابن تيمية
جواهر المعانى	علي حرازم
جريدة الوطن	العدد ١٨٠١
جريدة الشرق الأوسط	العدد ٨٧١٧
د -	
الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة	شيبة الحمد
دقائق التفسير	ابن تيمية – تحقيق محمد السيد
الدعاة	وجيه فارس الكيلانى
دجال السودان	الأمين داود
و -	
ولاية الفقيه	الخمينى
الوصية الإلهية	الخمينى
الوصية الكبرى	عبد السلام الفيتورى
ز -	
زاد المعاد	ابن القيم

اسم الكتاب	المؤلف
الزهر النضر في نبأ الخضر	ابن حجر
ح -	
الحجة في بيان المجة	أبي القاسم الأصفهانى
الحجاج المفترى عليه	د/ محمود زيادة
حقيقة البابية والبهائية	محسن عبد الحميد
الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة الحقيقة	محمد الحضرمى
الحكومة الإسلامية	الخمينى
الحور العين	أبو سعيد بن نشوان الحميرى
الحركة الباطنية في العالم الإسلامى	د/ الخطيب
حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم	الفوتى
الحذر في أمر الخضر	الملا علي الهروى
ط -	
الطرق المشهورة في السنغال	مخطوط
طبقات الشعرانى	الشعرانى
ك -	
الكامل	ابن الأثير
الكافى	الكلينى
الكتاب المقدس	

اسم الكتاب	المؤلف
كشف أسرار الباطنية	الحمادى
كتاب السلوك في معرفة دول الملوك	أحمد بن علي المقريزى
كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	إسماعيل العجلونى
- ل -	
لسان الميزان	ابن حجر
لسان العرب	ابن منظور
لوامع الأنوار	السفارينى
اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة	السيوطى
اللمع	الأشعرى
- م -	
مقالات الإسلاميين	الأشعرى
المحلى	ابن حزم
المواقف	الأيجى
المسند	الإمام أحمد بن حنبل
المستشرقون والإسلام	زكريا هاشم
الموطأ	الإمام مالك
مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام ابن تيمية
مستدرك الحاكم	الحاكم

اسم الكتاب	المؤلف
المعجم الأوسط	الطبرانى
مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة	الموفق بن أحمد المكى
معارج القبول	الشيخ حافظ الحكمى
مجمع الزوائد	الهيثمى
معجم البلدان	ياقوت الحموى
الملل والنحل	الشهرستانى
مختصر التحفة الاثنى عشر	الألوسى
المصباح المنير	أحمد محمد الفيومى
المصباح المنير	المقرئ
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة	ندوة الشباب
مجمع الأمثال	أحمد بن محمد الميدانى
المنار المنيف	ابن القيم
المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن	
المستطرف في كل فن مستظرف	الإبشيهى
مروج الذهب	علي المسعودى
المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام	الصواف
منظمة إليجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل	عبد الوهاب أبو سليمان
ن -	
النبوات	شيخ الإسلام ابن تميمة

اسم الكتاب	المؤلف
النبوة والأنبياء في ضوء القرآن	الندوى
س -	
سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد الذهبى
سنن ابن ماجه	ابن ماجه
سنن الترمذى	الترمذى
سنن أبي داود	أبو داود
سيرة ابن هشام	ابن هشام
ع -	
عقائد الإمامية الاثنى عشرية	إبراهيم الموسوى
عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر	عبد المحسن العباد
عيون الأخبار	عبد الله بن مسلم الدينورى
ف -	
فتح البارى	ابن حجر
الفتوى الحموية الكبرى	شيخ الإسلام ابن تيمية
الفرق بين الفرق	البغدادى
الفرق والمقالات	القمى
فرق الشيعة	النوبختى
فرق معاصرة	غالب عواجى
فرقة الجمهوريين بالسودان	شوقي بشير

اسم الكتاب	المؤلف
فتح القدير	الشوكانى
فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب	الطبرسى
الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة	عبد الرحمن عبد الخالق
فصوص الحكم	ابن عربى
ص –	
صحيح البخارى	محمد بن إسماعيل البخارى
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج
الصحاح	الجوهرى
صحيح الجامع الصغير	الألبانى
الصلة بين التصوف والتشيع	كامل الشيبى
ق –	
القاموس المحيط	الفيروزابادى
قراءة في وثائق البهائية	عائشة بنت الشاطئ
قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر	محمد الرفاعى
القادياني والقاديانية	أبو الحسن الندوى
ر –	
الرسل والرسالات	الأشقر
رحلة إلى الديار المقدسة	محمد محمود الصواف

اسم الكتاب	المؤلف
الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي	العباد
روح المعانى	الألوسى
الرد على المنطقيين	شيخ الإسلام ابن تيمية
ش -	
شريعة الإسلام	القرضاوى
الشفا	القاضي عياض
الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربى	محمود الغراب
ت -	
تهذيب اللغة	الأزهرى
التعريفات	الجرجانى
تاريخ الأمم والملوك	ابن جرير الطبرى
تحفة الأحوذى	المباركفورى
التصوف	إحسان إلهى
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
التفسير الكبير	الرازى
تاريخ اليعقوبى	أحمد اليعقوبى
تلبيس إبليس	ابن الجوزى

اسم الكتاب	المؤلف
تثبيت دلائل النبوة	القاضي عبد الجبار
تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن	أحمد شرف الدين
تاج التفاسير	الميرغنى
تقريب التهذيب	ابن حجر
تهذيب الأسماء واللغات	النووى
خ –	
ختم النبوة	أحمد سعد الغامدى
ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة	المودودى
الخطط المقريزية	المقريزى
الخضر بين الواقع والتهويل	محمد خير رمضان يوسف
الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة	أحمد بن عبد العزيز الحصين
غ –	
الغنية	الطوسى
غريب الحديث	الخطابى
الغارة على العالم الإسلامى	ل. ل. شاتلين ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى

* * *



فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــوع الصفحة

الموضـــــــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *